



أوراق لسانية

مجلة فصليّة محكّمة تصدر عن جمعية اللسانيين العراقيين

المجلد ٦- العدد ٢٢ - حزيران ٢٠٢٦ - ١٤٤٨

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٤١٢ لسنة ٢٠٢٠

الترقيم الدولي ISSN
الورقي :(print) 2708-0722
الالكتروني :(Online) 2708-0730
السيديروم :(CD-ROM) 2708-0749



مجلة فصليّة محكّمة تصدر عن جمعية اللسانيّين العراقيّين

رئيس التحرير

أ.د. كريم حسين ناصح

كلية الإمام الكاظم (العراق)

مدير التحرير

أ.د. مرتضى جبار كاظم

كلية الإمام الكاظم (العراق)

هيأة التحرير

أ.د. مالك المطلبي
جامعة الإسراء (العراق)

أ.د. مرتضى جواد باقر
جامعة البصرة سابقاً (العراق)

أ.د. محمد عبد مشكور الكعبي
جامعة بغداد (العراق)

أ.د. حيدر عبد الزهرة هادي
جامعة بغداد (العراق)

أ.د. مشتاق عباس معن
جامعة الكفيل (العراق)

أ.د. علاء جبر محمد
جامعة العميد (العراق)

أ.د. كيان أحمد حازم يحيى
جامعة بغداد (العراق)

أ. هشام عبد الله الخليفة
الجامعة العراقية سابقاً (العراق)

د. محمود حمد سماري
جامعة تكساس في أوستن (أمريكا)

أ.د. مؤيد عبيد صوينت
الجامعة المستنصرية (العراق)

أ.م.د. لطيف نجاح القصاب
الكلية التربوية المفتوحة - مركز الرصافة

أ.د. عبد القادر الفاسي الفهري
جامعة محمد الخامس سابقاً (المغرب)

أ.د. محمد غاليم
جامعة محمد الخامس (المغرب)

أ.د. سعد مصلوح
جامعة القاهرة سابقاً (مصر)

أ.د. رمزي بعلبكي
الجامعة الأمريكية في بيروت (لبنان)

أ.د. مهدي أسعد عرار
معهد الدوحة للدراسات العليا (قطر)

أ.د. عبد السلام العيساوي
الجامعة التونسية (تونس)

أ.د. حافظ إسماعيلي علوي
جامعة الشارقة (الإمارات)

أ.د محمود عباس العامري
جامعة القيروان (تونس)

أ.د. محمد محمد يونس علي
معهد الدوحة للدراسات العليا (قطر)

د. حيدر سعيد
المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (قطر)

أ.م.د. جنان سالم البلداوي
كلية الآداب - جامعة سامراء

تدقيق اللغة العربية
م.م هيثم عباس عوده

تدقيق اللغة الإنكليزية
د. محمد رضا عباس

المتابعة والتنسيق
د. رسل علي كنون

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق. بغداد 2412 لسنة 2020

ISSN - الرقم الدولي: الورقي (Print): 2708-0722 | الالكتروني (Online): 2708-0730 | السيديروم (CD-ROM): 2708-0749

حقوق الطّبع

حقوق الملكيّة الأدبيّة والفنيّة محفوظة لمجلّة (أوراق لسانيّة)، التي تصدرها جمعيّة اللّسانيّين العراقيّين، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد المجلّة أو إدخالها على الحاسوب أو برمجتها على أسطوانات ضوئيّة إلّا بموافقة النّاشر خطّيًّا، وخلاف ذلك تتمّ المقاضاة قانونيًّا أمام القضاء العراقيّ.

البريد الإلكترونيّ للمجلّة: info@linguisitic-papers.com
رابط المجلّة: linguistic-papers.com
رقم هاتف المجلّة: 07824472825

تنفيذ وتوزيع
دار قناديل للنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي
ganadel.1986@gmail.com
00964771131929





(تعهّد الملكيّة الفكريّة)

إنّـي الباحــث: .....

صاحب البحث الموسوم بـ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهّد بأنّ البحث قد أنجزته، ولم يُنشر في مجلّة أخرى في داخل العراق أو خارجه، وأرغب في نشره في مجلّة (أوراق لسانيّة).

التّوقيع:

التّاريخ:





تعهّد نقل حقوق الطّبع والتّوزيع

إنّـي الباحــث: .....

صاحب البحث الموسوم بـــ(.....

.....

.....

.....

.....).

أتعهّد بنقل حقوق الطّبع والتّوزيع والنّشر إلى مجلّة (أوراق لسانيّة).

التّوقيع:

التّاريخ:

سياسة النشر

1. أن لا يكون البحث جزءًا من بحث سابق منشور، أو من رسالة جامعية قد نُوقشتْ، ويقدّم الباحث تعهدًا بعدم نشر البحث أو عرضه للنشر في مجلة أخرى.

2. يشترط لنشر الأبحاث المستلة من الرسائل والأطاريح الجامعية موافقة خطية من الأستاذ المشرف وفقًا للأنموذج المعتمد في المجلة.

3. يُبلّغ المؤلف بقرار صلاحية النشر أو عدمها في مدة لا تتجاوز شهرًا واحدًا من تاريخ وصوله الى هيأة التحرير.

4. يلتزم المؤلف بإجراء تعديلات المحكّمين على بحثه وفقًا للتقارير المرسلة إليه، ومن ثَمَّ موافاة المجلة بنسخة معدّلة في مدة أقصاها (15) خمسة عشر يومًا.

5. لا يحقّ للمؤلف المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ كتاب قبول النشر.

6. لاتُعاد البحوث الى مؤلفيها، سواء قُبلتْ أم لم تقبل.

7. يخضع البحث للتقويم السريّ من خبيرين لبيان صلاحيته للنشر.

8. يدفع المؤلف أجور النشر البالغة (125000) مائة وخمسة وعشرين ألف دينار عراقي من داخل العراق، و(150) دولارًا من خارج العراق.

9. يحصل المؤلف على نسخة من المجلة المنشور فيها بحثه.

10. تعبّر البحوث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

11. لا تلتزم المجلة بنشر البحوث التي تخل بشرط من الشروط.

12. تلتزم المجلة بفهرسة ورفع البحوث التي تُنشر في المجلة في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية www.iasj.net

دليل المُقوّمين

1 - يرجى من المقوّم، قبل الشّروع بالتّقويم، التّثبّت من كون البحث المرسَل إليه يقع في حقل تخصّصه العلميّ لتتّم عمليّة التّقويم.

2 - لا تتجاوز مدّة التّقويم (10) أيام من تاريخ تسلّم البحث.

3 - يذكر المقوّم إذا كان البحث أصيلًا ومهمًّا لدرجة تلتزم المجلّة بنشره.

4 - يذكر المقوّم مدى توافق البحث مع سياسة المجلّة وضوابط النّشر فيها.

5 - يذكر المقوّم إذا كانت فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة، وتتمّ الإشارة إليها.

6 - يحدّد مدى مطابقة عنوان البحث لمحتواه.

7 - بيان مدى وضوح ملخّص البحث.

8 - مدى إيضاح مقدّمة البحث لفكرة البحث.

9 - بيان مدى علميّة نتائج البحث التي توصّل إليها الباحث.

10 - تجري عمليّة التّقويم بنحو سريّ.

11 - يُبلّغ رئيس التّحرير في حال رغب المقوّم في مناقشة البحث مع مقوّم آخر.

12 - تُرسل ملاحظات المقوّم إلى مدير التّحرير، ولا تجري مناقشات ومخاطبات بين المقوّم والمؤلّف بشأن البحث خلال مدّة تقويمه.

13 - يبلّغ المقوّم رئيس التّحرير في حال تبيّن للمقوّم أنّ البحث مستلّ من دراسات سابقة، مع بيان تلك الدّراسات.

14 - يُحدّد المقوّم العلميّ بشكل دقيق الفقرات التي تحتاج إلى تعديل من المؤلّف.

15 - تعتمد ملاحظات وتوصيات المقوّم العلميّ في قرار قبول النّشر وعدمه.

دليل المؤلفين

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تقع ضمن مجال تخصصها العلمي.
2. أن يتسم البحث بالأصالة، والجدة، والقيمة العلمية، وسلامة اللغة، ودقة التوثيق.
3. يمنح المؤلف الحقوق للمجلة بالنشر، والتوزيع الورقي والإلكتروني، والخزن، وإعادة استعمال البحث.
4. أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسوب بنظام (2010) (office word) على قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد، وتُزوّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية، ويمكن إرسال البحوث عبر بريد المجلة الإلكتروني.
5. أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).
6. يُكتب في وسط الصفحة الأولى من البحث ما يأتي:
   أ عنوان البحث باللغة العربية.
   ب اسم المؤلف باللغة العربية، ودرجته العلمية، وشهادته، وجهة انتسابه.
   ت بريد المؤلف الإلكتروني.
   ث الكلمات المفتاحية.
   ج ملخصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنكليزية، يوضعان في بدء البحث على أن لا يتجاوز الملخص الواحد(250)كلمة.
7. يُكتب عنوان البحث في وسط الصفحة بحجم خط (16) Bold.
8. يُكتب اسم المؤلف في وسط الصفحة بحجم خط (12) Bold.
9. تُكتب جهة انتساب المؤلف بحجم خط (12) Bold.
10. يُكتب عنوان البريد الإلكتروني بحجم خط (12) Bold.
11. يُكتب ملخص البحث بحجم خط (12) Bold.
12. تُكتب الكلمات المفتاحية التي لا يتجاوز عددها خمس كلمات بحجم خط (11) Bold.
13. جهات الانتساب تُثبت كالآتي: (القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد).
14. تُكتب البحوث بخط نوع (Arabic simplified) للغة العربية، وبخط نوع (Times New Roman) للغة الإنكليزية،وبحجم خط(14).
15. مسافة الحواشي الجانبية (54,2) سم، والمسافة بين الأسطر (15,1) سم.
16. على الباحث اتباع قواعد الاقتباس وتوثيق المصادر والمراجع والالتزام بأخلاقيات البحث العلمي.
17. تعتمد المجلة صيغة (ApA) في ترتيب المصادر والمراجع وتنسيقها.
18. تعتمد المجلة نظام فحص الاستلال باستعمال برنامج (Turnitin) ويرفض البحث الذي تتجاوز فيه نسبة الاستلال المقبولة عالميًا.

المحتويات

الصراعُ المصطلحيُّ بين التقعيدِ والاستعمال: ألفاظُ الحضارةِ أنموذجًا	م.د. كرَّار رحيم حبيب	**1**
المصطلح الصوفي بين القصد والاعتباط (اصطلاحات الصوفية) للقاشاني (ت730هـ) أنموذجًا	م.م علي غازي محمد	**31**
الهُويّة اللغوية للعراق، مقاربة في المفهوم والمنهج	ورود هادي نصيف	**53**
الاقتضاء والاستلزام الحواري وموازنتهما بمفهوم الضمني والمضمر عند الأصوليين	م.د. نسرين حامد منعم	**77**
الجَوانِبُ الفسيولوجيّة والأكوستيكيّة لفونيم الهاء العربيّ دراسة في ضوء برنامج (Praat)	م.د. عَدِي أحمد خزعل	**101**

المقيـــدات الاســـمية غيـــر الإسنادية في النصوص القانونية دراســة لســانية فــي البنيــة والدلالة	د. نيران فالح مهدي أ.د. مرتضى جبَّار كاظم	**143**
مفهــوم الظــواهر التركيبيــة، وتمثلات السببية في لغة القانون	د. محمد شلتاغ سالم أ. م. د. نزار بنيان شمكلي	**183**
البنيــة الصــرفية فــي ترتيــب المعجـم العربـي: دراسـة فـي أثـر الجــذر والــوزن علــى التنظــيم المعجمي	م. زهراء شهاب احمد	**217**
المقيـــاس الصـــوابي لجمـــوع التكسير عند إبراهيم المنذر	م.م. مروه سلام رشيد أ.م. د. مياسة وليد طه	**241**
(إنْ) النافيـــة بـــين الإعمـــال والإهمـال وتطبيقاتهـا فـي مـنهج اللغـة العربيـة للصـف السـادس الإعداديّ	م. د. مرتضى صباح صيوان الحسون	**267**

الزيادة النحوية عند ابن يعيش في شرح المفصل643هـ	م.م. عبد حسين علي أ.م.د. مياسة وليد طه	**289**
الألفاظ المَلحونة في كتاب (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل) للمُحِبِّي (ت1111هـ)، دراسة تحليلية	د. مهدي عباس إبراهيم أ. د. علاوي سادر جازع	**313**
توظيف الدلالة المعجمية عند اللغويين العرب المحدثين دراسة دلالية	م.م. فاطمة عبد الرضا محمد الحسيني أ.م. د. زينب هاشم حسين	**341**
المعجم الكبير دراسة في ضوء النظريَّة الإحاليَّة	م.م صفاء أكرم حنتوش أ.د. لمى فائق جميل	**361**
الألفاظ الدالة على السَّماء وما فيها في كتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري (395هـ) دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية	م.م هديل مثنى صالح أ.م.د. مائدة رحيمة غضيب	**391**
شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري	أ.م. د يسرى خلف حسين	**421**

رؤية العالم والصراع الاجتماعي في روايات حسونة المصباحي	م.م. أحمد كاطع صبار أ.د. حيدر فاضل عباس	447
تجليات السلطة الأبوية في الثقافة الإسلامية من منظور فاطمة المرنيسي، وآليات المقاومة قراءة في ضوء النقد الثقافي	م.م رشا أحمد سلوم أ.د. كرنفال أيوب محسن	483
تجليات الحزن والتفاؤل في بنية ديوان سبأ أخرى الشعرية (دراسة تحليلية)	م.م دعاء موسى كاظم	521
المقدمة والخاتمة في شعر المتلمس الضبعي	أ.م.د. جنان عبد الله يونس الزبيدي	543
A Pragmatics Analysis of Sarcasm in Selected Interviews	PH D. Student. Hind Abdul-Ameer	1

27 Bushra Mahmood Odhafa **THE EFFECT OF CLOSED CAPTIONS ON EFL STUDENTS' LISTENING COMPREHENSION**

الصراعُ المصطلحيُّ بين التقعيدِ والاستعمال: ألفاظُ الحضارةِ أُنموذجًا

م.د. كرَّار رحيم حبيب — الجامعة المستنصريَّة - كلِّيَّة الآداب

المستخلص:

بقراءةٍ سريعة للمصطلحات، ولا سيَّما الألفاظ الحضاريَّة، التي وضعها المجمع العلمي، الذي يمثِّل الجانب الرسميَّ؛ ستتجلَّى لدينا مشكلةٌ كبرى تتمثَّل في الفجوةِ بين تلك المصطلحات الرسميَّة وبين ما يصنعه التداولُ والاستعمال الحضاريُّ؛ إذ صنعَ هذا البونُ تشتُّتًا مفهوميًّا في بيئة ألفاظ الحضارةِ تمثَّلَ بشكلٍ كبيرٍ في مواجهة المصطلح الرسميِّ أو المجمعيِّ مقاومةً شرسةً من المصطلح الدخيل أو الشائع. هذه الدراسة تتجسَّدُ قيمتها في تقديم رؤيةٍ نقديَّةٍ للمنجزِ المجمعيِّ في ألفاظ الحضارة من وجهة "الصراع المصطلحي"؛ إذ تحاول الكشف عن أسباب هجران أغلب الألفاظ الحضاريَّة التي صنعتها لجانُ المجمع في قبالِ شيوعِ غيرِها من الدخيلِ والمستعمل. وبيان أسباب ذلك الصراع ومآلاته، وإمكانيَّة معالجة تلك المشكلات. لقد توصَّل البحث إلى ضرورة أن يُراعي المجمعُ العلميُّ في

وضع الألفاظ الحضاريَّة البُعدَ التداولي والسهولة واليسر الصوتي والقبول الاجتماعي في ذلك الإنتاج.

الكلمات المفتاحية: الصراع المصطلحي، علم المصطلح، المجمع، ألفاظ الحضارة.

The Terminological Conflict Between Codification and Usage: The Terminology of Civilization as a Model

Dr. Karrar Rahim Habib
Al-Mustansiriya University - College of Arts

Abstract:
A quick reading of the terminology, particularly the cultural terms, coined by the Academy of Sciences, which represents the official body, reveals a major problem: the gap between these official terms and their actual usage in cultural discourse. This gap has created conceptual fragmentation within the cultural vocabulary, manifested largely in the fierce resistance faced by foreign or common terms against the official or Academy-designated terminology. The value of this study lies in offering a critical perspective on the Academy's work in cultural terminology from the standpoint of "terminological conflict." It attempts to uncover the reasons for the abandonment of most of the cultural terms coined by the Academy's committees in favor of the prevalence of other, foreign, and commonly used terms. It also seeks to explain the causes and consequences of this conflict and the possibility of addressing these problems. The research concludes that

the Academy of Sciences must consider the pragmatic dimension, ease of pronunciation, and social acceptance in its cultural terminology.
Keywords: Terminological conflict, terminology science, academy, terms of civilization.

المطلب الأوَّل: ألفاظُ الحضارة والمصطلح - الائتلاف والافتراق

يُقصد بألفاظ الحضارة مجموعة المصطلحات والمفردات التي تعبّر عن المنجزات المادِّيَّة، والتقنيَّة، والاجتماعيَّة التي يبتدعها الإنسان في حياته اليوميَّة من (ملبسٍ، مأكلٍ، مركباتٍ، أدواتٍ، صناعاتٍ، مبانٍ). فهي مصطلحاتٌ أو ألفاظٌ تُعبّرُ عن التمدُّن وتتطوَّرُ مع تطوُّر المجتمعات، مثل: الهاتف، الطائرة، المصرف، القطار، والكمبيوتر.

يوجد اتجاهان في تفسير تلك الألفاظ: أوَّلهما اتِّجاهٌ يسعى إلى تحديد ماهيَّتها استنادًا إلى نشأتها؛ إذ يرى أنَّ لفظ الحضارة في أصلِهِ مصطلحٌ علميٌّ وضعه متخصِّصون في فنٍّ ما أو علمٍ، ثمَّ شاعَ وانتشرَ بين العامَّة حتَّى أضحى من الألفاظ التي تتداولها أفواهُ الناس، فهي مصطلحاتٌ شاعت بين أوساطِ المثقَّفين ثمَّ انتقلت من المعجم المختصِّ إلى المعجم العامِّ، فمعيارُ هذا الاتِّجاه هو الشيوعُ في اللفظ والانتقالُ من المصطلح الخاصِّ إلى المصطلح العامِّ الذي يستعمله عامَّةُ الناس في حياتهم اليوميَّة، فنحن نجدُ – مثلًا – لفظ تلفاز أو تلفزيون أطلقه المتخصِّصون على ذلك الجهازِ التقنيّ المعروف، ثمَّ تداوله الناسُ وشاع حتَّى صار ضمن معجمِهم اليوميّ، فتحوَّل من مصطلحٍ علميٍّ خاصٍّ إلى لفظٍ حضاريٍّ عامٍّ، وأصحاب هذا الاتِّجاه يرون أنَّ معجمَهم الحضاريَّ يجب أن يشمل (الكون والطبيعة)، (النباتات والأشجار)، (جسم الإنسان)، (الحيوانات البرِّيَّة)، (الحيوانات المائيَّة)،

وغيرها مما يدخل ضمنَ هذا الإطار العامّ. في حين يفسِّرُ الاتِّجاه الثاني تلك الألفاظ انطلاقًا من ربطها باستعمالِ الإنسان لها في حياته العامَّة، فمتى ما استعمل الإنسان لفظًا ما في حياته العامَّة وتداوله وشاعَ بينه وبين الآخر صارَ لفظًا حضاريًّا، فيستندون في تفسيرهم إلى مدى استعمال الشيء المُسمَّى في الحياة العامَّة وليس إلى شيوعِهِ وانتقالِهِ من المعجم الخاصِّ إلى المعجم العامّ، ويشملُ أيضًا مأكلَ الإنسان وملبسَه ومشربَه ومنزلَه وأدواتِه وأثاثَه وما يتعلَّقُ بها، وأسماءَ الأماكن العامَّة والخاصَّة وما يتَّصل بها من مكاتبَ وأدواتٍ وأجهزةٍ، والمركبات وما يتعلَّقُ بها أيضًا، فضلًا عن الحرفِ والصناعات والمهن وموادِّها، والرياضة وأنشطتها، كذلك الجوانب الخاصَّة بالحياة الفنِّيَّة والترويح والزينة والحياة الثقافيَّة ومختلف لغة الاتِّصال الجماهيريّ. (القاسمي، 2009، الصفحات 6- 63)

إنَّ هذه الألفاظ على الرغم من كونها متَّصلةً بعيش الإنسان وحياته العامَّة، لكنَّنا ما نقصده من الحضارة ليس "المأكل، والمشرب، والملبس، وأدوات الزينة، والكماليَّات، فحسبُ، وإنَّما هي أوسع من ذلك؛ إذ تشمل مجموعة القيم، والمعارف، والخبرات، وما يتَّصلُ بها من معنويَّات ومادِّيَّات، ولذلك كانت الدعوة إلى وضع معجم الحضارة الحديثة الذي يضمُّ مختلف جوانب الحياة وما يتَّصل بشؤون المجتمع الفكريَّة، والثقافيَّة، والإداريَّة، والسياسيَّة، والمهنيَّة، والفنِّيَّة، ونحو ذلك ممَّا يحتاجُ إليه الإنسان المعاصر، وهو يقرأ الكتب والصحف، ويستمعُ إلى الإذاعة، ويشاهد الإذاعة المرئيَّة، ويتعامل مع شبكة المعلومات الدَّوليَّة (الإنترنت)". (مطلوب، 2003، صفحة 604) وهذه الشموليَّة جعلت مصطلحات (ألفاظ الحضارة) صعبةً مستصعبةً، بل إنَّ معالجتها تكون أعسرَ من المصطلحات العلميَّة، فضلًا عن أنَّ الإجماع عليها سيكون أكثر صعوبةً؛ (مطلوب، 2003، صفحة 602) إذ إنَّ المسؤوليَّة التي

تقع على عاتق مسؤولي اللغة كبيرة جدًّا في هذا الشأن، وذلك نابعٌ من وضعينِ صعبينِ في حقيقتهما: أوَّلهما المستوى الحضاريُّ والعلميُّ في العالم العربي مقارنة بالعالم المتقدِّم، وثانيهما سبل استيعاب اللغة العربيَّة للمصطلحات والألفاظ الحضاريَّة. (عودة، 1995، صفحة 65)

والحقيقة أنَّ ألفاظ الحضارة هي مصطلحاتٌ؛ لأنَّ (اللفظ) في حقيقته اسمٌ عامٌّ ينضوي تحتَه (الكلمة) و(المصطلح)، فضلًا عن أنَّ كلمة (ألفاظ) عامَّة قيَّدوها وخصَّصوها بالإضافة، فالأصل في ألفاظ الحضارة أنَّها مصطلحات علميَّة ثمَّ شاع استعمالها بين عامَّة الناس؛ بسبب شيوع المفاهيم الدالَّة عليها، أي هي مصطلحاتٌ علميَّةٌ أو تقنيَّةٌ أو فنِّيَّةٌ شاع استعمالها بين الناس فأصبحت ألفاظًا حضاريَّةً، ومثالها مصطلح (الحاسوب) ومتعلّقاته مثل: (لوحة المفاتيح)، و(ذاكرة الحاسوب) و(الطابعة)، فكلُّ هذه الألفاظ كانت في بداياتها مصطلحاتٍ تقنيَّةً لا يستخدمها إلَّا عددٌ محدودٌ من الباحثين والجامعيين في مختبراتهم، ثمَّ أصبحت اليوم من أدوات الحضارة أو ألفاظها الشائعة تمامًا، وأضحت مصطلحات من ألفاظ الحضارة. (القاسمي، 2009، الصفحات 65 -67)

ويعترف الدكتور أحمد مطلوب بصعوبة هذه الألفاظ والاتِّفاق عليها؛ بسبب تعدُّدها وتشتُّتها وشموليَّتها؛ إذ يقول: "وليس من السهل اليسير تحديد الألفاظ الحضاريَّة وحصرها، فهي قد تشمل الفنون الأدبيَّة والعلوم السياسيَّة، والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، والفنِّيَّة، وقد تشمل ما يستعمله الإنسان من أدوات لتحقيق أغراضه المختلفة. ولعلَّ الاتِّفاق على المصطلحات العلميَّة ووضعها أيسر من الاتِّفاق على الألفاظ الحضاريَّة ووضعها لما في ذلك من اختلاف وجهات النظر في فهم الحضارة...". (مطلوب، ألفاظ حضارية، صفحة 5) وهو هنا يشارك الدكتور إبراهيم مدكور في أنَّ المصطلحَ العلميَّ

أيسرُ وأسهلُ في وضعه وصنع معجماته من الألفاظ الحضاريَّة؛ بسبب شموليَّة هذه الأخيرة وتعدُّدها.

إنَّ الهدف من جمع تلك الألفاظ الحضاريَّة ودراستها وبثِّها، هو تقديم معانٍ واضحة لها، وهذا التقديم العلمي في حقيقته ليس موجَّهًا بالضرورة إلى المثقَّفين والمختصِّين في الآداب والعلوم والفنون فحسبُ، لذلك لن تجد في طيَّات الحديث عن الألفاظ الحضاريَّة حديثًا عن دقائق الأمور، فإنَّنا حين نتحدَّثُ عن المذياع سنصفُ مظهرَه الخارجيَّ فقط بعيدًا عن أجزائِهِ الداخليَّة التقنِيَّة والفنِّيَّة الخاصَّة بالمتخصِّصين فيه، ليس ذلك من شأن الألفاظ الحضاريَّة والعاملينَ عليها، بل شأنهم ما يتداوله الإنسان اليوم في حياته بكلِّ مفاصلها ومشاربها. (مطلوب، فصول في العربية، 2003، صفحة 531)

المطلب الثاني: الصراعُ المصطلحيُّ - مفهومُه وأسبابُه

الصرع في اللغة يعني السقوط، قال ابن فارس (395هـ): "الصاد والراء والعين أصلٌ واحد يدلُّ على سقوطِ شيءٍ إلى الأرض عن مراس اثنين، ثم يُحمَل على ذلك ويشتقُّ منه. من ذلك صرَعْتُ الرّجلَ صرْعاً، وصارعتُه مصارَعَة، ورجلٌ صَرِيع. والصَّريع من الأغصان: ما تَهدَّلَ وسقط إلى الأرض، والجمع صُرُع". نفهم من ذلك أنَّ الصراع يعني إسقاط شيء لشيء، أو طرحه أرضًا، سواء كان ذلك للإنسان أو لغيره.

والحقيقة أنَّ لا أحد سابقًا قد تطرَّقَ إلى هذا المصطلح، أعني (الصراع المصطلحي)، لذلك أرى أنَّ أقربَ تعريفٍ للصراع المصطلحي هو أنَّه تنافسٌ بين مصطلحينِ علميينِ أو فنِّيَّين مقابلينِ لمصطلحٍ واحدٍ؛ بسبب

اختلافٍ ثقافيٍّ أو فكريٍّ أو اجتماعيٍّ، يؤدِّي إلى نكوص أحدهما وإحياء الآخر، أو استخدامهما معا بنسبٍ متفاوتةٍ في البيئة نفسها.

ويختلف الصراعُ المصطلحيُّ عن التعدُّد المصطلحيّ، بكون الأخير لا يحمل تنافسًا في البقاء والشيوع، إذ يمكن أن ينتجَ لمصطلحٍ وافدٍ ثلاثةُ مصطلحاتٍ أو أكثر، ويكون استعمالها متاحًا وقائمًا في بيئات علميَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ أو ثقافيَّةٍ متباينةٍ، كأن تستخدمُ بيئةٌ مصطلحَ (اللسانيَّات) وتريد به العلم المعروف، وتستخدمُ بيئةٌ أخرى (الألسنيَّة) لذلك العلم نفسه، وأخرى تأخذُ بمصطلح (علم اللغة)، وكلُّها مستعملةٌ وقائمةٌ في بيئاتها، ويعمل أصحابها على إشاعتها وتثبيتها. في حين أنَّ الصراعَ المصطلحيَّ نقرِّر أنَّه يكونُ بين مصطلحين قبالَ مصطلحٍ وافدٍ، يُشعلُ تنافسًا على الاستخدام قد ينتهي بغلبةِ أحدِهما الآخرَ، أو إشاعتهما واستخدامِهما معًا بالنسبة عينها، أو نسبة متفاوتةٍ، في البيئة نفسها.

ونستطيع توضيح الفرق بين المصطلحين من طريقِ الجدول التالي:

ت	الصراع المصطلحي	التعدد لمصطلحي
1	تنافس بين مصطلحين للدلالة على مفهوم مصطلح واحد وافد.	وجود أكثر من مصطلح للدلالة على مفهوم مصطلح واحد.
2	فيه سعيٌ للغلبة والشيوع والإثبات في البيئة الواحدة.	لا وجودَ للتنافس وتكون كلُّ المصطلحات شائعة الاستعمالات في بيئاتها.
3	ينتج بسبب اختلافٍ ثقافيٍّ أو اجتماعيّ أو فكريّ.	ينتج بسبب اختلافٍ ثقافيٍّ أو اجتماعيّ أو فكريّ.
4	ينتهي الصراع بسيادة مصطلح	تُستعمل كلُّ المصطلحات في

	واحد أو باستعمالهما معًا بنسبةٍ واحدةٍ أو متفاوتةٍ، في بيئةٍ واحدةٍ.	بيئاتها المتعدِّدة.

أسباب الصراع المصطلحي:

ينتج الصراع المصطلحي لأسباب متعدِّدة، أبرزها ثلاثة، هي:

أوَّلًا: العامل اللغويُّ (الثقل الصوتيُّ): تميل العربيَّة إلى الإيجاز بكلِّ مستوياتها، ففي المستوى النحوي تجدها تميل إلى الجمل القصيرة والحذف والاستناد إلى الضمائر، والحال كذلك في المستوى الصرفيّ حين تميل العربيَّة إلى الأبنية المختصرة وحذف ما يُثقلُها، "ولذلك تراها في ابتغاء التوفير للجهدين الذهني والعضلي للإنسان، تتخلَّى عن كثيرٍ من التفريعات المعقَّدة، والأنظمة التعبيريَّة المختلفة، والصيغ الشكليَّة المُجهِدة، والأصوات العسيرة النطق". (قباوة، 2001، الصفحات 31 - 32) وهذا التوجُّه منبعه النزوعُ نحو تحصيل المقبوليَّة اللغويَّة، التي لا يمكن تحصيلها من دون الاستناد إلى مبدأ الاقتصاد اللغويّ، وعدم انفكاكه عن اقتصاد الموارد اللغويَّة. (الكور، 2019، صفحة 57) لكنَّنا نجد ذلك بنحوٍ صريحٍ في المستوى الصوتيّ، من منطلقِ أنَّ الثقل يسبِّبُ صعوبةً في النطق وعسرًا وتكتُّلًا لفظيًّا منبوذًا، وعكسه الخفَّة التي تتَّسم باليسر والطلاقة والسلاسة واستحسان الكلام. وإنَّ هذا الميل إلى الثقل والخفَّة منشؤه إرادة العرب، "فالعرب إذا استثقلت استعمالا ما طلبت الخفَّة، وإذا طلبت الخفَّة فإنَّها تفرُّ من الثقل، فهو على سبيل المثال يقرِّر أنَّ الواو تُقلبُ ياءً إذا سُبقت بكسرة كما هو الحال في كلمتي ميزان وميعاد، ذلك أنَّ الواو إذا تُرك فإنَّه ثقيلٌ على

لسان". (العبيدي، 1999، صفحة 191) وقد لاحظ الخليل "أنَّ أفصح الكلمات ما كان مؤلَّفًا من أصواتٍ مُتباعدة المخارج، أو مُتقاربة الصِّفات، وأنَّ من العسير على اللِّسان أن ينطلق بصوتينِ مُتجاورينِ وهما مُختلفان في الصِّفة، كأن يكون أحدهما مجهورًا والآخر مهموسًا، أو يكون أحدُهما مُنطبقًا والآخر مُنفتحًا مثلًا". (المخزومي، 1986، صفحة 42)

والميل إلى أنَّ الثقل والخفَّة متأتّيان من إحساس المتكلِّمين باللغة هو أقربُ عندي في التعليل لهذه الظاهرة اللغويَّة، "فالإحساس بالخفَّة والثقل عند هؤلاء الأسلاف يمكن وصفه بأنَّه إحساس الناطقين باللغة، فالذين أحسُّوا بالخفَّة والثقل من أمثال سيبويه كانوا عربًا بالسليقة والمنشأ، فلم يأتوا من بيئةٍ أخرى، ولم يفرضوا على الذوق العربيّ أذواقًا أخرى...". (العبيدي، 1999، صفحة 193)

وقد وضع اللغويون قواعد متعدِّدة لأجل الأخذ بالخفَّة الصوتيَّة واستحسان صنيعة المفردات، من قبيل عدم اجتماع العين والحاء في كلمة واحدة، ولا القاف مع الكاف، ولا الجيم مع القاف، ولا الحاء مع الهاء، قال ابن العميد: "اعلم أنَّ أحدَ ما يحتاجُ إليه في الشِّعر سلامة حروف اللَّفظ من الثِّقل، وهذا التَّكرير في أمدحه أمدحهُ مع الجمع بين الحاء والهاء مرَّتين - وهما من حروف الحَلْق - خارجٌ عن حدِّ الاعتدال، نافرٌ كلَّ النَّفار". (ابن عباد، 1965، صفحة 34) إذن، يمكننا الاهتداء إلى ذلك من خلال مقولة ابن جنّي (392هـ) أنَّ "أحسن التَّأليف ما بُوعِدَ فيه بين الحروف، فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألَّا يأتلفا، وإنْ تجشَّمُوا ذلك بدأوا بالأقوى من الحرفين...". (ابن جني، 2000، صفحة 429/2)

ممَّا سبق، نستطيع القول إنَّ من أبرز أسباب الصراع المصطلحيّ بين مصطلحينِ اثنينِ هو التأليف الصوتيُّ لهما، ومدى استحسان أحدهما وخفَّته

على ألسنة المستعمِلين، فيصير أقرب إلى التناول والاستخدام ثمَّ إلى الشيوع، وينجرُّ المتَّسمُ بالثقل إلى مضمار الإهمال والموت؛ اتِّساقًا مع طبيعة الإنسان في ميله إلى استحسان الأخفِّ والأسهل، ولا سيَّما في عصرنا اليوم.

ثانيًا: العامل الزمنيُّ: لا يُنكر أحدٌ جهود العرب في إنشاء الثروة اللفظيَّة من خلال وضع المعجمات العربيَّة، بوصفها اللبنات الأساسيَّة لصناعة مستقبل اللغة، وبوصفها منطلقًا حقيقيًّا لنشوء بيئة لغويَّة كبرى تمثِّل العربيَّة بجميع مستوياتها، وعلى الرغم من كونهم سبَّاقين في هذا الأمر، فإنَّ مِمَّا يؤخذ عليهم هو إهمال عامل الزمن والتوقيت في اللغة، "فلم يشأ العرب أن يأخذوا عامل الزمن في الحسبان، فلم يعترفوا - على ما يبدو - بأنَّ اللغة ظاهرة اجتماعيَّة قابلة للتطوُّر على مرِّ الأيَّام، وقد جاءت خطَّة دراستهم العامَّة على وفق هذا التصوُّر غير الدقيق". (بشر، 2005، صفحة 321) وهذا الإهمال في طبيعته هو سببٌ رئيسٌ ومثاليٌّ لموت اللغة، أو لنقلْ: موت الألفاظ، التي هي ظاهرةٌ طبيعيَّةٌ تبعًا لطبيعة حيويَّة اللغة، فمثلما تتوالد الألفاظ داخل البناء اللغويِّ، فهي أيضًا تموتُ وتنحسرُ، وأحيانًا تتَّشحُ بالشيخوخة. (الصاعدي، 1419هـ، صفحة 1)

وهذا الأمر ينسحب على ولادة الألفاظ الحضاريَّة وموت بعضها، فإنَّك تجدُ بعضها يعمر ويبقى فلا يموت، ولو مضت السنوات، "لما فيه من ضروب المناعة الداخليَّة كقوَّة المعنى ودوامه، ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه، أو المناعة الخارجيَّة". (الصاعدي، 1419هـ، صفحة 1) فالمحافظة على اللفظة - برأي هذا النصِّ - تأتي من مناعتين: داخليَّة تتمثَّلُ بقوَّة المعنى واستمرار الحاجة للمفهوم الذي يعبِّرُ عنه اللفظ، والجمال الصوتي ورشاقة اللفظ وعذوبة جرسه، وهو ما يجعل اللفظ مريحًا في النطق ومستساغًا في الأذن.

وخارجيَّة تتعلَّقُ بانتشار اللفظ في نصوصٍ مقدَّسةٍ أو أدبيَّةٍ كبرى ممَّا يحميه من النسيان.

إنَّ تطوُّر اللغة وإحياء الألفاظ وموتها، يكون عامل الزمن فيها عاملًا حاسمًا، بل إنَّ تفتُّت اللغة يزداد بازدياد استعمالها، (فندريس، 1950، صفحة 308) ومن ثَمَّ يضطرُّها ذلك التفتت المصنوع من قبل الأفراد إلى إشاعة ألفاظٍ بعينها، والتمسُّك بأخرى بفضل الزمن وما يؤدِّيه من حفرٍ ثقافيٍّ مصاحبٍ لمن يستطيع أن ينتج اللفظ أوَّلًا ويُخضعُه للاستعمال، ثمَّ يبذلُ كلَّ الجهد في سبيل إشاعته على الألسنة المستعمِلة ليترسَّخ أخيرًا في قاموسِ الألفاظ الحضاريَّة المستعمَلة في قبالِ ألفاظٍ أخرى تظلُّ رهينةَ الموت.

ثالثًا: العامل السوسيولوجي: تمثِّلُ الكلمات والمصطلحات هُويَّة الجماعة، إذ تُعدُّ اللغة من أقوى الوسائل للحفاظ على الانتماء للجماعة، وإبراز ذلك الانتماء، فلو كان الزيُّ أو تسريحةُ الشعر أو الإكسسوارات نافعةً لمعرفة هُويَّة الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، فإنَّ اللغة كاشفةٌ بأعلى الوضوح عن تلك الهُويَّة، "فعندما تنتمي لجماعةٍ ما، لا فرقَ على الإطلاق ما إذا كان كلام تلك الجماعة يعتبر من قبل أعضائها، أو من قبل آخرين، جيدًا أو سيِّئًا، مرموقًا أو مبتذلًا. وكلُّ ما يهمُّ هو أنْ يتكلَّم كلُّ فرد في الجماعة بنفس الطريقة التي يتحدَّث بها الآخرون، لأنَّه بفعل هذا فقط يمكن له المحافظة على موقعه داخل الجماعة". (تراسك، 2013، صفحة 75) وهذه نتيجةٌ حتميَّةٌ لكون اكتساب لغة الإنسان منشؤه المجتمع الذي يعيش فيه.

إنَّ اللغة بحدِّ ذاتها تمثُّل انعكاسًا للجماعة، فمتى ما وُجدت لغة ثريَّة ومتنوِّعة فإنَّها صورة لرقي مجتمعها وتنوُّع مطالب حياته؛ إذ إنَّ كلَّ لفظٍ من ألفاظها يمثِّلُ فكرةً ما، فعدد ألفاظ اللغة يساوي في الحقيقة عدد الأفكار والمعاني التي أنتجها ذلك المجتمع، والعكس صحيح كذلك. (العزاوي،

2004، صفحة 40) وهذا يأخذنا إلى القول صراحةً: إنَّ المصطلحات هي نتيجة حتمية للمجتمع، فولادتها وموتها ونشاطها وتطوُّرها وخمولها، كلُّ ذلك متَّصلٌ بالمجتمع الذي أوجدها أو صنعها أو اقترضها، فمتى وجدنا أنَّ هناك مصطلحات في ألفاظ الحضارة تعيش وأخرى تموت فهي نتيجةٌ لذلك المجتمع الذي أعاش إحداها وأمات الأخرى؛ لأنَّ الكلام في عمومه "نشاطٌ فرديٌّ أو اجتماعيٌّ في صورته المنطوقة أو الظاهريَّة أو الخارجيَّة أو المادِّيَّة، ولكنَّ له جذورا عقليَّة جماعيَّة أو عمقًا يستمدُّ منه مادَّته الفعليَّة التي تظهر في صورة ألفاظ وتراكيب يتعامل بها في الأسواق الاجتماعيَّة، التي تختلف في ظروفها وبيئاتها وثقافاتها وسائر ملابسات الحياة فيها". (بشر، فن الكلام، 2003، صفحة 53)

في الحقيقة أنَّ كلَّ اللغات تستمرُّ بالتغيُّر نتيجةً للتغيُّرات التي تطرأ في المجتمع أو التقنيَّة، فنحن لم نكن نحتاج إلى كلمة (تلفاز) حتَّى اختُرعَ هذا الجهاز، وبسبب التغيُّر السريع والفاحش الذي نشهده اليوم فمن غير المستغرب أن نحظى اليوم في مجتمعاتنا بألفاظٍ حضاريَّةٍ بوصفها نتيجةً ثقافيَّةً وتقنيَّةً وإبداعيَّةً، فنحن اليوم - مثلًا - لا نستطيع أن تخيَّلَ يومنا من دون كلمات (التلفاز)، أو (كابتشينو)، كلُّ ذلك نتيجة طبيعيَّة لتغيُّر العالَم. (تراسك، 2013، صفحة 46)

في الحقيقة أنَّ موت ألفاظٍ بعينها، أو عدم قبولها في جماعةٍ فئويَّة معيَّنة يعني أنَّها لا تنتمي إلى أيقونتهم الكبرى أو صورهم اللفظيَّة التي يتداولونها، فإحياء لفظٍ أو موته مرتبطٌ أشد الارتباط ببيئة الفرد نفسه، فحينما يستعمل الميكانيكيُّون كلمة أو لفظة حضاريَّة ويفضِّلونها على أخرى صنعها المجمع اللغويُّ، فهذا لأنَّهم جماعةٌ ينتمون إلى لغةٍ واحدةٍ وبيئةٍ واحدةٍ ومشتركٍ ظرفيٍّ واحدٍ وأذواقٍ وقيمٍ واحدةٍ، وإنَّ "واحدة من أنجع السبل لحفاظ هذا

الشخص على انتمائه إلى تلك الفئة الاجتماعيَّة وإظهاره للانتماء لها هي اللغة. فكلُّ فئة اجتماعيَّة لها طرقها الخاصة في الحديث، وأسلوب الكلام الخاص بها والتي تعد بمثابة شارة العضويَّة لتلك الفئة أو الجماعة... فعندما تنتمي لجماعة ما، لا فرقَ على الإطلاق ما إذا كان كلام تلك الجماعة يعتبر من قبل أعضائها، أو من قبل الآخرين، جيّدًا أم سيّئًا، مرموقًا أم مبتذلًا. وكلُّ ما يهمُّ هو أن يتكلم كلُّ فرد في الجماعة بنفس الطريقة التي تحدَّثُ بها الآخرون؛ لأنَّه بفعله هذا فقط يمكن له المحافظة على موقعه داخل الجماعة". (تراسك، 2013، صفحة 75)

المطلب الثالث: مدرسة المجمع العلمي العراقيِّ في تعريب ألفاظ الحضارة

تقع على عاتق المجامع العلميَّة مهمَّة التخطيط اللغوي، التي تتمُّ من خلال اتِّخاذ القرار السياسيِّ أوَّلًا، ثمَّ وضع الضوابط اللغويَّة، وينطوي عمل المجامع على وضع المصطلحات ثمَّ النظر في أصول اللغة خلال المرحلة الثانية التي أشرنا إليها، تلي ذلك مرحلة التطبيق والتقويم من لدنّ المؤسَّسات التعليميَّة والإعلاميَّة والإداريَّة، فتقع على عاتق المجمع وظيفة التنمية المصطلحيَّة، التي تحمل جانبين: الأول خاصٌّ بتنمية اللغة نفسها من أجل الوصول بها إلى مرحلة القدرة على التعبير عن الحضارة المعاصرة، والثاني خاصٌّ بإيجاد الخطَّة اللغويَّة، التي أشرنا إليها. (زفنكي، 2010، الصفحات 167 - 169)

يمثِّلُ وضعُ الألفاظ الحضاريَّة إلى جانب إنتاج المصطلحات وتعريب التعليم في شتَّى مراحله أهمِّيَّةً كبيرةً في عمل المجمع العلمي العراقي. (مطلوب، اللغة العربية والنهضة القومية - اللغة العربية والوحدة، 1997،

صفحة 78) وقد تحدَّث الدكتور جواد علي عن ذلك قائلًا: "من أعمال المجمع الأصليَّة بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها وتوجيه مجهوده ونشاطه إلى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق، فحاجة الناس إلى المصطلحات اليوم شديدة وطلَّابها كُثر. ومن حقِّ المجمع على المتخصِّصين والباحثين وأصحاب العلم باللغات مطالبته إيَّاهم بوجوب مساعدته في هذا الباب وشد أزره، وذلك بتقديم ما عندهم من علم ورأي وتوجيه ونقد ليؤدِّي الرسالة العلميَّة على أكمل وجهٍ وأحسن حالٍ. وهو لهذا وذاك كتبَ إلى الوزارات والدوائر المختصَّة يستعينها على تسهيل هذه المهمَّة بأن ترسل إليه بما تجمَّع عندها من مصطلحات، وما نقلته من كلماتٍ ليدرسها ويرى رأيًا فيها". (علي، 1951، صفحة 311) ثمَّ تحدَّث عن طريقة المجمع في وضعِ الألفاظ والمصطلحات فقال: "وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها ووضعها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص، ويتعرَّف أصله ونشأته، ثمَّ يسمع رأي المتخصِّصين فيما اختاروه من كلمات عربيَّة مناسبة، ثمَّ يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها لغويَّة كانت أو اختصاصيَّة من كلمات موافقة له ممَّا قد يفي بالمراد، فإذا وقف على كلمة صالحة مناسبة مؤدِّية للمعنى الاصطلاحي ورأى فيها الرشاقة والسلامة - أعني أنَّها عربية يألفها الذوق - عقد رأيه وبتَّ في الأمر. على أنَّ عادة المجمع ألَّا يرى رأيًا في مصطلح ولا يبتُّ فيه إلَّا بعد الوقوف على آراء البلاد العربيَّة الأخرى فيه، فلعلَّ لها اجتهادًا فيه أصوب من اجتهاده وأقوم، أو كلمة أصح وأحكم...". (علي، 1951، الصفحات 313 - 314)

أما القواعد التي سارت عليها لجنة اللغة العربيَّة في وضع الألفاظ الحضاريَّة والمصطلحات العلميَّة؛ فهي: (مطلوب، بحوث مصطلحية، 2006، الصفحات 115 -116)

1- أن يكون بين اللفظ والدلالة مماثلة تامَّة أو مشاركة دون أدنى ملابسة.

2- أن يُقتصر على لفظ واحد للمفهوم الواحد.

3- تجنُّب تعدُّد الدلالات للمصطلح أو اللفظ الواحد.

4- تجنُّب المصطلح الأجنبي والألفاظ العامية.

5- أن تُؤثَرَ اللفظة المأنوسة على النافرة الوحشيَّة الصعبة النطق.

6- إيثار اللفظ القديم المستعمل من المصطلحات العلمية العربية والقادر على الخضوع للاستعمال حديثا.

7- اشتقاق اللفظ يكون على وفق قرار من هيئة علمية مختصَّة بوضع المصطلحات.

8- تجنُّب المولّدات والمحدثات وإيثار مصطلحات التراث عليها.

9- يُترجم المصطلح الأجنبي بعد ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي.

10- يُلجأ إلى التعريب بعد تعذُّر العثور على لفظٍ عربيٍّ موائمٍ.

11- يُراعى عند استعمال الألفاظ الأعجميَّة ترجيح أسهل نطق في رسم الألفاظ المعرَّبة، وإحداث بعض التغيير في نطق المصطلح المعرَّب ورسمه؛ من أجل أن يتَّسق مع نطق اللسان العربي.

12- تجنُّب استعمال السوابق واللواحق الأجنبيَّة؛ كون العربيَّة لغة اشتقاقيَّة وليست إلصاقيَّة.

إنَّ هذه القواعد والأسس والطرق التي سار عليها المجمع كانت كفيلةً بأخذ يدِه نحو وضع المصطلحات العلميَّة والألفاظ الحضاريَّة، لذلك سنجدُ أنَّه كثيرًا ما كانت ألفاظه الحضاريَّة تتصارع بشدَّةٍ مع الألفاظ العامِّيَّة التي دعا

إلى تجنُّبها تجنُّبًا تامًّا، وكذلك صراعها مع الألفاظ والمصطلحات المعرَّبة، التي أيضًا كان يدعو إلى نفورها واستعمال الألفاظ العربيَّة، فضلًا عن صراعه مع الألفاظ الأجنبيَّة وغيرها من تلك التي كان لها قصب السبق في المثول بين يدي الاستعمال في البيئة العراقيَّة، لذلك لم تنجحْ كلُّ ألفاظه الحضاريَّة وبقيت حبيسة الكتب، أمَّا الاستعمال؛ فهو الذي كانت له الكلمة الفصل.

وآخر معجم للألفاظ الحضاريَّة وضعه المجمع كان بعنوان (ألفاظ حضاريَّة)، وضعته لجنة اللغة العربيَّة، بتقديم الدكتور أحمد مطلوب وإشرافه، وكانت طبعته الأولى سنة 1998، وشملت لجنته (الأستاذ محمد بهجة الاثري، د. أحمد مطلوب، د. جميل الملائكة، الشيخ محمد حسن آل ياسين، د. نوري حمودي القيسي)، فضلًا عن الخبراء (د. أحمد نصيف الجنابي، د. حكمة علي الأوسي، د. عبد الهادي محبوبة). وقد صدرت النسخة الأخيرة من الطبعة الثانية سنة 2016، ويقع في 476 صفحة.

المطلب الرابع: صور من الصراع المصطلحي

علمنا أنَّ المصطلح اتفاق على معنى محدد للمفهوم، وهناك نوعان من المصطلحات: المصطلحات العلميَّة التي تتَّسمُ بالوضوح وعدم الغرابة والغموض، فضلًا عن عدم القدرة على التلاعب بها، نحو المصطلحات المتعلِّقة بالأوزان أو المسافات أو المساحة، أي هي التي تتعلَّقُ بالحاجات المادِّيَّة المباشرة. وهناك المصطلحات الاجتماعيَّة التي تتعلَّقُ بالعلاقات بين الأفراد أو داخل حيواتهم، فهي يكتنفها الغموض، وتتعدَّد من مجتمعٍ إلى آخر، وهي التي أطلقوا عليها ألفاظ الحضارة. (العلي، 2015، صفحة 33)

وفيما يلي نماذج ثمانية اخترتها من بين ألفاظ الحضارة التي أقرها المجمع العراقي في قبال الألفاظ الدخيلة والمعرَّبة التي اجتاحت البيئة العراقيَّة، فكان أن وُلد صراعٌ بينَها، نتجت منه نتائج متعدِّدة، سنضع يدها عليها خلال تفسير تلك الألفاظ الحضارية:

1- كاربوريتر Carburettor - مُفحِّمة: هو جهاز لمزج الهواء مع الوقود قبل ضخّ المزيج لمحرِّك الاحتراق الداخليّ، يقوم مبدأ عمله على ترذيذ جزيئات الوقود وذلك من خلال منافث وعندها يُخلَطُ مع الهواء من المحيط الخارجيّ. وقد يكون الهواء مدفأً مُسبَّقًا أو باردًا من الجوّ مباشرةً. (ويكيبيديا) وضع المجمع العلميُّ العراقي قباله مصطلح (مُفَحِّمة) (الأثري، 1982، صفحة 321) على (مُفعِّلة) بضمِّ الميم وكسر العين، وهو من الأوزان القياسيَّة لاسم الآلة، نحو (مُكيِّفة) و(مُسخِّنة) و(مُبرِّدة)، وهو وزن حديث شاع استخدامه في التقنيَّات والأجهزة الكهربائيَّة، وغالبًا ما يكون اشتقاقه من أفعالٍ مزيدةٍ، خلافًا للوزن القياسيِّ المشهور (مِفْعلة) كـ (مِكنسة).

لكنَّ البيئة العراقيَّة شاع فيها استخدام (كاربوريتر) أو (جويتر) باللهجة العامِّيَّة، وفشل مصطلح المجمع العلميّ (مُفَحِّمة) في الاستخدام؛ كونَه يوحي بإنتاج الفحم وليس الدلالة على تلك الآلة الخاصَّة؛ إذ خلقَ ذلك فجوةً كبيرةً عند الفنِّيِّين بين اللفظِ والوظيفة، وهذا يدل على أنَّ استعمال الألفاظ الغريبة عن المجتمع لا يمكن أن تصمد أمام اللفظ المستعمَل في تلك البيئة، فضلًا عن السبق الزمنيِّ الذي استُعملت فيه هذه اللفظة الدخيلة، في قبال تأخُّر وضعِ مقابلٍ له، وهو ما أسهمَ مساهمةً كبرى في نكوصِ لفظة المُفحِّمة.

2- تلفزيون television - تلْفَاز: "هو جهاز يشمل مجموعةً من المكوِّنات منها جهاز توليف، شاشة عرض ومكبِّرات صوت تعملُ معًا لأجل نقل الصورة والصوت عبر الأقمار الصناعيَّة أو الكابل أو يمكن استخدامه شاشةً لأجهزة الحاسوب". (الموسوعة الحرة، بلا تاريخ) ومصطلح (تلفزيون) أعجميٌّ لا وزنَ عربيًّا له، فقالوا في تعريبه (تِلفاز) على وزن (تِفعال) بكسر التَّاء، (العربية، 2016، صفحة 65) وهو وزنٌ عربيٌّ مستخدمٌ، نحو "تمثال وتبيان ونفراج للجبان، وتكلام للكثير الكلام، وتلقام وتمساح للكذاب، وناقة تضراب قريبة العهد بالضراب". (الصقلي، 1999، صفحة 156) وقد انتشر استخدام المصطلحين في الأوساط الشعبيَّة والفنِّيَّة والعربيَّة والعراقيَّة. لكنَّنا نجد أنَّ أنموذج (تِلفاز) يمثِّل صورةً للنجاح في التقعيد، وأظنُّ أنَّ سبب ذلك هو قصر اللفظ، وجرسه الصوتي المألوف، واستحسانه من المستعمِل. وعلى الرغم من قبول هذا المصطلح، فإنَّنا نجدُ أنَّ الاستخدام الشائع اليوم مقتصرٌ - في أغلبه - على مصطلح (تلفزيون)، وربَّما كان سبب ذلك توقيت صدور مصطلح (تِلفاز)، الذي جعل (تلفزيون) مستقرًّا في أذهان مستخدميه، وحاضرًا اليومَ بقوَّةٍ في الاستخدام. فيكون نتيجة الصراع موت مصطلح (تِلفاز) على الرغم من مقبوليَّته صوتيًّا ونسقيًّا، ومثول مصطلح (تلفزيون) للاستعمال اليوميّ حتَّى وقتنا الحاضر.

كذلك وضع المجمعُ في قبال هذين اللفظين عبارة (الإذاعة المرئيَّة)، أو (المرئيَّة)، أو (الرائي) (العربية، 2016، صفحة 65) وهذه كانت أشدَّ موتًا وضمورًا وغمرًا من (تلفاز)؛ على الرغم من كونها مشتقَّةً من الرؤية، وهي دلالةٌ أوضحُ وأيسرُ وأقربُ إلى ذلك الجهاز التقني، لكنَّها اندثرت أمام الاستعمال الأوَّل، فكان الزمن كفيلًا بحسم هذا الصراع بين هذه الألفاظ الحضاريَّة.

3- موطا Ice cream ذَوْفَة: تعني كلمة (موطا) باللهجة العراقيَّة المثلَّجات أو الآيس كريم، وأصل الكلمة من ماركة المثلَّجات الإيطاليَّة (Motta)، وقد اشتُقَّت الكلمة من اسم الرجل الإيطاليّ (أنجلو موتا) (Angelo Motta) صاحب شركة موتا الغذائيَّة، التي كانت تُنتج المثلَّجات أيضًا. ودخلت هذه الشركةُ العراقَ في ستينيَّات القرن الماضي (1963-1967)، فعمَدت الشركة المصنِّعة إلى ممارسة الدعاية التي كان أهلُ بغداد لم يألفوها؛ إذ بادرت بتوزيع (المجمِّدات) على أصحاب المحالِّ التي يبيعون المنتج الإيطالي الجديد، وكانت تلك المجمِّدات تحمل اسم ماركة (motta). (معجم، بلا تاريخ) ويبدو أنَّ سعة انتشار الإعلانات بشكلٍ مكثَّفٍ كان سببًا وجيهًا وشديدًا في انتشار لفظ (موطا أو موطة). في حين حاول المجمع العراقيُّ أنْ يجدَ بديلًا لهذه المفردة الحضاريَّة، فارتأى أنَّ ما يقابلها هو لفظة (ذَوْفَة) (الأثري، 1982، صفحة 326) على وزن (فَعْلَة)، أو (نَوفة)، وهذا التردُّد أو الاشتباه منشؤه عدم وضوح الكلمة في المعجم الذي وضعها، فضلًا عن عدم وجودها في معجم ألفاظ الحضارة، فحاولنا هنا بيان المراد من الكلمة، سواء كانت بالذال أم النون. أمَّا (ذَوْفة)؛ فهي من ذوف، قال الزَّبيدي: "ذاف، يذوف، ذوْفًا، أهمله الجوهري، وقال ابن السكِّيت: أي مشى في تقاربٍ وتفحج... وقال ابن دريد: الذُّوفان، بالضمِّ: السمُّ المنقّع، وقيل: هو القاتل. وممَّا يُستدركُ عليه: ذافه، يذوفه: خلطه، لغة في دافه، وليس بالكثير". (الزبيدي، (د.ت)، صفحة 23/ 321) وهذا يعني أن المجمع - في حال صحَّت بالذال - رأى في دلالة الخلط والذوبان سبيلًا إلى وضع ما يقابل هذه المادَّة؛ كونها تتَّسمُ بالذوبان السريعِ، فضلًا عن أصلها المخلوط. أمَّا مفردة (نَوْفة)؛ فهي من النَّوْف، أي السنام، وناف الشيء ينوف، أي طال وارتفع (الجوهري، 1987، صفحة 1436/4) وفيه دلالة المضِّ

(الزبيدي، (د.ت)، صفحة 440/24) وإن صحَّت هذه المفردة بالنون، فيبدو أنَّ المجمع استندَ إلى دلالة المصِّ في صناعة هذه المفردة، وهي أقربُ من حيثُ الدلالة عليها، وأنا أرجِّحُ أنَّ المفردة بالذال (ذَوْفَة) من الخلط والذوبان، التي رآها المجمعُ أقرب إلى تمثيل هذه المادَّة. لكنَّ إيغال هذه المفردة في الغرابة والانفصال عن الواقع الاستهلاكيّ كان سببًا كافيًا لهزيمتها أمام كلمة (موطا) التي انتصرت حتَّى هذه اللحظة؛ بسبب قوَّة الاسم التجاري وإشاعته بشكلٍ كبيرٍ، فظهر من ذلك أنَّ استخدام اللفظ الذي يصنعه الشارع بسبب العلامة التجاريَّة أقوى وأبقى ممَّا يصنعه المجمع، ولا سيَّما إذا كانت المفردة الموضوعة هي أقرب إلى الغرابة، فإنَّ "تطوُّر المجتمعات، والانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة، يعملان مجتمعينِ على تهذيب الألفاظ، وارتقاء التعبير، وسمو اللغة... وما هجرُ الألفاظ الثقيلة، وتركُ المفردات المرذولة إلَّا نتيجة لارتقاء الفكر". (كشّاش، 2005، الصفحات 121 -122)

4- جُكليت Toffee شُكْلَة: يقول العامَّةُ (جُكليت)، وهي كلمةٌ تُستخدم للإشارة إلى الحَلْوَيات الصغيرة المُغلَّفة (الحلوى)، وتُلفظُ بقلب الجيمِ إلى چـ (ch) الفارسيَّة لتُنطقَ (چُكليت) (Chaklet)، وهي لفظةٌ مشتقَّةٌ من كلمة (شوكولاتة) (Chocolate) لتصغيرها، وتعني الكاكاو أو التوفي. تنتشرُ هذه التسمية بشكلٍ واسعٍ في العراق.

وفي قبال هذا اللفظ، وضعَ المجمعُ العلميُّ لفظًا حضاريًّا جديدًا هو (شُكْلة) على وزن (فُعْلة)، قال: "الشُّكْلة: تُصنعُ من حبِّ الكاكاو بعد تقشيره وتحميصه، وهي تعني بالعربيَّة الحُمْرةَ في بياضٍ، ولهذا شيء من العَلاقة بلون هذه الحلوى". (العربية، 2016، صفحة 127) وقد استندَ المجمعُ في وضع هذا اللفظ إلى الرصيد اللغويِّ التراثيِّ؛ إذ إنَّ الشُّكلة تعني حُمرةً تكون

في بياضِ العين، وجمعه الأَشْكَل: الذي في عينيه شُكْلَةٌ، قال الشاعر: (الأنباري، 1992، صفحة 456/1)

ولا عيب فيها غير شُكْلَةِ عَيْنِها كذاكَ عِتاقُ الطيرِ شُكْلًا عُيُونُها

لكنَّنا نجدُ أنَّ الصراع بين اللفظ الحديث النابع من الحلوى نفسها، وبين اللفظ التراثيّ الذي وضعه المجمع كان مصيره صمود (اللهجة) في قبال (التقعيد التراثيّ)؛ إذ صمدت لفظة (جكيلت) في الوجدان العراقيّ الشعبيّ، وصار البديل في قبالها ضعيفًا، فضلًا عن أنَّه غيرُ قادرٍ على تعويض القيمة العاطفيَّة للَّفظ المتدَاول بين عامَّة الناس، وبذلك نجدُ أنَّ هذا الصراع انتهى إلى موت اللفظ المقعَّد نهائيًّا في قبالِ إحياء اللفظ العامّيّ المتداول الذي صنعته اللهجة، وإشاعته بكثرة، حتَّى صار اليوم من المستحيل أو شبهه أن تُستبدلَ هذه اللفظة الحضاريَّة.

5- كراج Garage مرأب: المرْأب أو المرآب خطأً هو "موضع إصلاح السيَّارات أو رَحْبة، وهي موضع وقوف السيَّارات". (العربية، 2016، صفحة 205) ويستخدم عوامُّ الناس لفظة (كراج) Garage وهي تعود في أصلها إلى عام 1902، حيث استُعيرت من الفرنسيَّة لتعني (مأوًى للمركبة)، وهي اشتقاقٌ تخصُّصيٌّ لمفهومٍ عامٍّ يشير إلى مكان تخزين الأشياء. جذرها اللغوي يمتدُّ إلى الفعل الفرنسي garer بمعنى يُؤوي أو يُرسي السفن، الذي تطوَّر بدوره عن الكلمة الفرنسيَّة القديمة garir التي كانت تحمل دلالات الحماية، الرعاية، والإنقاذ. فهذه الكلمة التي استعملها العامَّة دخيلةٌ من اللفظة الفرنسيَّة وتعني الإيواء. وقد وضع المجمع قبالها لفظ (المرْأَب)، وهي مشتقَّةٌ من رأب بمعنى "أَصْلَحَ. ورَأَبَ الصَّدْعَ والإِناءَ يَرْأَبُه رَأْباً ورَأْبةً: شَعَبَه، وأَصْلَحَه". (منظور، 1414، صفحة 398/1) وفي التاج: "والرَّأْبُ: الجَمْعُ والشَّدُّ، ورَأَبَ الشَّيْءَ: جَمَعَهُ وشَدَّهُ بِرِفْقٍ". (الزبيدي، (د.ت)، صفحة

458/2) يظهر ممَّا سبق أنَّ لفظة رأب فيها دلالتان مركزيَّتان، هما: الإصلاح والجمع، وهاتان الدلالتان تصلحان للرحبة التي يقصدها المجمع، فإنَّ المرأب اليوم قد يكون مكانًا للإصلاح، وقد يكون مكانًا لجمع العجلات والمحافظة عليها، وهي الأكثر.

وإنَّنا نجدُ في حاضرنا أنَّ كلا اللفظين أو المصطلحين مستعملٌ، لكنَّ لفظ (المرأب) هو لفظ ناجحٌ نجاحًا نخبويًّا، إذ استعماله محصورٌ في القوانين والمرور واللافتات الرسميَّة أو التوجيهات الحكوميَّة، بيْد أنَّها في الوقت نفسه فشلت أن تكون شائعةً ومستعملةً في لغة الشارع أو أن تثبت في قاموس العامَّة، وهذا يفصح لنا عن أنَّ التقعيد قد ينجحُ رسميًّا ويفشل شعبيًّا، في قبال لفظ الكراج المستعمل عامِّيًّا والمُهمل رسميًّا، فالصراع هنا في الحقيقة صراعٌ قاموسيٌّ يستند إلى البيئة المستعمَلة فيه.

6- سوتيان soutien مِنْهدة: ما تحملُ النهدين (العربية، 2016، صفحة 245) وهي قطعة من الملابس الداخليَّة النسائيَّة المُصمَّمة لتدعمَ الصدرَ وتغطِّيه. ظهرت في أواخر القرن التَّاسع عشر بوصفها بديلًا عصريًّا للمُخصِّر (الكورسيه) التقليديّ. تتكوَّن الحمَّالة في تصميمها القياسيّ من حِزامٍ يلتفُّ حول الجِذْع لدعمِ (كوبين) مخصَّصين للثديين، يثبتهما حمالات كتف قابلة للتعديل. ولفظ (soutien) فرنسيٌّ، وفي الأصل هو لفظٌ مركَّبٌ من كلمتين (soutien garge) (الأثري، 1982، صفحة 318) أي دعم الصدر. يستعمل العامَّة اليوم لفظ (سوتيان) الدخيل الفرنسيّ، أو لفظ (الصدريَّة) العربيّ المُحدَّث المشتقَّ من لفظ (الصدر)، وفي قباله وضع المجمعُ العلمي لفظ (مِنْهَدة) على وزن (مِفْعلة) وهو اسم آلة مشتقٌّ من (النَّهْد) يصف الوظيفة الخاصَّة بحمل النهدين. ويبدو أنَّ الصراع هنا بين هذين اللفظين هو صراعٌ سوسيولوجيٌّ (اجتماعيٌّ)، فعامَّة الناس تهرب من استعمال المصطلح

العربيّ الذي وضعه المجمعُ الواصف بدقَّة بسبب إثارته للحرج؛ وفضَّلوا استعمال المصطلح الأجنبي؛ لأنَّه يتَّسُم بشيءٍ من الخصوصيَّة والحياد اللغويّ، بعيدًا عن الدلالة الصارخةِ لذلك اللفظ، فضلًا عن كونِ اللفظِ المجمعيّ مستهجنًا، فما "يشين العبارة تسمية الملابس الداخليَّة - وبخاصَّة الأنثويَّة - بالاسم الصريح. ولكنَّ المحرَّم اللغوي يعمل على هجره، مقدِّمًا البدائل اللغويَّة في غير لغة وحضارة إنسانيَّة. ففي العربيَّة يُورَّى عنها باستعمال اللفظ المستعار من اللغة الأجنبيَّة". (كشّاش، 2005، صفحة 125)

7- أرشيف archives المَضْبَرَة: وهي "السجلَّات أو المحفوظات ومكان حفظ السجلَّات، والجمع: مَضابر"، (العربية، 2016، صفحة 221) ولفظ أرشيف يعني "سجلَّات غير جارية محفوظة بترتيبٍ معيَّنٍ أو بدونه، من قبل الأشخاص المسؤولين عن إنشائها أو الهيئات العامَّة أو الخاصَّة أو من يخلفهم، وذلك لاستعمالاتهم الخاصَّة أو لاستعمال دار الأرشيف، وهي تحفظ استنادًا إلى قيمتها الأرشيفيَّة/ التاريخيَّة". (الهادي، 2001، صفحة 26) وشيوع هذه اللفظة عبر الاستعمال في الدوائر الحكوميَّة والشركات الخاصَّة جعلَها تدخلُ إلى معجمات اللغة الحديثة، فنجدها - مثلًا - في معجم اللغة العربيَّة المعاصرة، إذ يقول: "أَرْشيف [مفرد]: مكانٌ لحفظ الملفَّات والسِّجلات والوثائق أو أيَّة موادّ لها أهمِّيَّة تاريخيَّة". (عمر، 2008، صفحة 84/1) وقد وضع المجمعُ العلميُّ بدلًا لهذه المفردة لفظ (المَضْبَرَة)، وهي مشتقَّةٌ على (مَفعلة) من "ضَبَرَ الفَرَسُ يَضْبُر ضَبْرا وضَبَرانا إِذا عَدَا، وَفِي الْمُحْكَمِ: جَمَع قَوَائِمَهُ ووَثَبَ... والإِضْبَارَةُ: الحُزْمة مِنَ الصُّحُف، وَهِيَ الإِضْمَامَة. ابْنُ السِّكِّيتِ: يُقَالُ جَاءَ فُلَانٌ بِإِضْبَارَةٍ مِنْ كُتب وإِضْمامةٍ مِنْ كُتب، وَهِيَ الأَضَابِير والأَضَامِيم". (منظور، 1414، صفحة 479/4)

فالمجمع اشتقَّ هذا الاسم على وزن (مَفْعلة) وهو وزن استخدمه العربُ لدلالة على تكثير الشيء في المكان، كقولِهم: مأْسَدة ومَذْأبة، ومَسْبعة. (السراج، (د.ت)، صفحة 148/3) ويبدو أنَّ دلالة التكثير في مكانٍ ما مناسبةٌ للأرشيف.

لكنَّ الصراع القائم بين هاتين المفردتين يبدو أنَّه متأتٍّ من الثقل الصوتيِّ الذي اتَّشحت به هذه المفردة؛ بسبب اجتماع حروف الضادِّ والباء والراء في كلمة واحدة، وهو ما ينافي الخفَّة الصوتيَّة المراد تحقيقها، الأمر الذي دفع العامَّة أو التداول تميل إلى استعمال لفظ (أرشيف) السلسة، على الرغم من كونها لفظةً دخيلة. وهذا الأنموذج يمثِّل الصراع الصوتي بين اللفظين، والميل الشعبي نحو الألفاظ السهلة، والابتعاد عن الوعورةِ أو الصعوبةِ الصوتيَّة أو الحرفيَّة.

8- كافيتريا cafeteria منْأَف: يستعمل الناس اليوم لفظ (كافِتِيريا) بكسر الفاء، وهو "المقصف وبخاصَّة ما يكون في مصنع، أو جامعة وما إلى ذلك. إنكليزي، وهو من الإسبانيَّة الأمريكيَّة (أي السائدة في أمريكا الجنوبيَّة)، وهو مشتقٌّ من الإسبانيَّة بمعنى صانع القهوة وبائعها، علمًا بأن كلمة بالفرنسيَّة وأخواتها المستعملة في اللغات الأوربية محرفة من كلمة (قهوة) العربيَّة". (الرحيم، 2011، صفحة 171) وقد وضع المجمعُ العلميُّ مقابلًا له هو (منْأف) بسكون النون، وهو اسم مكان، من "قول العرب: نئِفَ ينأَف: إذا أكلَ ويصلُحُ في الشرب، ونئفَ في الشرب: ارتوى، ونئِفَ من الطعام إذا أكلَ منه". (الأثري، 1982، صفحة 322) وفي هاتينِ اللفظتينِ نلحظُ وصول الصراع إلى أقصى درجاته، وهو صراع (الألفة) مقابل (الغرابة)؛ إذ نجدُ المجمع يقعِّدُ لفظًا حضاريًّا مستمدًّا من عمق التراث بيْدَ أنَّه غريبٌ تداوليًّا، ليصارع لفظًا دخيلًا وحديثًا لكنَّه شاعَ في التداول بين ألسنة الناس، وواضحٌ

أنَّه صراعٌ أدَّى إلى الموت النهائيّ للمصطلح المجمعيّ، في قبال إحياء اللفظ الدخيل وشيوعه وثباته في قاموس الاستعمال اليوميّ.

الخاتمة والنتائج:

إنَّ الوقوف على هذه المسألة العلمية قادنا إلى عددٍ من الملاحظ والنتائج التي أراها جديرةً بالوقوف عليها، ومنها:

1- لم يكتب أحدٌ سابقًا عن مصطلح (الصراع المصطلحي)، وأرى أنَّ أقربَ تعريفٍ له، هو أنَّه تنافسٌ بين مصطلحينِ علميينِ أو فنّيَّين مقابلينِ لمصطلحٍ واحدٍ؛ بسبب اختلافٍ ثقافيٍّ أو فكريٍّ أو اجتماعيٍّ، يؤدِّي إلى نكوصِ أحدِهما وإحياء الآخر، أو استعمالهما بنسب متفاوتة.

2- يمثِّل التأليف الصوتيُّ سببًا رئيسًا في انفجار صراعٍ مصطلحيٍّ بين لفظين حضاريين، إذ يميل مستعملو تلك الألفاظ إلى الخفَّة والسهولة والاستحسان جريًا على طبيعة البشر والتطوُّر، ونفورًا للثقلِ والتلكُّؤ، لذلك لم ينجح أيُّ لفظٍ ثقيلٍ في الاستخدام من قبل العامَّة أو المتخصِّصين، بل إنَّ مصيره يكونُ الاندثار.

3- الدِّعاية أو البروباغندا تمثِّل عاملًا مهمًّا من عوامل الصراع المصطلحيّ، فكلَّما كان اللفظ الحضاريُّ المصنوع أو المصطلح متَّكئًا على دعاية تجاريَّة، كان شيوعه ونجاحه قائمًا لا محالة.

4- إنَّ وضع اللفظ وإنتاجه على الرغم من كونه أحيانًا ناجحًا رسميًّا في الاستعمال، كاستخدامه في المحرّرات الرسميَّة للدولة، فإنَّه مع ذلك ربَّما يكون مماتًا شعبيًّا، وبعبارةٍ أخرى: نجاحُ اللفظ أو المصطلح رسميًّا لا يعني بالضرورة نجاحه شعبيًّا.

5- المصطلحات وألفاظ الحضارة هي نتيجة حتميَّة للمجتمع، فولادتها وموتها ونشاطها وتطوُّرها وخمولها متَّصلٌ بالمجتمع الذي أوجدها أو صنعها أو اقترضها، لذلك تموت كلُّ الألفاظ والمصطلحات التي لا يتقبَّلها المجتمع، ولا سيَّما ما يتَّصل بالمحرَّم اللغويِّ، وخصوصيَّة البيئة الاجتماعيَّة والحياء اللغوي.

6- إنَّ نجاح المصطلحات أو الألفاظ الحضاريَّة التي ينتجها المجمع العلميُّ شرطه ضرورة المزاوجة بين الرصانة اللغويَّة وتوخِّي السهولة التداوليَّة، فمن دون هذا الأخير لا يمكن أن تخرج تلك الألفاظ من بين دفَّتي الكتب إلى الشارع والتداول.

المراجع

ابن السراج. ((د.ت)). الأصول في النحو. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القطاع الصقلي. (1999). كتاب أبنية الأسماء والأفعال والمصادر. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

ابن جني ابن جني. (2000). سرُّ صناعة الإعراب. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور. (1414). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أبو بكر الأنباري. (1992). الزاهر في معاني كلمات الناس. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو نصر الجوهري. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم اللملايين.

الصاحب ابن عباد. (1965). الكشف عن مساوئ شعر المتنبي (المجلد ط1). بغداد: مكتبة النهضة.

الموسوعة الحرة. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%84%D9%8A%D8%2B%D8%7A%D8%

جواد علي. (1951). المجمع والمصطلحات (المجلد ع 1). بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي.

د. أحمد مختار عمر. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة (المجلد 1). القاهرة: عالم الكتب.

د. أحمد مطلوب. (1997). اللغة العربية والنهضة القومية - اللغة العربية والوحدة (المجلد ط1). بغداد: مطبعة المجمع العلمي.

د. أحمد مطلوب. (2003). فصول في العربية. منشورات المجمع العلمي.

د. أحمد مطلوب. (2003). معجم الحضارة الحديثة. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م78، ج3.

د. أحمد مطلوب. (2006). بحوث مصطلحية. بغداد: منشورات المجمع العلمي.

د. أحمد مطلوب. (بلا تاريخ). ألفاظ حضارية. المجمع العلمي العراقي.

د. خليل عودة. (1995). معجم المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة في مواجهة الغزو اللغوي الوافد. اللسان العربي، ع 39، 56.

د. شعبان العبيدي. (1999). التعليل اللغوي في كتاب سيبويه (المجلد ط1). ليبيا: منشورات جامعة قاريونس.

د. صافية زفنكي. (2010). المناهج المصطلحية مشكلاتها التطبيقية ونهج معالجتها. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

د. عادل العلي. (2015). سطوة المصطلح. مؤسسة الانتشار العربي.
د. عبد الرزاق الصاعدي. (1419هـ). ينظر: موت الألفاظ في العربية. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
د. علي القاسمي. (2009). ألفاظ الحضارة ماهيتها وأثر توحيدها في تنمية اللغة العربية. (ع 9، المحرر) المجمع الجزائري للغة العربية(ع9)، 60 - 63.
د. فانيامبادي عبد الرحيم. (2011). معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها. دمشق: دار القلم.
د. فخر الدين قباوة. (2001). الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد (المجلد ط1). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
د. كمال بشر. (2003). فن الكلام. القاهرة: دار غريب.
د. كمال بشر. (2005). التفكير اللغوي بين القديم والجديد. القاهرة: دار غريب.
د. محمد كشّاش. (2005). المحرم اللغوي في ضوء الثقافة العربية. بيروت: لمكتبة العصرية.
د. مهدي المخزومي. (1986). عبقري من البصرة (المجلد ط2). بيروت: دار الرائد العربي.
د. نعمة رحيم العزاوي. (2004). فصول في اللغة والنقد. بغداد: المكتبة العصرية.
ر.ل. تراسك. (2013). لماذا تتغير اللغات؟ (المجلد ط1). جامعة الملك سعود.
عبد الجليل الكور. (2019). رسالة في لغة ميتة (المجلد ط1). بيروت: لمؤسسة العربية للفكر والإبداع.

فندريس. (1950). اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو.
لجنة اللغة العربية. (2016). ألفاظ حضارية. منشورات المجمع العلمي.
محمد بهجة الأثري. (1982). من ألفاظ الحضارة. مجلة المجمع العلمي العراقي.
محمد فتحي عبد الهادي. (2001). الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
محمد مرتضى الزبيدي. ((د.ت)). تاج العروس من جواهر القاموس. الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.
معجم. (بلا تاريخ). معجم. تم الاسترداد من jam.com/term3https://ar.mo
ويكيبيديا. (بلا تاريخ). الموسوعة الحرة ويكيبيديا. تم الاسترداد من 1B%8D%83%9D%85%9https://ar.wikipedia.org/wiki/%D 86%9D%8A%8D%

المصطلح الصوفي بين القصد والاعتباط (اصطلاحات الصوفية) للقاشاني (ت730هـ) أنموذجًا

م.م علي غازي محمد كلية التربية/ جامعة ميسان
alighazi@uomisan.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة المصلح الصوفي بين القصد والاعتباط للقاشاني- رحمه الله- فكان القاشاني متصوفًا عارفًا بمراد المتصوفة ومن يريدون من قولهم موضحًا له، فتناول البحث نشأة المعجم الصوفي وتطور دلالاته ومحاولة الربط بين المحدثين والقدماء في هذا المجال، ثم تناول البحث الدلالة لغًة واصطلاحًا، ثم القصدية وتوضيحها، ثم القاشاني حياته، ومؤلفاته، ومنهجه، والتطور الدلالي للكلمة...الخ. أما أهم النتائج في هذا البحث فهي:

1-المصطلح الصوفي مصطلح خاص بأهله يختلف باختلاف سعة التجربة الروحية للعارف.

2-تستمد المعاجم الصوفية دلالات ألفاظها من مصادر متنوعة وأهما المعاني القرآنية، وربما كانت الطبيعة والحروف والأعداد توظف بوصفها مصطلحا صوفيا خالصا.

3-تتميز المعاجم الصوفية بالمصطلح المركب وأعني به المصطلح الذي يتركب من كلمتين مثل (عبد + اسم من الأسماء الحسنى).

الكلمات المفتاحية: الصوفية، المصطلح، الاعتباطية، الدلالة، القصدية، الروحية.

The Sufi Term between Motivation and Arbitrariness: Al-Qashani's Istilahat al-Sufiyya (d. 730 AH) as a Model

M.M. Ali Ghazi Mohammed
College of Education \University of Maysan

Abstract:
This research examines the Sufi terminology of al-Qashani (may God have mercy on him), exploring the interplay between intentionality and arbitrariness. Al-Qashani was a Sufi scholar well-versed in the intentions of Sufis and their intended meanings, clarifying them for his audience. The research explores the origins of the Sufi lexicon, the evolution of its meanings, and attempts to connect modern and classical scholars in this field. It then examines the linguistic and technical definitions of terms, followed by an explanation of intentionality. Finally, it delves into al-Qashani's life, works, methodology, and the semantic development of the term, among other topics. The most important findings of this research are:
1- Sufi terminology is specific to its adherents and varies according to the breadth of the mystic's spiritual experience.

2- Sufi lexicons derive their meanings from diverse sources, most importantly Quranic meanings. Nature, letters, and numbers may also be employed as purely Sufi terminology.
3- Sufi lexicons are characterized by compound terms, specifically those composed of two words, such as "servant" and "one of the Beautiful Names of God."
Keywords: Sufism, terminology, arbitrariness, meaning, intentionality, spirituality.

مقدمة:

البحث عن المعنى والدلالة في النصوص الصوفية يعد مغامرة في حد ذاته، فالتصوف يبحث عن المعنى ويسعى اليه ويطمح بالوصول إلى الحقيقة في سيره نحو الحق، فكيف إذا كان الكلام يقع في صناعة معجم صوفي لحصر المعاني التي تتجاوز الخيال، وهو ما نذر له بعض الأعلام- ومنهم القاشاني- أقلامهم، فقد كان القاشاني عارفا بكلام المتصوفة شارحا له وهو الذي شرح أمات كتب التصوف كمنازل السائرين والفتوحات المكية، وشرح التائية الكبرى لابن الفارض، وله ثلاثة معاجم مطبوعة (لطائف الإعلام في إشارات أهل الالهام، ورشح الزلال، واصطلاحات الصوفية.

وبشكل عام فإن لغة التصوف لغة خاصة بين أهلها، واللفظ لا يسعها بل يقربها؛ لأن التجربة الصوفية تجربة فردية تختلف من شخص لآخر، وتتسع وتضيق بقدر معرفة السالك وقربه، وربما ضاقت عنها العبارة كما يقول النفّري: «كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة». وربما كانت المصطلحات خاصة بعارف دون آخر وهذا يوسع دائرة المصطلح الصوفي (القاشاني، 1370ه، 9).

تحاول هذه الورقة الوقوف على الدلالة المعجمية وما يطرأ عليها من تطور وتغير دلالي وطبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى للكلمة في الاستعمال الصوفي.

وقد تمَّ تقسيم البحث على تمهيدٍ مختصرٍ للموضوع، ثم مبحثين اثنين: فأشرت في الأول إلى معنى الدلالة لغة واصلاحا ثم مفهوم الدلالة في الدراسات الغربية والعربية بشكل مختصر ثم الدلالة المعجمية، وبعدها شيء عن حياة القاشاني ومؤلفاته، فيما أشار المبحث الآخر إلى نماذج من المصطلحات الدلالية ودلالاتها، ثم خاتمة بأهم النتائج.

التمهيد:

يُعَدُّ التصوف الإسلامي من أبرز الحقول المعرفية التي أسهمت في إثراء الثقافة العربية والإسلامية، لما انطوى عليه من أبعاد روحية وفكرية ولغوية متشابكة، وقد أفرز هذا الحقل عبر تطوره التاريخي منظومةً واسعةً من المصطلحات الخاصة التي عبّرت عن التجارب الوجدانية والأحوال والمقامات الصوفية. ولم تكن هذه المصطلحات وليدة الاستعمال العابر، بل تشكّلت ضمن سياقات معرفية ودلالية دقيقة، حتى غدت لغةً مخصوصة بأهل التصوف، تحتاج إلى التأويل والفهم العميق للكشف عن مراميها ودلالاتها.

ومن بين العلماء الذين أسهموا في ضبط المصطلح الصوفي وبيان معانيه يأتي أبو الغنائم عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730هـ، الذي عُرف بعنايته بالمصطلحات الصوفية وحرصه على تفسيرها وتقريبها إلى المتلقي، ولا سيما في كتابه «اصطلاحات الصوفية»، الذي يُعد من أهم المعاجم الصوفية في التراث الإسلامي. وقد امتازت اصطلاحاته بالجمع بين البعد

اللغوي والبعد الإشاري العرفاني، الأمر الذي جعلها مادةً خصبةً للدراسة والتحليل.

وتنبع أهمية دراسة مصطلحي «القصد» و«الاعتباط» من كونهما يمثلان نموذجًا دالًا على طبيعة البناء الاصطلاحي عند القاشاني، وما يحمله من انتقال الدلالة من معناها اللغوي العام إلى معناها الصوفي الخاص. فالقصد يرتبط في التصور الصوفي بتوجّه السالك وإرادته الروحية، في حين يتصل الاعتباط بدلالات تختلف باختلاف السياق الصوفي والفلسفي، مما يفتح المجال للكشف عن آليات التوليد الدلالي للمصطلح الصوفي.

وعليه، يسعى هذا البحث إلى الوقوف على دلالات هذين المصطلحين في ضوء استعمال القاشاني لهما، وبيان أصولهما اللغوية، وتحليل تطورهما الدلالي داخل الخطاب الصوفي، مع الكشف عن العلاقة بين القصد والاعتباط في البنية المفهومية للتصوف الإسلامي.

المبحث الأول: الدلالة المعجمية:

الدلالة لغةً:

مصدر دلّ يدلُّ دِلالةً ودَلاَلَةً ودُلُولةً والفتح أجودها: تعني الهداية وما يستدل به، والدليل الدّال المرشد إلى المطلوب، دلّ: أرشد، سدّد، وجّه... فدلالة اللفظ هي هدايته إلى معناه وتوجيهه إليه. وهي بهذا المعنى لا تخرج لغةً عن إبانة الشيء وإيضاحه، والإرشاد إلى معناه والهداية البيان. فلا تختصّ باللغة فقط، وإنّما هي عامّة في كلّ ما يوصِل إلى المدلول (ابن منظور، مادة (دلل)).

الدلالة: هو المستوى الذي يتناولُ نظريةَ المعنى أو هو العلمُ الذي يدرسُ المعنى، ويُصطلَح عليه في اللغة الإنكليزية (semantics) (عمر، 1982، 11).

ومهمتُه البحثُ في معاني المفردات ومشكلاتها، فضلًا عن معاني الجمل والعبارات، فهو يدرس القوانينَ والقواعد التي تخضع لها معاني الألفاظ من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية، وما يطرأُ عليها من تغيير كالتوسّع أو التضييق، ويدرس أيضًا الشروط الواجب توافرها في اللفظ حتى يكونَ قادراً على تأدية المعنى، يُزاد على ذلك دراسته فنون القول التي تؤدي إلى إيصال المعنى المطلوب (كمال بشر،1998، 13، 14).

وعرّفها الراغب بأنها «ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب» (الاصفهاني، د. ت، دلَّ، 246). وقال الشريف الجرجاني (816هـ): أنها «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني المدلول» (الجرجاني، 1986، 104). وعلم الدَّلالة، يقابل ما يعرف في الفرنسية بـ: (sémantique) أو في الإنجليزية بـ(semantics)، وهو يهتم بدراسة المعنى.

وتعود بُذور البحث الدلالي القديم إلى اللغويين والنحويين بالدرجة الأولى وأقدمها في ذلك إشارات سيبويه (ت180هـ) الدَلالية إلى عَلاقة الدال بالمدلول في «باب اللفظ للمعاني»، إذ أوْلى بِنية الكلمة عنايةً بالغةً تمكّنه من التفرقة الدلاليّة بين أصناف الألفاظ، ويلحظ أيضا في تقسيمه الكلام على وفق معيارين هما التركيب والدلالة في باب «الاستقامة من الكلام والإحالة» (سيبويه، 1983، 1/ 24، 25).

وعني ابن جني (ت392هـ) بالدلالة وأشارَ إلى تعدّد دَلالات اللفظ الواحد فميّزَ بين ثلاثة أقسام من الدَلالة: اللفظية والصناعية والمعنوية. تمثّل الأولى الدلالة اللغويّة أو المعجميّة وتمثّل الثانية الدلالة الصرفيّة، على حين تمثّل الثالثة الدلالة الخفيّة المستفادة من وراء المعنى المَقصود التي تقوم على الاستدلال البياني (ابن جني، د. ت، 100/3، ومجاهد، 1985، 183. 184). واهتم ابن فارس (ت395هـ) بدَلالات الألفاظ وأسس معجمه على الدلالة الطبيعية، إذ ربطَ المعاني الجزئيّة للمادة اللغويّة بمعنىً عام يجمعها (عمر، 1982، 20، والصغير، 1988، 38). وفرّق في كتابه (الصاحبي) بين المعنى والتفسير والتأويل. فالأوّل قَصد الكلام ومُراده، والثاني تَفصيل المعنى وتَوضيحه، أمّا التأويل فآخر الأمر وعاقبته، أو بمعنى آخر هو الدَلالة المُستوحاة من ظاهر النص. كما تطرّق لدلالة المعاني على الأسماء وأنواع العلاقات الدلالية بين الألفاظ (ابن فارس، د. ت،312. 314 والصغير، 1988، 38. 39). وثمّة مَباحث دَلاليّة أخرى عُني بها اللغويون تتعلّق بالعلاقات الدلالية متناثرة في كتب النحو واللغة (زوين، 1986، 165. 171، ومجاهد، 91. 154).

وأما البلاغيون والنقاد فيدور البحث الدلالي عندهم حول (اللفظ والمعنى) من ذلك مثلا إشارات الجاحظ (ت255هـ): «ومتى دَلّ الشيء على معنىً، فقد أخبرَ عنه وإن كان صامتاً، وأشارَ إليه وإن كان ساكنًا» (الجاحظ، د. ت،1/ 81. 82). ومنها دراسة الجرجاني (ت 471هـ)، الذي ربَط المعنى بالنحو وعُني بالعَلاقات التركيبية بين الكلمات داخل الجملة والوحدة وبين الجمل في النصّ الواحد. والمعنى لديه نوعان: المباشر الذي يُستَقى من الدَلالة النحويّة للتركيب، ومعنى المعنى غير المباشر الذي يُستَقى من الدَلالة البلاغيّة للتركيب، وسمّى الأول التفسير والثاني المفَسَّر (الجرجاني،

1987، 298). وأشار إلى أهميّة الألفاظ في الإيحاء بالدَلالة، من خلال ائتلاف معانيها مع معاني ما يُجاورها في التركيب، مُجرّداً اللفظ من أية مزيةٍ خارج السياق، فبالتركيب تتمايَز الألفاظ ويوصَل إلى الدلالة (الجرجاني، 1987،32. 170).

ومن ذلك ما ورد منها لدى القرطاجني (684هـ)، إذ اعتمد على المعنى أساساً لنظريته النقدية، وأكد أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية للتغيير، وبحث في أقسام الألفاظ وأنواع الدلالات من حيث وضوحها وغموضها (القرطاجني، 1969، 14. 19. 20. 23. 24).

وأما الأصوليون فكانت لهم عنايةً خاصّةً بالدلالة (زوين، 1986، 117. 139)، وتوسّعوا وكتبوا فيها شيئاً كثيراً، توصلوا إلى نتائج وحقائق دلالية تقرب إلى ما وصلت إليها المباحث الدلالية في العصر الحديث. وقد عُنوا بالعلاقة بين اللفظ والمعنى أو الدالّ والمَدلول، فدرسوا أصل اللغة وحقيقة وجود الألفاظ، واختلاف دَلالتها الشرعية، وتتبّع تطوّرها الدلالي، كما عُنوا بالتحليل العقلي للغة، أو بما يُسمّى تفسير دَلالات الخطاب اللغوي. وجعل الأصوليون دَلالة الألفاظ على قسمين: التصوّريّة: التي ينتقل فيها المعنى إلى الذهن عند سماع اللفظ، والتصديقية: التي ينتقل فيها المعنى إلى ما يَقصدُه المتكلّم وله مِصْداق في الواقع الخارجي. فالأولى احتماليّة قابلة للتغيير تبعًا لما يُرتسم في تصوّر المتكلّم، والثانية ثابتة تبعًا لتطابق ما في تصّوره للواقع الخارجي (جمال الدين، 1405ه، 11). ويمكن القول إنّ علم الأصول وثيق الصلة بعلم الدلالة، وإن مباحث الأصوليين هي دلالية بحتة، وهم في كلّ ذلك لا يبتعدون عن مَفهوم الدَلالة لدى اللغويين، فتراهم يأتلفون مرّةً، ويختلفون أخرى.

وأما المفسّرون فالدَلالة عندهم غاية التفسير، ولذا فقد عُني بها المفسّرون. وليس ثمة فصل بين التفسير وعلوم اللغة، فالمفسر يسخر كل العلوم اللغوية وغيرها لخدمة المعنى. وتختلف مناهجهم في التفسير تبعا لتوجهاتهم. وزبدة القول إنّ البحث الدلالي لدى علماء العربية كان واضح، إلا انه كان متناثرا في كتبهم، هذا إذا استثنينا البحث الأصولي. وبدا يحبو ولم يقف على قدميه، في حين نراه وصل الذروة لدى الغربيين.

أما لدى المحدثين فلم يظهر إلا متأخرا (بالمر، 1985، 8)، حيث أصبحت قضايا الدلالة ومباحثها لدى المحدثين علماً قائماً بنفسه يُعرَف بعلم دراسة المعنى (لاينز، 1980، 9، عمر،1982، 11). وظهرت أوليّات هذا العلم في أواسط القرن التاسع عشر على يد ماكس مولر، الذي أصدر كتابين في عامي 1862 و1887، تناول فيهما الكلام والفكر، والعلاقة بين علم اللغة، والتحليل المنطقي للمعنى (عمر،22،1982). تلاه بعد ذلك اللساني الفرنسي: ميشال بريال، الذي أصدر بحثاً بعنوان (مقال في علم الدلالة) عام 1897، استعمل فيه مصطلح الدَلالة (Semantic) بعد أن اشتقّه من تراث الإغريق، وتأثّر في بحثه بالاتجاهات التاريخيّة القديمة والفصائل اللغويّة المُندثرة، فأحدث ثورةً في دراسة علم اللغة الحديث؛ لأنّه أول دراسة حديثة لتطوّر معاني الكلمات (السعران، 317. 318، وعمر،22،1982، ولوشن، 1995، 15). ثم تلاه ستيفن أولمان الذي كتب في علم الدلالة والمعاني والأسلوب (عمر،23،1982).

الدلالة المعجمية: وهي ما يُصرّح به المعجم من معان أساسية (مركزية) للألفاظ (محمد بن عزيز العزيزي السجستاني، 1963، رسالة ماجستير للطالبة: حمزة،20).

القصدية: ونقصد بها تلك العلاقة التي تربط الدال بالمدلول بحيث توحي بمعنى اللفظة وارتباطها بالصوت والبناء وحتى التركيب.
الاعتباطية: عدم وجود علاقة بين الدال والمدلول في الكلمة بحث لا تشي الأصوات أو البناء بمعنى الكلمة.

القاشاني حياته ومؤلفاته:

هو كمال الدين عبد الرزاق القاشاني أو الكاشي أو الكاشاني، لقب بجمال الدين.
وكان مهتما بشرح كتب التصوف واصطلاحات القوم فشرح التائية الكبرى لابن الفارض، توفي في (730هـ) بعد حياة مليئة السفر والتأليف والمحاضرة. ولا يعرف بالضبط سنة ولادته.
أما مؤلفاته فأهمها:

1. كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر.
2. اصطلاحات الصوفية.
3. شرح منازل السائرين.
4. شرح فصوص الحكم لابن عربي.
5. تأويلات القرآن. وقد طبع باسم وهمًا تفسر ابن عربي.
6. لطائف الاعلام في اشارات اهل الالهام.
7. رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين أرباب الاذواق والاحوال.
8. السراج الوهاج وهو كتاب تفسير وربما كان التأويلات نفسه.
9. رسالة في القضاء والقدر

منهج القاشاني في المعجم:

1-ترتيب المعجم ترتيب ابجدي.

2-لا يدعي انه المعنى الوحيد للفظ، فربما ذكر له أكثر من معنى ورأي.

3-بيان علة التسمية في كثير من الأحيان.

4-الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للاستدلال على معنى ما أو تعزيزه.

5-تنوع مصادر المصطلح الصوفي عند القاشاني بين القرآن والحديث والفلسفة والنحو والمنطق والحروف.

المبحث الثاني: التطور الدلالي للكلمة:

أكثر المصطلحات الصوفية إشارات إلى المعنى وليست كشفًا مباشرًا، فالدلالة الصوفية تسبغ عليها معاني جديدة، لم تكن موجودة في معجمات اللغة لكنها ترتبط في ظل من ظلال المعنى أو بوجه استعاري أو كنائي أو رمزي، وهذا ما سيتضح من خلال الأمثلة، فالحرف يحظى بمنزلة ينالها باستحقاق المرتبة أو الترتيب الوضعي كالترتيب الهجائي والترتيب الأبجدي. فالحروف في تعبيرهم: «هي الحقايق البسيطة من الاعيان ومن الموجودات الحاجبية كالعقل والنفس» (القاشاني، 1370ه، 57).

من ذلك مثلا الالف:

يقول القاشاني: «إشارة يشار بها إلى الذات الأحدية أي الحق من حيث هو أول الأشياء في أزل الآزال» (القاشاني، 1370ه، 24).

فالعلاقة بين الذات الأحدية والألف هي علاقة السبق والوجود، فكما أنَّ الالف أول الحروف الهجائية كذلك الذات الاحدية أول الاشياء في الأزل.

فالرابطة هنا رابطة الرتبة، والجامع بين الدلالة الحقيقية والصوفية هو الترتيب، مع أن هذا الترتيب وضعي وليس توقيفيا، ولكن المتصوفة يخلقون منه معنى (تداوليا) بين أرباب الأحوال، ويصبح هو المعنى الحقيقي للفظ ويزيح المعنى الأولي له.

وهكذا في الباء:

يقول القاشاني: «يشار بها إلى أول الموجودات الممكنة وهو المرتبة الثانية من الوجود» (القاشاني، 1370ه، 35)، فدلالة الحرف هنا دلالة تقترب من الكناية والرمز؛ لأن ترتيب الحروف الابجدية والهجائية يبدأ بالألف والباء، والالف أول لا أول قبله، وأما الباء فهو الصادر الأول وأول الموجودات بعد الالف، هي قراءة دلالية استندت إلى نظام وضعي في ترتيب الحروف.

الهاء:

قال: «اعتبار الذات بحسب الحضور والظهور والجود» (القاشاني، 1370ه، 45)، فهي دلالة معاكسة وضدية مستقاة من الهاء الضميرية النحوية التي تنطوي على معنى الغياب في الأصل؛ لأنَّ غياب العارف يعني حضور الحق وهو الاصل الذي تبحث عنه نفس العارف.

الواو:

«هو الوجه المطلق في الكل» (القاشاني، 1370ه، 47).

وليس من السهل البحث عن ارتباط بين الوجه المطلق من الكل والواو إلا أن نقول إنه مبدوء بالواو. فثمة خيط ضعيف بين الدال والمدلول.

وللصوفية علاقة وثيقة بالحروف ولهم في ذلك كتب ومؤلفات، فهم حروفيون في كتاباتهم ويكفي أن نطلع على طواسين الحلاج أو فتوحات ابن عربي لترى الدلالات العميقة التي يضفونها على الحروف.

دلالة الأسماء:

يستقي الصوفية من كل إضافة لاسم من الأسماء الحسنى لله تعالى لكلمة عبد سمة خاصة ومميزات وهذا ما نلمسه عند القاشاني يقول في تعريف (العبادلة):

«هم أرباب التجليات الأسمائية إذا تحققوا بحقيقة اسم من أسمائه تعالى، واتصفوا بالصفة التي هي حقيقة ذلك الاسم، نُسبوا إليه بالعبودية بشهودهم له ربوبية ذلك الاسم وعبوديتهم للحق من حيث ربوبيته لهم بكمال ذلك الاسم خاصة فقيل لأحدهم عبد الرزاق وللآخر عبد العزيز وكذا عبد المنعم وغيره» (القاشاني، 1370ه، 106. 107)، فمعيار الإضافة إلى اسم ما هو مقدار اتصاف الشخص به وتجلي الاسم في صاحبه، فهي_ أي الأسماء- تختلف باختلاف التجربة الصوفية وعمقها، فالتجلي باسم (عبد الله) أعلاها وأسماها؛ لأنه «العبد الذي تجلى له الحق بجميع أسمائه فلا يكون في عباده أرفع مقاما أو أعلى شأنا منه، لتحققه باسمه الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا (صلى الله عليه وسلم) بهذا الاسم في قوله تعالى: «ولما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا»، فلم يكن هذا الاسم في الحقيقة إلا له، وللأقطاب من ورثته بتبعيته، وإن أطلق على غيره مجازا؛ لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية وأحدية جميع الأسماء» (القاشاني، 1370ه، 108).

فهنا يحدد القاشاني دلالة المصطلح (عبد الله)

فالدلالة تختلف حسب نوع الإضافة وهي تعطي معاني مختلفة باختلاف المضاف وهي تستمد روحها ودلالتها الأسماء الحسنى التي تضاف اليها، وهذا ما يمكن أن نفهمه من دلالة هذه الأسماء المركبة، فالاسم (الله) هو الاسم الجامع لجميع الصفات الجلالية والجمالية، وتجلي العبد بهذا الاسم

يحقق للعبد ما لا يحققه له أي اسم آخر لم، ولذا جعله مخصوصا في نفس النبي الأعظم؛ لأنه التجلي الأكمل للذات الالهي، والإنسان الكامل كما تسميه المدونة الصوفية.

وهذا الأمر يسري على بقية الأسماء، فدلالة كل اسم مستقاة من المضاف اليه، وبحسب صفة الاسم وهو ما يعطيه دلالة جديدة ترتبط بالمقدس تغدو مصطلحا صوفيا خاصا، وهذا لا يعني أن كل من كان اسمه عبد الله يتصف بذلك ولكنه وصف ومرتبة للعبد في سيره إلى الله، لا يمكن أن ينالها العبد الا بالمجاهدة.

ومن ذلك اسم (عبد الرحمن وعبد الرحيم) فالأول «رحمة للعالم جميعا بحيث لا يخرج أحد من رمته بحسب قابلية استعداده» (القاشاني، 1370ه، 108).

والثاني «مظهر اسم الرحيم وهو الذي يخص رحمته بمن اتقى وأصلح ورضي الله عنه وينتقم ممن غضب الله عليه» (القاشاني، 1370ه، 108).

دلالة الطير:

يمثل الوجود بكل ما فيه لدى المتصوفة كلمات الحق سبحانه، فاللغة الإلهية لا تتجلى «في الخطاب القرآني فقط، ولكنها تتجلى في الوجود كله، لان الوجود كلمات الله المسطورة في الآفاق والقران كلمات الله المسطورة في المصحف، وكما أن كلمات الله الوجودية لا يمكن حصرها ولا تنفد، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ (الكهف: 109)» (أبو زيد، 1999، 158. 159).

وأهم رموز الطبيعة لدى الصوفية (الماء بوجوداته المختلفة كالبحر والمنبع والسراب وغيرها، والنور وتجلياته في الشمس والبدر والظلمة، والطير والنبات وبعض الموجودات الأخرى. فالموجودات كلها دلائل وآيات على

الحق سبحانه، وهو يتجلى في كل شيء، فالعارف يرى الحق في كل شيء، ويستدل على الحق بآياته إذ في كل شيء له آية والحق لا يغيب عن العارف في كل أحواله بل تراه في استغراق تام، لا يغفل طرفة عين، يرى الحق متجليًا في مخلوقاته، فالمعجم الصوفي شامل وغير محدود وبإمكانه أن يوظف كل كلمة توظيفا عرفانيا، ويشتق منه دلالة جديدة تسبغ عليه وحسب تجربة العارف، غير أن هناك بعض الألفاظ عليها شبه اتفاق بين الصوفية على دلالتها، ومن ذلك مثلا دلالة بعض أسماء الطيور، وسنأخذ العنقاء والغراب مثلا:

العنقاء:

وهي في اصطلاح القاشاني «كناية عن الهيولى لأنها لا ترى كالعنقاء ولا توجد إلا مع صورة فهي معقولة وتسمى الهيولى الطلقة المشتركة بين الأجسام كلها وبالعنصر العظيم» (القاشاني، 1370ه، 134)، فالهيولى هي المادة التي تصنع منها الأشياء وهي كلمة يونانية، فالعلاقة بين العنقاء والهيولى علاقة رمزية كنائية كما يصرح القاشاني والجامع بينهما هو عدم إمكان الرؤية.

فالهيولى «عندهم اسم الشيء بنسبة ما يظهر فيه من الصور، فكل باطن يظهر فيه صورة يسمونه هيولى» (القاشاني، 1370ه، 46).

الغراب:

«كناية عن الجسم الكلي لكونه في غاية البعد من عالم القدس والحضرة الأحدية ولخلوه عن الادراك والنورية (سمي بالغراب الذي هو ثلة في البعد والسواد)» (القاشاني، 1370ه، 168).

فالغراب لشدة سواده وبعده يشير- كما يرى القاشاني - إلى الجسم الكلي، وهي دلالة رمزية كنائية تفتقر إلى العلاقة القوية بين الدال والمدلول، فهي دلالة اجترحها الصوفية تقترب من دائرة السيمياء منها إلى الدلالة اللغوية.

دلالة الأحجار الكريمة:

من بين الدلالات الغريبة عند الصوفية هي الرمز لبعض الأمور بالمنظور المادي لتقريبها إلى الفهم، مع التسليم بأنَّ تلك المعارف والتجارب الروحية للصوفية هي تجارب فردية تتسع وتضيق حسب عمق المعرفة والتجربة، ومن بين تلك الألفاظ توظيف الجواهر واليواقيت والزمرد وغيرها في سياق التعبير عن المعنى النادر والغريب والذي لا ينال بسهولة، وهي دلالات تنتمي إلى ميدان الرمز والكناية أقرب منها إلى الدلالة المعجمية اللغوية، فالقطيعة بين الدال والملول قائمة. ويصعب على غير أهل المعرفة - بتعبيرهم- أن يقف عليها، وسنضرب لذلك مثالا:

جواهر العلوم والأنباء والمعارف:

هي الحقائق التي لا تتبدل ولا تتغير باختلاف الشرائع والامم الازمنة كما قال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشورى: 13)

الزمردة: «النفس الكلية» (القاشاني، 1370ه، 55).

الياقوتة الحمراء: «هي النفس الكلية لامتزاج نورتها بظلمة التعلق بالجسم بخلاف العقل المفارق المعبر عنه بالدرة البيضاء» (القاشاني، 1370ه، 66).

الدرة البيضاء: «هي العقل الأول لقوله عليه السلام: (أول ما خلق الله درة بيضاء) الحديث، وأول ما خلق الله العقل» (القاشاني، 1370ه، 44).

فالملاحظ على هذه المصطلحات ومعانيها أنها تقترن بمدلولات بعيدة لا يعرفها الا أصحاب الاصطلاح، وليس من اليسير أن نربط بين الدال والمدلول لعمق الرابطة بينهما وبعدها، بحيث تستند إلى مرويات أو قراءة جديدة للمعنى تقترن بالرمزية، فالمصطلح الصوفي مصطلح أيقوني- إذا جاز التعبير- يعتمد اللفظ بوصفة ايقونة لمعنى واسع يختلف بين صوفي وآخر.

دلالة اللون في الموت:

قمع هوى النفس فإن حياتها به ولا تميل إلى لذاتها وشهواتها ومقتضيات الطبيعة البدنية (القاشاني، 1370ه، 91)، وقد صنفوا الموت وفق لونه إلى:

الموت الأبيض: الجوع.

الموت الأخضر: لبس المرقع من الخرق الملقاة التي لا قيمة لها.

الموت الأسود: وهو احتمال الأذى من الخلق (ينظر: القاشاني، 1370ه، 91. 93).

ويبدو أن درجة اللون وعمقه هو ما يحدد هذه التلوينات المختلفة وحسب قوتها، فالأبيض أخف وطأة وهو يتعلق بالجوع، والاخضر أغمق وأعمق ويتعلق باللباس وهو أشد من الأول لأن الأول باطن والثاني ظاهر، والثالث وهو الاسود وهو أشدها ويتعلق باحتمال أذى الخلق والصبر عليه وهو الأشد.

الخاتمة:

1-المصطلح الصوفي مصطلح خاص بأهله يختلف باختلاف سعة التجربة الروحية للعارف.

2-تختلف المعاجم الصوفية في المصطلحات وعددها وألفاظها وربما كان لكل عارف مصطلحاته الخاصة، ولا يدركها الا من ذاق تجربتهم فالمعنى اللغوي لا يسعف احيانا في التعبير عن المصطلح.

3-تستمد المعاجم الصوفية دلالات ألفاظها من مصادر متنوعة وأهمها المعاني القرآنية، وربما كانت الطبيعة والحروف والأعداد توظف بوصفها مصطلحا صوفيا خالصا.

4-الدلالة الصوفية تتنوع بين الاعتباط والقصد والإشارة أو التداول (الذي يشكل بعدًا مهما من الابعاد الدلالية في صناعة المصطلح الصوفي).

5-تتميز المعاجم الصوفية بالمصطلح المركب وأعني به المصطلح الذي يتركب من كلمتين مثل (عبد + اسم من الأسماء الحسنى).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني(392هـ). (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، عالم الكتب، بيروت- لبنان.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا(395هـ). (د.ت)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم الأفريقي المصري(711هـ). (د.ت)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.
- أبو زيد، نصر حامد. (1999م)، اللغة، الوجود، القرآن- دراسة في الفكر الصوفي، مجلة الكرمل، العدد الثاني والستون، شتاء.
- الأصفهاني، الراغب (502هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- أنيس، د.إبراهيم. (1984م)، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية.
- بالمر. (1985م)، علم الدلالة، ترجمة عبد المجيد الماشطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجامعة المستنصرية.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بحر (255هـ) (د. ت)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مؤسسة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف (816هـ).(1986م)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

- الجرجاني، عبد القاهر (471هـ).(1987م)، دلائل الإعجاز، حققه وقدم له: الدكتور رضوان الداية، والدكتور فايز الداية، ط2، مكتبة سعد الدين، دمشق.
- جمال الدين، مصطفى.(1405ه)، البحث النحوي عند الأصوليين، ط2، دار الهجرة، إيران.
- جيرو، بيير. (1986م)، علم الدلالة، ترجمة: أنطوان أبو زيد، ط1، منشورات عويدات (بيردن باريس)، بيروت.
- حمزة، ذكاء عبد الستار، محمد بن عزيز العزيزي السجستاني وكتابه نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن، (رسالة ماجستير):
- زوين. د.علي (1986م)، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(180هـ). (1983م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- السعران، د. محمود. (د.ت)،علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
- الصغير، الدكتور محمد حسين.(1988)، تطور البحث الدلالي دراسة في النقد البلاغي واللغوي، بغداد.
- عمر، د. أحمد مختار.(1982م)، علم الدلالة، ط1، دار العروبة للنشر والتوزيع.
- القاشاني، الشيخ كمال الدين عبد الرزاق 730ه.(1370ه. ش). اصطلاحات الصوفية، (تحقيق وتعليق: د. محمد كمال ابراهيم جعفر، مركز تحقيق التراث،ط2، انتشارات بيدار، مط: أمير، قم.

- القرطاجني، حازم (684هـ). (1969م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس.
- كاظم، د.مشكور العوادي. (1990). البحث الدلالي عند ابن سينا في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب.
- لاينز، جون. (1980م)، علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، البصرة.
- لوشن، د. نور الهدى. (1995م)، علم الدلالة دراسةً وتطبيقًا، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
- مجاهد، د. عبد الكريم.(1985م)، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء.

الهُويّة اللغوية للعراق، مقاربة في المفهوم والمنهج

ورود هادي نصيف	جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية
wurud.hadi2103p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	
أ.م.د حسام قدوري عبد	جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية
husam.qaddoori@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	

المستخلص:

إنَّ البيئة التأريخيّة- التي تحدد (العراق) جغرافيًا، وتأريخيًا، وحضاريًا- هي التي خلقت مفهوم الهُويّة اللغوية، ولعلّ هُويّة العراق من أكثر الهويات اللغوية تعقيداً؛ نتيجة عمق تأريخه وتوالي الثقافات والمجتمعات عليه، والتعدد اللغويّ على مرّ حضاراته يعكس تنوعًا لغويًا في الثقافات التي هي جزء أساسي لهوية العراق، مظهرة ثراءً ثقافياً في الجوانب التأريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة؛ إذ تنوعت بيئته على مرّ عصوره بين اقصاءٍ لعرق واقصاء للغة، فكان نتاج هذا كلّه تعقيداً وتنوّعاً لغويّا ميّز العراق عن غيره.

يرصد البحث قيمة الهوية اللغوية للعراق، ودراسة اللغات التي عاشت منذ القدم فيه، وقد جاء البحث في مجموعة من المطالب، هي: مصطلح الهُويّة بين مرجعيّة اللغة والفلسفة. وماهيّة (اللغة) في اللغة والاصطلاح، والعلاقة

بـين اللغـة والهويـة، والهويـة، واللغـة، والعـراق، الصـراع اللغـوي، والهويـة اللغوية. ثم الخاتمة والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، اللغة، العراق، مقاربة، مفهوم، منهج.

he Linguistic Identity of Iraq: A Conceptual and Methodological Approach

Wurood Hadi Nusayf
Department of Arabic Language / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences / University of Baghdad.
Assistant Professor Dr. Hossam Qadoori Abd
Department of Arabic Language / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences / University of Baghdad.

Abstract:
The historical environment that defines (Iraq) geographically, historically and culturally created the concept of linguistic identity, and perhaps Iraq's identity is one of the most complex linguistic identities; as a result of the depth of its history and the succession of cultures and societies on it, and the linguistic diversity over the course of its civilisations reflects Linguistic diversity in the cultures that are an essential part of Iraq's identity, showing a richness in historical, geographical and social aspects, as its environment has varied throughout its eras between the exclusion of a race and the exclusion of a language, and the result of all this was a complexity and linguistic diversity that distinguished Iraq from others.
The research monitors the value of the linguistic identity of Iraq and the study of the languages that have lived since

ancient times in the country: The term identity between the reference of language and philosophy. The term identity between the references of language and philosophy, the relationship between language and identity, identity, language, Iraq, linguistic conflict, and linguistic identity. Then the conclusion and recommendations.
Keywords: Identity, Language, Iraq, Approach, Concept, Method.

المطلب الأول: مصطلح الهُويّة بين مرجعيّة اللغة والفلسفة.

أولاً: المرجعيّة اللغويّة:

يذكر ابن فارس للجذر (هوي) مجموعة من المعاني، هي الخُلُوّ والسُقُوطِ، ويرتبط بهذا المعنى كل موقع أرضي يرتبط بالسقوط كالهاوية لعمقها، لذا كان المصدر (الهويّ) السقوط من المنحدر، وهذا المعنى يجمع بين ارتفاع وسقوط منه إلى منحدر. (فارس، 1979، الصفحات 6/ 15- 16). وعليه فالمهوى مكان السقوط الذي يلاحظ فيه نقطة انطلاقه تارة، ونقطة استقراره أخرى. ويؤيده ما ذكره المعجميون من ارتباط هذا الجذر بالحفرة العميقة، وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا عَرَّسْتم فاجْتَنِبُوا هُوِيَّ الأَرضِ (الهروي، 1999، صفحة 1954/6)؛ جَمْعًا لهُوَّة، وَهِيَ حُفْرة وَمُطَمْئِنُ مِنَ الأَرض، وهي المَهْواةُ كذلك (منظور، 1414، صفحة 15/ 374).

وعليه فإن هُوية بالضم، أو الفتح تدلّ على التضاريس سواء كانتا وجه الأرض، أم قعره، وتطورت دلالته حديثاً لتدلّ على ماهيّة الشيء، وما يكشف عن نفسه وما يميزه عن غيره، كأنّ وجه ذلك الارتباط بين الهوية

والمعنى الأصليّ في الجذر مأخوذ من انتساب الإنسان إلى الأرض التي درج عليها، ولذا شاع تعبير (مسقط الرأس) دلالة على الانتماء لأرض ما.

ثانياً: المرجعيّة الفلسفيّة:

ويعدُّ الافتراض الثاني الذي يبيّن معنى الهوية، ولعلّ أول من فسّره في التراث الماتريديّ (ت333 هـ) وعدَّ الهوية كناية عن الوجود (الماتريدي، د.ت، صفحة 105)، ولما كان في اللغة متسع من التأويل فهو الأقرب ولا يتعارضان؛ لأن الثاني إنما أخذ بلحاظ الأول افتراضًا، فعُرّفت بأنها مصدر صناعي من كلمة (هو)، دلالة على أن الشيء هو هو، ولا يُراد سواه، ويقصد بها الذات الثابتة عن طريق تغير أحوالها مثل: هوية الأنا (اليعقوبي، 2008، صفحة 174).

وقد أُصطنع هذا التعريف من قبل الفلاسفة وحجتهم في ربط الخبر بالمخبر عنه "كما يربط بينهما في الفارسيّة بـ(هَسْتْ)، وفي اليونانية بـ(أستين)، وفي السُّغْدية بـ (أستي)، وفي الإنكليزية بـverb to be، وفي الفرنسية بـ êtreverbe، وفي الألمانية sein وإنما اصطنعوه لهذا المعنى لمَّا لم يجدوا في العربية لفظا يقابل (أستين) سوى (هو) في نحو:(هذا هو زيد)، فقد زعموا أنه بمعناه، وأنه ليس بضمير يدلّ على المفرد المذكر الغائب فحسب، وقالوا: إن استحداثه لهذا المعنى مما تقتضيه ضرورة العلوم النظرية، وصناعة المنطق، ثم اشتقوا منه (الهُويَّة)" (الغوث، 2021، صفحة 1/ 21). ويوجزها الجرجانيّ (ت هـ) بـ"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النَّواة على الشّجرة في الغيب" (الجرجاني، د.ت، صفحة 216). أي بمعنى القوة الكامنة وهو ما يعرف في الفلسفة (الوجود بالقوة).

أما معناها عند التهانويّ (ت 1191هـ)؛ فيتلخص في (التشخّص)، وما هي إلا مرتبة للذات البحتة، الذي به الشيء هو هو، لاعتبار تحقق الشيء يسمى ذاتاً، وحقيقة، ولاعتبار تشخصه يدعى هوية. وذكر أنّ الهوية اعتبار معنوي للتمييز بين الأغيار المختلفة (الكفوي، 1937، صفحة 961) (صليبة، 1982، صفحة 2/ 530).

فمن قال: إنَّ الهوية من (هو هو) فهي مصدر صناعي (اليعقوبي، 2008، صفحة 174) وليس أصله فعلاً، وهذا يعني أنَّ البناء اللغوي لهما مختلف، وبهذا تكون المرجعية الفلسفية مبنية على قضية خاصة؛ لأنَّهم صاغوه من الضمير (هو) كالأنويّة من الأنا، بذلك يكون إطار الهوية حاملاً صفة التمييز، أي مميزة للشيء عن غيره فاصلة له.

وترتبط الهوية لدى الفيلسوف الكَنَديّ تشارلز تايلور بكينونة الإنسان والمكان الذي ينتمي إليه، إنها تعكس بحقّ الخبرات والتجارب السابقة، التي تُزيد معنى على رغباتنا، وأذواقنا، وخياراتنا، ومطامحنا... وترتكز بحد كبير على العلاقات التحاورية مع الآخرين (فضيلة، 2017، صفحة 7)، وعليه فالهوية مفهوم مركب من مجموعة مؤثرات صانعة للذات، وكلامه وإن نحى في ظاهره إلى الاكتساب الاجتماعيّ والثقافيّ غير أنَّه لا يتجاوز حدود مفهوم الهوية لدى الفلاسفة الأقدمين من معنى التميّز والتفريق، والاختلاف واعتماد مفهوم الانفصال بين شيء وآخر؛ فالمصطلح بعد ذلك شائك؛ لارتباطه بالذهنية الفلسفية، والذهنية الفلسفية البشرية مختلفة؛ لأنَّ الرؤية للقضية من الناحية الفلسفية في الغالب تكون ذاتية وليست جمعية، ومن ثَمَّ تكون نتائجها مختلفة وإن تقاربت عند بعض منهم لكنه ليس حاسماً للقضية؛ كما تبيّن من الركون إلى تجذير الرؤية اللغوية الذي يمنحنا نتيجة أخرى في تفسيره ألا وهي التضاريس (نبي، س، 2023: 34).

ولشمول ما تعنيه الهوية صَعُبَ تحديد مفهومها؛ كونها قائمة على حركة توليد الاختلافات والفوارق، وهي انتقال ملتوٍ وملتبس من مخالف لآخر، فالهوية لا ترتبط بزمن ثابت ولا حضور أو غياب، لكنّ للزمن الأثر البالغ في حركة تغيرها أو انقطاعها، فهي ثابتة في زمنها لكنها متغيرة في الأزمنة الأخرى؛ لما يصيب كيانها من تغيرات (M.Heidegger، 1962، صفحة 209)، أما أهم الوظائف التي تقدمها الهوية:

1. الاستمرارية لموروثات الجماعة، أي ما تضفيه عليها خلال المراحل الزمنية المتعاقبة وحفظها للتاريخ.

2. الانسجام ومن خلالها يخلق التجانس والتقارب الفكري والاعتقادي بين أفراد المجتمع الواحد.

الدفاع؛ لأثرها في الحفاظ على الثوابت الوجوديّة لذلك المجتمع (توفيق، 2016-2017، الصفحات 6- 12).

المطلب الثاني: ماهيّة (اللغة) في اللغة والاصطلاح

الأصل في اللغة هو الكلام وتداوله مع الآخر (فارس، 1979، الصفحات 5/ 255- 256)؛ فهي قائمة على ما ينطقه الفرد ويسمعه الآخر شرط الافهام في ذلك أي المشاطرة في الذهنية وما يربطهم ببعض من بيئة وثقافة (منظور، 1414، صفحة 15 /250).

وأقدم ما ورد في حدّ اللغة في الاصطلاح ما ذكره ابن جنيّ (ت 392 هـ) بأنَّها ما "يعبر به كلّ قوم عن أغراضهم" (جني، 2010، صفحة 1/ 33)؛ إذ يشير هذا الحدّ إلى مكانة اللغة المهمة في دورة حياة الأجيال وتعاقبها، وما للغة من قيمة نفعيّة تعود بها على متكلميها بتعابيرهم، إذن هي "وسيلة إنسانية محضة لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من

الإشارات المقصودة (عمر، 2010، الصفحات 17- 18)، ولا يفوتنا التذكير برأيه المشهور في تفسير نشأة اللغة المعروف بـ(التواضع) (جني، 2010، صفحة 1/ 33)؛ فاجتماع الحكيمين لإيجاد اللغة يحمل في كينونته فلسفة انعكاس التميز، والانفصال عبر اللغة، وهو عين مفهوم الهوية.

إنَّ اللغة نظام من الإشارات يعكس فاعليّة حياة الإنسان وثقافته وانتمائه، إذ يتفاعل هذا النظام من خلال التواصل بين طرفين أو أكثر لتلبية حاجاتهم وتداول أفكارهم وإثبات هويتهم. وتنماز بعدّة وظائف أهمها:

1. نقل الأفكار والمعلومات والحقائق والعلوم من عصر إلى عصر ومن مكان إلى آخر.
2. تدوين الآداب من ملاحم ومسرحيات وقصص وشعر.
3. نقل الشعور، والإحساس بين البشر.
4. التعبير عن الحقوق والآراء (الخولي، 2000، صفحة 15).

واللغة هي الركيزة الأساسية لكل النشاطات الإنسانيّة؛ لأنَّها تفسر اعتماد المجتمعات الإنسانية عليها في التواصل وتفسير سلوك الأفراد، وهو ما يطلق عليه الدكتور هادي نهر (لغة السلوك) أو (الأتيكيت)، وقسمها على قسمين:

الأول: أفعال مادية خارج الحقل اللغوي كأن تكون حركات أو تصرفات معينة دالّة.

والثاني: أفعال داخل الحقل اللغوي يقتضيها النظام اللغوي المعين في اللغة المعينة ليحكم من خلالها مقاييس اللياقة وعدم اللياقة في المجتمع الكلامي الواحد وهي مقاييس متعددة ومعقدة (نهر، 1988، صفحة 207).

المطلب الثالث: العلاقة بين اللغة والهوية

العلاقة بين اللغة والهوية متناغمة، فالهوية هي الحقيقة المطلقة للغة ما أو شخصية ما كما هو متداول اليوم من مصطلح هوية؛ إذ يدلّ على تحديد شخصية الأفراد وفق لغة معينة، لذا فجُلّ ما يمكن أن يتمسك به الشخص هو الهوية اللغوية، والترسبات التي تتركها الهوية هي الثوابت التي تُغرس في نفس المجتمع، فالهوية نظام معنوي يضمّ سلوكيات الفرد داخل مجتمعه. وهي -أيضًا- نظام عميق متأصل في البشريّة تندرج تحتها المعالم والخصائص التي تتميز بها النفس البشريّة، فاللغة والهوية بنية تحتية لفكر جماعة من البشر يعيشون في ظل كيان ثقافيّ منسجم تتعدى حدود الخطاب والتواصل إلى الفكر؛ ذلك الفكر الناشئ في ظلّ ثقافات معينة صنعت الحضارات في شتى الأزمنة.

أنَّ الزمن يمنح القوى الاجتماعية قدرة لتبدل أو تفرض آثارها في اللغة، ويسمح لهذه القوى بتنمية تأثيراتها. فاللغة يمكنها المحافظة على أغلب ألفاظها فيتداولها الناس في الأزمنة كلها في المحيط الواحد، ويمكن أن يشوبهاا تغيير على وفق العوامل الاجتماعية أو الثقافية أو غيرهما، وإن العامل الوحيد المتغير الذي يمكن االركون إليه في متابعة التغيرات اللغوية هو التغير الاجتماعي الذي تكون تغيراته اللغوية نتائج له (مجد، 2013، صفحة 19) وهذه الرؤية هي رؤية سوسير أيضًا (سوسر، 1984، صفحة 100).

إنَّ ثبات عامل اللغة ووجوده يكمن ضمن السلسلة البيئيّة الوطنيّة لحضارة أي بلد، مشكلّة مرجعاً أساسياً لجميع نشاطات أفراد ذلك المجتمع، فاللغة بصمة البيئة وهويتها التي ينماز من خلالها أي مجتمع عن آخر، وقد أكدت

الدراسات السوسيولغوية أنَّ اللغة هي أبرز مكونات الهوية، إذ يختلط العرق، والجنس باللغة؛ إذ يُنسب الكائن البشريّ غالباً إلى لغته، وعلى ذلك فاللغة والوطن أو الجنسية متلازمان متماسكان، فلا يمكن الفصل بينهما من دون الإضرار بمنظومة الهوية ومكانتها، وقيمتها والسقوط في الضياع التدريجي الذي ينتج عنه التلاشي التدريجي (غيبوب وعشاب، 2021، صفحة 349). فالعلاقة بين اللغة والهوية تكمن في عمدة اللغة، فاللغة بوصفها عموداً يُبنى عليه المجتمع، ويعصمه من التفكك والصراعات التي تفتك به، فهي الطريق الذي يُوحد المجتمع فكرياً ولسانيًا وثقافيًا وتراثيًا.

نشأ المركب الإضافي الذي جمع بين اللغة والهوية ليكوّن مصطلح (الهوية اللغوية) نتيجة ترابط المفهومين ببعضهما في محور أساسي واحد هو المجتمع ومركز نواته الإنسان، فاللغة وعاء حامل للهوية؛ كونها - اللغة - وسيلة يتمّ من خلالها تمرير جميع تفاعلات الإنسان الثقافيّة والاجتماعية داخل بيئته، وانطلاقاً من تلك النتيجة نحكم بانعكاس اللغة على هوية الإنسان؛ لأنها تعكس تراثه وتاريخه ومعتقداته ومدى مستوى تطوره ثقافياً واجتماعياً وسياسياً.

يبرز مصطلحان متداخلان هما (هوية اللغة، والهوية اللغوية)، ومن منطلق براغماتي؛ فالأول منهما يتركز ارتباطه باللغة نفسها في كيانها المستقل، فتصبح بذلك أداة يُعبر بها عن القيم والمفاهيم، مشتملة على التراث اللغويّ والقواعد اللغوية والأدب، فتنحصر غايتها في جعل اللغة وسيلة للتواصل ونقل المعرفة. وأمّا الثاني؛ فهو نظام لغويّ اختصت به جماعة من الأفراد ميزهم عن غيرهم وانطبع فيهم على شكل نبر معين وخصائص انفردت بها تلك المجموعة حملت سمة هويتهم وحفظت خصوصيتها؛ لأنَّ اللغة عادة ما تتأثر بحضارة أي أمة وعقائدها وتوجهاتها العقلية ومدى ثقافتها وشؤونها

الاجتماعيّة، وأحوال بيئتها الجغرافية، فغالباً ما يُنسب أي كائن بشري إلى لغته، فإن كان يتحدث العربيّة فعربيّ، وإن كان يتحدث الكردية فكرديّ، وتضمّ عوامل عدّيدة أهمها: اللغة الأم واللهجة لذلك يكمن شدة ارتباطها بالهوية الشخصية والانتماء الثقافي؛ فاللغة والهوية متلازمان كوجهي العملة الواحدة والفصل بينهما مستحيل؛ لأنَّها المحدد الأساسي والفيصل بين كثير من الهويات والانتماءات.

الهوية اللغوية =لغة + عادات مجتمع معين.

تعكس اللغة هوية الإنسان؛ فثقافة أي مجتمع مرتبطة بلغته، فهي كالمرآة تعكس أفكاره وتطلعاته وسلوكه وتعامله مع الآخرين، فلغتنا الأم تعكس جذورنا وهويتنا (الزبيدي، 2024، 570)، ومن خلال أحاديثنا يُكشف عن انتمائنا وعرقنا وجنسنا، بل تُفصح عن أعمق من ذلك؛ فاللهجة تكشف عن هويتنا الشخصية من خلال كلماتنا أو تعبيراتنا كمحل النشأة أو السكن بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما بالنظر للمسألة من منطلق براغماتي، فالهوية اللغوية بطياتها تحمل معانيَ عميقة وتعكس جوانب متعددة من شخصيتنا وتفاعلاتنا مع العالم. وهي تقليد فلسفي يؤكد أن اللغة ليست مجرد وسيلة للوصف، بل أداة عملية تستخدم للتفاعل مع العالم (دلكي وأبو دلو، 2014، الصفحات 76- 77)، وينصبّ اهتمامها على الأثر العملي للكلمات والأفكار، إذ تشكل الهوية اللغوية جزءاً أساسياً من مساحتنا الشخصية وتعبيرنا عن أنفسنا.

إنَّ قوة أي أمة تكمن في قوة لغتها؛ لأنَّها تشكل زخمًا معرفيًا يحيط بكل مناحي الحياة العلميّة والأدبية، بالتالي تكون اللغة المقوّم الرئيس للهوية، فكلما زاد وعي المواطن بلغته، زاد وعيه القوميّ وزاد شعوره بالانتماء إلى

تراثه، وإلى هويته، فلا هوية من دون لغة، ولا وطن دون هوية (ملوحي، 2020، صفحة 520).

وكلما ازدادت العوامل الداخلية والخارجية في أي مجتمع قوة وتجذرًا وصلابةً، ترسخت الحضارة وتعمقت الهوية، ومن أهم هذه العوامل: الفكر، والاقتصاد، والسياسة، والدين، واللغة، والتاريخ، فهي مقومات أي حضارة، ويعد وجودها عامل صدّ وحماية وقوة تستمدها من هوية شعوبها.

المطلب الرابع: الهوية، واللغة، والعراق

واكب العراق كثيرًا من الثقافات والحضارات، وقد كشف لنا علما الآثار والتاريخ ما يصوّر شكل العجلة التاريخيّة التي تدور بين التألق تارة والضمور تارة أخرى. ومن خلال التعامل مع معطيات التاريخ يظهر لنا في الساحة العراقية مشهدان لغويان يتمثلان بالصراع والتعايش، الرفض والقبول لعدد من الهويات اللغوية، هي:

أ- الهويات اللغوية للعراق في فترة ما قبل التاريخ:

1. الهوية اللغوية للغات النقوش والكهوف.
2. الهوية اللغوية للفراتيين الاوائل.

ب- الهويات اللغوية للعراق لفترة ما بعد التاريخ:

1. الهوية اللغوية السومرية.
2. الهوية اللغوية الأكدية (البابلية والآشورية).
3. الهوية اللغوية الفارسيّة (العيلاميّة، الساسانيّة، الأخمينيّة).
4. الهوية اللغوية التركيّة (الحثيّة، الكوتيّة، الميتانيّة).
5. الهوية اللغوية الآمورية.
6. الهوية اللغوية العبريّة.

7. الهوية اللغوية الآراميّة.
8. الهوية اللغوية العربية.
9. الهوية اللغوية السريانيّة.
10. الهوية اللغوية الكلدانيّة.
11. الهوية اللغوية التركمانية.
12. الهوية اللغوية المندائيّة.
13. الهوية اللغوية الكرديّة.
14. الهوية اللغوية الشبكية.
15. الهوية اللغوية للعاميات العراقية (باقر، 2010، الصفحات 20-34) (السامرائي، 2003، الصفحات 15-66).

هذا الكمّ الكبير، والمتنوّع من اللغات يمثل انعكاسًا حقيقيًا للحقبات الحضارية التي مرّت على العراق بما تختزله من صراعات عرقية، وإثنية، وفكرية حاولت أن تكون اللغة واجهتها الكبرى، ولسانها المعبّر، وعليه فإنّ الاهتمام بدراسة هذا الكمّ من تنوع اللغات التي استوطنت العراق، أو عاشت فيه لمدد زمنية يمثل قيمة ذات أهمية في دراسة العراق نفسه من أي اتجاه علميّ كان.

الهوية ظاهرة معقدة وحيوية، والحركات التي تنشطها متناقضة، والهوية تتصف بالاستمرارية والتغيير نتيجة الصراعات المتطاولة (جواد ف، 2019: 317)؛ لأنَّها تتأكد بواسطة الشعور بالاستقرار والأمن لدى الفرد، وهي تفترض بالضرورة وجود تغيير ثابت (مسلم، 2009، صفحة 89).

هوية العراق اللغويّة كانت وما زالت تتأرجح بين المدّ والجزر؛ فهي تارة تفقد وأخرى تكتسب، وكثيرًا ما طالت آفة الانقراض اللغات عامّة والعراقية خاصة، ومع موت كلّ لغة تموت كثير من الثقافات، وانقراض هذه اللغات

ينعكس سلبا على عالمنا ويؤثر في تغيير هوياتنا تغيراً جذرياً؛ لأنَّها لم تنشأ من العدم بل هي انجاز عبقريّة بشريّة، وإن اهتمامنا هذا في مسألة موت اللغات نابع من الحرص على هوية الأمة وحياتها (كريستال، 2006، صفحة 72)؛ فالسومريون هويّة عراقية عاشت على أرض العراق، ومع موت اللغة استطاع الأدب السومريّ نقل هويته عن طريق أساطيره ورواياته وتجارته وثقافته وأعماله الأدارية في مدونة وظّفها الأكديون في لغتهم، وهكذا استمرّت ملامح العلاقة الراسخة بين اللغة والهوية.

قد قدّمت الأنثروبولوجيا كثيرًا من الخدمات لعلوم اللغة أو الألسنيات الحديثة، ولا سيّما فيما يتعلّق بتحديد الهوية الثقافية والحضارية، والعرقية لشعوب العالم، لقد وجدت اللغة مصاحبة للإنسان الذي قرر العيش في جماعة، فهي -اللغة- الحامل والوعاء الناقل الذي يمكّنه فهم الواقع المحيط به (داوود، 2004، صفحة 2/ 168)؛ فاللغة تفسّر الوجود البشري وهذا ما يؤكده اتحاد الهوية بالتاريخ، لذا فإنّ عدم استيعاب اللغة وإهمال تدوينها سيخلق حاجزاً بين الإنسان وتاريخه.

من المؤسف أن لا نمتلك ما يمكن عدّه مدونة لغوية للغات ماتت من دون تدوين لها (كريستال، 2006، صفحة 79)؛ ومحور (اللغات أنساب الأمم) من شأنه أن يعزز قوة الربط بين الإنسان واللغة، فالأنساب نسل، وذريّة، وأصل، والنظر للنتاج التاريخيّ أو المراجع في أي مكتبة سيكوّن لنا فكرة عن الوثائق الشخصية لأجدادنا ومذكراتهم وأختامهم في مخلفاتهم الصوريّة أو نقوشهم على الجدران التي تمثل دليلاً على أصولنا (كريستال، 2006، صفحة 80). لكن ماذا بعد كل هذا إن ماتت اللغة؟! إذا ماتت اللغة سنُعزل وتقطع الروابط بيننا وبين ماضينا، بما يعني انسلاخنا عن الأصل أو الجذر الذي نشأنا منه. هناك فرق بين موت لغة وذوبانها في طيّات التاريخ دون

تدوينها، وذوبان آخر مازال يُتداول جزء من تراثه إلى اليوم بعد مرور ما لا يقل عن 3000سنة قبل الميلاد.

المطلب الخامس: الصراع اللغوي، والهوية اللغوية.

إنَّ جديّة الوجود وعدم موت اللغة يمكن ابرازه من خلال الصراع الحضاري؛ لأنَّ الصراع الحضاري يستهدف اللغة أولاً، والبرهنة على صراع اللغات واضحة وجلية إذ نجدها في قضايا الاقتراض اللغوي، حيث تشهد الطبيعة العامة لجميع الكائنات بمولد صراع بينها بين حين وآخر حال احتكاكها ببعض، فكيف باللغات التي تشبه الكائن الحي في النمو والتطور والموت من جهة، وتعدّ روح الهوية ووعاء أي مجتمع بشريّ من جهة أخرى، ونشوب هكذا نوع من الصراعات يكون -غالباً- سعياً وراء الغلبة والسيطرة على الآخر، ونتاج الصراع اللغوي يختلف باختلاف الأحوال، كتوظيف وسائل القوة والهيمنة للقضاء على الآخر، دون أن يترك للمغلوب أي أثر يُذكر، وهذا النوع من الصراع خير ما مثلته العربية مع الآراميّة حين اجتاحت الأولى بيئة العراق ولم تُبقِ للثانية أي أثر يُذكر، أو إمهال الغالب المغلوب بفرصة يتناقص فيها ويذبل بالتدريج، ممتصاً قوته وطاقته حتى يتم القضاء على المغلوب وهذا ما حدث مع السومريّة والأكدية، فقد ذابت السومرية تدريجياً، واحتفظت الأكدية بقوتها. وقد نجد أنَّ سجال هذا الصراع لا منتهى منه، ويبقى كل من الغالب والمغلوب محافظاً على لغته وهويته، وينشأ هذا الصراع في الغالب من نزوح بلد إلى آخر؛ كأن تكون هجرة أو حروبًا أو أن يتجاور هذان الشعبان فيتبادلان المنافع فيما بينهما من خلال الاحتكاك المادي والثقافيّ كالفارسيّة والعربيّة اليوم (وافي، 1983، صفحة 81).

وللعراق هويته التي تميزه؛ إذ يستخدم على المستوى الرسمي اللغة العربية، لكن العامية العراقية هي لغة التعامل اليومي بين أفراد الشعب وبجميع مستوياته وطوائفه وتنتشر في جزء من شماله، ووسطه وجنوبه وغربه وشرقه كلّه، أما أقصى شماله فيتحدثون باللغة الكردية وهي لا تتعدى كونها لغة جماعة language group، حيث يقتصر استخدامها على مجموعة حضارية أو إثنية داخل حدود العراق، فتكون معرفة لغة المجموعة أو الأثنية ethnic language أبرز المعايير التي تُفصح عن بيان انتماء الفرد وتحديد هويته، لكن الاختلاف يقع في اللغات الدينية، فالصابئي يختلف عن المسلم، والمسيحي يختلف عنهما (حجازي، د.ت، صفحة 20).

أما لغة التعليم فهي الأخرى متنوعة في كلّ جزء من أرضه، حيث يتعلم الطالب في شمال العراق باللغة الكردية وفي باقي أنحائه باللغة العربية، ويختلف التعليم في بحسب نوع القسم العلميّ لا الموقع الجغرافي، حيث لا يُدرس في العراق قسم طبيّ باللغة العربية، ويسمى هذا النوع من اللغات بلغات الثقافة أو التعليم أو اللغات التقنية.

بالنتيجة فالعراق بلد متعدد الهويات على مستوى البيئة الجغرافيّة، في شماله نجد التركمانية والكردية والسريانية وفي الوسط والجنوب نجد المندائيّة والعربية، وعلى الرغم من التفاوت الكميّ بينهنّ إلا أنه لم يحدث إقصاء عرقي لأي فئة بعد مجيء الإسلام واجتياح العربيّة لأرض العراق؛ لأن الإسلام يسير بقانون ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾{البقرة:256}.

كانت العربية إبان العهود الجاهلية فصيحة، وعلى الرغم من ذلك لم يكتب لها الانتشار إلا بعد بزوغ نور الإسلام، فالإسلام هو الذي نفخ الروح في الهوية اللغوية للعربية بخصائصها اليوم، فرسم لها الأهداف، وثبّتها ونشرها وخلّدها فهي اليوم من أطول اللغات عمرًا، وكان للأحوال السياسية ولا

سيّما في العصر العباسيّ الذي ازدهرت فيه الحضارة الإسلاميّة وبلغت أوجها، ودخلت الترجمة من المعارف اليونانيّة والفارسيّة، أثر في الهُوية اللغوية للعربية مستقطبة للكثير من النتاجات الفكريّة والحضاريّة (زيدان، د.ت، الصفحات 23/1-25، 190- 191).

شاب اللغة شيء من اللحن؛ وهو النطق بإسلوب مخالف للقواعد الصحيحة، أي المخالفة في طريقة التعبير المتعارف عليها، "وأغلب الظن أنَّه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون، وكثير من هؤلاء لم يكونوا يستطيعون إخراج حروف الحلق والإطباق ... فاستعاضوا عنها بحروف أخف على ألسنتهم وأسهل على طباعهم... لم يكن من السهل على العربي أن يتابع كلامه بالفهم الصحيح؛ وكان لا بدّ أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ اللغوي، والخلط في التعبير" (فك، 2014، صفحة 245). ولم تسلم لغة الهوية الأدبيّة أو الذائقة الأدبية من ذلك الخراب، فقد تغيرت منذ القرون الوسطى إلى اليوم.

وكثيراً ما نجد الهُوية اللغوية متباينةً بين الأفراد وثقافاتهم بحسب المواقف والظروف، وأُختصِر كثير فيما يتعلق بهذا الجانب حين قيل: "لكل مقامٍ مقالٌ؛ ولكل موضعٍ مجالٌ" (المقفع، 1937، صفحة 161)؛ فالمقام هنا لا يعني به المكان فحسب، بل الاطار الاجتماعي للموقف أو الحدث الكلامي كاملاً من متكلمين وسامعين، تأخذ بعضها بلحاظ بعض مشكلّة تلك الهوية اللغويّة من خلال علاقتهم ببعضهم وبما يحويه الموقف من أشياء تُفهِم الكلام، "وهذا الكلام في حقيقة الأمر ليس إلا عنصراً واحداً من عناصر المسرح اللغوي بأكمله، ولا يُفهمُ إلا في هذا الإطار العام" (محمد، 1969، صفحة 65).

إنَّ الباحث في الهوية اللغوية لأي بلد ما ملزم بأن يطرح الأسئلة عن تاريخ اللغات؛ ما أصلها؟ وماذا أصبحت؟ ومتى؟ وإلى أين تتجه؟ وهو بهذا المسار يراقب العوامل التي أثرت في قوتها وازدهارها أو في موتها واضمحلالها، أو فيما يؤثر فيها (زيدان، 2024: 660)، ويتقاطع المنهج التاريخي مع المنهج الوصفي في دراسة اللغة المنطوقة؛ لارتباطها باللهجات على عكس المنهج التاريخي الذي يدرس اللغات المكتوبة التي دُوِّنت في وثائق بعيداً عن جانبها المحكيّ المنطوق (عمايرة، 1992، الصفحات 22- 23).

يعتمد المنهج التاريخي بصورة أساسية على الجانب المكتوب من اللغة لا المنطوق منها؛ لانعدام التوثيق الصوتيّ لتلك اللغات، فيلجأ الباحث عند دراسة اللغات المكتوبة إلى المدونات الآثارية، والتاريخية كالأحجار والألواح وأوراق البردي لدراسة تلك اللغة (العزيز، د.ت، صفحة 150)، ويدرس علم اللغة التاريخي التطور في شقين: الأول: التطور في بنية الكلمة. والشق الثاني: مجالات الانتشار والاستخدام اللغوي (ياقوت، 2011، صفحة 111).

بدأ التفكير الجدي بهذا الحقل من الدراسات في القرن الثامن عشر واستمر التفكير بالبحث عن العلاقات التاريخية بين اللغات وعن الأسر التاريخية أو الوراثية عن طريق مقارنة مفردات اللغات الأوروبية الحديثة وتراكيبها بمفردات اللاتينية وتراكيبها (روبنز، 1997).

إنَّ المنهج التاريخي للغات ينطلق من منطلق أنَّ اللغات جميعها في حركة مستمرة عبر معيار واحد (الزمن)، ومن خلال هذه الحركة يتغير فيصيب اللغة بكل مستوياتها وهنا يبدأ عامل الرصد العينيّ للغات من خلال العمر الزمني الطويل لها، وقد كانت من أهم طموحات هذا المنهج الوصول إلى اللغة الأم، ولكنْ بعد أن اكتسب تحديده المنهجي ضيّق مجاله ليصبح عمله

رصد ما أصاب اللغة بعينها من تطور على امتداد التاريخ (البيلي، 1990، الصفحات 184- 185). ومن أهم ما اختصّ به علم اللغة التاريخي:

1. الوقوف على التطورات الاجتماعية والثقافية والعلمية، والمعطيات المؤثرة في اللغة، وتطورها.

2. رصد انتشار اللغات، وانشطارها إلى لهجات.

3. الوقوف على مسألة تحول اللغة الفصيحة إلى لغة عالمية؛ كالآرامية التي انتشرت في الشرق الأوسط بأكمله، ومعرفة أسباب ذلك، والعوامل الحضارية والسياسية والثقافية والدينية الفاعلة في ذلك.

4. دراسة ما يعتري اللغة من ظواهر تخصّ الأصوات والصرف والنحو والدلالة عبر الزمن (قدور، 2011، الصفحات 27- 28).

واللغة ظاهرة لا تعرف الثبات وفق رؤية علم اللغة التاريخي وأي طارئ كفيل بأن يحكم عليها بالتغيير، لذلك نجد علم اللغة التاريخي قد وُظِّف لرصد الحركة العامة لهذا التغيير، إضافة إلى اعتماده على اختيار البيئة المكانية (الجغرافية) لا لتحديد ذلك التغيير عبر فترات زمنية تبعد أو تقصر بحسب نوع الدراسة ومكانها؛ لأنَّ عمله بالتالي ترجمة للحدث اللغوي المبهم والملغّز خاصة ما كان مشفراً من اللغات.

يقف الموضوع محلّ الدراسة على أعتاب اشتراك مفاهيم مجموعة من الفروع اللغوية، فالاهتمام بعلم اللغة التاريخيّ لا يكفي وحده؛ لتعلّق الدراسة ببيئة جغرافية محدّدة هي العراق، وعليه فإنَّ الحاجة إلى علم اللغة الجغرافيّ لا تقلّ عن أهمية الحاجة إلى علم اللغة التاريخيّ، وعلى الرغم من تباين مفهوم (العراق) جغرافياً عبر التاريخ اتّساعًا، وانحسارًا في المساحة، إلا إنَّ المقدار المتيقن من الفهم الجغرافيّ للعراق سيكون في حدود الفهم السياسيّ الحالي؛ لكونه يمنع الدراسة من الاتّساع بما يخرجها

عن الضوابط العلمية، ولكون ما في هذا المكوّن السياسيّ الإقليميّ الحالي له كافياً بالمقدار الذي يمنحنا رؤية ممتازة عن تلك اللغات التي عاشت واصطرعت على أرضه عبر الأجيال المتعاقبة. وعليه فإنَّ البحث سيكون متداخلًا في منهجه معتمدًا على مجموعة كبيرة من الرؤى التاريخية والآثارية والجغرافية واللغوية.

الخاتمة والتوصيات:

يمكننا القول: إنّ الاهتمام بدراسة الخارطة الجغرافية للغات التي عاشت في العراق أمر له قيمته الحقيقية من وجهات كثيرة؛ فهو الكاشف عن الصراع اللغوي التاريخيّ للغات في وجودها وبسط نفوذها، وحياتها واستسلامها وموتها خاتمة المطاف، وهو ما يمنحنا تصوّرات ممتازة لحياة العراق وهويته اللغوية.

ومن جهة أخرى فإنّ الاهتمام بدراسة هوية العراق اللغوية يمنحنا فرصة بحثية لفهم طبيعة المجتمعات التي تتعايش في العراق، والاطلاع على ثقافاتها الدينية والحضارية؛ لأنّ اللغة هي الصندوق الأمين لحفظ ذلك كلّه، وفي خضم الوضع الحاليّ فإنّ توظيف اللغة في خلق رؤى حقيقية وفعّالة للتعايش السلميّ في العراق يعدّ أمرًا في غاية الأهمية.

ولا بدّ من القول: إنّ الاهتمام بموضوع (الهوية اللغوية) يفتح الآفاق في اتّجاهات بحثية كثيرة ومتنوعة تختلف بحسب المناهج التي يتوخاها الباحثون في سبيل ذلك، ولكن لعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الجغرافي، وعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة المقارن النصيب الأكبر من هذا الأمر، وعليه يمكن اقتراح موضوعات تنضوي على أفكار ذات قيم بحثية عالية في هذا الخصوص.

المصادر:

- ابن المقفع (142هـ)، عبدالله، كليلة ودمنة، المطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة، ط/17، 1937م.
- ابن جني(392هـ)، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب،الطبعة الثانية، 2010 .
- ابن فارس (395هـ)، أبو الحسن احمد القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، 1979م.
- ابن منظور(711هـ)، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ
- باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، دار الوراق، 2010م.
- البيلي، أحمد عزت، محاضرات في علم اللغة العام، دار الثقافة العربية،1990م.
- الجرجاني (816هـ)،علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة :محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دت.
- جواد ف. (2019). جدلية الهوية والانتماء في ادب يهود العراق في إسرائيل. لارك، 11(4)، 317-328. https://doi.org/10.31185/lark.Vol11.Iss3.1115.34
- حجازي، د. محمود فهمي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، وكالة المطبوعات، الكويت، توزيع: دار العلم للملايين، بيروت، د.ت

- الخولي، محمد علي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الاردن،2000م.
- داود، د أحمد، تاريخ سوريا الحضاري القديم-2، دار الشرق للطباعة والنشر، مزرعة، دمشق، 2004م.
- دلكي، خالد حسين ود. احمد محمد أبو دلو، البعد البراغماتي لنظرية تحليل الخطاب (مقاربة في المفهوم والاجراء)، مجلة بيان العدد 1، السنة الاولى، يوليو اغسطس سبتمبر، 2014م.
- دو سوسير، فردينان،، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة :يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان للثقافة، جونية، لبنان، 1984م.
- رشا طارق عواد الزبيدي م. (2024). دراسة سوسيولوجية-أسلوبية لدور الهوية الاجتماعية في نصوص نسوية مختارة. مجلة واسط للعلوم الإنسانية، 20(1Pt/4), 566-586 .
4.745.Iss20/wjfh.Vol10.31185https://doi.org/
- ر.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: د.أحمد عوض، عالم المعرفة الكويت، 1997م.
- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة وتعليق شوقي ضيف، مؤسسة دار الهلال، د.ت.
- السامرائي، إبراهيم، التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 2003م.
- صليبة، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982 م.

- عباس سليم زيدان أ. (2024). الثنائية اللغوية واثرها في الهوية الثقافية، عرب 1948 في فلسطين إنموذجاً. لارك، 16(3 /2Pt, (664-653 .
3450/lark.10.31185https://doi.org/
- عبد العزيز، محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، د.ت.
- عمايرة، د. إسماعيل أحمد، المستشرقون والمناهج اللغوية المنهج التاريخي المنهج المقارن المنهج الوصفي المنهج الإحصائي، دار حنين عمان، الأردن، ط/2، 1992م.
- عمر، عبد المجيد الطيب، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة - دراسة تقابلية - (أطروحة دكتوراه)، جامعة ام درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، 1431هـ -2010م.
- الغوث، مختار، اللغة هوية الحرب الباردة على الكينونة العربية، صوفيا، الكويت، الطبعة الثانية، 2021م.
- غيبوب، د. بايه وعشاب، د.آمنة، دور المواطنة اللغوية في تحصين الهوية الوطنية لدى الجزائري، مجلة جسور المعرفة، مجلد 7، عدد 4 خاص، 2021م.
- فك، يوهان، العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب، ترجمة :عبد الحليم النجار، تصدير: احمد امين بك، تقديم: محمد يوسف موسى، تقديم هذه الطبعة: محمد حسن عبد العزيز، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014م.
- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، الدار العربية، بيروت، لبنان، 1433هـ - 2011م.
- قرفي، فضيلة، الهوية عند تشارلز تايلور (رسالة ماجستير)، جامعة 8.ماي 1945، قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016-2017م.

- كريستال، ديفيد، موت اللغة، ترجمة: د. مهند بن مسعد اللهيبي، جامعة تبوك،2006م.
- الكفوي (1094هـ)، أبو البقاء ايوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله ووضع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ناشرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1998م.
- كوراني، د. ألس، مجد، اللغة والمجتمع عند العرب (الجاحظ نموذجا)،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1434هـ - 2013م.
- الماتريدي (333هـ)، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، تحقيق: فتح الله حليف، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، د.ت.
- محمد، د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، 1969م.
- مسلم، محمد، الهوية في مواجهة الاندماج، دار قرطبة، الجزائر، 2009م.
- نبي س. (2023). نوستالجيا الخلافة العثمانية (تشريح خطاب الهوية عند الرئيس التركي رجب طيب أردوغان). مجلة واسط للعلوم الإنسانية، 19(2). https://doi.org/10.31185/Vol19.Iss19.406.55/
- ملوحي، أ.د ناصر محيي الدين، اللغة العربية اصل اللغات العالمية، دار الغسق للنشر، الطبعة الثانية، 1441- 2020م.
- الهروي (401هـ)، أبو عبيد احمد بن محمد، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: احمد فريد المزيدي وأ.د فتحي مجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، 1419هـ - 1999م.

- وافي، د. علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، ط/4، عكاظ للنشر والتوزيع، 1403هـ - 1983م.
- ياقوت، د. محمد، مناهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية،2011م.
- اليعقوبي، محمد، معجم الفلسفة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م.
M.Heidegger, Cheminsqui . ne Ménent Nulle Part, Gallimard ,Paris,-.1962

الاقتضاء والاستلزام الحواري وموازنتهما بمفهوم الضمني والمضمر عند الأصوليين

م. د. نسرين حامد منعم وزارة التربية/ مديرية تربية بابل
nsreynhamed@gmail.com

المخلص:
إنّ وظيفة اللغة هي صناعة العالم والتأثير فيه وليست مجرد أداة للوصف، يسعى هذا البحث إلى إقامة موازنة معرفية ومنهجية بين مخرجات اللسانيات التداولية الحديثة متمثلة في (الاقتضاء) و(الاستلزام الحواري) وبين دلالات الألفاظ وسياقات الخطاب عند علماء أصول الدين الإسلامي متمثلة في ثنائية (المفهوم والمنطوق).
تكمن مشكلة الدراسة في محاولة فض الاشتباك المفاهيمي بين الاقتضاء بوصفه بنية منطقية ثابتة والاستلزام بوصفه حركة دلالية مرنة محكومة بالسياق، ثم بيان ريادة الفكر الأصولي في استثمار هذه الأبعاد التداولية لاستنباط الأحكام الشرعية ومعرفة مقاصد الشارع، وهذا يجعلنا نوظّف المنهج التداولي في قراءة الأفعال الكلامية عند الأصوليين كونها أداة ومدخلا لتوجيه دلالة من الدلالات في نصوص القرآن والسنة أو استنباط حكم من الأحكام في المباحث الفقهية.

والاقتضاء مفهوم منطقي أكثر منه لساني حيث ظهرت بوادره عند القدامى وأبعاده التداولية في الخطاب، ويكون ذلك ضمن معاني مضمرة تستلزم لفهمها معرفة المقصود من الكلام دون ذكره في المعنى الحرفي.

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الموازن لتفكيك هذه المفاهيم في بيئتها الغربية وموازنتها وظيفيا بما يقابلها في التراث العربي، وقد خلص البحث إلى نتائج جوهرية أبرزها الدلالة الأصولية بجميع مستوياتها الصريحة والضمنية تقع داخل مظلة (الدلالة غير الطبيعية) القائمة على القصد والتواضع فقد قدّم الاصوليون نموذجا تداوليا معياريا يتجاوز البعد التفسيري للتداولية الحديثة، مما يثبت السبق الريادي للفكر الإسلامي في إدارة كفاءة التخاطب البشري.

الكلمات المفتاحية: الاقتضاء، الاستلزام الحواري، المفهوم والمنطوق.

Dialogical Implication and Necessity and Their Balance with the Concepts of Implicit and Concealed Meanings in Islamic Jurisprudence

Dr. Nasreen Hamed Munim
Ministry of Education / Babil Education Directorate

Abstract:
The function of language is to create and influence the world, not merely to be a tool for description. This is what is called speech acts. This leads us to employ the pragmatic approach in reading speech acts among Islamic legal scholars (usul al-fiqh), considering them a tool and entry point for directing meaning in the texts of the Qur'an and Sunnah, or for deriving rulings in jurisprudential discussions. Implication is a logical concept more than a

linguistic one, as its beginnings appeared among the ancients, and its pragmatic dimensions in discourse emerged. This occurs within implicit meanings that require understanding the intended meaning of the speech without its literal expression, which is called conversational implicature.
In Islamic legal theory, meaning is divided into the meaning of the explicit (mantūq) with its two parts: agreement and disagreement, and the meaning of the implied meaning, with its two parts: agreement and disagreement. The explicit and the implied are legal terms. The explicit is what is understood directly from the utterance, while the implied refers to what is understood from what is not explicitly stated. This is similar to Grice's natural and unnatural meanings and Searle's direct and indirect verbs.
Keywords: Implication, conversational implicature, implied meaning, explicit and implied meaning.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه المنجبين، وبعد:

يعتمد التواصل الإنساني في جوهره على اللغة بوصفها أداة إنتاجية لا تقف عند حدود الوصف والتقرير، بل تتعداها إلى توجيه السلوك وصناعة الأثر، فاللغة ليست مجرد نظام من العلامات الساكنة، بل هي طاقة إنجازية فاعلة تؤثر في العالم وتصنع الحدث. وتتكامل في سياقاتها لتوجيه المقاصد.

ولما كان الفكر الأصولي الإسلامي فكرًا معتمدًا في أصل استنباطه للأحكام الشرعية إلى استنطاق النصوص المقررة في الكتاب والسنة، فقد التقت

غاياته بغايات الدرس التداولي الحديث في البحث عما وراء المعنى الظاهر الحرفي وتتبع المحمولات الدلالية المستترة التي يتوقف عليها فهم مراد الشارع.

جاء البحث بدراسة الاقتضاء وموازنته مع الاستلزام الحواري لتقييم مقاربة بين جهازين مفاهيميين ينتمي كلٍ منهما لبيئة معرفية مختلفة، لكنهما يلتقيان وظيفياً، ونعني بالموازنة البحث في التعادل الوظيفي والأصول المعرفية المشتركة وآليات التوجيه بين الدرسين التداولي والأصولي، وهي بذلك تفترق افتراقا جوهريا عن المقارنة الآلية فالمقارنة تكتفي برصد وجوه الشبه والاختلاف الظاهرتين بين منظومتين في حين تبيّن الموازنة كيف يؤدي كل مصطلح في بيئته المعرفية دوراً تداولياً يحقق الكفاءة التخاطبية والمقصدية.

يهتم البحث بأبعاد معرفية ومنهجية أولها الحاجة المعرفية للتأصيل التراثي وذلك يكون بضرورة قراءة المفاهيم اللسانية التداولية الحديثة في ضوء المنجز الأصولي والبلاغي العربي، لإثبات أن الفكر العربي الإسلامي امتلك وعياً مبكراً وممنهجاً لم يكن أقل دقة عن النظريات الغربية الحديثة.

وثانيها كشف الأثر السياقي في توليد الأحكام أي كيف تسهم القرائن الحالية والمقامية ومبدأ القصدية في تغيير اللفظ من دلالته الحرفية إلى دلالته الوضعية الحرفية إلى دلالة استلزامية اعتمدها الأصوليون بالدلالة التي نصل إليها بالاستلزام الحواري ومقاربتها مع مفهومي المنطوق والمفهوم، والذي ينتج عنه استنباط المعاني الفرعية من المعاني الأصلية وهي غايتهم في استنتاج المعاني المضمرة وراء المعاني الظاهرة للوصول إلى مقاصد الشارع.

ولتحقيق غايات الدراسة اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي الموازن وذلك عبر رصد وتحديد المفاهيم التداولية في مظانها اللسانية والفلسفية

الحديثة عند بول غرايس وجون سيرل وتفكيك قواعدها وتحليلها ثم موازنتها وظيفيا بما يقابلها في المباحث الدلالية عند علماء أصول الفقه (الشافعية والاحناف) موضحين نقاط الافتراق والالتقاء المفاهيمي والأجرائي.

نهض البحث على مدونة مصدرية حيث استند في شقه الاصولي والبلاغي التراثي إلى أمهات الكتب ومنها (المستصفى في علم الأصول) للغزالي، و(التعريفات) للجرجاني و(مفتاح العلوم) للسكاكي و(ارشاد الفحول) للشوكاني، وفي المقابل انفتح البحث على أبحاث الفلسفة اللغوية العادية واللسانيات الوظيفية عبر الترجمات ودراسات حديثة رصينة. منها أعمال جون سيرل، جاك موشلا، أحمد المتوكل، مسعود صحراوي، طه عبد الرحمن، هشام عبد الله الخليفة.

المبحث الأول: الاقتضاء: Presupposition

الأصل في الكلام أن يدل على معنى ومقصده دون اللجوء إلى إضافة أو تقدير، ولكن قد يستدعي الكلام في سياقات معينة إضافة أو تقدير لتحقيق الإفادة ذلك هو الاقتضاء.

وهو طلب إفادة أو تقدير عبارة ليستقيم الكلام، فلا يمكن أن يكون هناك كلام دون اقتضاء لكنه لا يكفي دون افتراضات مسبقة لتوضيح ذلك، والمفهوم من الاقتضاء أن المنصوص يبقى غامضاً ما لم يعتمد على افتراض مسبق لتواضعه (موشلار، 2003:48).

والاقتضاء مفهوم منطقي أكثر منه لسانيًا حيث ظهرت بوادره عند القدامى، فقد تنبهوا إلى الاقتضاء وأبعاده التداولية في الخطاب فقد حدّه أبو حامد الغزالي بقوله:

"هو الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يكون منطوقًا به، ولكن يكون من ضرورة اللفظ إما من حيث لا يمكن كون المتكلم صادقًا إلا به أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعًا إلا به أو من حيث يمتنع ثبوته عقلًا إلا به "(الغزالي، 1999: 186/2) وحدّ الشريف الجرجاني الاقتضاء فقال: "المقتضى هو عبارة عن جعل غير المنطوق منطوقًا لتصحيح المنطوق" (الجرجاني، التعريفات226).

ويبدو أن الاقتضاء معطى داخل ملفوظ، ففي كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة (قدور عمران، 2012 :68)

تعرّف اوركيوني Orecchion الاقتضاء: "بأنه المعلومات وإن لم يُفصح عنها، فإنها بطريقة آلية واردة ومدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته في إطار الحديث الذي يتجلى فيه" (اوركيوني،25) يعني الاقتضاء هو المعنى الحرفي للقول تابع لافتراضات مسبقة، مثلا إن قلت: الباب مفتوحة، يفترض أن هناك باباً مفتوحة، وأن هناك مبررًا يدعو لإغلاقه، وأن المخاطب قادرًا على الحركة وأن المتكلم في منزلة الآمر وبما أن الخطاب يولد في سياق تخاطبي وبلغة مشتركة، فهو يقوم على افتراضات مسبقة.

أما مصطلح (الافتراضات المسبقة) Presupposition فيظهر أنه كان من وضع الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه واصطلح عليه الفيلسوف طه عبد الرحمن (الإضمارات التأويلية) (طه عبد الرحمن، 2006 :14)، وهو وسيلة تقدمها اللغة من أجل الاستنتاجية للحاجة المستترة التي يشعر بها

المتحدثون في عدد كبير من المواقف، فعندما يستعمل متكلم لفظا إشاريًا، مثال هنا في قوله:

(أو أن أعمل هنا) فإنه يتعامل مع افتراض مسبق وهو إن المخاطب يعلم المكان الذي يقصده. فالافتراض المسبق هو "الخلفية التواصلية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبُنى التركيبية العامة" (صحراوي، 2005 :31)

ظهرت بوادر هذه النظرية على هامش الأبحاث المنطقية التي تناولت القضايا باعتبار قيمتها الصدقية، وقد تنبّه الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه Gottlob Frege إلى الارتباط بين الإحالة والاقتضاء فإذا كانت العبارة محلية، فهذا يقتضي وجود شخص في العالم الواقعي تحيل إليه العبارة (احمد المتوكل، 2012 :17)، فعندما أقول مثلا الرئيس المصري عام 1973 هو رئيس السلطات فهذا يقتضي وجود تولي للرئاسة في مصر في ذلك العام (الحسناوي، 2016 :61). فالقول غالبًا ما يُسند شيئا إلى مرجع يحيل عليه ويشير إليه، مثلا (أعدك بالمجيء غدا) الاسناد فيها الوعد، والأشارة هو ضمير المتكلم وضمير المخاطب (الكاف) (قدور عمران، 2012 :68).

إذن الاقتضاء هي عملية تخاطبية بين المتكلم والمخاطب على أساليب معطيات لغوية تقوم على افتراض مسبق، أي يتم إدراكه عن طريق العلامات التي يتضمنها القول (حسنين، 2008 :193).

الاستلزام الحواري Conversational Implicature

وهو قدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة في مقام محدد وهو مفهوم لصيق بلسانيات الخطاب التي أُخذ منها منحى متميزاً ويعد أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات.

ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع الفيلسوف والمنطقي بول غرايس H. Paul Grice الذي أسس تداولية للخطاب وسعى إلى وضع نظرية فلسفية منطقية تحكم المعنى الضمني، فهو يؤكد التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية، أمر متعذر إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري للعبارات (الشهري، 2004 :431). فمنذ ظهور مقالة غرايس (المنطق والخطاب) قُدمت اقتراحات متعددة لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري في إطار الفلسفة العادية والفلسفة الصورية (المتوكل، 2014 :41)، واقتراح غرايس هو:

إن كل حوار يقوم على مبدأ عام يسهم كل المتحاورين في الحوار وهو ما يسميه (مبدأ التعاون) ويتفرع من هذا المبدأ أربع قواعد Grice's Maxims هي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة العلاقة وقاعدة الكيفية (الطريقة). ويرى غرايس أن مصدر الاستلزام هو الخرق المقصود لأحدى القواعد الأربع مع احترام المبدأ العام وهو مبدأ التعاون.

ويضم كل مبدأ من المبادئ الأربعة قواعد محددة ومنسجمة مع مبدأ التعاون (صحراوي، 2005 :31) وهي:

- مبدأ الكم: وهو المبدأ الذي يفرض على المرسل أو المتكلم أن يوافق بين كم المعلومات وكم المفردات المستعملة في نقلها إلى المتلقي، أي اجعل مساهمتك إخبارية وهو أن يكون الكلام بالقدر المطلوب لا أكثر ولا أقل.
- مبدأ الكيف: يفرض هذا المبدأ أن يكون المتكلم صادقًا، أي لا تقل ما لا تستطيع اثباته.

- مبدأ العلاقة: أي تكلم في صلب الموضوع، فعلى المتكلم أن يكون كلامه مناسباً قصده،" ليناسب مقامك مقالك" (طه عبد الرحمن، 2006 :232).
- مبدأ الطريقة: يفرض هذا المبدأ أن يكون المتكلم واضحا يتجنب الحشو ويكون منظماً.

والمقصود بالاستلزام عندما لا يجاري التخاطب ما ترسمه القواعد المذكورة، يظلّ السامع يفترض خلافا للظاهر، فالمتكلم يقول شيئا ويعني شيئا آخر، فعملية التخاطب لا تقتصر على معانيها ودلالاتها في الصيغة الصورية وإنما تأتي بمعاني لا حصر لها (فاخوري، 1989). ووفق مبدأ التعاون يمكن للمتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التواصل وإن لكل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالتناوب على الكلام (الشهري، 2004 :438).

الاستلزام يحضر نتيجة أفعال الكلام، فقد صنف سيرل John Searleالأفعال اللغوية إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة لوصف قدرة المخاطب على استنتاج وإدراك الفعل في مقام معين أو طبقة مقامية معينة (المتوكل، 295:2014)، فقد يرمي المتكلمون من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى فهي أفعال كلامية غير مباشرة (عشير، 47:2006).

يرتبط الاستلزام بقصدية المتحدث ومن ذلك الجملة الاستعارية فقد ميز سيرل بين معنى المتكلم الذي يقصده ومعنى الجملة، فالمتكلم يقول شيئًا ويقصد شيئًا آخر، وقد حدد مصطلحين أساسيين هما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة). ورأى أن المعنى الاستعاري هو (معنى منطوق المتكلم) (صبرة، 58:2002).

يبقى الاستلزام الحواري من أبرز الظواهر التي تمييز اللغات الطبيعية، كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب، حيث يخرج العبارات من مقام محدد إلى معنى آخر نحو: (ناولني الكتاب من فضلك) المنجزة في مقام الطلب (الأمر) تخرج إلى معنى الالتماس وهو ما تفيده القرينة (من فضلك) (العياشي، 18:2011).

وفي مقاربة تداولية مع علماء العربية نجد ظاهرة الاستلزام الحواري واضحة ضمن نظرية الخبر والانشاء، ولاسيما الأفعال المنبثقة عن الانشاء في إصدار معاني أخرى كالاستفهام والتمني والتعجب، ونجد اقتراحات السكاكي في وصف الظاهرة بأنها تجاوز الملاحظة الصرف وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، ومن الأمثلة التي تصور السكاكي لتحديد المعنى يتمثل في: (كثير رماد القدر)، فواضح أن المعنى لهذه العبارة ليس هو المقصود، بل إن معناها: رجل كريم (السكاكي، 2000 ينظر:523).

حيث نلاحظ الانتقال من دلالة الوضع (المعنى الحرفي) إلى دلالة الملزوم (المعنى الملزوم)، ويصف آلية الانتقال من الأول إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة.

وعلماء الأصول يفرقون بين منطوق الجملة ومفهومها والذي ينتج عنه استنباط المعاني الفرعية من المعاني الاصلية ويبدو الوعي الأصولي بمفهوم الاستلزام الحواري واضحاً عند المقاربة التداولية بين المصطلح الحديث وبين دلالة المفهوم ودلالة المنطوق عند الأصوليين (المتوكل، 219:2014).

ونقصد بدلالة المنطوق ما يفهم مباشرة من العبارة أو الخطاب لحظة التلفظ، أما المفهوم فيقصد ما نفهم من غير المنطوق وهي تقارب الدلالة

الطبيعية عند غرايس، والأفعال المباشرة وغير المباشرة سيرل (الخليفة، 144:2003).

المبحث الثاني: الإطار المفاهيمي بين الاقتضاء والاستلزام

الجامع بين الاقتضاء والاستلزام الحواري، هو المعنى التابع للدلالة الأصلية، وهو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري.

فالاقتضاء هو المعنى الحرفي للقول، والذي يتحقق بعد افتراضات مسبقة، وهو يتحدد بكونه استدلالاً مسجلاً في الملفوظ ومستقلاً عن السياق المستعمل فيه. وهنا يستوجب التمييز بين مستويين - مستوى أول يتعلق بمجهول الملفوظ - مستوى ثانٍ خلفي هو المستوى الذي يستند عليه الملفوظ وهو الاقتضاء، مثلاً: عمر يريد أن يغني من جديد. المحمول يتكفل به المتكلم، أما الاقتضاء هنا (عمر غنى من قبل) تتكفل به جهة (المستمع أو القارئ) (قدور عمران، 2012 :68).

أما الاستلزام الحواري فهو المعنى المتضمن في القول بناء على استدلال محكم يحتاجه المتكلم لفهم الملفوظات داخل سياق معين. يقول عادل فاخوري: "الاقتضاء مفهوم منطقي، بينما الاستلزام مفهوم لساني تداولي، ذلك إن الاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف العبارة، أما الاستلزام فإنه يغير ظروف انتاج العبارة" (فاخوري، 1989).

إنّ فهم الملفوظات وتأويلها أثناء عملية التخاطب لا يعتمد على دلالتها الطبيعية التواضعية، من هذا المنطلق عمل غرايس على التمييز بين نوعين من الدلالة هما الدلالة الطبيعية (Natural Meanings) وهي السببية الخارجة عن القصد الإنساني مثل دلالة الدخان على النار، أي أن العلامة ترتبط بمدلولها ارتباطا طبيعي فهي لا تحتاج إلى نية أو قصد تواصلي، فهي

علامة على حالة واقعية. والدلالة غير الطبيعية (Non-natural Meaning) وهي إن تأويل الملفوظات لا يتوقف عند الدلالة التواضعية، لكنه يعتمد على قصد المتكلم ونواياه من جهة، وعلى فهم المخاطب لهذه النوايا من جهة أخرى (العياشي، 18:2011).نحو قول الدبلوماسي "نأمل في مراجعة الموقف" قد يقصد الضغط أو التحذير بطريقة مهذبة. وهنا لا توجد علاقة طبيعية بين العلامة والمعنى وانما اكتسبت معناها من العرف الاجتماعي أو قصد المتكلم.

مستويات الحمولة الدلالية

في ضوء الطبيعة الإنجازية للخطاب تتظافر المكونات الدلالية والتداولية لفك شفرة الرسالة اللغوية للخطاب، يحدد المكون التداولي للإرجاعات المختلفة للعلامة اللغوية، بينما يقوم المكون التداولي لإبراز مقصد المتكلم ضمن مفهوم الاستلزام الحواري. فالمؤشرات اللسانية بداية لقصد آخر أعمق، وقد تكون به قيمة أخرى أو قصد آخر حسب سياق الخطاب (عشير، 47:2006).

ميّز غرايس بين المعنى الدلالي والمعنى التداولي للجملة فالمعنى الدلالي هو المعجمي مضاف إليه العلاقات النحوية، والمعنى التداولي هو المعنى الذي يستلزمه الحوار بين متكلم ومستمع ولهذا المعنى قوة إنجازية، أي أن المتكلم عندما يتلفظ بقولٍ ما فهو ينجز فعلًا صريحًا أو ضمنيًا، والقول المضمر أو الضمني هو "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع رهن سياق الحديث" (اوركيوني،39). وبذلك تنقسم الحمولة الدلالية عند غرايس إلى معانٍ صريحة ومعانٍ ضمنية (أبو قرة، 187:2009):

1-المعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتحوي على المحتوى القضوي، وهو ترابط فيما بينها وبين القوة الإنجازية الحرفية، وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبح الجملة بصيغة أسلوبية كالاستفهام والنهي والنداء.

2-المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل معاني: عرفية ترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلًا في مقام معين مثل الاقتضاء، ومعانٍ تخاطبية تتولد طبعًا لتلك المقامات التي تنجز فيها الجملة (صحراوي، 2011:34).

3- ويكمن التمثيل لتلك المستويات الدلالية بجملة من النص القرآني: (هَل إلى مَرَدٍ مِن سَبيلٍ) الشورى (44)

أما المحتوى القضوي فهو ناتج من ضم معاني مكوناتها أو الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى بعد الموت. وأما قوتها الإنجازية الحرفية، والمؤشر لها بالأداة (هل) فهي استفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية والمعنى الضمني للجملة يتألف من:

- معنى عرفي هو الاقتضاء، أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة.
- معنى تخاطبي استلزامي، وهو تمني المتكلمين من المخاطب أن يردهم إلى الحياة الدنيا.

تتشكل الدلالة الصريحة على استفهام منفي، ودلالتها الضمنية على الإثبات والتقرير، فيها دلالتان، دلالة حرفية (السؤال) ودلالة مستلزمة مقامياً (الاثبات) (المتوكل، 2012:26).

ومن أدلى بدلوه في هذا المفهوم سيرل، فقد ميّز بين الفعل المباشر وغير المباشر في أن الإنجازات صنفان:

• انجازات بسيطة: وهي التي يواكب محتواها القضوي قوة إنجازية واحدة يقصد بها المتكلم معنى واحد، هو المعنى الحرفي لخطابه.
• انجازات معقدة: وهي تلك الإنجازات التي يقصد فيها المتكلم إنجاز جملة تواكبها قوتان إنجازيتان على الأقل، قوة إنجازية حرفية وقوة إنجازية مستلزمة مقامياً. وبذلك ميّز سيرل بين ما أسماه الفعل اللغوي المباشر والفعل اللغوي غير المباشر (بعيطش، 116:2011).
مثال ذلك: أ- لنذهب إلى السينما. ب-على أن أهيئ امتحانًا.
يلاحظ في الجملة الأولى تمثل فعلاً لغوياً واحداً مباشراً في دلالته الحرفية وهي (الدعوة)، أما الجملة الثانية فقد أنجز فعلين لغويين أحدهما مباشر وهو الإخبار (بتهيئة الامتحان) والآخر غير مباشر وهو رفض الدعوة (بعيطش، 113:2011).
ساهم سيرل في أن مقصدية المعنى المباشر إلى جانب المعنى غير المباشر في الإنجازات المعقدة عبر سلسلة من الاستنتاجات التي تشكل جانب من جوانب القدرة التعبيرية للمتكلم والمخاطب، وبذلك تتمثل القواعد اللغوية وغير اللغوية.
اقترح سيرل أن يضاف إلى القوانين التي وضعها غرايس قانون (العبارات المتحجرة)، كالصيغ والتعابير التي تستعمل مع الأفراد بالحقائق كما في (أعلن افتتاح الجلسة) أو في مقام التودد والتأدب لإفادة الطلب، لأن متطلبات الحوار وأدبياته تصرفنا عن التلفظ بجمل أمرية، نحو (هل بإمكانك فتح الباب) بدلاً من (افتح الباب). فالعبارات ثابتة تكسب معناها الإنجازي من سياقها الثقافي والاجتماعي. فيكون توخي التأدب في عملية التخاطب أو المحاورة سبباً للإبلاغ غير المباشر.

لم يكن علماء اللغة العربية بعيدين عن التمييز في حمل العبارة اللغوية على ظاهرها وحملها على المجاز، إذ يمكن أن تدلّ على معناها اللفظي وعلى معناها غير اللفظي فيتحدد حينئذ عن طريق التأويل والتفسير. ومن ذلك مساهمة الجرجاني في المجال التداولي وذلك بدمجه الدلالات في معاني النحو ووقوفه عند الصريح والمستلزم فدلّ الأول على ما تدل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصل معين، ودلّ الثاني على ما تدلّ عليه العبارة باستعمالها في موقف يحتاج إلى إعمال الفكر لأن معناه مستفاد من المعنى الأول، لأن الدلالات متوارية خلف المعنى الظاهر (العياشي، 131:2011).

وقد بحث الأصوليون العلاقات المختلفة في الاستعمالات بين اللفظ والمعنى في الخطابات الفعلية المتحققة في السياقات الممكنة، ودراستهم للنصوص الشرعية تتراوح بين معانٍ صريحة وأخرى ضمنية لاستنباط الأحكام.

المنطوق والمفهوم عند الأصوليين

يقسم الأصوليون دلالة اللفظ إلى قسمين قائمة على البنية التركيبية أو مجاوزتها، فقد قسمت الدلالة عند الأصوليين إلى دلالة المنطوق بشطريه الصريح وغير الصريح، ودلالة المفهوم بشطريه الموافق والمخالف (يونس، 240:2004).

المنطوق: ونقصد بدلالة المنطوق ما يفهم مباشرة من العبارة أو الخطاب لحظة تلفظها أي أن الحكم مستفاد من منطوق اللفظ المذكور صراحة في التركيب، أما المفهوم: فيقصد ما يفهم من غير المنطوق.

ويبدو الوعي الأصولي بمفهوم الاستلزام الحواري أو التلويح الحواري - كما يسميه هشام عبد الله الخليفة- واضحًا عند المقاربة التداولية بين

المصطلح الحديث وبين دلالة المفهوم ودلالة المنطوق عند الأصوليين (جمال الدين، 276:1980) وهي تقارب الصريح والضمني عند غرايس، والافعال المباشرة وغير المباشرة عند سيرل.

فدلالة المنطوق هو ما يفهم مباشرة، وتشمل ما يتضمنه اللفظ من معانٍ صريحة ومعاني ضمنية والمعاني الضمنية لا تستفاد مباشرة من اللفظ، بل تحتاج إلى نوع من الاستنتاج القائم على الاستلزام وهو ما يقابل المفهوم في علم الأصول (يونس، 237:2004).

ومن تعريفات كتب الأصول :(المنطوق حكم دلّ عليه اللفظ في محل النطق، المفهوم حكم دل عليه اللفظ لا في محل النطق) (الحسناوي، 2016 :185)، اذن للتمييز بين دلالة المنطوق ودلالة المفهوم في التصريح والتلميح دلالة مصرح بها في اللفظ، ودلالة غير مصرح بها في اللفظ، وهي الضابطة التي اعتمدها غرايس بين الصريح والضمني وعلاقته بالاستلزام (العياشي، 72:2011). إذ مرّ بنا أن غرايس صنف المعاني إلى معانٍ صريحة ومعانٍ ضمنية.

دلالة المنطوق

قسم الأصوليون دلالة المنطوق إلى المنطوق الصريح وغير الصريح. والمنطوق الصريح هو المعنى المتبادر إلى ذهن السامع بمجرد سماع اللفظ، وهي من أقوى الدلالات لأنه يدلّ بنفسه على المقصود، نحو قوله تعالى: (واحلَّ الله البَيعَ وحَرّمَ الربا) البقرة (275)، الذي يدل بالمنطوق الصريح على التفرقة في جواز البيع وحرمة الربا، أي المعنى المستفاد من ظاهر القول (المعنى المطابق) (عبد الرحمن، 103:2006).

فالمنطوق الصريح ذلك المعنى الذي يكون اللفظ أصل فيه وشموله لمعنى المطابقة والتضمن (العياشي، 154:2011).

أما المنطوق غير الصريح، وهو ما يلزم عنه اللفظ مما وضع له بالالتزام. أي بوساطة الدلالة الالتزامية نحو قوله تعالى: (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) النساء (3) يفهم منه أن العدل واجب مع الزوجة.

قسمت دلالة المنطوق، وهي دلالة لفظية تفهم من النص في المطابقة أو التضمن أو الالتزام، إلى أربع دلالات عند الأحناف، بموجب قوة الدلالة من الأقوى إلى الأضعف:

1- دلالة العبارة: وهي المعنى المفهوم من ذات اللفظ الذي وضع له وهي أقوى الدلالات. نحو آية التفرقة بين البيع والربا.

2- دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى نتيجة لدلالة العبارة لكنه على خلاف دلالة العبارة، يستفاد من الألفاظ بوساطة الدلالة الإلزامية نحو قوله تعالى: (وعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) البقرة (233)، فالآية تفيد ان نقطة المولود والوالدة على الوالد، وتفيد بالإشارة أن الولد تابع لأبيه منسوب إليه. فدلالة الإشارة هي دلالة التزامية تستفاد من الألفاظ والبنى النحوية وقد تتعلق بالافتراض المسبق (الخليفة، 146:2003).

3- دلالة النص: وتكون دلالة النص إذا كانت عبارة النص تدل على الحكم هي دافعه بعبارته، ويفهم من الكلام في واقعة أخرى لوجود علة الحكم فيه من باب أولي، نحو قوله تعالى: (فلا تقل لَهُمَا أُفّ) الاسراء (23) فهذه الآية الكريمة تدل بالعبارة على حرمة التأفيف الذي هو أقل أنواع الاذية، وتدل بدلالة النص على تحريم ما هو أكثر مثل الضرب والشتم وبعض الشافعية سموها (مفهوم الموافقة).

4- دلالة الاقتضاء: وهي دلالة اللفظ على مسكوت عنه لا يستقيم المعنى إلا بتقديره. أي أن صدق الكلام يتوقف على تقدير معنى خارج اللفظ، وإلا لما كان صادقاً أو صحيحاً عقلاً أو شرعاً، مثال ذلك قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ) البقرة (173) حيث المقدر المحذوف هو الاكل والشرب أو نحو قوله تعالى: (وَاسأل القريةَ) فإن صحته تتوقف عقلاً على لفظ (أهل) (المظفر، 146:2010).

دلالة المفهوم

يصنف الأصوليون (ومنهم الشافعية) المفهوم إلى صنفين رئيسيين هما: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة. فالمفهوم كدلالة مستفادة من اللفظ غير المنطوق بها، ولا مصرح بها تفهم من الكلام (الشوكاني، 178:1999).

- مفهوم الموافقة

هو كون الحكم المدلول عليه الزاماً موافقاً للحكم في المنطوق كقوله تعالى: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) الاسراء (23)، تدل العبارة على حرمة التأفف الذي هو أقل ما يؤذيهما، تنبيهاً إلى حرمة ايذائهما بما هو أعلى.

ومن ذلك التنبيه بالأعلى إلى الأدنى بقوله تعالى: (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) آل عمران 75، فمن يؤدي الأعلى وهو القنطار من باب أولى ان يؤدي أدنى من ذلك (الشهري، 428:2004).

ومفهوم الموافقة يقترب من مفهوم (الاستلزام التدرجي أو السلمي) (الخليفة،68:2003). وهو من صنف الاستلزام الذي لا تخرق فيه قواعد المحادثة، مفهوم من دلالة الجملة والفهم العرفي.

مفهوم المخالفة

هو اثبات نقيض حكم بالمنطوق للسكوت (يونس، 64:2004)، نحو قوله (صل الله عليه وآله) (في سائمة الغنم زكاة) يدل على أن الغنم السائمة فيها زكاة ويدل بمفهوم المخالفة، إن الغنّم المعلوفة لا زكاة فيها.

تتضح أهمية دلالة المفهوم وأثره في استنباط الاحكام الشرعية. والفقهاء يختلفون في مفهوم المخالفة، فمنهم من عده دليلاً من أدلة الاحكام الشرعية، وذهب الشافعي إلى إن مفهوم المخالفة دليل من حيث اللغة ووضع اللسان العربي، وخالف الأحناف في عدم اعتبار مفهوم المخالفة دليلاً مطلقاً، قوله تعالى: (لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَة) آل عمران (31)، يجوز أكل الربا بحال من الأحوال وإن لم يكن اضعافاً مضاعفة.

وقد بحث الأصوليون كثيرًا عن تلك الخصوصية التي تجعل الجملة تنتج دلالتين: الأولى ثبوت الحكم لموضوعه، والثانية انتقاء ذلك الحكم عند انتقاء قيده، فاستقرأوا أساليب التعبير العربي لمعرفة أي اسلوب يحتوي على تلك الخصوصية الدلالية، وكانت نتيجة استقرائهم أن ضبطوا تلك الأساليب بمجموعة معينة هي (الشرط، والوصف، واللقب، والغاية، والحصر، والاستثناء، والعدد) (الحسناوي، 190:2016).

ومنه قوله تعالى: (وإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حتى يضعن حملهن) الطلاق (65)، فقد اشترط في الاتفاق كونهن حوامل، وهو ما يقتضي بحكم مفهوم المخالفة - إن أجل حتى الحوامل مخالف لذلك.

والظاهر أن تسمية الأصوليين جاءت من كون حكمه مخالفًا لحكم المنطوق أو المذكور، في جاءت تسمية المفهوم جزءًا من مفهوم افتراضي (يونس، 64:2004).

- مفهوم الغاية: وهو الدلالة على انتقاء الحكم المقيد بغاية كقوله تعالى: (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) البقرة 23

- ومفهوم الحصر، كقوله تعالى (لا إله الا الله) الحصر ب (لا والا) والحصر ب (إنما) كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنما الاعمال بالنيات (الخليفة،218:2003).

- ومفهوم العدد: وهو تعليق الحكم بعدد مخصوص فإنه يدل على انتقاء الحكم فيما عدا ذلك زائداً أو ناقصاً نحو الهلال يثبت بشهادة العدلين، لكن لا يثبت بشهادة واحد وذلك يخالف المنطوق (الشوكاني، 180:1999).

ورأى بعض الأصوليين أن اغلب أنواع المفهوم تقود إلى مفهوم الوصف أو الصفة بالمعنى الواسع للمصطلح وليس بالمعنى النحوي.

تقترب ثنائية المنطوق والمفهوم عند الأصوليين من ثنائية غرايس المعاني الصريحة والمعاني الضمنية فقد اهتم غرايس بالمعنى الضمني وهو قريب من بحث الأصوليين، نجد الافتراض المسبق في دلالة الاقتضاء مثلًا.

يفرق الأصوليون بين الدلالة الحرفية والدلالة المستلزمة انطلاقًا من التفريق بين المعنى المقيد والمعنى المطلق. فالعلاقة بين المعنى الوضعي ودلالته المستلزمة أو ما يسميه الجرجاني معنى المعنى العلاقة لزومية ويراد باللزوم كل استنتاج لمعنى من معنى آخر.

الخاتمة

في نهاية الدراسة الموازنة بين اللسانيات التداولية الحديثة والفكر الأصولي الإسلامي، ويمكن إجمال أبرز النتائج التي تمخض عنها البحث على النحو الآتي:

1- التباين الإجرائي بين المفهومين حيث أثبت البحث أن الاقتضاء مفهوم منطقي يمثل مسلمات ملازمة لبنية القول وثابتة تركيبيا وسياقيا في حين الاستلزام الحواري مفهوم لساني يتغير بتغير ظروف المقام وإنتاج العبارة.

2- الخصوصية المقصدية للاقتضاء الأصولي: تفترق "دلالة الاقتضاء " عند الأصوليين عن "الافتراض المسبق " عند التداوليين، فبينما يكتفي الافتراض المسبق بتهيئة خلفية المحادثة لصدق القول، فإن الاقتضاء الأصولي أداة تشريعية ملزمة يتوقف عليها صدق الكلام عقلا أو شرعا لاستنباط الحكم. فمن المسلمات الملازمة للقول لا تتغير بتغير بنية التركيب في حين يتغير الاستلزام حسب السياق والمقام.

3- التعادل الوظيفي بين المنظومتين فقد كشفت الموازنة عن تعادل وظيفي دقيق حيث تقترب ثنائية (المنطوق والمفهوم) عند الأصوليين بشكل كبير من ثنائية (المعاني الصريحة والمعاني الضمنية) عند غرايس وسيرل.

4- تباين الغايات التداولية، فغاية التداوليين تفسيرية تهدف لفض النزاعات في الحوار البشري بينما غاية الأصوليين معيارية تشريعية محكومة بقرائن نصية ومقاصدية صارمة تهدف لاستنباط الأحكام الإلهية ومعرفة مقاصد الشارع.

5- السبق الريادي للتراث الأصولي وإلتفات علماء الأصول والبلاغة كالجرجاني والسكاكي إلى "معنى المعنى" والقرائن التخاطبية يمنح الفكر العربي سبقا رياديا في وضع قواعد استلزامية واضحة للتواصل البشري.

المصادر

- أبو قرة، نعمان. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1،2009.
- اوركيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة ك. ترجمة: احمد نظيف، منتديات سور الأوزبكية، افريقيا الشرقية (د.ت).
- بعيطش، يحيى. الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، أربد، الأردن، 2011.
- الجرجاني، أبو الحسن. التعريفات، مطابع دار الشؤون الثقافية (د. ت)
- جمال الدين، مصطفى. البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشد للنشر، العراق، 1980
- الحسناوي، فضاء ذياب عليم، الأبعاد التداولية عند الأصوليين، مركز الحضارة لتنمية الفكر، بيروت، 2016
- حسنين، صلاح الدين. مدخل إلى علم الدلالة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.
- الخليفة، هشام عبد الله. نظرية التلويح الحواري، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003.
- روبول، موشلار، آن وجاك. التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرون، المنظمة العربية للترجمة بيروت، 2003م.

- السكاكي، أبو يعقوب بن يوسف. مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- الشاوش، محمد. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد عبد الله. ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الكتاب العربي، ط1، 1999
- صبرة، أحمد حسن. التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، دار المعرفة، ط2، 2002.
- صحراوي، د. مسعود. التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت.
- صحراوي، مسعود. في الجهاز المفاهيمي التداويلي، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب، أربد، الاردن، ط1، 2011.
- عبد الرحمن، طه. التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006.
- عشير، عبد السلام. عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية، دار افريقيا الشرق والغرب2006.
- علي، محمد محمد يونس. مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط، 2004.
- العياشي، ادواري. الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، ط1، 2011
- فاخوري، عادل. الاقتضاء في التداول اللساني (بحث)، جامعة الكويت، مجلة عالم الفكر، مجلد 20، عدد 3، 1989.

- قدور، عمران. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديثة، ط1، الأردن 2012.
- المتوكل، أحمد. الاستلزام التخاطبي بين البلاغة العربية والتداولية الحديثة، عالم الكتب، اريه، الأردن 2014
- المتوكل، أحمد. اللسانيات الوظيفية، الدار العربية للعلوم، دار لامار، الرباط، ط1، 2012.
- المظفر، محمد رضا. أصول الفقه، تحقيق، عباس علي الزراعي، أضواء الحوار، ط1، بيروت 2010
- يول، جورج. معرفة اللغة، ترجمة: فراج عبد الحافظ، اسكندرية، دار الوفاء للطباعة، 1995.

الجَوانِبُ الفسيولوجيّة والأكوستيكيّة لفونيم الهاء العربيّ دراسة في ضوء برنامج (Praat)

م. د. عَدِي أحمد خزعل
ديوان الوقف السني- دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

المُسْتَخْلَصُ:
تنفردُ الدّراسة الصّوتيّة التَّطبيقيّة المُعتمِدة على برامجٍ حاسوبيّةٍ في التّحليل الطّيفيّ، عن الدّراساتِ التَّنظيريّةِ الكلاسيكيّةِ الأخرى، كونها تعتمدُ على برنامجِ (praat)؛ لتحقيق نتائج منفردة، ومن هذا المنطلق جاءت لتنهي القضيّة الخلافيّة المستمرة بين الأصواتيين حول فونيم (الهاء) العربيّ، ولم تقف عند هذا الحدّ، بل تمكّنت من إماطة اللّثام عن خصائص أكوستيكيّة جديدة، لم تُعالَجْ على وجهٍ كافٍ في الدّراسات الصّوتيّة السّابقة، الأمر الذي يفتح آفاقًا جديدةً، لإعادة النّظر في وصفِ هذا الفونيم، سواء أكان في الدّرس اللسانيّ الحديث، أم في الدّرس التجويديّ، وتماشيًا مع ذلك، ارتأينا أنْ نوسِمَها بهذا الوسام، اندرج تحته استخلاص وتصدير ومبحثان، مدعومًا بمكتبةٍ للمصادرِ، والمراجعِ المُعتمَدة.
الكلمات المفتاحيّة: فسيولوجيّة، أكوستيكيّة، فونيم، هاء، praat.

The Acoustic And Physiological Aspects of The/H/Phoneme In The Arabic Language, A (Praat) - Program Study

M.D. Aday A .Khazal

Abstract :

This unique practical study that is based on computer spectroscopy analysis is different from the classic theoretical on simply because it depends on a program (Pratt) to realizes exceptional results. It is an attempt to put an end to the dispute regarding the controversial views among phonolgists regarding the Arabic/ha:/phoneme. It also sheds light on the new acoustic features that have not been fully investigated in the previous acoustic research. The study also aims to open new avenues to describe the features of this phoneme in the speaking as well as tajweed lesson.

Key words: physiology, acoustic, phoneme, /h/, praat.

المقدّمة

الحمد لله الّذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم، والصّلاة والسّلام على المبعوث للعرب والعجم، محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- شفيعًا إلى خير الأمم، أمّا بعد:

فإنَّ دراسة الأصوات في اللغة العربيّة، من القضايا المُعقَدة والصعبة، التي تحتاج إلى ممارسات تطبيقيّة في ضوء أجهزة، أو برامج حاسوبيّة دقيقة؛ لأنّها من القضايا المهمة التي حُظِيت باهتمام القدماء والمحدثين من علماء العربيّة، لا سيّما بعدما تطورت العلوم، واختُرِعتِ البرامج والأجهزة، التي

تساعدنا في تحليل الأصوات اللغويّة أكوستيكيًّا، وتحليلها علميًّا، واختبارها معمليًّا؛ لكشف خصائصها، والفروق الّتي لا تَظْهر لأوّلِ وَهْلَةٍ، وإثرائها بنتائجٍ مختبريّةٍ دقيقةٍ، قد تخالف ما ذهب إليه المتقدمون، الّذين لم تُساعدهم ظروفهم اختراعَ أجهزةٍ حاسوبيّةٍ، كالّتي نعمل اليوم عليها، أو ما يُساعدهم في التّحليل الصّوتي إلى أدنى حالٍ، فكانوا ينظرون إلى الصّوتِ اللّغويّ نظرةٍ ذوقيّةٍ، ونحن بهذا لا نبخس حقهم، ولا نهضم فضلهم، كلا وحاشا، لكنّنا نكشف بالدّليل والتّجربة الدّقيقة، ما لم يتمكّنوا من الوصول إليه.

لا شكَّ أنَّ فونيم الهاء، هو أحد الأصوات اللّغويّة الّتي تتكون منها الكلمة العربيّة، وفي مختلف المواضع السّياقيّة، وقد عُنِيَ به حاله كحال الأصوات اللغويّة الأخرى، فكان لعلماء اللّغة العربيّة القدماء، وعلماء التجويد اهتمام كبير، وكذلك حُظِيَ باهتمام دارسي أصوات اللّغة المحدثين من علماء الأصوات والمجودين.

لم تختلف الآراء حول صفة همس هذا الفونيم قديمًا، ولا لدى المجوّدين حديثًا، إلا أنّ الأصواتيين، اختلفت آراؤهم حوله، فمنهم من عدّه فونيمًا مهموسًا موافقًا للمتقدمين، ومنهم من عدّه مهموسًا في حينٍ، ومجهورًا في حينٍ آخرَ، وغير ذلك، لكن ضابط معنى الهمس عند كلّ واحد منهم يختلف بين فريق وآخر، أمّا من حيث المخرج، فاختلفتِ المصطلحات بينهم، فالمتقدمون يرون أنّ مخرجه من أقصى الحلق، بينما يرى المحدثون من الحَنجرة، وغير ذلك من تقديمٍ وتأخيرِ مكان مخرجه بين الفونيمات الحَنجرية الأخرى، لكنَّ هذا ليس مكان بحثنا.

سأحاول في ضوء هذه الدراسة أن أُسلّطَ الضّوء على هذا الفونيم بدراسة مُعمَّقَة، تختص به، مثلما وقفت عليه بعيّنة في دراستي للدكتوراه وقفًا

ووصلًا؛ وهو السَّبب الّذي جعلني أن أُطيل النّظر بدراسة مُوسَّعة مختصة به، باختلاف مواضعه الفسيولوجيّة داخل الكلمة الواحدة، وباختلاف السّياقات الصّوتيّة المختلفة في مختلف مواقعها ضمن الكلمة، مع الصّوامت السّابقة له، وكذلك مع الصّوائت وبتنويعها معه؛ كونه بحاجة ماسة لهذه الدّراسة؛ لإظهار الخصائص والفروق التي يشتمل عليها، ثم أنّ الدّراسة التّطبيقيّة بحاجة إلى معمل صوتي، أو برنامج حاسوبي، يُعتمَد عليه في التّحليل؛ لذلك اخترت برنامج praat، وهذا يوجب علينا اختيار عينات صوتيّة، فعمدت إلى اختيار قارئٍ محققٍ مُجيدٍ لمخارج الأصوات اللّغويّة، وصفاتها؛ فارتأيت أن أختار الشّيخ الدكتور أيمن رشيد سويد، عالم سوري، مختص في اللّغة العربيّة، وعلم القراءات، ثم اخترت بعد ذلك مدونة للتحليل الصّوتي (Corpus)، وهي كلمات قرآنيّة برواية حفص عن عاصم، والمنزلة بصيغة(Mp3)، وبجودة عالية، ثم قطّعت العينات الصّوتيّة الخاصة بالسّور القرآنيّة المختارة إلى مقاطع صغيرة؛ لأنَّ البرنامج لا يقبل المقطع الصّوتي الكبير، وتم التقطيع بوساطة برنامج(قاطع الصّوتV)، وبرنامج آخر، من شركة مايكروسوفت ستوري (Cut Audio Files)، كما اعتمدتُ على برنامج (إحصاء القران الكريم)، لجمع الكلمات القرآنية المختارة وبالسرعة الممكنة؛ لضيق الوقت.

وُسِمَتْ هذه الدّراسة بوسامِ (الجوانب الفسيولوجيّة والأكوستيكيّة لفونيم الهاء العربي: دراسة في ضوء برنامج "praat"، ثم بعد الوسام وُضِعَ مُستخلَصٌ باللّغتين: العربيّة والإنكليزيّة، ثم مُهّدَ للموضوع بتصدير، عُنْوِنَ بـ: (الخصائص الأكوستيكيّة للصّوت اللّغوي)، وُضِحَتْ فيه بعض القضايا التي تتعلق بالخصائص الأكوستيكيّة، وكيفيّة استخراجها في البرنامج، ثُمَّ وضَعتُ مبحثًا للتحليل الفسيولوجي لهذا الفونيم، سميته: (التحليل الفسيولوجي

لفونيم الهاء العربي)، عرضت فيه أراء العلماء حول الاختلاف في قضية همس الفونيم وجهره، ثُمَّ مبحثًا آخرَ للدراسة الطّيفيّة باسم(التّحليل الطّيفي لفونيم الهاء العربيّ)، والّذي في ضوئه خرجتِ الدّراسةُ بنتائجٍ دقيقةٍ وقيمة.

تصدير

الخصائص الأكوستيكيّة للصوت اللّغوي

يُعدُّ الصّوت الإنساني ظاهرة فكريّة فسيولوجيّة أكوستيكيّة سمعيّة، تحدث نتيجة اهتزاز الوترين الصّوتيين في الحَنجرة (بستاني، 2013). وللصوت اللّغوي خصائص أكوستيكيّة، سنستعرضها، لكن بعد أن نشير إلى برنامج الدّراسة باختصار.

برات برنامج حاسوبي صممه باحثان هولنديان بمعهد علوم الصّوتيات في الجامعة الهولنديّة، أمستردام (كبير، 2019)، وهو برنامج يدعم كتابة التعليقات باللّغة العربيّة، إلا أن واجهته لم تُعرَّب بعد؛ لذلك فإنّ الكتابة العربية تُقرأ من اليسار إلى اليمين، وقد تتكون واجهته الرئيسة من نافذتين: الأولى: الاهتزازية، والثانية: الطّيفيّة، والأخيرة، هي التي في ضوئها سندرس هذا الفونيم، إلا أنّ الأولى، قد تساعدنا في بعض الأمور، في حال إذا حدث اللّبس، وقد أشار مؤلفو علم اللغة الحاسوبي إلى هذا البرنامج وعدوه من البرامج المهمة (حماد وصالح، 2019).

Pitch .:1

إنَّ درجة الصّوت أو التردد الأساس (الغامدي، 2001)، وهو الذي عرفه (أيوب، 1968)، بقوله: "الأثر السّمعي النّاتج عن عدد ذبذباته في الثّانية زيادة ونقصًا"(ص.107)، ويرمز له بالرمز: (0F) المتعلق بالترددات النّاتجة عن اهتزازات الوترين الصوتيين في ضوء وحدة زمنية، ومعدل اهتزاز هذين

الـوترين فـي أثنـاء التّصـويت يعكـس صـفتي الجهـر والهمـس؛ لأنَّ الصّـوت المجهور، هو الذي يتذبذب معه الوتران الصّـوتيان، والمهمـوس عكس ذلك (أنيس، د-ت).

2. Intensity:

تُعدُّ القوة (مصلوح، 2005)، الأكوستيكيّة هي الخاصيّة أو الصفة للصوت اللغوي الّتي تميزه الأذن من حيث القوة والضعف (حسام الدين، 1992)، فالصّـوت الانفجاري يحدث فيه انحباس تام، ثـم انفتاحًا بسرعة حتى يتم، وعكسـه الصّـوت الاحتكـاكي، وهـو الـذي لا يحـدث فيـه انحبـاس فـي أثنـاء النّطق به (الغامدي، 2001).

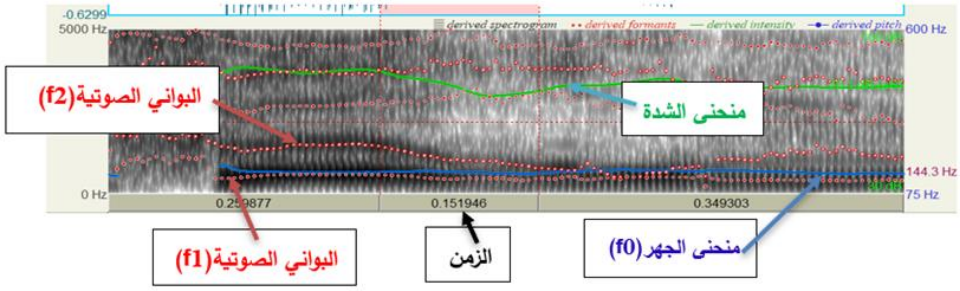
3.Formants:

تُعدُّ الحزم (زلاقي، 2019)، الرنينية (الغامدي، 2001)، هي التي تمثل قيم التـواتر المنتظم حـول تـردد معـين فـي موجـة الكـلام، ويرمـز لهـا بـالرمز (F) وتظهر في الرسم الطيفي على شكل شـريط أسـود منتظم متماشيًا مع محور الفواصل أو على شكل نقـاط حمر متسلسلة على شـكل خـط متموج (كبير، 2019). ولها في برات أنواع (كبير، 2019)، منها البانية الصـوتية الثانية(2f)، وهي التي تمثل رنين تجويف الفم واللسان، لذا تساعدنا بـالتعرّف على صفة التفخيم الـذي هـو (كبير، 2019) "الأثر السـمعي الناشئ عـن تراجـع مؤخرة اللسان، بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النّطق بالصّـوت" (ص.145)، والترقيق عكس ذلك.

4.Duration:

يسـتغرق الصّـوت اللغـوي مـدة زمنيـة عنـد نطقـه (مصـلوح، 2005)، وهـي الكمية الـذي يعكسـها حجـم الـزمن الـذي يشـغله الصـوت حـين نطقـه (كبير، 2019)، والزمن خاصية فيزيائيّة مهمة لابدَّ منهـا، لا بـل أنّهـا عنصـر لا يمكـن

الاستغناء عنه في التحليل الصّوتي. والشكل رقم(1) لكلمة(فَهُمَ) يوضح الخصائص المذكورة آنفًا في برات:



الشكل رقم (1) يمثل الخصائص الفيزيائية في برنامج برات

المبحث الأوّل

التّحليل الفسيولوجي لفونيم الهاء العربيّ

يُعدُّ فونيم الهاء من الفونيمات المميزة، الذي ينماز بخصائص فسيولوجيّة وأكوستيكيّة فريدة من نوعها، لا تتصف بها الفونيمات الأخرى؛ فإنّه يقع ضمن الفونيمات الحَنجرية (الحلقية) فسيولوجيًّا، ثُمَّ ضمن الفونيمات المجهورة أكوستيكيًّا، وهو ضمن الأصوات اللغوية بالتسلسل السادس والعشرين من الترتيب الألفبائي، والثالث في الترتيب الصّوتي عند الخليل- 170هـ- (الفراهيدي، كما مكتوب في)، ويلعب دورًا أساسيًّا في بنية الكلمة العربيّة، كما أَنّه يظهر في مواقع مختلفة داخل تلك البنية، سواء أكان في بدايتها، أم وسطها، أم في نهايتها:(وقفًا ووصلًا)، كما أَنّه يقع مع الصّوامت والصّوائت أيضًا، ومن هنا تتأتى أهمية التحليل الطيفي، لهذا الفونيم من حيث الخصائص الأكوستيكيّة، ومدى تأثيره، وتأثره بالسّياقات المختلفة، ضمن السّلسلة الكلاميّة.

اتفق المتقدمون من علماء العربية على همس هذا الفونيم (سيبويه، 1988؛ وابن جني، 2000)، ومعنى الهمس عندهم كما عرفه (الفراهيدي، كما مكتوب في) بقوله: "حسُّ الصّوت في الفم ممّا لا إشرابَ له من صَوْتِ الصَّدر، ولا جَهارة في المنطق"(ج.4، ص.10)، لكنّ علماء العربية اعتمدوا تعريف (سيبويه)-180ه-الذي هو: "حرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَس معه"(ج.4، ص.434،). وقد وصف (الفراهيدي) هذا الفونيم، بقوله: "لم أبدأ بالهمزة: لأنّها يلحقها النّقص والتّغيير والحذف...ولا بالهاء؛ لأنّها مهموسة خفية لا صوت لها"(ج.1، ص.17) كما عدّه (سيبويه) أول الفونيمات المهموسة، بقوله: "وأما المهموسة فالهاء، ..." (ج.4، ص.434،). وهو صوت يحتاج إلى نَفَسٍ عندهم، كما وصفه (الكندي، د-ت)-259ه- بقوله: "يحتاج إلى نَفَسٍ يخرج من عمقِ الرئة"(ص.524).

وقد تابع علماء التجويد (الداني، 1988؛ والقرطبي، 2000)، علماء اللغة، وعدّوه من أُولى الأصوات المهموسة، قال (الداني)-444ه-:"فالمهموسة عشرة أحرف...الهاء والحاء..."(ص.107)، إلا أنهم اعتمدوا على الأثر السمعي لا على مصدر الجهر؛ لأنَّ المهموس عندهم أقل وضوحًا من المجهور (الحمد، 2007).

اختلف الأصواتيون المحدثون في وصف هذا الفونيم، فذهب الدكتور (أنيس، د-ت) إلى أنه فونيم مهموس يُجهَرُ في بعض الأحيان، لكن معنى الهمس يختلف عندهم، وهو "الّذي لا يهتز معه الوتران الصّوتيان"(ص ص.21-22). وبيّن الدكتور (أنيس، د-ت) طبيعة نطق هذا الفونيم، بقوله: "الهاء صوت رخو مهموس، عند النّطق به يظلّ المزمار منبسطًا دون أن يتحرك الوتران الصّوتيان؛ ولكنّ اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يُسمَعُ في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتّخذ الفمّ عند النّطق بالهاء نَفْس

الوضع الذي يتّخذه عند النّطق بأصوات اللين، والهاء عادة صوت مهموس يُجهَرُ به في بعض الظّروف اللّغويّة الخاصّة، وفي هذه الحالة يتحرّك معها الوتران الصّوتيان، كما يُسمَعُ لهذه الهاء المجهورة نوع من الحفيف، لولاه لكانت هذه الهاء صوت لين عادي، وعند النّطق بالهاء المجهورة، تندفع من الرئتين كمّيّة كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطًا بذبذبة الوترين الصوتيين"(ص.76)، وهذه الكميّة من الهواء هي التي أشار لها (الكندي، د-ت)، كما وافقه الدكتور (مصلوح، 2005)، فهو عنده من الفونيمات المهموسة في بعض الأحيان، وليس دائمًا، بقوله: "الانطلاقيات المهموسة، وهي الهاء(غالبًا وليس حتمًا)"(ص.185).

وذهب الدكتور (حسان، 1990) إلى أنّه فونيم مجهور تعتريه بعض الذبذبات، وخالفه كلّ من الدكتور (السعران، د-ت)، والدكتور (عمر، 1997)، والدكتور (بشر، 2000)، إلى أنه فونيم مهموس، ورجح الدكتور (عبدالتواب، 1985)، الهمس أيضًا، بعد عرضه لبعض الآراء، بقوله: "يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، ويتخذ الفم عند النّطق بالهاء نَفْس الوضع، الذي يتخذه عند النطق بالحركات...ولولا هذا الحفيف الذي يحدث بمنطقة الأوتار الصوتية لما سُمِعَ غير صوت الزفير العادي، كما أن انعدام الذبذبات هنا، هو الذي يُميّز الهاء عن الحركات"(ص ص.58-59)، وتابعه بعضهم، (عبدالله، 2007) بقوله: "الهاء صوت مهموس، لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية، وهو ما يميزه عن الحركات، فإذا جهر اشتبه بالحركات"(ص.76).

وقد ذكر الدكتور (أيوب، 1968) وضعين مختلفين نسبيًا لهذا الفونيم، الأول: مهموس، والثاني: مجهور، فالأول" الصّوت الاحتكاكيّ البلعوميّ الحَنجري المهموس، وهو الهاء المهموسة العربيّة، وللنّطق به يتخذ الوتران الصّوتيان والغضروفان الهرميان وضع الزفير، أو وضع الهمس مع تقارب الثنيتين البطينيتين، إحداهما من الأخرى، مما يساعد على وجود احتكاك مسموع، وينطلق الهواء من الرئتين، ولا تتذبذب الأوتار الصّوتيّة، ولا تهتز جدران البلعوم الحَنجري، ولكن يحدث احتكاك مسموع عند مروره بالفراغ الغضروفي في حال اتّخاذهما وضع الهمس"(ص.217). أما الوضع الثاني (أيوب، 1968؛ والزيادات، د-ت) فهو: "الصّوت الاحتكاكيّ البلعوميّ الحَنجريّ المجهور، وهو الهاء العربيّة في غير المواضع الّتي تكون فيها مهموسة، وللنّطق به يتّخذ الغضروفان الهرميّان والوتران الصوتيّان وضع الجهر، وتتقارب الثنيتان البطينيتان إحداهما من الأخرى، وعندما ينطلق الهواء من الرئتين يُحدِث ذبذبة الأوتار الصوتيّة، ولا تهتزّ جدران البلعوم الحنجريّ، ويسبب كذلك احتكاكًا مسموعًا عند مروره بين الثنيتين البطينيتين، ويمرّ الهواء من طريق الفم نظرًا لإغلاق اللهاة الممر الأنفيّ"(ص.217؛ ص.12).

وهناك من عدّه من ضمن الأصوات المهموسة مرّة، وضمن المجهورة مرّة أخرى، (محمود، 2002) بقوله: "كما أنها يمكن أن نعدها ضمن الأصوات المهموسة، وكذلك ضمن الأصوات المجهورة"(ج.13، ص.286). لا بل أن أحدهم ذكر أن الهاء جمعت بين خصائص الأصوات الصامتة، وخصائص الأصوات الصائتة، (محمود) بقوله: "إنّ الهاءَ نَفَسٌ خالصٌ، لذا أخذت بعض خصائص الصوامت، كما أخذت بعض خصائص الصوائت". وذكر آخر أنها تنماز بخصائص فريدة، (لصقع وبناصر، 2025) بقوله:

"تتمتع الهاء بخصائص صوتية مميزة تجعلها، تجمع بين صفات الصوامت، وخصائص الصوائت، مما يمنحها طبيعة صوتية فريدة"(ص.226).

وتابع المجودون المحدثون علماء العربية والتجويد القدماء، بهمسه (سويد، 2011)؛ لأنَّ ضابطهم للهمس كضابط علماء اللغة والتجويد قديمًا، وهو جريان النَّفَس معه، وعدم جريانه مع المجهور، بخلاف الأصواتيين يرون أنّ الوترين الصوتيين هما مصدر الجهر، وقد جمع بعض من المجودين بين الضابطين، (سويد) (شكري وآخرون، 2018) بقولهم: الهمسُ" هو الخفاءُ في السّمع نتيجةَ انفتاحِ الوترين الصوتيين وعدمِ اهتزازهما وجريانٍ كثيرٍ لهواءِ النَّفَسِ"(ص.131)؛ لأنّه (حسين، 2011) "يمكن أن يؤخذ على أنه إذا جرى النَّفَس من النّطق بالصّوت كان مهموسًا، وإذا مُنع النَّفَس من الجريان كان مجهورًا، بمعنى أن جريان النَّفَس يؤدي إلى تباعد الوترين الصوتيين"(ص.125)، وبهذه الحالة لا يتذبذب الوتران الصوتيان، وفي ضوء الدّراسة والتّحليل الطّيفي سيتضح لنا، إن كان كلامهم صائبًا أو العكس.

وقد وصفه الدكتور (الحمد، د-ت)غانم قدوري الحمد بأنه صوت" يتم نطقه بتقارب الوترين العلويين، ويندفع النفس خلالهما في ممر ضيّق، فيحدث الحفيف الذي يتشكل منه صوت الهاء، مع بقاء الوترين الصوتيين السفليين متباعدين كحالتهما في نطق الأصوات المهموسة"(ص.41)، فالهاء عنده "صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مهموس، وهو تحديد جديد لمخرج هذا الصوت، وهو عندي أقرب إلى اليقين، ومعنى (علوي) أي الهاء يُنْطَقُ من بين الوترين العلويين اللذين كانا يوصفان عند الدارسين المحدثين بالكاذبين"(ص.41).

وشبه المتقدمون هذا الفونيم بأصوات اللين، كما ذكر الخليل وهو يتحدث عن (يُدَهْدِهْنَ) بقوله: "حوّل الهاءَ الآخرةَ ياءً؛ لأنّ الياء أقرب الحروف شبهًا

بالهاء، ألا ترى أن الياء مَدّة والهاءَ نفس" (الفراهيدي، كما مكتوب في؛ سيبويه) وقد نقل (سيبويه) هذا القول وعلق عليه بقوله: "كما أن (دَهْدِيت)، هي فيما زعم الخليل (دهدهت) بمنزلة (دحرجت)، ولكنه أبدل الياء من الهاء؛ لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها، فأبدلت كما أبدلت من الياء في هذه" (ج4، ص.434)، وقد وافق الدكتور (أنيس) الخليل، لكنه خصص هذا الشي بالهاء المجهورة بقوله: "كما يسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الحفيف، لولاه لكانت هذه الهاء صوت لين عادي"(ص.76). وبعد تدقيق هذه الأقوال في ضوء برنامج الدراسة، سيتضح عندنا، إن كانت هذه الأقوال أقرب إلى الصواب، أم العكس.

المبحث الثّاني

التّحليل الطّيفي لفونيم الهاء العربيّ

يُعدُّ التّحليل الطّيفي الأكوستيكي الأساس في هذه الدّراسة، ففي هذا المبحث سنقف على فونيم الهاء مع الصوائت، ثم مع الصوامت، في ضوء برنامج الدراسة، وهو على النّحو الآتي:

القسم الأول: فونيم الهاء مع الصّوائت العربية:

أولاً: أول الكلمة:

الموقع	الصائت	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
أول	الفتحة	هَلك	الحاقة: 29	0.128 m.th	Time
				73 dB	Intensity
				102	F0
				1602	F2

الكلمة					
	الضمة	هُـدى	النمل:2	0.110 m.th	Time
				72 dB	Intensity
				108	F0
				1118	F2
	الكسرة	هِـي	التوبة: 68	m.th 0.108	Time
				66dB	Intensity
				102	F0
				2135	F2

الشكل رقم(2) يمثل فونيم الهاء أول الكلمة مع الصوائت القصيرة

التقرير:

1- الزّمن: المدة الزمنية لفونيم الهاء، أكثر زمنًا مع صائت الفتحة، أسوة بالصوائت الأخرى؛ لقربها منها.

2- الشّدة: شدة الهاء قريبة كل القرب من الصوائت القصيرة، لا سيما صائت الفتحة، كما أن شدة الهاء أكثر شدة مع صائت الكسرة، أسوة بالصوائت القصيرة الأخرى.

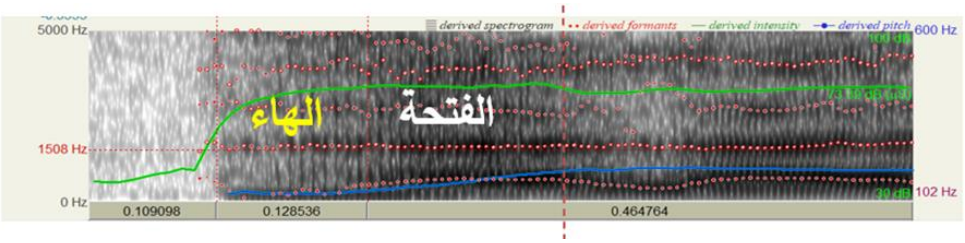
3- التّردد الأساس(0f): والذي يمثل وجوده حركة الوترين الصوتيين، فالهاء مجهورة، إذا كانت أول الكلمة في الجملة مع الصوائت القصيرة الثلاثة، إلا أن الهاء أعلى ترددًا مع الكسرة.

4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): المنطقة المظلمة السواد والتي تمثل كمية الهواء الخارج من الجوف، فهي مع الهاء أقل سوادًا من الصوائت القصيرة.

- (2f) من حيث الحزم الحمراء، فالصوائت القصيرة منتظمة البواني، في حين أنها مع فونيم الهاء ليست دائمًا منتظمة، إلا أنها مع الفتحة أكثر انتظامًا، أما من حيث الترقيق والتفخيم: فكلما ارتفعت قيمة هذه البانية على القيمة المرجعية الأصلية- والتي تساوي: للفتحة: 1500، والضمة:800، والكسرة (العاني، 1983) 2200، - كان الصوت مرققًا والعكس صحيح، ففونيم الهاء صوت مرقق، بحسب القيم التي سجلها، إلا أنه مال أكثر ترقيقًا مع صائت الضمة.

- (1f): يتضح في هذه البانية أن الحزم الحمراء متداخلة لا يؤخذ بها، والشكل المختار رقم(2) لكلمة (هَلك) يبين فونيم الهاء مع الفتحة:



الشكل رقم(3) يمثل فونيم الهاء مع صائت الفتحة طيفيًّا.

ثانيا: وسط الكلمة:

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
وسط الكلمة	ساكنة	فتحة	بعَهْدي	البقرة: 40	m.th 0.348	Time
					67 dB	Intensity
					101	F0

					F2	1638
					Time	m.th 0.301
				البقـــرة: 16	Intensity	74 dB
	ساكنة	ضمة	مُهْتدين		F0	91
					F2	2129
					Time	m.th 0.299
	ساكنة	كسرة	اهْـدنا	الفاتحـة: 6	Intensity	69 dB
					F0	86
					F2	2212

الشكل رقم(4) يمثل فونيم الهاء الساكن أول الكلمة المسبوق بالصوائت القصيرة

الموقع	الهاء	السابق	العينـــة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصـــائص الهاء
وســـــط الكلمة	مفتوحة	الفتح	ذَهَـبَ	البقـــرة: 17	m.th 0.117	Time
					76 dB	Intensity
					121	F0
					1446	F2
			وقودُهَـا	البقـــرة:	m.th	Time

	مفتوحة	الضم		24	0.085	
					79 dB	Intensity
					125	F0
					1435	F2
	مفتوحة	الكسر	بقلِـهَـا	البقـــرة: 61	m.th 0.141	Time
					72 dB	Intensity
					117	F0
					1403	F2

الشكل رقم(5) يمثل فونيم الهاء المتحرك بالفتح أول الكلمة المسبوق بالصوائت القصيرة

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
وسط الكلمة	مضمومة	الفتح	فَهُم	البقـــرة: 18	m.th 0.151	Time
					76 dB	Intensity
					144	F0
					849	F2
	مضمومة	الضم	تجارتُهُم	البقـــرة: 16	m.th 0.095	Time
					75 dB	Intensity

	مضمومة	الكسر	فبِهُداهم	الأنعام: 90	133	F0
					664	F2
					m.th 0.889	Time
					69 dB	Intensity
					142	F0
					838	F2

الشكل رقم(6) يمثل فونيم الهاء المتحرك بالضم أول الكلمة المسبوق بالصوائت القصيرة

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
وسط الكلمة	مكسورة	الفتح	وعَهِدنا	البقرة:125	m.th 0.130	Time
					68 dB	Intensity
					160	F0
					2287	F2
	مكسورة	الضم	المُهِين	الدخان: 30	m.th 0.146	Time
					75 dB	Intensity
					174	F0
					2536	F2

	مكسورة	الكسر	قلوبِهِم	البقرة: 7	m.th 0.107	Time
					77 dB	Intensity
					130	F0
					2255	F2

الشكل رقم(7) يمثل فونيم الهاء المتحرك بالكسر أول الكلمة المسبوق بالصوائت القصيرة

التقرير:

1- الزمن: المدة الزمنية للهاء الساكنة مرة، ومتحركة بالصوائت القصيرة مرة أخرى، في وسط الكلمة، تبيّن أن زمنها وهي ساكنة، أطول بكثير، بل ضعف المتحركة، وغالبًا تكون مدتها مع الفتحة أطول زمنًا.

2- الشدة: بعد مراجعة الصور الطيفية، والنتائج الرقمية، اتضح أن شدتها أقل من شدة الصوائت القصيرة، إلا أنها مع الساكنة، تنخفض أكثر، أي: أنها أقوى شدة، ثم اتضح أنها بين الكسرة والياء الساكنة تتساوى في كلمة(المهين)، وكذلك بين الضمة والفتحة في كلمة(وقودها)، وبين الكسرتين أيضًا في كلمة(قلوبهم)، وإذا سبقتها ضمة وهي ساكنة أيضًا في كلمة (مهتدين).

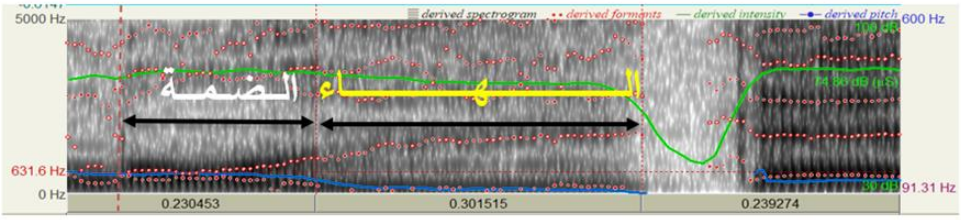
3- التردد الأساس(f0): إن وجود هذا التردد دلالة على جهر الصوت، فالهاء هنا مجهورة أيضًا، إلا أن تردده مختلف من حيث التنغيم، فيلاحظ مع الصوائت -وهو ساكنٌ- منخفض جدًا، أما إذا كان الهاء متحركًا فإن تردده يرتفع أسوة بالصوائت القصيرة.

4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): المنطقة المظلمة السواد، فهي أكثر سوادًا مع الصوائت القصيرة، لكن فونيم الهاء أقل منها سوادًا.

- (2f) من حيث الحزم الحمراء، لا خلاف في أن الصوائت القصيرة منتظمة البواني، إلا أنها مع فونيم الهاء في أغلب الأحيان منتظمة، أما من حيث الترقيق والتفخيم، فالهاء مرقق كون قيمة هذه البانية لم تبتعد من القيم المرجعية.

- (1f): منتظمة البواني مع الهاء، لكنها ليست كالصوائت الأكثر ترتيبًا، أما إذا كانت ساكنة، فتتبعثر والسبب طول زمنها، وهذا من شأن الأصوات الاحتكاكية، والشكل الطيفي المختار رقم(8) لكلمة (مُهْتدين) يبين ذلك:



الشكل رقم(8) يمثل فونيم الهاء الساكن أول الكلمة المسبوق بالضم

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
وسط الكلمة	مفتوحة	الألف المدية	أحياهَا	فصلت:39	m.th 0.161	Time
					76 dB	Intensity
					162	F0
					1443	F2

	مضمومة	الألف المدية	أخاهُم	الأعـــراف: 65	m.th 0.154	Time
					70dB	Intensity
					191	F0
					732	F2
	مكسورة	الألف المدية	الجاهِـل	البقرة:273	m.th 0.150	Time
					74dB	Intensity
					143	F0
					2110	F2

الشكل رقم(9) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينـــــة الكتابية	موقعها	نتـائج العينـة الصوتية	خصـــائص الهاء
وســـط الكلمة	مفتوحة	الواو المدية	فذبحوهَـا	البقرة:71	0.099m.th	Time
					75 dB	Intensity
					137	F0
					1397	F2
	مضمومة	الواو المدية	فكذَّبُوهُـما	يس: 14	m.th 0.157	Time
					71dB	Intensity

					F0	132
					F2	706
	مكسورة	الواو المدية	موهِن	الأنفـــال: 18	Time	m.th 0.129
					Intensity	69 dB
					F0	129
					F2	2354

الشكل رقم(10) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالواو المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينـــة الكتابية	موقعها	نتـائج العينـة الصوتية	خصـــائص الهاء
وســـــط الكلمة	مفتوحة	اليـــاء المدية	فيْهَـا	البقـــرة: 30	m.th 0.141	Time
					75dB	Intensity
					130	F0
					1446	F2
	مضمومة	اليـــاء المدية	يتيْـهُـون	المائـــدة: 26	m.th 0.090	Time
					65 dB	Intensity
					173	F0
					733	F2

	مكسورة	اليـــاء المدية	بأيديهِم	البقـــرة: 79	m.th 0.139	Time
					71dB	Intensity
					125	F0
					2322	F2

الشكل رقم(11) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

التقرير:

1- الزمن: المدة الزمنية لفونيم الهاء المسبوقة بالألف المدية، أكثر زمنًا مع السابق الواو والياء المديتين.

2- الشدة: اتضح أن شدة فونيم الهاء، أقل من الصوائت بنوعيها سواء الطويلة أم القصيرة، إلا أنها إذا كانت مكسورة وسبقت بواو المد، هنا تتشابه الهاء مع صائت الواو، وصائت الكسرة، إلا أن هناك بعض الفروق، سنذكرها في البواني، وإلا هي تشبه الصوائت.

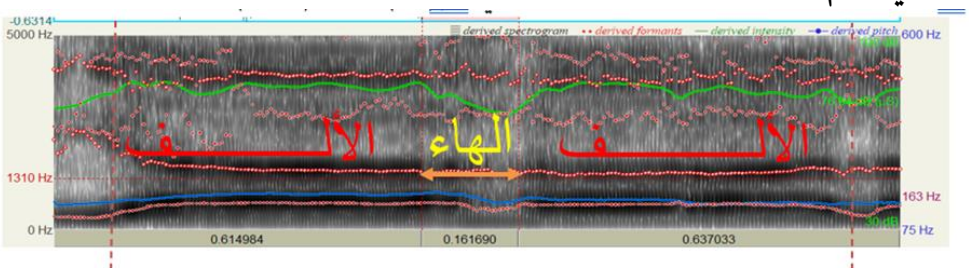
3- التردد الأساس(0f): يعد فونيم الهاء مع الصوائت بنوعيها صوتاً مجهوراً؛ لوجود منحنى تردد الأساس، الذي يمثل حركة الوترين الصوتيين، إلا أن نغمة هذا التردد متساوية مع تلك الصوائت، كونه سجل قيمة متساوية مع قيمة الصوائت نفسها، كون الصوائت مجهورة كلها، ولا خلاف بذلك.

4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): لاحظنا بعد متابعة الصور الطيفية، أن فونيم الهاء يتأثر إذا وقع بين الصوائت فمثلًا عندما وقع بين الصائت الطويل الألف، والقصير الفتحة في كلمة (أحياها)، وبين الصائت الطويل الواو وبين الصائت القصير

الضمة في كلمة(فكذبوهما)، وبين الصائت الطويل الياء والصائت القصير الكسرة في كلمة(بأيديهم)، تتأثر جدًا فمال لهما ميلًا شديدًا حتى يصعب التمييز بينهم لا يميزها، - في بعض العلامات-مثلًا النافذة الاهتزازية- إلا المتمرس على برنامج الدراسة.

- (f2f) (1) من حيث الحزم الحمراء، فالهاء تميل للانتظام، كأنها صائت. أما من حيث التفخيم والترقيق، فلا خلاف بذلك أنه صوت مرقق. والشكل الطيفي رقم (12) لكلمة (أحياها)يبين ذلك:



الشكل رقم(12) يمثل فونيم الهاء المفتوحة وسط الكلمة بين الألفين

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
وسط الكلمة	مكسورة	ياء اللين	علَيْهم	الفاتحة: 7	m.th 0.140	Time
					71 dB	Intensity
					108	F0
					2475	F2
	مضمومة	واو اللين	تَخْشَوْهُمْ	البقرة: 150	m.th 0.116	Time
					72 dB	Intensity

F0	143					
F2	1843					

الشكل رقم (13) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

التقرير:

1- الزمن: يلاحظ أن زمن فونيم الهاء مع الياء أطول بكثير من زمنها مع الواو، إلا أن فونيم الهاء قياسًا مع الواو والياء أقصر بكثير منهما زمنًا.

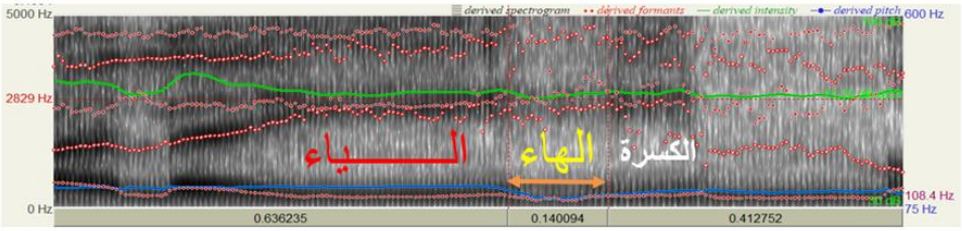
2- الشدة: شدة الهاء طبيعية من حيث ذاتها، إلا أنها لو قورنت مع الواو والياء، فيلاحظ أنها مع الواو أقل، ومع الياء متساوية جدًا.

3- التردد الأساس(0f): يعد فونيم الهاء مجهورًا؛ لوجود التردد الأساس، وبلا انقطاع، لكنه مع الواو سجل قيمة تنغيمية أعلى بنسبة (143) في حين مع الياء أقل قيمة (108)، ولو قارنا الهاء مع الواو والياء؛ لوجدنا أنها مع الواو متساوية جدًا.

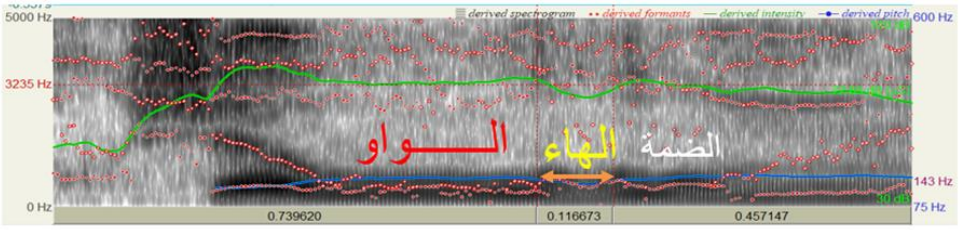
4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): يلاحظ أن الصورة الطيفية متشابهة تمامًا، أيّ: أنها متأثرة جدًا بالصوتيين.

- (f2f) (1): من حيث الحزم الحمراء، فالهاء بحسب البانية الأولى واضحة جدًا، إلا أن الثانية، غير واضحة، أيّ: مبعثرة، في حين ننظر لها من زاوية أخرى، وهي قضية التفخيم والترقيق، فيلاحظ أن البانية الثانية، قد ارتفعت جدًا مع الواو فسجلت نسبة (1843)، أيّ: أنها مالت إلى الترقيق، كون القيمة المرجعية (800). والشكلان الطيفيان رقم (14-15) لكلمتي (عليهم، وتخشوهم) يبينان ذلك:



الشكل رقم(14) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية



الشكل رقم(15) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
آخر الكلمة وقفًا	ساكن	الفتحة	نَفْسَهْ	البقرة: 130	m.th 0.571	Time
					68 dB	Intensity
					97	F0
					1881	F2
	ساكن	الضمة	اسمُهْ	النور:36	m.th 0.381	Time

					Intensity	69 dB
					F0	88
					F2	غير منتظمة
	ساكن	الكسرة	بِهْ	البقرة:89	Time	m.th 0.291
					Intensity	63 dB
					F0	83
					F2	غير منتظمة
	ساكن	السكون	فليصمْهْ	البقـــــرة: 185	Time	m.th 0.390
					Intensity	65 dB
					F0	88
					F2	غير منتظمة

الشكل رقم(16) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

التقرير:

1- الزمن: المدة الزمنية للصوت الساكن في حالة الوقف طويلة جدًا، قياسًا مع الحالات الأخرى، حتى أطول من الساكن في وسط الكلمة، فالهاء قد سجل قيمة أعلى من (0.300)

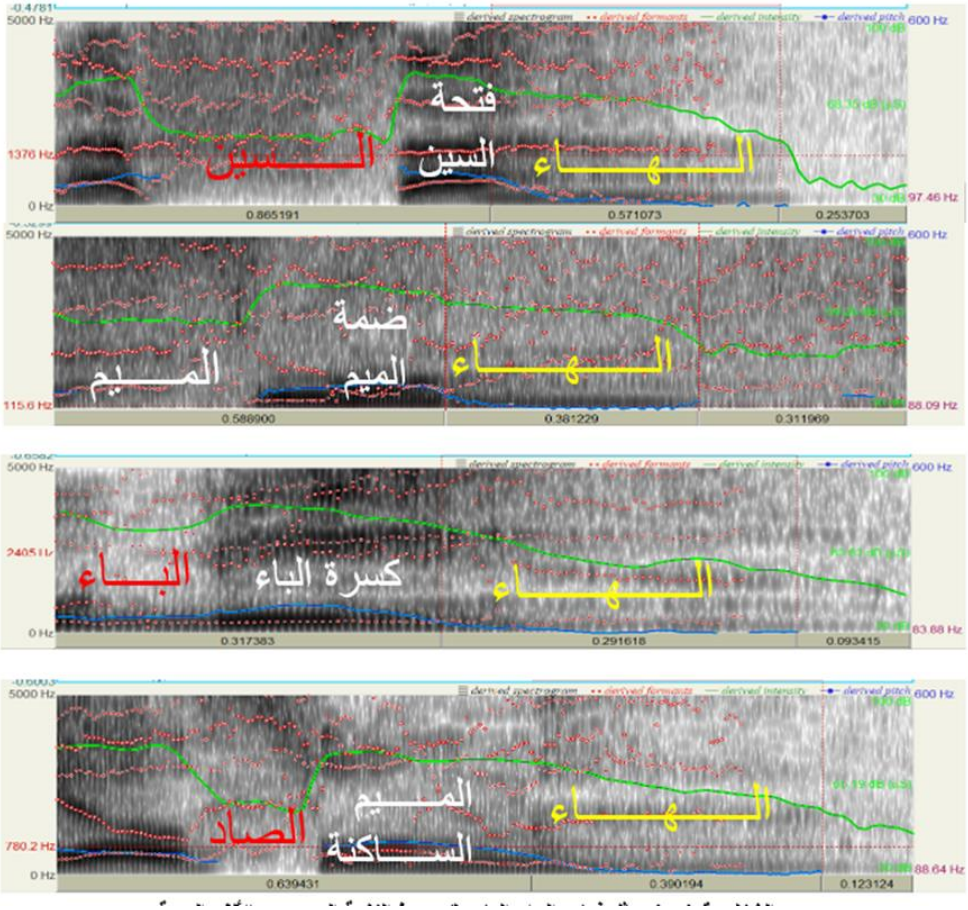
2- الشدة: يلاحظ انخفاض ملحوظ في قيمة الشدة مع الوقف، فإن تردده انخفض تحت(dB70).

3- التردد الأساس(0f): مازال التردد الأساس لم ينقطع في كل الحالات، إلى الآن إلا أنه في حال الوقف، فإنه اضمحل اضمحلالًا ملحوظًا وواضحًا، فإنه لم يرتفع فوق القيمة (100Hz)، وإنما دون ذلك.

4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): ملامح الصوت الاحتكاكي اتضحت هنا، فإنه يشبه الصوت الاحتكاكي، الذي يخرج معه الهواء حرًا طليقًا، فإنه لم يشبه الصوائت، ولا حتى الأصوات الانفجارية ولا الأصوات أشباه الصوائت ولا المتوسطة (الياء، الواو).

- (f2f) (1) من حيث الحزم الحمراء، وكون الصوت في حالة وقف واضمحلال، وإطالة الزمن، ولم تتبع الصوت صوائت، فإن البانية الأولى لم تتضح، وغير منظمة في الأمثلة المذكورة، في حين أن البانية الثانية، أيضًا لم تتضح، وغير منتظمة، إلا أنها مع الفتحة منتظمة، وسجلت قيمة (1881)، وهذه القيمة نتيجتها أن الصوت مرقق كون القيمة المرجعية هي:(1600)، وهذه البانية هي المسؤول عن الصوائت بأنواعها. والشكل الطيفي رقم (17) للأمثلة المذكورة وبنفس الترتيب المعتمد يبرهن ذلك:



الشكل رقم(17) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
الصوامت	السكون	الاحتكاكي	فَاهْجر	المدثر:5	m.th	Time

وســـــط الكلمة		المهموس			0.338	
					64 dB	Intensity
					105	F0
					1658	F2
	السكون	الانفجاري المجهور	الجَهْر	النســـــاء: 148	m.th 0.214	Time
					64 dB	Intensity
					93	F0
					1660	F2
	السكون	الانفجاري المهموس	الكَهْف	الكهف:9	m.th 0.354	Time
					73 dB	Intensity
					112	F0
					1604	F2
	السكون	الاحتكاكي المفخم	ظَهْرك	الشرح:3	m.th 0.240	Time
					71 dB	Intensity
					126	F0
					1491	F2

الشكل رقم(18) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينة الكتابية	موقعها	نتائج العينة الصوتية	خصائص الهاء
الصوامت وسط الكلمة	السكون	الاحتكاكي المرقق	فَاهْجر	المدثر:5	m.th 0.338	Time
					64 dB	Intensity
					105	F0
					1658	F2
	السكون	همزة قطع	أهْل	البقرة: 105	m.th 0.312	Time
					69 dB	Intensity
					103	F0
					1680	F2
	السكون	المتوسط	وَهْنًا	لقمان:14	m.th 0.291	Time
					71 dB	Intensity
					121	F0
					1662	F2
	السكون	المتوسط	يَهْدي	البقرة: 142	m.th 0.382	Time
					73 dB	Intensity
					95	F0
					1802	F2

	السكون	أشـــــباه الصوائت	بعهْدي	البقرة:40	m.th 0.348	Time
					67 dB	Intensity
					101	F0
					1638	F2

الشكل رقم (19) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

الموقع	الهاء	السابق	العينـــة الكتابية	موقعها	نتـائج العينـة الصوتية	خصـــائص الهاء
الصوامت	متحرك	التنوين	قومٍ هادٍ	الرعد:7	m.th 0.156	Time
					72 dB	Intensity
					144	F0
					1760	F2
	متحرك	النـــون الساكنة	ينْهَون	الأنعـــام: 26	m.th 0.127	Time
					73 dB	Intensity
					222 النون	F0
					1473	F2

الشكل رقم(20) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

التقرير:

1- الزمن: إن المعلوم زمن فونيم الهاء عندما يكون ساكنًا-كما مرّ- وقته أطول أسوة بالمتحرك، وهذه طبيعة صوتية ثابتة مع الأصوات اللغوية، لكنه قصر زمنه في كلمتي (قوم هاد) و(ينهون)، كونهما متحركين، كما يلاحظ أن الهاء لو قورن مع النون فيكون قريبًا منها، إلا أن زمن النون أطول من التنوين.

2- الشدة: يلاحظ أن شدة الهاء نفس شدة النون والتنوين كونها قريبة منهما، أما مع الأمثلة الأخرى، فيلاحظ أن شدته انخفضت هنا أكثر مما كانت متحركة في قسم الصوائت.

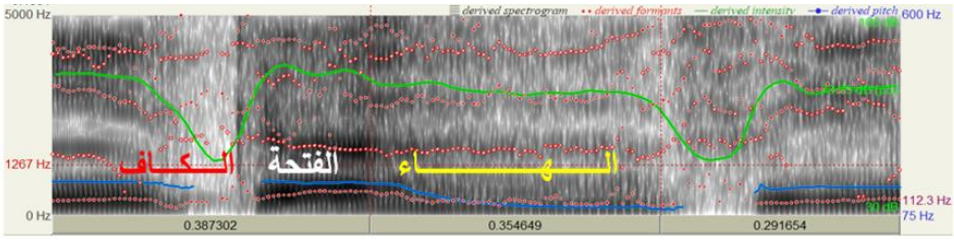
3- التردد الأساس(f0): حافظ الهاء على جهره، كما الحال مع الصوائت، فلم يتنازل عن جهره، مهما اختلفت المواضع، لكنها مع النون سجلت قيمة لم تشهدها من قبل، قيمة مرتفعة جدًا، فسجل قيمة (222)، أما مع التنوين فانخفض كثيرًا (144)، في حين مع الصوامت الأخرى انخفضت دون ذلك.

4- البواني الصوتية:

- (spectrogram): اختلف الهاء هنا من حيث الرسم الطيفي، فيلاحظ أنه حافظ على احتكاكيته حال الأصوات الاحتكاكية، إلا أنه مع النون والتنوين، فإنه اقترب من الصوائت.

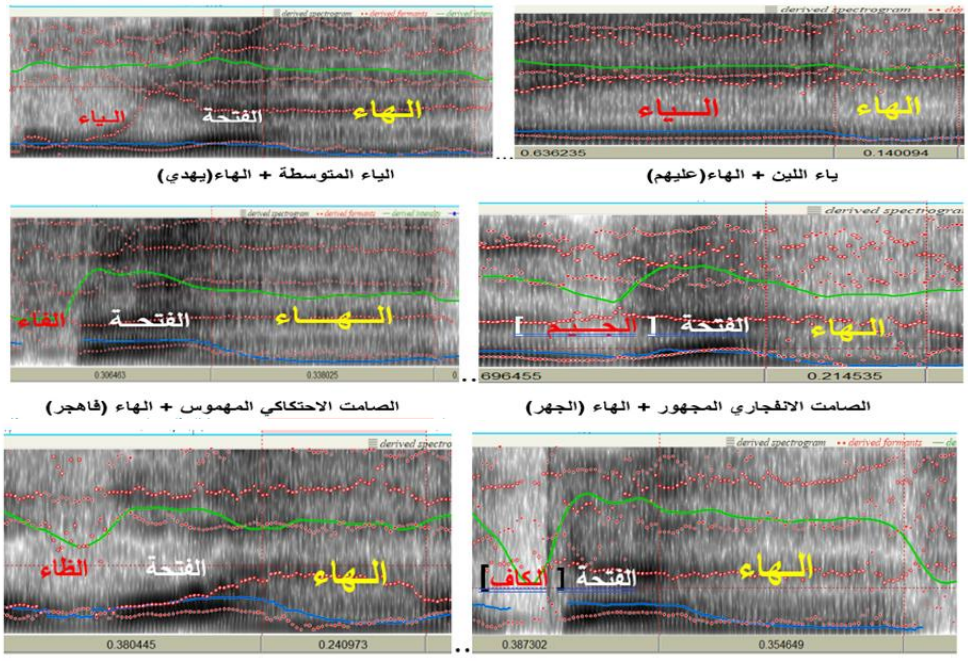
- (f2) (f1): مما يلاحظ أن البانيتين -غالبًا- ما يكونان منتظمتين مع الهاء أقل انتظامًا من الصوائت، كون الانتظام خاص بالصوائت فقط، لكن الأصوات القريبة من الصوائت فتبدأ بشيء من الانتظام، إلا أن البانية الثانية مع التنوين والنون غير منتظمة، أما من حيث التفخيم والترقيق، فإن الهاء صوت مرقق، لكنه مع السابق المفخم في كلمة(ظهرك)، فإنه تأثر بالصوت

المفخم، فمال إلى التفخيم، فسجلت قيمة أقل من مصاحبتها للأصوات الأخرى بقيمة (1491)، وكذلك مع النون الساكنة بقيمة (1473)، لكنه مع الياء المتوسطة في كلمة(يَهدي)، أكثر ترقيقًا من الأصوات الأخرى، فسجل قيمة(1802)، وكذلك مع التنوين. والشكل الطيفي المختار رقم (21) لكلمة (الكهف) يبرهن ذلك:



الشكل رقم(21) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

بعد التحليل الطيفي لفونيم الهاء في المواضع السابقة، والتقريرات التي وثّقناها تحت كل مجموعة في الجداول والأشكال الطيفية، ارتأينا أن ندرج بعد ذلك بعض الصور للتحليل الطيفي، نقارن فيها بين فونيم الهاء والأصوات الأخرى، كي نتمكن من المقارنة بين خصائص كل صوت، وبين خصائص فونيم الهاء من جهة، وبين الصوامت والصوائت من جهة أخرى، حتى يمكننا الوصول إلى قناعة تامة لصياغة النتائج في الخاتمة:

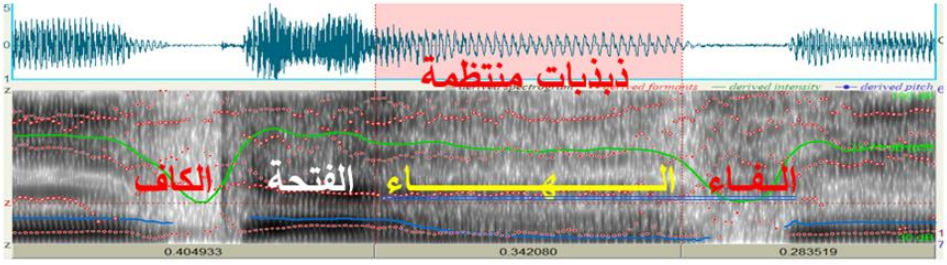


الياء المتوسطة + الهاء(يهدي) ياء اللين + الهاء(عليهم)

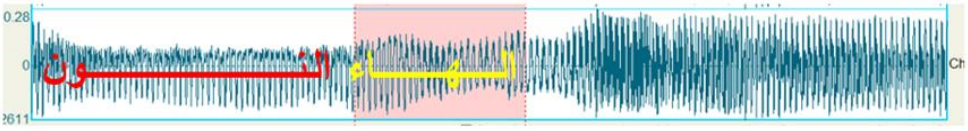
الصامت الاحتكاكي المهموس + الهاء (قاهجر) الصامت الانفجاري المجهور + الهاء (الجهر)

الصامت الاحتكاكي المجهور + الهاء (ظهرك) الصامت الانفجاري المهموس + الهاء (الكهف)

الشكل رقم (22) يمثل فونيم الهاء المتحرك وسط الكلمة المسبوق بالألف المدية

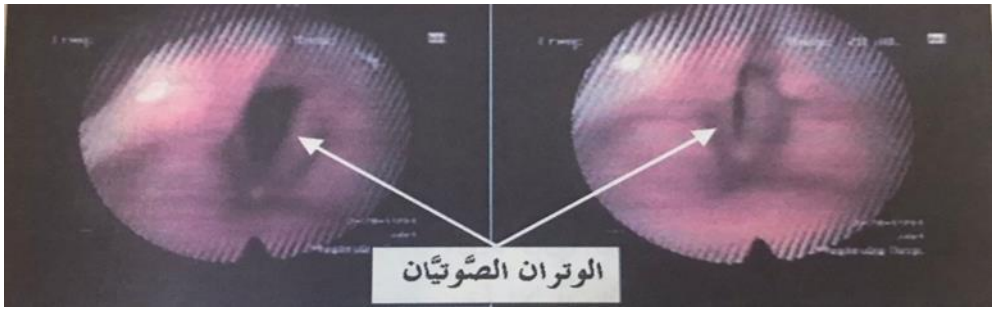


الشكل رقم (23) يمثل ذبذبات الهاء منتظمة كالنون والتنوين في كلمة (الكهف)



الشكل رقم (24) يمثل ذبذبات الهاء والنون المنتظمة في كلمة(ينهون)

وخلاصة ذلك أنَّ فونيم الهاء مهموس، من منظور المتقدمين، ومن تابعهم؛ لأنَّ النَّفَس يجري معه، ومهموس من منظور الأصواتيين، الذين يربطون الهمس بعدم حركة الوترين الصوتين، لكن الذي اتضح بعد هذه العينات وتحليلها طيفيًّا أنَّ الهاء فونيم يجري النَّفَس معه، لكن عند نطقه المُحقَق يتذبذب الوتران الصوتيان؛ لأنّهما يقتربان من بعضهما، أما في النَّطق الاعتيادي فيبتعدان عن بعضهما البعض، وبهذه الحالة لم يتذبذبا، وأظهر منظار الحنجرة هذا الاختلاف بين شكل الوترين الصوتيين في النطق، كما في الشكل رقم (25) (أبو شعر، شكل: 14،ص 110، 2015).



فونيم الهاء في النطق المحقق. فونيم الهاء في النطق الاعتيادي.

الشكل رقم (25) يمثل شكل الوترين الصوتيين عند نقط فونيم الهاء

الخاتمة

بعد البحث والتدقيق والتقصي في خصائص فونيم الهاء، وما يجاوره من صوائت وصوامت، والتأمل في صور التحليل الطيفي، وكذلك التقريرات التي وضعناها تحت كل مجموعة من الأصوات لفونيم الهاء، نكشف اللثام عن أهم النتائج الخاصة به، وهي على النحو الآتي:

- تعدّ المدة الزمنية من الخصائص المهمة لكل صوت لغوي، فالهاء المتحركة سواء أكانت في أول الكلمة أم في وسطها أم في آخرها، فهي أقل زمنًا من الهاء الساكنة في وسط الكلمة، إلا أنها في آخر الكلمة عند الوقف، فإنّها أطول زمنًا، حتى من الساكن في وسط الكلمة، والذي يتضح أن هذا الزمن هو صفة الأصوات الاحتكاكية، فإن زمنها يكون طويلًا أسوة بالأصوات الانفجارية.

- اتضح أن الشدة وهي الخاصية الثانية من الخصائص الأكوستيكية، تبين الهاء لم تكن انفجارية ألبتة، ولم تكن احتكاكية كالأصوات الاحتكاكية، إلا أنها قريبة من الأصوات الشبيه بالصوائت(=المتوسطة)، فمما يلاحظ في البحث الطيفي، أن منحنى الشدة قريبة من الياء اللين، ثم بعدها تأتي ياء المد، ثم تأتي الصوائت أعلاها منحنى، إلا أن الزمن يختلف تمامًا، فالياء بنوعيها، ثم الصوائت أطول زمنًا من الهاء، لا سيما الصوائت الطويلة.

- تعد الذبذبات الاهتزازية علامة تميزية بين الأصوات، فمما يلاحظ أن الهاء قريب كل القرب من ذبذبات النون والتنوين، كون الهاء ينماز بذبذبات منتظمة، وهذه من خصائص الصوائت، وكذلك الصوت المجهور.

- أوضحت الدراسة أن التردد الأساس(f0)، الذي يبين حركة الوترين الصوتيين، وهو دليل على جهر الصوت، في مفهوم الأصواتيين، ومما لوحظ

في أثناء البحث، أن الهاء حافظ على وجود منحنى هذا التردد، في كل الأمثلة التي وقفنا عليها في بحثنا، ولم تخالف أي حالة، مما يدل على أن الهاء فونيم مجهور، كالأصوات المجهورة، ومما يلاحظ أيضًا أن تردد الأساس يبدأ في الاضمحلال في حالة الوقف، وهذا أمر طبيعي يحدث حتى مع الأصوات الانفجارية، كما يتضح أن التردد الأساس يبدأ ضعيفًا مضمحلًا في بداية الكلمة، ثم يبدأ بالصعود على عكس الوقف، لكنه في وسط الكلمة مهيمن وواضح لا خلاف فيه.

- كشفت البواني الصوتية أن المنطقة الطيفية السوداء مع الهاء أقل سوادًا من الصوائت بنوعيها، لكنها قريبة من أشباه الصوائت (=المتوسطة).

- لوحظ أن البانيتين (2,f1f) مع الصوائت -وهما يمثلان خصائص الصوائت-، واضحتان منتظمتان، إلا أنهما مع فونيم الهاء، لم تكونا دائمًا منتظمتين، إلا أنهما ينتظمان إذا وقع الهاء- مثلًا -بين صائتين طويلين، أو قصيرين، وفي بعض المواضع الأخرى كذلك، لكن لم تكونا منتظمتين دائمًا مما يدل على أن فونيم الهاء ليس صائتًا، أما من حيث التفخيم والترقيق، فإن الهاء صوت مرقق، وقد يميل ميلًا قليلًا إلى التفخيم في حالة إذا سُبق بصوت مفخم.

- لم تكن الهاء صوتًا انفجاريًّا ولا احتكاكيًّا، وإنما بين الاثنين، وأما من حيث الصوامت والصوائت، فالهاء لم تكن صائتة، وإنما صامتة شبيه بالصوائت.

- يعدّ الهاء مجهورًا في حال تم تحقيقه في النطق، كما ينطقه القرّاء اليوم، وهذا شرط من شروطه، وإلا أصبح مهموسًا إذا لم يُحقق، فيكون حينئذٍ هواءً زفيرًا، لا فونيمًا لغويًّا، كما ينطقه اليوم العامة من النَّاس.

- لا يصلح الجمع بين ضابط المتقدمين من علماء اللغة والتجويد، وبين ضابط الأصواتيين لمفهوم الهمس؛ لأنّ هذا الفونيم يجري معه النَّفس من جهة، لكن يقترب الوتران من بعضهما ويتذبذبان عند نطقه المحقق من جهة أخرى، وبهذا يكون جمع ضابط المتقدمين والأصواتيين للأصوات جميعًا غير صائب.

مكتبة الدراسة

1. إبراهيم أنيس. (د-ت). الأصوات اللغوية (المجلد (د.ط)). مصر: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
2. إبراهيم كايد محمود. (2002). صوت الهاء في العربية. كتاب مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية.
3. أحمد شكري، وآخرون. (2018). المنير في أحكام التجويد (المجلد ط:37). الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم.
4. أحمد مختار عمر. (1997). دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب.
5. الخليل بن أحمد الفراهيدي. (كما مكتوب في). العين. (مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، المحررون) مكتبة الهلال.
6. أيمن سويد. (2011). التجويد المصور (المجلد ط:2). دمشق، سورية: مكتبة ابن الجزري.
7. بن عيسى كبير. (2019). دليل مستعمل تطبيق تحليل الإشارات الصوتية ومعالجتها (برات). مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ع/9.
8. تمام حسان. (1990). مناهج البحث في اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية.

9. رضا زلاقي. (2019). الحركات القصيرة: تنوعاتها وسماتها الطيفية في العربية الفصحى المعاصرة عند محدثين إذاعيين جزائريين(دراسة وصفية مخبرية). مجلة الصوتيات ع/00، مج/00.
10. رضوان منسي عبدالله. (2007). الهاء العربية، الصوت والوظائف: دراسة توليدية. دار المنظومة.
11. رمضان عبدالتواب. (1985). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (المجلد ط:2). مكتبة الخانجي.
12. سعاد بستاني. (2013). السمعيات العربية في الأصوات اللغوية (المجلد ط:1). عالم الكتب الحديث.
13. سعد عبدالعزيز مصلوح. (2005). دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك (المجلد (د.ط)). القاهرة: عالم الكتب.
14. سلمان حسن العاني. (1983). التشكيل الصوتي في اللغة العربية: فونولوجيا العربية (المجلد ط:1). (محمد محمود غالي، المحرر، وياسر الملاح، المترجمون) السعودية: النادي الأدبي الثقافي- السعودية.
15. طارق إبراهيم والزيادات. (د-ت). الهت بين الهمزة والهاء: دراسة صوتية وصفية تحليلية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للإبحاث والدراسات التربوية والنفسية.
16. عادل إبراهيم أبو شعر، شكل: 14،ص 110. (2015). المصطلح الصوتي في التراث اللغوي عند العرب، دراسة تاريخية تأصيلية، من القرن الأول إلى القرن السادس الهجري (المجلد ط:1). مركز تفسير للدراسات القرآنية.
17. عبدالرحمن أيوب. (1968). أصوات اللغة (المجلد ط:2). بغداد: مطبعة الكيلاني.

18. عبدالوهاب بن محمد والقرطبي. (2000). الموضح في التجويد (المجلد ط:1). (غانم قدوري الحمد، المحرر) عمان، الأردن: دار عمار.
19. عثمان بن سعيد الداني. (1988). التحديد في الإتقان والتجويد (المجلد ط:1). (غانم قدوري الحمد، المحرر) الرمادي، العراق: مكتبة دار الأنبار.
20. عثمان وابن جني. (2000). سر صناعة الإعراب (المجلد ط:1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
21. علي خليف حسين. (2011). منهج الدرس الصوتي عند العرب (المجلد ط:1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
22. عمرو بن عثمان سيبويه. (1988). الكتاب (المجلد ط:3). (عبدالسلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
23. غانم قدوري الحمد. (2007). الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (المجلد ط:2). دار عمار.
24. غانم قدوري الحمد. (د-ت). وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني.
25. كريم زكي حسام الدين. (1992). الدلالة الصوتية: دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل (المجلد ط:1). مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
26. كمال بشر. (2000). علم الأصوات. دار غريب.
27. محمد أحمد حماد، وصفوت علي صالح. (2019). علم الدلالة وعلم اللغة الحاسوبي. جامعة القاهرة: كلية دار العلوم.
28. محمود السعران. (د-ت). علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية.

29. مختار لصقع، وآمال بناصر. (2025). حوسبة الخط العربية بين الأصالة والتقنية: حرف الهاء في خطرالنسخ أنموذجًا. مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والإنسانية .

30. منصور بن محمد الغامدي. (2001). الصوتيات العربية (المجلد ط:1). الرياض- المملكة العربية السعودية: مكتبة التوبة.

31. يعقوب الكندي. (د-ت). رسالة اللثغة. (محمد حسان الطيان، المحرر) شبكة الألوكة.

المقيدات الاسمية غير الإسنادية في النصوص القانونية دراسة لسانية في البنية والدلالة

د. نيران فالح مهدي	كليَّة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
	niranfalah@uomustansiriyah.edu.iq
أ.د. مرتضى جبَّار كاظم	كليَّة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
	dr.murtada1@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة المقيَّدات الاسمية غير الإسنادية في النصوص القانونية من منظور لساني بنيوي دلالي، وذلك من حيث بنيتها التركيبية ووظيفتها الدلالية في السياق القانوني. وتتمثل هذه المقيَّدات في عناصر لغوية تقيّد المعنى دون أنّ تكون مسندًا أو مسندًا إليه، ومن أبرزها: المفعول به، وأشباه المفاعيل (مثل المفعول فيه، المفعول لأجله، المفعول المطلق)، والصفات، والظروف المكانية والزمانية، والإضافة وقد عُني البحث بتحليل هذه المقيّدات بوصفها أدوات مهمة في النصوص القانونيّة، لما تؤديه من دور في تقييد الحكم أو بيان شروط الفرض، أي أنها تُستعمل لتحديد أطراف الأحكام القانونية أو توضيح شروطها وسياقاتها، مما يُسهم في ضبط المعنى بدقة وتجنب اللَّبس أو الغموض.

وقد توزعت هذه المقيدات في النصوص القانونية بين نوعين من الوظائف:
1. الحكم: حيث تُستعمل المقيدات لتحديد من يقع عليه الحكم، أو كيفيته، أو زمانه ومكانه.
2. الفرض: حيث تُستعمل لتحديد الشروط التي يجب توافرها لتحقق الفرض القانوني.
اعتمد البحث في منهجه على تحليل عيّنات من النصوص القانونية، مبرزًا كيف تُسهم البنية النحوية لهذه المقيدات في تحقيق الوضوح والدقة، وهما من السمات الجوهرية للنص القانوني.
الكلمات المفتاحية: المقيِّدات اللغوية، النصوص القانونية، البنية، الدلالة.

Non-Predicative Nominal Modifiers in Legal Texts: A Linguistic Study of Structure and Semantics
Prof. Dr. Murtadha Jabbar Kadhim
Al-Imam Al-Kadhim (A.S.) University College for Islamic Sciences
Niran Falih Mahdi
Al-Imam Al-Kadhim (A.S.) University College for Islamic Sciences
Abstract:
This study aims to examine non-predicative nominal modifiers in legal texts from a structural and semantic linguistic perspective, focusing on their syntactic structures and semantic functions within the legal context. These modifiers are linguistic elements that restrict meaning without functioning as either a predicate or a subject. The most prominent of these include the direct object,

adverbial complements (such as adverbials of place and time, objects of purpose, and absolute objects), adjectives, spatial and temporal adverbials, and genitive constructions. The study analyzes these modifiers as significant tools in legal texts due to their role in restricting legal rulings or clarifying the conditions of legal assumptions. They are employed to specify the parties concerned by legal rulings or to clarify their conditions and contexts, thereby contributing to precise meaning and avoiding ambiguity or vagueness.

These modifiers in legal texts are distributed between two main functions:

.1Legal ruling: where modifiers are used to specify the party to whom the ruling applies, as well as its manner, time, and place.

.2Legal assumption: where modifiers are used to determine the conditions that must be fulfilled for the legal assumption to be realized.

The study adopts an analytical approach based on samples of legal texts, highlighting how the grammatical structure of these modifiers contributes to achieving clarity and precision, which are among the essential characteristics of legal discourse.

Keywords: linguistic modifiers, legal texts, structure, semantics

المقدمة

تُعدّ النصوص القانونية من أهم أنواع النصوص التي تتطلب دقة متناهية في الصياغة اللغوية، لما لها من أثر مباشر على تنظيم العلاقات الاجتماعية وفرض الحقوق والواجبات. ومن أبرز السمات التي تميز النص القانوني هي وضوح معانيه ودقته، وذلك يتطلب استعمال أدوات لغوية قادرة على ضبط المعنى بشكل محكم.

في هذا السياق، تبرز المقيدات الاسمية غير الإسنادية كعناصر لغوية تؤدي وظيفة مهمة في النص القانوني، حيث تقوم بتقييد وتحديد المعاني بعد اكتمال العملية الإسنادية، مما يجعلها أداة فعالة في تحقيق الدقة والوضوح في صياغة الأحكام القانونية. وتشمل هذه المقيّدات العديد من التركيبات النحوية مثل المفعول به وأشباه المفاعيل، والصفات، والظروف المكانية والزمانية، والإضافة، التي تسهم جميعها في تقييد الأحكام القانونية أو تحديد شروط الفروض، وبالتالي ضبط مدلول النص القانوني وتنظيمه؛ إذ يهدف هذا البحث إلى دراسة هذه المقيدات من منظور لغوي تحليلي، يركز على البنية النحوية والدلالة التي تكتسبها في سياق النصوص القانونية، وذلك لفهم كيفية توظيفها في تقييد الأحكام وتنظيم العلاقات القانونية بدقة. كما يسعى البحث إلى إبراز أهمية هذه الأدوات في تحقيق الغرض الأساسي من النص القانوني، وهو تحقيق العدالة من خلال وضوح الأحكام وسلامة تفسيرها.

المبحث الأول: في تحديد مفهوم المقيِّدات

1-المقيِّدات في المنظور اللغويّ

ورد "القيد" في لسان العرب بمعنى: استعماله لمنع الحركة، فقد قيل: "قَيَّده بقيده تقييدًا، وقَيَّدَ الدابّة"، أي: ربطها، كما في قولهم: "قَيَّدتُ الدابةَ، ووضعتُ لها قيدًا يمنعها من الحركة"، ومن ذلك أيضًا قولهم: "وقُيودُ الأسنانِ لَثّاتُها"؛ وهذا استعمالٌ مجازيٌّ أو بلاغيّ؛ إذ تُعدّ اللثةُ "قيودًا" للأسنان؛ لأنها تُمسكُ بها وتُحافظُ عليها من السقوط، كما ورد: "وقَيَّدَ العلمَ بالكتاب"، أي: قيّده بالتسجيل؛ لأنَّ الكتابة تحفظُ العلم من الضياع، وكذلك في قولهم: "تقييدُ الخطِّ تنقيطُه وإعجامُه وشَكلُه"، أي: وضعُ النِّقاط، والتمييزُ بين الحروف المتشابهة، ووضع الحركات؛ إذن، تدور معاني كلمة "قيد" حول الضبط والمنع من الحركة والفوضى(ابن منظور، 1405، ينظر:3 /372)، أما "مُقيَّد"، فهو اسم مفعول، ويخضع عند جمعه لقواعد الجمع السالم، فيُجمع على "مُقيَّدات"، حسب القاعدة المعروفة.

2- المقيِّدات في المنظور الاصطلاحيّ

يعرِّف التهاونيّ (ت 1151ه) المقيد هو "الأمر المخصص للأمر العام" (التهاوني، 1996: 2/ 1178)، أي إنَّ القيد عنصرٌ يقيّد المعنى العام ويمنعُ الإطلاق والعموم في دلالة لفظ أو حكم؛ إذ يجعل الحكم يشمل فئةً معينةً فقط. إذن، المُقيّدات هي أداة لضبط المعنى وتقييد دلالة النصوص.

3-المقيِّدات في المنظور النحويّ

هي عناصر تضبط البناء اللغويَّ، وتُعدُّ أداةً تحليليةً دقيقةً؛ إذ تُوضِّحُ متى وكيف تطبَّق القاعدة، وتحفظ اللغة من اللَّبس، ويصف الاستراباذي (ت 648ه) المقيَّدات وصفًا دقيقًا في شرحه، إذ يقول: .: تقييد الشيء بالشيء

تخصيص له وأنَّ المقيّد به غير خاص وحده" (الاستراباذي، 1975 :9/3)، فيؤسس بوصفه للظاهرة عبر اشتراطاته الدقيقة، و" المراد به إزالة اللبس وذلك نحو أنَّ تخبر بخبر أو تذكر لفظا يحتمل وجوها فيتردد المخاطب فيها فتنتبه على المراد بالنص على أحد محتملاته تبيينا للغرض" (ابن يعيش، 2001: 70/2)، و(المقيّدات) أدوات تُفسر الإبهام (الأنصاري، 1963،ينظر: 333)

افتقر الدرس النحوي إلى مبحثٍ مستقلٍ يضمّ ظاهرةً لغويةً مهمّةً مثل ظاهرة (المقيِّدات)، فنجد القيدَ مفهوماً وظيفيًّا يتصل بالظواهر النحوية التي خُصِّصت لها أبوابٌ وفصولٌ، مثل: المفاعيل، والعطف، والنعت، والروابط، ولم يُفردِ النحويون بابًا أو فصلًا للمقيِّدات، وذلك على مستوى المقيِّدات اللغويّة غير الإسناديّة، وهذا الارتباط بالأبواب النحوية يُبيِّن لنا ارتباط مصطلح القيد بالدَّلالة اللغويّة أكثر من ارتباطه بالدلالة الاصطلاحية (العمري، 2014، ينظر: 43).

المبحث الثاني: المقيِّدات غير الإسنادية الاسمية في النصوص القانونيّة

مقدمة:

المقيّدات غير الإسنادية الاسمية كل اسم يؤدي وظيفة التقييد في البنية الدلالية، باستثناء أسماء النواسخ، إذ لا تُعدّ من قبيل الزيادات النحوية أو الدلالية، أو المكونات الأساسية في العملية الإسنادية. وعليه، فإنَّ كل ما يضاف إلى المسند أو المسند إليه لا يُعد بالضرورة من المقيَّدات التي تضطلع بوظيفة الزيادة النحوية والدلالية. فبعض العناصر، كألفاظ العدد

والأسوار[1]، لا تندرج ضمن المقيّدات الحقيقية؛ لأنَّها تفتقر إلى خاصية جوهرية في المقيّدات، وهي الإحالة والتقييد الدلالي (المتوكل، 1995: 402). فالمعنى لا يتحدد بالعدد ذاته، وإنَّما بالاسم المصاحب له، كما في (ثلاثين دينارًا)، حيث يُعد (دينارًا) هو المقيد الحقيقي، لا العدد.

وقد ذهب المتوكل إلى تصنيف العدد والأسوار ضمن ما يُعرف بالمقيِّدات السطحية، غير أنَّ هذا التصنيف لا يندرج ضمن نطاق المعالجة التي نعتمدها، إذ إنَّ هذه العناصر لا تُسهم في تغيير مسار الحكم أو توصيف شرط من الشروط القانونية، ولا تغيّر من مسار الدلالة في النصوص التشريعية.

أولاً: المقيِّدات المفعولية في النصوص القانونية

تُعدّ المفاعيل، بوصفها مقيِّدات غير إسنادية في النصوص القانونية، وسيلةً لنقل الذهن من التجريد إلى التشخيص لدى طرفي الخطاب (المنتِج والمتلقّي). وتُسهم هذه الانتقالة الذهنية في تحقيق الوضوح والبيان، مؤكّدةً حضور القيد الذي يُراد به تخصيص الكلام وإزالة اللَّبس، إذ تتخذ المقيِّدات اللغوية "بعدًا نحويًا تداوليًا فكل تخصيص في الإسناد يعني دخول موجّه للمعنى يفهم حسب المقام بناء على تأويل السامع، إذ يعد كل مخصص للإسناد قيدا تركيبيا.. فالمفاعيل قيود تتسلط على الإسناد الفعلي وتوجه تأويل المتكلم" (العمري، 2014: 39-38)، وأنَّ" العلاقة بين العامل والمعمول يتدخل فيها القيد بتوجيه الدلالة وتحديد مضمون الجملة كلما

(1) تعرف الأسوار بأنَّها: "ضربًا من العوامل التي تربط المتغيرات فتسمى متغيرات مربوطة مقابل المتغيرات الحرة، أو غير المربوطة... وقد تكون هذه المتغيرات موضوعات (أي أسماء دالة على الذوات أو محمولات مشتقات" (المبخوت، 2009: 85).

اضطلع ضمن البنية الاعرابية بدور التخصيص والخروج من مطلق الدلالة إلى خاصتها وعلى هذا المنوال تكون المفاعيل جميعها قيودا" (العمري، 2014: 48)' إذ تشتغل المقيِّدات اللغوية على إبانة المعنى، بوصفها قرائن تُضاف إلى المطلق فتُقيّده وتُلغي عمومه. وتتمثّل هذه المقيِّدات في المفاعيل ونحوها من متمّمات الكلام، كالنعت والجار والمجرور. فالجملة تتكوَّن من المسند والمسند إليه، وما يَرد بعد ذلك يُعدّ من عناصر التقييد (البصير، 2019، ينظر: 224).

1- وظيفة المفعول به في تقييد النصوص القانونية

يُعدّ المفعول به أحد صُوَر التقييد؛ إذ يُصنَّف ضمن الزيادة النحوية والدلالية الخارجة عن عملية الإسناد. وقد بيَّن ابن عصفور اشتغاله التقييدي بقوله: "المفعول به هو كل فضلة انتصبت عن تمام الكلام، يصلح وقوعها في جواب من قال: بأيّ شيء وقع الفعل؟ أن يكون على طريقة ما يصلح ذلك فيه" (ابن عصفور: ج449/2)

وقد حمَلَ المفعول به في النصوص القانونية صورةَ القيد في مواضع متعددة، تبعًا لتعدد الأغراض التي تُسنّ من أجلها أحكام المشرِّع. ويقوم تحليل القيد في النصوص القانونية على مبدأين اثنين: أحدهما شكلي، يتّصل بوسم اللفظ، والآخر دلالي، يرتبط بالفهم والتأويل؛ أي بتحليل القيد من حيث بنيته اللغوية ومعناه الدلالي، الذي يُؤثّر في إنتاج الأحكام والأوامر في النصوص القانونية. ونص المشرِّع على ذلك في قانون العقوبات العراقي: ((يجوز للمحكمة عند إصدارها حكما على شخص في جناية أو جنحة ضد النفس أو ضد الآداب العامة أن تلزم المحكوم عليه وقت إصدار الحكم بالإدانة أن يحرر تعهدا بحسن السلوك)) (حياوي،2010: المادة: 119/ 51)

يتناول النص القانوني بناءً لغويًا دقيقًا يُعبِّر عن مضمون تشريعي تنظيمي، يُحدِّد من خلاله المشرِّع صلاحيات المحكمة في حالات محددة. ومن أبرز مكونات هذا البناء: المفعول به، الذي يُعدّ عنصرًا مقيدًا محوريًا في تحقيق المعنى الدلالي والقانوني. في هذا السياق، يبرز اللفظ "حُكمًا" مفعول به مقيد، يوضح الحدث المتعلق به ويمنع التَّوهُّم في ذهن المتلقي (عبد اللطيف:140). فالمقصود بـ"الحكم" هنا ليس مطلق القرار القضائي، بل القرار الذي يتضمن الإدانة تحديدًا، كما دل على ذلك قول المشرِّع: "وقت إصدار الحكم بالإدانة"، ما يضفي عليه قيدًا دلاليًا يخرج به من المعنى العام إلى المعنى الخاص. يؤدي التقييد وظيفة تفسيرية وتشريعية، كما يوضح أنَّ الحكم قد يتضمن التزامًا إضافيًا، ينبغي على المحكوم عليه إدراكه، ما يجعل المفعول به عنصراً تفسيرياً موجهاً للخطاب القانوني. فمن الناحية النحوية، يُلاحظ أنَّ الجملة القانونية غالبًا ما تتكوّن من فعل وفاعل ومفعول به، والمفعول به هنا "حكمًا" لا يأتي مجرد مكمل للفعل، بل هو عنصر رئيس يحقق المعنى من خلال ارتباطه السياقي والنحوي بالفعل "يجوز". وبهذا، فإنَّ التركيب "يجوز للمحكمة إصدار حكم بالإدانة" يقيّد الحدث (الإصدار) بشكله ومضمونه. ويُفيد هذا القيد أنَّ الذي يجوز له الحكم بالإدانة هو المحكمة فقط، دون غيرها، ما يجعل للمفعول به وظيفة حصرية في النص. وهذا يتسق مع القواعد النحوية التي تجعل للمفعول به وظيفة في تقييد الفعل وتخصيصه، أي تحقيق المفعولية وليس ما كان فاعلا في المعنى (ابن عصفور ينظر:ج449/2)، خلافًا لما ذهب إليه ابن عصفور، الذي ربط تحقق المفعولية بتعدي الفعل ولزومه (الزمخشري: ج1/ 58)، في حين أنَّ النص القانوني يثبت أنَّ المفعول به قد يُفهم من خلال المقصد الدلالي والبناء المفاهيمي، لا مجرد التعدي النحوي. وبناء عليه، فإن تقديم المفعول

به في التحليل يسلط الضوء على مدى تأثيره في تحديد معنى النص القانوني وتوجيه فهم المخاطَب الرئيس (القاضي أو الجهة القضائية)، وكذلك المخاطب الثانوي (المواطن أو المحكوم عليه)، من خلال ترتيب نحوي مفاهيمي دقيق يُسهم في ضبط الفهم القانوني للنصوص القضائية، وضبط الفهم هو النتيجة التي نسعى لها من خلال توظّيف المقيّدات. وفي نصٍ من القانون المدني العراقي:((تُعتبر أموالاً عامةً العقاراتُ والمنقولاتُ التي للدولة أو للأشخاص المعنوية، والتي تكون مخصصةً لمنفعة عامة بالفعل أو بمقتضى القانون)). (حياوي،2011: المادة 19/71)

انتخب المشرّع المفعول به "أموالًا" لتقييد دلالة النص، ثم ألحقه بلفظة عامة تقييدًا من أن يُفهم النص على غير المقصود، أيّ أن تُفهم العبارة على أنَّها تشمل غير "الأموال". ويُقصد بـ"الأموال" هنا الأموال العامة التي تتوافر فيها شروط الملكية العامة والتخصيص، لا مطلق الأموال. وقد قدّم المشرّع المفعول به المقيد "أموالًا عامة" لما تحمله هذه العبارة من أهمية دلالية، فهي تحمل معلومات جوهرية في النص القانوني، إذ تُعد الخيارات النظمية التي تتيحها اللغة وسيلة فعّالة يمكّن من خلالها المتكلم من انتقاء البنية التركيبية الأنسب لتحقيق مقاصده التخاطبية والدلالية. ومن بين هذه الخيارات الشائعة، يبرز البناء للمجهول باعتباره مسلكًا نظميًا يُوظّف في ضوء مبدأي التبئير والعدول الكمي، إذ يُلجأ إليه عندما يكون الهدف هو تسليط الضوء على المفعول به بجعله نائبًا للفاعل بعد حذف الفاعل، وهو ما يمثّل عدولًا عن الأصل التركيبي المألوف. ويرتبط هذا العدول في الغالب بمسوغات تخاطبية تتصل بسياق الخطاب، مثل تغييب الفاعل لعدم أهميته أو لرغبة المتكلم في إبراز الحدث أو المتأثر به(يونس ينظر: 110). وفي هذا السياق يظهر توظِّيف المشرِّع لهذا المسلك النحوي في تقديمه

لعبارة "أموالًا عامة" على الفاعل داخل إحدى الصيغ القانونية، في إجراء عدولي مقصود يستهدف إبراز البُعد الدلالي لتلك العبارة، نظرًا لما تحمله من مركزية مفهومية داخل النص القانوني. ومن ثمّ، فإنَّ هذه التراكيب لا تُفهم بوصفها أنماطًا نحوية معزولة، بل بوصفها أدوات خطابية تترجم وعيًا وظيفيًا ببنية اللغة وعلاقتها بمقاصد المتكلمين. ويُعدّ أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب المقصودة التي يعتمدها المشرِّع لتوجيه ذهن المتلقي مباشرة نحو الصفة القانونية للمال، ومنع أي تأويل يؤدي إلى فهم غير صحيح، أو إلى صرف الذهن نحو أموال غير محددة أو لا تدخل ضمن نطاق النص. ويُلاحظ أن تقييد "أموالًا" في السياق يحمل دلالة التضمّن، وهي دلالة اللفظ على جزء مما وُضع له، فالأموال تتضمن العقارات والمنقولات المملوكة للدولة (الجرجاني:92). وفي نصٍ من قانون العقوبات العراقي: ((يُعدُّ شريكا في الجريمة، من حرض على ارتكابها فوقعت بناء على هذا التحريض...)). (حياوي، 2010: المادة 24/48).

يحتمل النص نمطين من التحليل:

الأول على مستوى المقيِّدات غير الإسنادية، والمتمثلة في المفعول به "شريكًا" المتقدّم على الفاعل. ما يقوم به المشرِّع عند بناء النص القانوني من عمليات التقديم والتأخير، هو رهين بمراعاة الموقف الكلامي، وأحوال المتلقي النفسية التي تؤثر في شكل النص (البنية).

فنلحظ في هذا النص ورود المفعول به المقيد "شريكًا" متقدمًا في الرتبة على نائب الفاعل[1] والفعل "يُعدّ"، وهي، من منظور اشتغال الدرس الوظيفي، حالة يُعدّ فيها المفعول به المتقدم (شريكًا) عنصرًا متوسطًا بين

(1) (من ارتكبها، من ساهم، من دفع) اسم موصول بمعنى الذي بمحل رفع نائب فاعل.

الفعل ونائب الفاعل (المحور والبؤرة) (المتوكل،2007، ينظر:72). وتُعدّ هذه آلية منظمة في بناء النص القانوني اتبعها المشرِّع لأهمية تقديم المقيد "شريكًا" لرفع التَّوهُّم، فأصبح مدار الحديث، وتركّزت عناية المشرِّع على وظيفة المقيد ورتبته. وبذلك يتحقق حضور القيد في البنية والدلالة في الدرس اللساني الوظيفي.

أما الثاني فيتعلق بمستوى الإسناد؛ إذ ترد صلة الموصول "من حرّض على ارتكابها" في محل رفع نائب فاعل للفعل "يُعدّ"، وتُعدّ هذه الصلة المقيد الثاني في النص. وهنا يتضح تفاعل المقِّيدات بين ما هو داخل الإسناد (المقيد الإسنادي)، وما هو خارجه (المقيد الواقع في الحكم)، ويُعبّر عن ذلك من خلال العبارة المرتبطة بالإسناد، وهي المفعول به "شريكًا"، والمقيد الإسنادي الذي يؤدي وظيفة نائب الفاعل.

وعليه، يمكن تصنيف المقيِّدات في النص إلى نوعين:

1- "شريكًا": وهو مقيد خارج الإسناد، يقع ضمن الحكم (يُعدّ شريكًا في الجريمة).

2- "من حرّض على ارتكابها": وهو مقيد إسنادي يعلل وجود المقيد الأول (شريكًا).

نستخلص أنَّ المقيِّدات في النص تؤدي وظيفة تكاملية، فقد تتفاعل بين مستويين: مستوى الإسناد وخارج الإسناد، لتشكيل المعنى الكامل في السياق القانوني، أو النحوي.

2- وظيفة المفعول المطلق في تقييد النصوص القانونية

يُعرِّف ابن هشام المفعول المطلق بأنَّه: "اسم يُؤكِّد عامله، أو يُبيِّن نوعه، أو عدده، وليس خبرًا ولا حالًا" (الازهري،2000، ج1/ 490). ويخدم هذا التعريف المعنى الوظيفي للمفعول المطلق؛ إذ يوجّه الانتباه إلى نية المتكلّم،

ويكشف عن الغرض الذي يسعى إلى إيصاله، سواء أكان ذلك بتأكيد الحدث، أم بتبيين نوعه، أما من حيث بنية - المفعول المطلق- فيقول الزمخشري: "المفعول المطلق هو المصدر، وسُمي بذلك لأن الفعل يصدر عنه" (الزمخشري، 31) وهذا التعريف يُظهر العلاقة الاشتقاقية بين الفعل والمصدر، ويؤكد أنَّ المفعول المطلق يحمل جوهر الحدث في ذاته. ويذهب تمام حسان إلى إدراج جميع أنواع المفعول المطلق تحت مفهومين أساسيين: "التحديد والتوكيد" (حسان، 2006: 194)، و"التحديد" هو المسار الأساسي الذي تعمل فيه المقيدات (كالمفاعيل)، فقد تؤدي وظيفة ضبط دلالة الحدث وتقييده بمقاصد المتكلم؛ إذ يستثمر بعناية لتحديد طبيعة وشكل الفعل في النصوص القانونية، وله قوة دلالية دقيقة، فهو ليس عنصرًا نحويًا، بل أداة تقييد تشريعية لضبط المعنى وتحديد متى يُطبق الحكم، إذن هو وحدة من المقيِّدات اللغوية التي تُقيد الإطلاق، ويحدد إرادة المشرِّع في السياق. واستعمل المشرِّع ذلك في القانون المدني العراقي الذي نصه: ((لا يجوز للمالك أن يتصرف في ملكه تصرفا مضرا بالجار ضررا فاحشا، والضرر الفاحش يزال سواء كان حادثا أو قديما)). (حياوي 2011: المادة 221/1051).

يُشكّل القيد[1] "تصرفًا" قيدًا نوعيًا على الحكم؛ إذ يُقيّد ويُحدّد نوع الحدث الممنوع. فالقيد لا يمنع المالك من حيث ذاته، بل يمنع نوعًا محددًا من

(1) اشتمل النص على عدة مقيّدات، من أبرزها: "في ملكه"، وهو ظرف مكان يُحدِّد نطاق التصرف ويُقيّده ضمن حدود الملكية الخاصة، و"مضِرًّا"، وهي صفة تُبيِّن أن المنع ليس مطلقًا؛ بل مقصور على التصرفات التي يترتب عليها ضرر. وستُبسط هذه المقيّدات وتحليل دلالاتها في مواضع متفرقة من الأطروحة، كلٌّ في السياق المناسب له.

أفعاله، وهو التصرف الضار. وبذلك، يرتبط الحكم بالفعل لا بالفاعل، أيَّ أنَّ المانع لا يتعلق بالشخص، بل بطبيعة التصرف الصادر عنه. وهذا القيد يُعدّ جوهريًا؛ لإنَّه يحدد مجال حرية المالك في التصرف، ويُخرجها من الإطلاق إلى التقييد؛ فحتى وإن كان مالكًا، لا يمتلك حرية مطلقة في التصرف؛ بل يجب أن تظل أفعاله ضمن حدود لا تضر بالغير. ومن ثَمَّ، فإن وظيفة القيد هنا - كما أرادها المشرِّع - هي ضبط طبيعة الفعل المباح ورسم حدود التصرف المقبول، وهو ما يُعدّ بمثابة "تشخيص تشريعي" لطبيعة العلاقة بين المالك وملكه. أما من حيث التركيب النحوي، فإنَّ استعمال المفعول المطلق في "تصرفًا" له دلالة خاصة؛ فهو لا يُستعمل هنا على سبيل التوكيد أو التكرار فحسب، بل لتحديد نوع الحدث وتقييده، الأمر الذي يُعدّ من أبلغ أساليب الحصر اللغوي. فالمفعول المطلق يزيل اللَّبس ويمنع تعدد الاحتمالات الذهنية، ويعمل بوصفه قرينة لغوية تضبط المعنى وتُقيّد هيئة الحدث أو حاله (الجزائري،2008:ينظر260). وفي عينة من القانون المدني العراقي: ((إذا لم يتيسر للمحكمة أن تحدد مقدار التعويض تحديدا كافيا فلها أن تحتفظ للمتضمن بالحق في أن يطالب خلال مدة معقولة بإعادة النظر في التقدير)). (حياوي،2011: المادة49/208).

المفعول المطلق المُقيّد "تحديدًا" يُستعمل لبيان نوع الفعل المطلوب بدرجة كافية من الدقة، وهو التحديد الذي يحقق الغاية القانونية أو القضائية المرجوة من حيث الدقة والعدالة. وتكّمن وظيفته التشريعية في تقييد سلطة المحكمة، إذ يفرض معيارًا موضوعيًا لكفاية التحديد، ويعمل أداةَ تقييدٍ وضمانٍ لحقوق المتضرر، ويمنع التقدير المطلق أو التعميم غير المبرر. إن استعمال "تحديدًا" يُشير إلى وجود توقع لمنهجية قضائية دقيقة تقف وراء هذا التقدير. ولما كان المفعول المطلق يُعد قرينة متفرعة من قرائن

التخصيص الكبرى (المفاعيل) (حسان، 2006، 195)، فإن تقييده يؤدي وظيفة محورية في توجيه الحكم وضبط المعنى، ليخدم بذلك النظام القانوني بروح منضبطة ومحددة.

1- وظيفة المفعول له (لأجله) في تقييد النصوص القانونية

ويُعرّف المفعول لأجله بأنَّه "الاسم المنتصب بالفعل الذي قبله، وإنما تذكره ليعرف الغرض من أجله فعلت ذلك الفعل، فهو جواب: لِمَ" (الجرجاني، 1982: ج1/ 665)، وظيفته النحوية بيان علة وقوع الحدث ويفسر الدافع للقيام بالفعل ويؤتى به لتوضيح الإبهام المحرك للفعل، ومن أجل اقصاء تعدد الأسباب في ذهن المخاطَب، و"هو المصدر الفضلة المعلل لحدث شاركه في الزمان والفاعل كقمتُ إجلالا لك" (ابن هشام،2001: 253).

ونص المشرع ذلك في قانون العقوبات العراقي:

((إذا ارتكب شخص جناية أو جنحة إخلالا بواجبات مهنته أو حرفته أو نشاطه وحكم عليه من أجلها بعقوبة للحرية وحكم عليه من أجلها بعقوبة للحرية لا تقل مدتها ستة أشهر جاز للمحكمة وقت إصدار الحكم بالإدانة أن تحظر عليه ممارسة عمله مدة لا تزيد على سنة فإذا عاد إلى مثل جريمته خلال الخمس سنوات التالية لصدور الحكم النهائي بالحظر جاز للمحكمة أن تأمر بالحظر مدة لا تزيد على ثلاث سنوات)) (حياوي،2010: المادة: 49/114).

وردت لفظة "إخلالًا" في هذا النص في موضع خلافي من حيث رتبتها في بناء التركيب، وقد أدّى هذا الخلاف إلى تنوّع محتمل في معناها الوظيفي داخل الجملة. إلا أنَّ موقعها في السياق يرجّح إعرابها مفعولًا لأجله، وهو ما يراه الباحث أقرب إلى دلالتها من حيث التأويل والتفسير القانوني، فـ" التأويل الدلالي يُعدّ نظامًا ذا طابع لساني معقّد، إذ يُطلَب منه، في كل خطوة

إجرائية، أن يُبرهن ويستدلّ على قراره التأويلي" (سرحان،2012: 24) . ويكّمن تأويل تفكير المشرِّع، في هذا السياق، في تحديد علّة وقوع الجريمة والدافع المحرّك للفعل، ما يجعل الفعل مقصودًا وموجّهًا نحو غاية. وتكّمن الغاية من تحليل المقيَّد وتفكيك شفرة حضوره في النص القانوني في محاولة الإمساك بالمعنى الدلالي الذي" يُفهم من المواضعات اللغوية، في حين أنَّه لابد لاستنباط المقاصد من الوقوف على القرائن اللفظية والمعنوية والاستعانة بالقدرات الاستنتاجية والتأمل في الأصول التخاطبية" (يونس،2016: 92). أما آلية التحقق والاستنتاج المتّبعة في هذه العيّنة، فتعتمد على ترجيح أيٍّ من الاحتمالات أقرب إلى دلالة اللفظة، وهو ما يُعدّ من سمات البحث العلمي؛ إذ يُنظر إلى مواضع الخلاف باعتبارها مساحات للنقاش والتأويل. ويطرح هذا النص، في ضوء ذلك، مسألة احتمالية حضور القيد، غير أنَّ هذا الحضور قد حقّق القصد بكل أبعاده النحوية والدلالية، مما يدلّ على عمق التعالُق بين القيد وبنية النص ومعناه في النصوص القانونية. وفي عينة أخرى من قانون العقوبات العراقي الذي نصه :((تبدأ مدة العقوبة المقيدة للحرية من اليوم الذي أودع فيه المحكوم السجن تنفيذا للعقوبة المحكوم بها عليه، على أن تنزل من مدتها المدة التي قضاها في التوقيف عن الجريمة المحكوم بها))(حياوي،2010: المادة38/90).

(تنفيذًا) مفعولًا لأجله، يُقيّد سريان العقوبة بزمنٍ مرتبط بحُكم قضائي نافذ، وهو أمرٌ جوهري في تحديد مدة العقوبة وضمان احترام مبدأ الشرعية القانونية والإجرائية. فلا يُحتسب الإيداع ما لم يكن تنفيذًا لحكم قضائي بالعقوبة. وهكذا، يُقيَّد الفعل (أودِع) بظرف دلالي يربطه بأصله القانوني، أي بالعقوبة المحكوم بها. فسبب وقوع الفعل هو تنفيذ العقوبة، ومن هنا،

يوضّح المفعول لأجله (تنفيذًا) العلة التي من أجلها وقع الفعل، ويُبرز العلاقة السببية بين الإيداع والعقوبة.

4- وظيفة المفعول فيه في تقييد النصوص القانونية

المفعول فيه عنصر نحوي يؤتى به لتحديد زمن وقوع الحدث ومكانه وهو قيد يتسلط على معنى الفعل، إذ ينتخب المشرِّع القيد (المفعول فيه) لأداء دلالة جديدة في النص. واستعمل المشرِّع ذلك في القانون المدني العراقي الذي نصه: ((يُقاضى العراقي أمام محاكم العراق عما ترتب في ذمته من حقوق حتى ما نشأ منها في الخارج)) (حياوي،2011: المادة5/14).

إنَّ القيد "أمام" يُقيِّد الفعل القانوني" يُقاضى" بالمؤسسة القضائية، ويُعدّ ركنًا أساسيًا في المعنى القانوني؛ إذ بدونه يفقد النص قيدَ تحديد الجهة المناط بها مهام المُقاضاة. وقد ورد القيد "أمام" في سياق نصٍّ مبنيٍّ للمجهول، وهي استراتيجية يعتمدها المُشرِّع للتركيز على القاعدة القانونية دون إظهار الطرف الذي يُقيم الدعوى، مما يعكس حيادًا نصّيًا. ويحمل القيد "أمام" بُعدًا وظيفيًا قانونيًا، إذ تُحدَّد من خلاله الجهة القضائية المختصّة، لا الموقع المكاني فحسب. أما جملة "محاكم العراق" المرتبطة بالقيد، فتمثّل الجهة القضائية المُخوَّلة، وتُقيِّد جملة "أمام محاكم العراق" الانعقاد القضائي وصلاحية الدولة تجاه الأجنبي، أي الجهة التي يُرفع أمامها النِّزاع. وبناءً عليه، نستنتج أنَّ ظاهر اللفظ يشير إلى حضور المتهم أمام المحكمة، غير أنَّ القيد "أمام" في هذا السياق يُعبِّر عن حضور ملفّ القضيّة ومتابعتها قانونيًا ضمن نطاق المحكمة العراقية، ووفقًا للقوانين والإجراءات المعمول بها فظرف المكان "أمام" يرتبط بمقصد المُشرِّع المتمثّل في تنظيم حضور المواطن العراقي أمام القضاء. فإنّ قيد الظرف لا يتعلّق بالبنية الإعرابية للنصّ فحسب، بل يتوجّه إلى مقصد المُشرِّع ومعناه. وبذلك، يكون المعنى

هو المجال الذي يعمل فيه القيد، إذ يتوجّه نحو الدلالة القانونية للنصّ، لا إلى تركيبه النحوي فقط. وتتطلب اللغة القانونية دقة في التعبير، وصرامة في التأويل، وتحديد في الوظائف. ومن هذا المنطلق، يصبح من الضروري استحضار المقاربات اللسانية الوظيفية في تحليل المقيّدات اللغوية في النصوص القانونية، ولا سيما نظرية أحمد المتوكل التي تميّز بين مستويات متعددة في بناء المعنى، ابتداءً من البنية الحملية وانتهاءً بالبنية التداولية للنص يقول المتوكل "يتم بناء البنية الوظيفية للجملة بواسطة قواعد إسناد الوظائف التي تتخذ دخلاً لها البنية الحملية... وتُستند بواسطة قواعد إسناد الوظائف التركيبية أولاً، ثم الوظائف التداولية؛ بأنَّ ثمة وظائف تداولية تستند بالدرجة الأولى إلى مكونات حاملة لوظائف تركيبية معينة" (المتوكل،1985: 15). في تحليل النص من منظور وظيفي ننطلق من البنية الحملية (أي المعنى العام للفعل والمحمول)، ثم نسند الوظائف التركيبية، ومنها ننتقل إلى الوظائف التداولية بحسب المقام. أيّ نبدأ من البنية التركيبية (ظرف "أمام"). ثم يُبيّن كيف أُسندت له وظيفة تداولية تتعلق بالقانون والمقصد التشريعي. فيُفهم القيد في ضوء السياق القانوني وليس فقط في ضوء النحو. يُظهر تحليل القيد "أمام" في السياق القانوني مدى تعقيد النصوص القانونية وعمقها الدلالي، كما يُبرز أهمية المقاربات اللسانية الحديثة، وعلى رأسها نظرية أحمد المتوكل، في تفكيك هذا التعقيد وكشف البُنى الخفية التي تُسند للمكوّنات اللغوية وظائف تتجاوز معناها الظاهري. فالبنية الوظيفية للنصوص، خاصة القانونية منها، لا يمكن أن تُفهم إلا في ضوء تفاعل المستويات التركيبية والدلالية والتداولية. وفي عينة من قانون العقوبات العرقي نص المشرِّع: ((يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس والغرامة، من طار فوق مناطق من إقليم الجمهورية على خلاف

الحظـر الصـادر فـي شـأنها مـن السـلطات المختصـة)) (حيـاوي،2010: المادة78/181).

ورد في النص المُقيَّد المكاني "فوق"، وهو يُقيِّد الفعل "طار"، أي يُقيد مكان الفعل المادّي المتمثّل في التحليق الجوّي. وقد ارتبط هذا المُقيَّد بتركيب "مناطق من إقليم الجمهورية"، وهي تركيب صِلة الموصول إذ تُشكِّل تركيبًا وصفيًّا متّصلًا بالفعل "طار"، توضح المُقيَّد وتفصيلاته. إنّ المُقيَّد "فوق"، وما ارتبط به من وصف، يُقيِّد مكان ارتكاب الفعل، ويُشكِّل قيدًا على فعل الطيران، وذلك بهدف تحديد المساحات المحظور التحليق فوقها من قبل الجهات المختصّة، مثل وزارتي الدفاع والداخلية. وهنا، يتوجّه القيد إلى الفرض القانوني لا إلى الحُكم، إذ إنّ الحُكم قد ورد بوصفه معلومة جديدة مُقدَّمة في النص. ويُعدّ هذا الترتيب في تقديم المعلومات آليّة استدلاليّة في بنية النص القانوني، فقد جمع المُشرِّع بين الفرض والحُكم في إطار لغوي دقيق يخدم المقصد التشريعي. أنّ تفسير أيَّ نص، بما في ذلك النص القانوني، يعتمد على فهم العلاقة بين البنية النحوية واختيار الكلمات، وفق قواعد دقيقة. وهذه القواعد هي التي تجعل النص القانونيّ واضحًا، وملزمًا، وقابلًا للتفسير القضائي، وهذه هي الكفاية اللغوية التي لا غنى عنها لفهم أو تطبيق القانون (عبد اللطيف،2017ينظر:49-50)؛ لأنَّ القاضي أو المحامي أو المشرِّع الذي لا يملك هذه الكفاية لن يستطيع فهم النصوص أو تفسيرها تفسيرًا صحيحًا.

ثانيا: المقيّدات الظرفية في النصوص القانونيّة

1- مقيِّدات زمانية

تُسخَّر مداخل الصياغة القانونية لتحقيق وظيفة الزمن، إذ يُعد عنصرًا مهمًا في بناء النص القانوني. وقد شغلت ظروف الزمان، بوصفها قيدًا، حيّزًا بارزًا في تشكيل بنية هذا النص، بأدائها لوظيفتها النحوية والدلالية. فالنص القانوني يتسم بلغة ذات وظائف نفعية وتواصلية، وتتصل دلالة ظرف الزمان بدلالة النص نفسه وبسياق استعماله. وغالبًا ما ترد هذه الظروف في صيغ أسماء منصوبة تؤدي وظيفة التقييد، مثل: الآن، واليوم، وبعد سنة، ومنذ يومين، وأمس، وغيرها مما يندرج ضمن التخصيص الزمني باستعمال الأسماء أو ما يؤدي دورها(حسان،2006ينظر:257).

إنّ بيان الزمن وتحديده في النصوص القانونية له أثر بالغ في توضيح الدلالة وإزالة ما قد يكتنف الكلام من لبس أو إبهام، مما يعزز من دقة الفهم وسلامة التطبيق سنتتبع ذلك من خلال فحص العينات القانونية واستلال الألفاظ التي وردت مقيّدات ظرفية منصوبة. ونص المشرِّع ذلك في قانون العقوبات العراقي:((يسري على الجرائم القانون النافذ وقت ارتكابها ويرجع في تحديد وقت ارتكاب الجريمة إلى الوقت الذي تمت فيه أفعال تنفيذها دون النظر إلى وقت تحقق نتيجتها)). (حياوي،2010المادة 6/2)

تؤثر الحركة الزمانية تأثيرًا مباشرًا في البنية اللغوية للنص القانوني وفي دلالته. وبما أن تفسير النص القانوني والكشف عن معانيه ومحتواه الدلالي يُوكل إلى البحث في مجموع العلاقات القائمة ضمن نسيجه وبين وحداته اللسانية، فإنَّ المشرِّع في هذا السياق يُولي عناية خاصة بالمُقيَّد الزماني، ويعمد إلى التكرار بهدف حصر المعنى القانوني للحكم وتأكيده. فالقيد في

هذا النص يتجه نحو الحكم، ويتجلَّى ذلك باستعمال الظرف "وقت" في عبارتي: "وقت ارتكابها" و" الوقت الذي تمّت فيه". وهنا يُربَط تنفيذ الحكم باللحظة التي ارتُكبت فيها الجريمة، لا بوقت تحقق النتيجة أو انتهاء الفعل الإجرامي، سواء كانت أفعالًا مادية أو نفسية، والمُقيِّد الظرفي الثاني "الوقت الذي تمّت فيه" هو عبارة مُقيَّدة، وبنيتها النحوية تتكوَّن من:

"الوقت": مُقيِّد، وهو ظرف زمان.

"الذي": اسم موصول مضاف إلى المُقيَّد.

"تمّت": فعل يدلّ على انتهاء الأفعال التنفيذية للجريمة.

وبناءً على ذلك، فإنَّ عبارة "الوقت الذي تمّت فيه" تعني: الزمن الذي وقع فيه تنفيذ الفعل الإجرامي. فالقيد "الوقت" وعبارته يُقيِّدان وقت الارتكاب، أي الزمن المرجعي لتطبيق القانون. وهذا الزمن يُعدّ أساسًا لتحديد ما إذا كان الفعل يُعدّ جريمةً وفقًا للقانون الساري في ذلك الوقت، ومن المنظور اللساني، تُشير العبارة إلى لحظة وقوع الفعل التنفيذي للجريمة، أي إلى لحظة زمنية محدَّدة يُبنى عليها التوصيف القانوني للفعل، وبناءً على ذلك، يُحاكم المتهم على وفق القانون النافذ في وقت ارتكاب الجريمة، لا بموجب قانون سابق كان معمولًا به، ولا بقانون لاحق شُرِّع بعد وقوعها. وبهذا يكون القيد الزماني قد اشتغل بدقة بالغة، محددًا المدة الزمنية التي يُطبَّق فيها الحكم القانوني، بما يعكس دقة المشرّع في تنظيم العلاقة بين الفعل الإجرامي وسريان القاعدة القانونية. وفي عينة من القانون المدني العراقي الذي نصه:((ينتهي الحجر بحكم تصدره محكمة البداءة[1] بناء على

(1) تُعرَّف محكمة البداءة :"هي إحدى درجات المحاكم في النظام القضائي، وتُعرف بأنها المحكمة التي تنظر في الدعاوى لأول مرة، أي أنها محكمة "الدرجة الأولى"،

طلب كل ذي شأن في الحلات الآتية، متى ثبت أن ديون المدين أصبحت لا تزيد على أمواله)) (حياوي،2011 المادة 66/278-67).

"متى" حينما ترد في النص القانوني تُعد مقيِّدًا زمانيًّا، وهي اسم شرط غير جازم، مبني في محل ظرف زمان (الزمخشري، ينظر: ج135/3).وتُستعمل لبيان زمن وقوع الحدث، لذا تُصنَّف على أنَّها اسم شرط ظرفي. وظيفتها في السياق القانوني لا تقتصر على تحديد الزمن فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى ربط تحقق الأثر القانوني بحدوث واقعة معينة، أي أنَّها تؤدي دورًا مزدوجًا: زمنيًا وشرطيًا، فهي تُقيّد زمن تطبيق الحكم بتحقق شرط محدد سلفًا، ما يعكس دقة المشرّع في تنظيم العلاقة بين الواقعة القانونية وزمن ترتب آثارها.

وردت "متى" في النص القانوني مقيِّد زمني يُفيد تعلق الأثر القانوني بتحقق واقعة معينة، فهي لا تُقيِّد الزمن بحد ذاته، بل تربط تحقق الأثر القانوني بوقوع هذه الواقعة. يعتمد النص القانوني هنا على تحقيق الواقعة، حيث تُستعمل "متى" لربط الشرط بالنتيجة. فالشرط هو ثبوت أنَّ الديون لا تزيد على الأموال، أما النتيجة فهي انتهاء الحجر. وعليه، فإن "متى" تُعد أداة تقييد تُعبّر عن تحقق الشرط في وقت معين، وبذلك تُصنَّف ضمن مقيدات الشرط الزمني؛ لأنّها لا تحدد الزمن بصورة مباشرة، بل تربط وقوع الأثر القانوني بتحقق شرط زمني محدد.

2- مقيّدات مكانية

تُسهم ظروف المكان في توضيح معنى العلاقة الإسنادية (حسان،2006ينظر:260)؛ إذ تؤدي وظيفة مهمة في تعزيز فاعلية التواصل.

حيث تُقدَّم أمامها القضايا ابتداءً قبل أن تُعرض على محكمة الاستئناف أو التمييز (النقض) إن طعن أحد الأطراف في الحكم".

واستعمل المشرِّع ذلك في قانون العقوبات العراقي الذي نصه: ((يشمل الاختصاص الإقليمي للعراق أراضي جمهورية العراق وكل مكان يخضع لسيادته بما في ذلك المياه الإقليمية والفضاء الجوي الذي يعلوه وكذلك الأراضي الأجنبية التي يحتلها الجيش العراقي بالنسبة إلى الجرائم التي تمس الجيش أو مصالحه وتخضع السفن والطائرات العراقية لاختصاص جمهورية العراقي الإقليمي أينما وجدت)) (حياوي،2010: المادة8/7).

" أين" اسم شرط جازم يدل على المكان (ابن يعيش،2001ينظر: ج134/3)،"أينما" في هذا السياق- النص القانوني- تُعد قيدًا مكانيًا، متصلًا بالفعل "تخضع"، وتُستعمل بأسلوب الشرط لتحديد نطاق تطبيق الحكم. فهي تدل على أن الاختصاص القضائي لا يقتصر على مكان معين، بل يمتد إلى كل مكان توجد فيه الطائرات أو السفن العراقية. وقد وردت "أينما" لتؤدي وظيفة تقييد الحكم وتخصيصه، حيث قيدت النص بمكان وجود هذه الطائرات أو السفن، ما يفيد أنَّ الاختصاص الإقليمي القضائي للعراق لا يقتصر على إقليمه الجغرافي فحسب، بل يشمل أي مكان في العالم توجد فيه وسائط النقل العراقية. هذا التقييد المكاني جاء لتحقيق الشمول الذي قصده المشرّع، إذ لم يشترط أن تكون تلك الطائرات أو السفن داخل حدود العراق، بل جعل مجرد وجودها في أي مكان كافيًا لامتداد الاختصاص القضائي العراقي. ومن هنا، فإن "أينما" جاءت بأسلوب شرط توكيدي، لتعزيز شمول الحكم وتأكيد امتداده المكاني.

نستنتج مما سبق أنّ هناك فرقًا بين "المفعول فيه" (ظرف الزمان أو المكان)، وبين "اسم الشرط الظرفي". فالظرف (المفعول فيه) يُستعمل لتحديد، أو تقييد مكان، أو زمان التنفيذ، أو السريان أو الاختصاص، دون أن يكون

مرتبطًا بشرط. أما اسم الشرط الظرفي، فإنه يُقيد تطبيق الحكم بشرط مكاني أو زماني، أي أنَّ السياق الذي يُستعمل فيه هو سياق شرطي.

ثالثا: مقيّدات أشباه المفعولية في النصوص القانونيّة

يتطلّب إنتاج النص القانوني دقة في التفكير، ووضوحًا ذهنيًا لدى المشرّع عند اختياره القوالب اللغوية التي تحمل المعاني الدلالية. فهذه العملية تستند إلى منظومة مترابطة من الأفكار والتصوّرات المحددة، وتتّسم بالدقة وتخلو من الإبهام؛ إذ إنَّ أشباه المفاعيل تُسهم في تقييد النص من خلال عملها، كما هو الحال مع اشتغال المفاعيل، لكن بمعانٍ أكثر تحديدًا وضبطًا، وتَرِد مقيدات أشباه المفاعيل غالبًا في الحكم لا في الفرض، وذلك؛ لأنَّها ترتبط بالفعل القانوني وتُحدّد تفاصيل الأثر القانوني، وسنتتبع حضور هذه المقيّدات في العينات القانونية.

1- وظيفة التمييز في تقييد النصوص القانونية

يأتي التمييز لرفع الإبهام وتفسّير ما هو مبهم من الذوات، دفعًا للّبس وتعدّد الاحتمالات. وقد عرّفه ابن الحاجب(ت646ه) بقوله: "التمييز ما يرفع الإبهام عن ذات مذكورة أو مقدرة فالأول: عن مفردة مقدار غالبا- إما في عدد نحو: (عشرون درهما) وأما في غيره نحو: (رطل زيتا) .." (ابن الحاجب2010،24)، ويوضح النحويون عمله النحوي وحالته الإعرابية فيقول ابن الضائع (ت680هـ)" فهذا أصله أن يكون فاعلا، فلما أُسند الفعل إلى غيره لفظا، وجيء به بيانا للحقيقة، ولم يمكن رفعه؛ لأنّ الفعل لا يرفع مرفوعين إلا على جهة التبع، وكان له شبه بالمفعول؛ لمجيئه بعد تمام الكلام انتصب على التشبيه بالمفعول به" (ابن الضائع،2016: ج3/ 554).

إنّ إنتاج النص القانوني يقوم على معايير وأساليب تُوجَّه من خلالها المعاني وتُحدَّد الدلالات، كما تُرتَّب هذه المعاني داخل قوالب لغوية دقيقة، وذلك ضمن إطار الأنظمة الفكرية والفرضيات اللسانية التي تميّز النص القانوني، استنادًا إلى أُسسه الفلسفية. وتُعدّ قدرة المشرّع على توظيف التمييز بوصفه مقيدًا في الأحكام الآمرة دليلاً على الترابط بين الفكر الفلسفي للمشرِّع وأدواته اللغوية، مما يستدعي بالضرورة وجود انسجام بين التفكير القانوني والتفكير اللغوي. كما أنّ بلوغ المشرّع فهمًا كافيًا يُمكّنه من اقتناص العناصر النحوية بدقة عالية وتركيز يُعدّ أمرًا جوهريًا، مع ضرورة مراعاة قراءة القيد من حيث بنيته اللغوية ودلالته المعنوية. ونص المشرِّع ذلك في قانون العقوبات العراقي: ((المخالفة هي الجريمة المعاقب عليه بإحدى العقوبتين.....، الغرامة التي لا يزيد مقدارها على ثلاثين دينارًا)) (حياوي،2010:المادة 17/27).

التمييز بكلمة (دينارًا) يُعد قيدًا لغويًا يُحدّد الحد الأقصى للعقوبة المالية، ويُقيد طبيعة الغرامة بأنها مالية وليست من نوع آخر، كالحبس أو العمل لساعات محددة. إنَّ اختيار هذا التمييز بوصفه قيدًا دقيقًا يُعد مثالًا على انسجام الصياغة القانونية مع أُسس التفكير القانوني السليم، حيث يُظهر قدرة المشرِّع على توجيه القارئ القانوني - سواء كان قاضيًا أو محاميًا أو مواطنًا - نحو المعنى المقصود دون غموض. إنَّ النص القانوني يجب أن يكون واضحًا، مباشرًا، وقطعيّ الدلالة، وهو ما يُحقّقه هذا التمييز، إذ يجسّد ما يُعرف بـ(شكلنة الدلالة). ويُقصد بذلك أنَّ المعنى لا يُترك عامًا أو عرضة للتأويلات؛ بل يُقيد بوسائل شكلية، مثل: التحديد العددي، أو النوعي، أو الزمني، أو الشرطي، وذلك لضمان عدم تعدد الفهم أو تفسير النص بطرق مختلفة (العمري،2014: ينظر،97). وهذا التقييد ضروري في النصوص

القانونية؛ لأنَّ الغموض قد يؤدي إلى سوء الفهم أو إلى تأويلات ضارة. لذا، فإنَّ الغاية من المقيّدات هي ضبط المعنى القانوني. وفي عينة من قانون العقوبات العراقي الذي نصه:((وإذا كانت الجريمة معاقبا عليها بالغرامة فقط فتكون مدة الحبس الذي تقضي به المحكمة في حالة عدم دفع الغرامة يوما عن كل خمسين الف دينار على ان لا تزيد مدة الحبس في جميع الأحوال على ستة اشهر)). (حياوي،2010المادة 39/2).

المقيد(يومًا)، من منظور البنية النحوية، تُعد تمييزًا؛ لأنَّها تمييز نسبة، يوضح العلاقة النسبية بين مدة الحبس والمبلغ المالي. فهي ليست مجرد تحديد زمني؛ بل تُعد قيدًا لغويًا يحدّ من السلطة التقديرية للقاضي، ويُسهم في شكلنة الدلالة القانونية. فهذا التمييز يُبيّن أنَّ عدم دفع الغرامة المالية يقابله الحبس بمعدل يوم واحد عن كل خمسين ألف دينار، أي أنَّه يُحوّل العلاقة بين الزمن والمبلغ المالي إلى معادلة صريحة: (الزمن = المبلغ). وعليه، يُمثّل (يومًا) عنصرًا واضحًا في شكلنة المعنى القانوني، من خلال تقييد الدلالة بعد إطلاقها، وإزالة أي غموض أو إبهام. وهذا ما أشار إليه الدكتور تمام حسان في حديثه عن دور التمييز في تقييد المعنى وإزالة اللبس إذ يقول: "لاشك أنَّ الإبهام عموم وأن التقييد تخصيص لهذا العموم، ومادام التفسير يزيل الإبهام فهو تخصيص يزيل العموم" (حسان،199،2006).

2- وظيفة الحال في تقييد النصوص القانونية

الحال من الأسماء الشبيهة بالمفعول، فهو زيادة نحوية ودلالية منصوبة تأتي بعد تمام عملية الإسناد. ويكون الحال منصوبًا دائمًا، ولا علاقة له بالحالة الإعرابية لصاحب الحال؛ كما في قولنا: (جاء زيدٌ منطلقًا)، إذ يُفيد بيان هيئة صاحبه. وهذه الوظيفة تُميز الحال عن بقية المنصوبات، إذ تكمن وظيفته الأساسية في كشف الإبهام وتحديد أحد الاحتمالات المتعددة. وقد اعتنى

النحويون بهذه المسألة وأولوها اهتمامًا خاصًا، ومنهم الرضي الاستراباذي، الذي اعتبر التقييد جزءًا من تعريف الحال ووظيفته الرئيسة. إذ يقول: "المنتقلة جزء كلام يتقيّد بوقت حصول مضمونه، تَعلُّق الحدث الذي في ذلك الكلام بالفاعل أو المفعول أو بما يجري مجراهما" (الاستراباذي، ج8/2). وهذا يعني أنَّ الحال يتسلط على الحدث بوصفه قيدًا زمنيًا أو وصفيًا. ويقول الزمخشري في تعريف الحال: "شُبِّهَت الحال بالمفعول من حيث إنَّها فضلة مثله جاءت بعد مضي الجملة، ولها بالظرف شبه خاص من حيث إنها مفعول فيها، ومجيئها لبيان هيئة الفاعل أو المفعول، وذلك كقولك: (ضربتُ زيدًا قائمًا)، تجعله حالًا من أيّهما شئت" (الزمخشري،1993: 89)، ويؤكد ابن الحاجب (ت 646هـ) هذا الدور التقييدي للحال بقوله: "الحال إنما جِيء بها مقيّدة" (ابن الحاجي،1989: ج 130/1)، أي تقييدًا للحدث بوصفٍ محدد يضبط معناه ويزيل الغموض عنه.

إنَّ النصوصَ القانونية تعتمدُ على الانضباط المفاهيمي، ومن ثمَّ فإنَّ أيَّ قيد يرد في صيغة حال يُفهَمُ بوصفِه عنصرًا شارحًا ومحدِّدًا لظرفٍ قانونيٍ أو شرط معيَّن يترتَّبُ عليه أثرٌ قانونيٌّ. وقد أشار نحاة كبار كالرَّضي الاستراباذيّ وابنِ الحاجبِ إلى أنَّ الحال، في جوهرها، عنصر مقيّد للحدث، لا يَتِمُّ المعنى إلا به أحيانًا. وفي النصوص القانونية، يأخذ هذا التقييد بُعدًا إجرائيًا وتشريعيًا، إذ يُحدِّد نطاق الفعل المُجرَّم أو المشروع، ويُمثّل جزءًا من العنصر التكوينيّ للنصّ القانونيّ. ونص المشرِّع ذلك في القانون المدني العراقي: ((على أنه إذا كان هلاك المبيع أو نقص قيمته قبل التسليم قد حدث بفعل المشتري أو بفعل البائع؛ وجب دفع الثمن كاملا في

الحالة الأولى، وإلزام البائع بالتعويض في الحالة الثانية)) (حياوي،2010:المادة 11:547).

تحدَّدُ المعنى هنا بقيدِ الحال كاملًا؛ لأنَّ المخاطب لا يمكنُه أن يُفسّر النصَّ دون حضور المقَيّد، فالنصُّ يَشُوبُه بعضُ الإبهام في سياقه، ولا بُدَّ من قيدٍ للمعنى؛ لأنَّ النصَّ دالٌّ على الأمر التشريعي، ويحمِلُ دلالةَ الوجوب والإلزام، فيجب ضبط حدود المعنى وحصرُه بحدّ (المتوكل، 1990 ينظر: 35). و(الحالُ كاملًا) وضَّح آلية دفع الثمن، وتمَّ من خلاله استبعاد التجزئة أو الضمانات أو الكفالةِ. والحالُ قيدٌ من منظور الدرس الوظيفي؛ لأنَّ رفعَ اللَّبس، والتَّوهُّمِ، والشكِّ، والحصرَ، "كلَّها أغراضٌ تواصليَّةٌ لها دورها المُؤثِّرُ في البنيةِ اللغويَّة، ولها ارتباطٌ لغويٌّ بوظيفةِ البؤرة، وهي، في الوقت نفسه، أمور تُظهِر بوضوح أنَّ البنيةَ التركيبيَّةَ لها ارتباطها بوظيفةِ التواصل" (المتوكل،2019/ 139). وفي عينة أخرى من قانون العقوبات العراقي ((يعتبر عائدا من حكم عليه نهائيا لجناية وثبت ارتكابه بعد ذلك وقبل مضي المدة المقررة لرد اعتباره قانونا جناية أو جنحة)) (حياوي،2010المادة 139: 61).

النص إلزاميٌّ، دالٌّ على الأمر التشريعي، وقد جاءت (نهائيًا) و(قانونًا) حالَينِ مقيّدَينِ خَصَّصتا معنى الحُكم؛ أي يجب أن يكون الحكمُ (نهائيًا)، غيرَ قابلٍ للطعن أما لاستنفاد جميع طرق الطعن كالاستثناءات والتمييز، أو انتهاء المدة القانونية لتقديم الطعن؛ وأيضا؛ لأنَّ الجريمةَ جناية[1]، وليست جنحة. فيتوجب اصدار الحكم القطعيّ فالنصُّ، بما يحمله من طابعٍ إلزامي، يحتاج إلى قيدٍ يُخصِّص نوع الحكم. أمّا الحالُ الثانية، (قانونًا)، فتُقيِّدُ الصورة التي

(1) الجناية: هي الجريمة المعاقب عليها بإحدى العقوبات (الإعدام، السجن المؤبد، السجن أكثر من خمس سنوات إلى خمس عشرة سنة): (حياوي 2010: 15).

يُرد بها الاعتبار، وذلك لما يترتَّب على هذا الردِّ من قضايا قانونيَّةٍ توجب رفعها والبتَّ فيها. نلحظُ في هذا النصِّ القانونيّ حضورَ تفكيرِ المُشرِّع، من خلال إقحامه مقيّدات أشباه المفاعيل، وهي، بوصفها، "تشير بوضوحٍ إلى وجودِ فعلٍ إنشائيٍّ في البنيةِ العميقة" (موشلر،2010: 116) ووجود هذا الفعلِ الإنشائيِّ في ذهن المُشرِّع الذي عبَّر عنه بأشباه المفاعيل، يُعدُّ إشارةً إلى الانتقاءِ المناسبِ للوحداتِ المُقيِّدة (نهائيًا وقانونًا)، بما يُوافق المضامين الذهنيَّةَ وصولًا إلى بنية النص السطحية. وإنتاج النصّ مُرتبطٌ بالمنظومة الإدراكيةِ للمُشرِّع، ومنها يمكنه "استعراض الخصائصِ الدلاليَّة للعبارات اللغويَّة، وربطها بمجموعة من الأبنية المعرفيَّة"(غريبة،2010: 39).

رابعًا: المقيّدات الوصفية في النصوص القانونية

تؤدي الأوصاف (الصفات) وظيفة دلالية مهمة في النصوص القانونية، إذ تُستعمل لتقييد المعنى وتوجيهه بدقة. ويوظفها المشرع بهدف تضييق نطاق الدلالة داخل القاعدة القانونية. ومن المنظور النحوي، تُعرّف الصفة بأنّها: "التابع المقصود بالاشتقاق وضعًا أو تأويلاً، المسوق لتخصيص أو تعميم، أو تفصيل، أو مدح، أو ذم، أو ترحم، أو إبهام، أو توكيد" (الأندلسي،1990: ج3/ 306) يقول الرضي: "إنّها تابع يدل على معنى في متبوعه مطلقًا"(الاستراباذي،1957: ج1/ 967) أما في اللسانيات الوظيفية، فالنعت يُفهم بوصفه "علاقة تتابع بين مقيدات الحد، تُسهم جميعها بالتساوي في تقييد ما يدل عليه الحد باعتباره كلاً دلاليًا متكاملاً" (الاستراباذي،1957: ج1/ 967)، وتعمل الصفة، في هذا السياق، على تقييد الحد داخل النص القانوني، كما يتضح في المثال التطبيقي :"العقوبات التبعية"

حيث يُعدّ "العقوبات" حدًا عامًا (اسمًا عامًا)، وتأتي "التبعية" صفة مقيِّدة له، تُحدّد نوع هذه العقوبات. والغرض من هذا الوصف هو ضبط المعنى بدقة،

وذلك من خلال توظيف الصفة كعنصر مقيِّد للحد. وقد لجأ المشرع إلى توظّيف النعت المقيد في النصوص القانونية لتحقيق أغراض معينة، مثل: تقييد المعنى، وحصر الدلالة، ومنع التوسع أو التأويل غير المرغوب فيه.

وذلك استجابةً لخصوصية اللغة القانونية، التي تتطلب دقة وصرامة في التعبير، ومن خصوصيتها، أيضا، ترد المقيِّدات الوصفية في الفرض؛ لأنَّها تُقيد السلوك الذي تّعلق عليه النتيجة القانونية، ويظهر النعت المقيد في النصوص القانونية بصور متعددة وسنتناول هذه الصور من خلال عينات إجرائية توضح كيفية توظيفه وفعاليته في تحقيق الوظيفة التقييدية للمعنى. ونص المشرِّع ذلك في القانون المدني العراقي:((المؤسسة شخص معنوي ينشأ بتشخيص مال مدة غير معينة لعمل ذي صفة إنسانية أو دينية أو علمية أو فنية أو رياضية دون قصد إلى أي ربح مادي)) (حياوي،2011:المادة 51/ 14).

الصفة المقيدة (نكرة)

"المؤسَّسة" في هذا السياق ليست مجرد موصوف يُفهَم بوصفها مكانًا أو تنظيمًا إداريًّا، بل تُعامَل في القانون على أنَّها "شخصٌ" يمتلك أهلية قانونيَّة مستقلَّة. هذا "الشخص" ليس طبيعيًّا (بشريًّا)، بل هو "شخصٌ معنويّ"، أي كيان قانوني غير بشري، له أهلية قانونية كاملة، تتيح له التملُّك، والتقاضي، وإبرام العقود. القيد المركَّب "شخصٌ معنويّ" يدلُّ إذن على كيانٍ غير طبيعي، لكنه يتمتع بكامل الصفات القانونية المقرَّرة للشخص الطبيعي. وتعمل الصفة "معنويّ" هنا على تقييد نوع "الشخص" المقصود، بحيث تستبعد "الشخص الطبيعي"، وتحدِّد نطاق المفهوم ضمن الإطار القانوني. ومن منظور اللسانيات الوظيفية، تُعد لفظة "شخص" هي الحد (المتوكل،1990: ينظر/ 45)، وقد قُيّد هذا الحد بالنعت "معنوي"، مما

يُجسّد سلوك فقهاء القانون الذين يلتزمون بالدقة والوضوح، ويتبعون أسسًا منهجية في صياغة النصوص القانونية، لضمان بيان القصد الذي وُضعت القاعدة من أجله. إنَّ عملية التقييد اللسانية هذه أنتجت حدًا مركبًا ذا دلالة واحدة، لا يكتمل فهم المعنى القانوني بدونه. فقد أدى هذا القيد إلى رفع الإبهام عن مدلول "الشخص"، وأصبح النعت المقيد "معنوي" هو محور النص القانوني وركيزته الأساسية في تحديد نطاق القاعدة، وهذا يوضّح آليَّة اشتغال الصفات "المقيِّدات" في اللغة القانونية فهي "تُقييد العنصر الموصوف أي تُقلص إحالته" (المتوكل،1995: 377)، إذن، "المقيّدات الوصفية" لا تُضيف معنى فحسب، بل تستبعد سائر المعاني المُحتملة، وتُركِّز الدلالة باتجاه المعنى المقصود، جاعلةً منه محور النص ومركزه المفهومي. وفي عينة من قانون العقوبات العراقي الذي نصه: ((حق الدفاع الشرعي عن المال لا يبيح القتل عمدا إلا إذا أريد به دفع أحد الأمور الآتية: (الحريق عمدا، جنايات الشرقة، الدخول ليلا في منزل مسكون أو في أحد ملحقاته، فعل يتخوف أن يحدث عنه الموت أو جراح بالغة إذا كان لهذا التخوف أسباب معقولة)) (حياوي،2010: المادة 23/44).

الصفة المقيدة (معرفة)

تتمثل الفكرة من توظيف الصفة "الشرعي" وهي معرفة على الموصوف "الدفاع" -وهو كذلك معرفة - في تقليل الشيوع ورفع التَّوهُّم (النادري، 2016، ينظر: 803)، وهو ما يُعد من الأسس المنهجية التي يلتزم بها المشرّع القانوني لضمان الدقة والوضوح في سنّ الأحكام. الشرعيُّ" صفةٌ مقيَّدةٌ لنوع الدفاع، أي إنَّها تُضيفُ قيدًا قانونيًا ونظاميًا على الدفاع، فهي تُقيِّد نوعَ الدفاع الجائزِ قانونًا، وتُميِّزُه عن أنواع أُخرى: كالدفاع الانتقامي، والدفاع الوقائي، والدفاع الذي لا تنطبق عليه شروط المادَّة القانونيَّة. لذا،

فالدفاع الشرعيُّ[1] دفاعٌ مُجازٌ، ليس فقط دفاعًا واقعيًّا أو شخصيًّا. فالمُقيَّدُ "شرعيّ" هنا لا تعني أنَّه مسموحٌ فقط، بل تعني أنَّه محكومٌ بضوابط. ووظيفيًّا، اشتغل المُقيَّدُ "شرعيّ" على تقييد فعل الإباحة [2]في القتل، إذ لولا وجود المُقيَّدِ "شرعيّ"، لَتُوهِّمَ أنَّ أيَّ دفاع عن المال أو انتقامٍ يُبيح القتل. قَيَّدَت الصفة إطلاق الإباحة، وبيَّنت أنَّه دفاعٌ خاضعٌ لرقابة التشريع. إذن، "الشرعيُّ" قَيَّدَ الفعل الفرديَّ بمنظومة العدالة وليس بالحقّ الشخصيِّ المُجرَّد هذه الآلية في التقييد تتوافق مع ما أشار إليه اللسانيون الوظيفيون بحديثهم عن علاقة التتابع بين المقيدات (المتوكل،1995، ينظر: 371)، حيث قُيّد الحد "الدفاع" بصفة "الشرعي" بوصفه كلاً دلاليًا، لا يمكن فصله دون الإخلال بالمعنى القانوني المقصود. أما من الناحية الاستعمالية، فإنَّ أثر هذا القيد يتجلَّى بوضوح في تحديد المشروعية القانونية للفعل؛ إذ لا يجوز القتل عمدًا إلا إذا اقترن بـ "الدفاع الشرعي". وهنا تتكامل الصفة والموصوف لتشكيل مقيِّدات دقيقة تُحدّد طبيعة الفعل القانوني وشروط إباحته. وفي عينة أخرى من قانون العقوبات العراقي: ((لا يتغير نوع الجريمة إذا استبدلت المحكمة بالعقوبة المقررة لها عقوبة من نوع أخف، سواء كان ذلك لعذر مخفف أم لظرف قضائي مخفف ما لم ينص القانون على غير ذلك)) (حياوي،2010: المادة 15/24).

تُعدّ الصفة عنصراً نحوياً أساسياً في البنية اللغوية للنص القانوني، إذ تحمل الوظيفة الدلالية والتداولية والتركيبية ذاتها التي يحملها "الحد المقيد". وبتحليلها على المستوى الدلالي اللساني، تُعدّ هذه الصفة "حدّ مقيِّد"، كما

(1) يُعرّف الدفاع الشرعي أنَّه: استعمال القوة اللازمة لرد خطر وغير مشروع يهدد حق أو مصلحة يحميها القانون (الحديثي، 2017: 79).

(2) الدفاع الشرعي مشروط بجملة شروط (الحديثي، 2017: 80-81).

اشتغل عليه الوظيفيون في دراساتهم. ففي النص القانوني، تؤدي الصفة "أخف" وظيفة مهمة في تقييد الفعل القانوني، إذ وردت نعتاً لـ"عقوبة"، مما جعل هذا النعت المقيد (أخف) يتسلّط على الحد (عقوبة) ليقيد بدوره الجملة الحكمية المنفية التي تصدّرت النص: "لا يتغير نوع الجريمة". ويهدف هذا الإجراء التقييدي إلى تحديد معنى الفعل القانوني بدقة، عبر تحقيق علاقة التتابع التي يركّز عليها الدرس الوظيفي، فقد شكّلت الصفة "أخف" بؤرة دلالية جديدة أدرجها المشرِّع عمداً لتوضيح المعنى المقصود من المحمول "العقوبة".

خامسًا: الإضافة ووظيفتها في تقييد النصوص القانونية

قرَّر النحاة أنَّ للإضافة معنى التخصيص، وهذا المعنى هو مدار اشتغالنا. وقد وردت الإضافة في النصوص القانونية بصيغة مقيَّدة، فقد وظَّفها المشرِّع أداةً لتضييق المعنى القانوني. وتُعرَّف الإضافة بأنَّها: "نسبة تقييدية بين اسمين توجب للثاني منهما الجر" (السامرائي، 2000: ج102/3) يلجأ المشرِّع لتوظّيف الإضافة لتخصيص العام، أو لتقييد المطلق، أو لتحديد العلاقة بين مفاهيم متعددة قد تتسع دلالاتها لولا هذا التقييد. وتتحقق هذه الوظيفة باقتران اسمين بعلاقة نحوية توجب جرّ الثاني، ويُفهم الاسم الأول في ضوء الاسم الثاني، ما يمنع الالتباس ويوضح المقصود بدقة. فعلى سبيل المثال، يختلف مدلول "نقل الأموال" فلابد من أضافة ليحدد نوع المنقول عن "ولي الصغير أبوه" تحدد من الذي يتولى الصغير وذلك بفضل الإضافة التي خصصت المعنى وقيدته ومن ثم، فإنّ الإضافة تسهم في بناء نسق لغوي قانوني دقيق، يُقلّل من التأويل ويُعزز من حجية النص. واستعمل المشرِّع ذلك في قانون العقوبات الذي نصه: ((تتداخل عقوبة الحرمان من الحقوق

والمزايا المتماثلة وينفذ في المحكوم عليه بعد إخلاء سبيله من السجن أطول هذه العقوبات مدة))(حياوي،2010: المادة43/100).

(المضاف إليه معرفة إلى نكرة)

يتّضح من هذا السياق أنَّ المشرِّع يعمد إلى تقييد النكرات بالإضافة إلى معارف، بغرض تضييق دلالتها وتحديدها بدقة، إذ يتجنب المشرِّع استعمال النكرات بصورتها المطلقة، ويعمد إلى تقييدها بالإضافة المعرفية، تحقيقًا لمزيد من التخصيص، والحدّ من سعة مدلولاتها. ففي المثال السابق، جاءت عبارة "الحرمان من الحقوق" مقيدة بالإضافة، مما قلّص دلالة "العقوبة" العامة، وضبطها في إطار قانوني محدد، يسهل على المتلقي فهمه دون التباس، ورد قيد " الحرمان" المضاف إليه قيد من الحقوق حتى لا ينصرف الذهن إلى الحرمان من الحرية، أو من الطعام، أو من التكلم، إذن الحرمان ليس مطلقا؛ بل هو حرمان قانوني من حقوق محددة وظفه المشرع لضبط دلالة العقوبة وتحديد نطاق تطبيقها، ينسج المشرِّع سلسلة مقيّدات في النص من الإضافة وهي: (عقوبة الحرمان، ومن الحقوق)،وبذلك تتحقق الغاية التشريعية من الإضافة: التقييد الدلالي والإيضاح المفاهيمي، بما يعزّز دقة النص القانوني ويمنع احتمالات التأويل أو التوسع في الفهم. وفي عينة من القانون المدني الذي نصه: ((يسقط خيار الرؤية بموت المستأجر وبإقراره في عقد الإيجار أنه قد رأى الشيء وقبله بحالته، وبوصف الشيء في عقد الإيجار وصفا يقوم مقام الرؤية وظهوره على الصفة التي وصفت وبصدور ما يبطل الخيار قولا أو فعلا من المستأجر وبمضي وقت كاف يمكن المستأجر من رؤية الشيء دون أن يراه)) (حياوي،2011، المادة: 735/ 143).

يوازن المشرع بين خصوصية النص القانوني وموضوعه، فكل نص قانوني له موضوع يقرر قضية حتمية، فنلحظ استراتيجية المشرع في نسج النصوص دقيقة ومتنوعة، وهي سمة بارزة في النصوص التشريعية حيث قيد النص بأكثر من إضافة لأهمية الحكم التي تتطلب حصرًا وتحديدًا سنورد الإضافات الواردة بالنص قيدًا ونحللها لسانيًا. يتضح من النص أنَّ هناك مقيدين متعلقين بخيار الرؤية:

1- المقيد الأول: إنَّ الرؤية مضاف إليه، مما يعني أنه يُقيّد حق المستأجر في فسخ العقد.

2- المقيد الثاني: إنَّ هذا الخيار مقيدًا بشرط أو سبب، وهو وفاة المستأجر، بحيث تؤدي وفاته إلى سقوط هذا الحق.

وانطلاقًا من هذين القيدين (خيار الرؤية، ووفاة المستأجر)، نخلص إلى نتيجة قانونية مفادها أنَّ ورثة المستأجر لا يملكون حق المطالبة بفسخ العقد لعدم الرؤية؛ لأنَّ خيار الرؤية لا يُعد من الحقوق القابلة للانتقال بالإرث؛ بل هو حق شخصي ينقضي بوفاة صاحبه. ويُلاحظ أنَّ المقيّدات الواردة من جنس واحد (قيد الإضافة)، وهو ما يعكس أهمية المعلومة القانونية المقدمة، ويُعزى تعدد المقيّدات في هذا السياق إلى حاجة الموقف التواصلي، بين كفاية المتلقي وإدراك المتكلم" المشرِّع" (المتوكل،1995، ينظر: 732)، وفي عينة أخرى من قانون العقوبات الذي نصه: ((تراعي أحكام الكتاب الأول من هذا القانون في الجرائم المنصوص عليها في القوانين والأنظمة العقابية الأخرى ما لم يرد فيها نص على خلاف ذلك)) (حياوي،2010 المادة 16/ 11)

يتضح أنَّ الإضافة تُوظَّف لتقييد عمومية الألفاظ وتضييق دائرتها الدلالية، بما يُزيل الغموض ويُوجِّه الفهم القانوني نحو مقصد محدد. فـ"أحكام

الكتاب الأول" عبارة مركبة تتكوَّن من مضاف ومضاف إليه، وقد جاء الثاني (المضاف إليه) مقيِّدًا للأول (المتوكل،1995، ينظر: 371)، أي أنَّ "الأحكام" ليست مطلقة أو عامة، بل هي محصورة ضمن ما ورد في "الكتاب الأول من هذا القانون". وهذا التقييد يرفع الإبهام عن الكلمة الأولى ويمنحها دلالة قانونية محددة، تُسهم في الحفاظ على وضوح النص ودقته . ومن هنا، فإنَّ الإضافة تُعدّ من أهم المقيّدات اللغوية التي يعتمد عليها المشرِّع لتوجيه الدلالة، وتضييق نطاق المعنى، وتجنب الالتباس أو التأويل المفتوح. فهي ترد لتخصيص النكرات وتحديد المقصود بها ضمن سياق قانوني صارم، بما يحقّق الغاية التشريعية في الإيضاح، والتنظيم، وضبط العلاقات بين المفاهيم القانونية. وعليه، تُعدّ الإضافة مقيدًا لغويًّا لا غنى عنه في بناء النصوص القانونية المحكمة والدقيقة.

نتائج البحث:

يُسلط الضوء على الجانب اللغوي للنصوص القانونية، والذي يُعد أساسًا في فهمها وتفسيرها.

يُبرز دور البنى النحوية غير الإسنادية في تحديد المعاني القانونية وتقييدها بدقة.

ارتباط المقيّدات غير الإسنادية بالسياق التداولي، فكثير من المقيّدات غير الإسنادية تستمدّ قيمتها الدلالية من السياق، مثل: "ما لم ينصّ القانون على خلاف ذلك"، وهي مقيّدات تتطلب فهماً تداوليًا لا صرفًا لغويًا.

إنّ توظيف التحليل اللساني في دراسة المقيدات اللغوية داخل النصوص القانونية لا يُسهم فقط في توضيح البنية والدلالة، بل يعزز من جودة الصياغة

التشـريعية وفاعليـة التطبيـق القضـائي، ويقلّـل مـن احتمـالات التأويـل المتضارب، ممّا يستدعي إشراك اللسانيين في تطوير الخطاب القانوني .
تتميز النصوص القانونية بكثافة عالية في استعمال المقيدات غير الإسنادية؛ إذ تُستعمل المقيدات غير الإسنادية (مثل الظرف، الحال، الصفات، الشروط، القيـود الزمنيـة والمكانيـة...) بكثـرة وظيفتهـا الأساسـية، هـي تضـييق نطـاق الحكم، أو رفع الغموض واللبس المحتمل.

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر. (1989). أمالي ابن الحاجب (تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة). دار عمار، دار الجيل.
- ابـن عصـفور، علـي بـن مـؤمن. (1980). شـرح جمـل الزجـاجي (تحقيـق: صاحب أبو جناح). دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.
- ابـن مالـك، محمـد بـن عبـد الله. (1990). شـرح التسـهيل (تحقيـق: عبـد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون). هجر للطباعة والنشر.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (2001). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. دار إحياء التراث العربي.
- أبـو غريبـة، عبـد الجبـار بـن. (2010). مـدخل إلـى النحـو العرفـاني. دار مسيلياني.
- البصير، شـاجع علـي. (2019). آليـات الاحتـراس التعبيـري فـي الصـياغة القانونية. مجلة اللسانيات العربية، (8).
- الجرجـاني، علـي بـن محمـد بـن علـي. (1983). التعريفـات. دار الكتـب العلمية.
- الجزائري، عائد كريم. (2008). فلسفة المنصوبات في النحو العربي.

- الحديثي، فخري عبد الرزاق؛ شرح قانون العقوبات - القسم العام، ط2، دار السنهوري، بغداد، 2017.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. (1993). المفصل في صنعة الإعراب (تحقيق: علي بو ملحم). مكتبة الهلال.
- سرحان، هيثم. (2012). استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة. نادي تراث الإمارات.
- عبد اللطيف، محمد حماسة. (2006). بناء الجملة العربية. دار غريب.
- حسان، تمام. (2006). اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب.
- حياوي، نبيل عبد الرحمن. (2010). قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969 وتعديلاته. المكتبة القانونية.
- حياوي، نبيل عبد الرحمن. (2011). القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 وتعديلاته. المكتبة القانونية.
- العمري، منجى. (2014). القيد التركيبي في الجملة العربية. الدار التونسية للكتاب.
- المبخوت، شكري. (2009). توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط. دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- المتوكل، أحمد. (1985). الوظائف التداولية في اللغة العربية. دار الثقافة.
- المتوكل، أحمد. (1990). الوظيفة والبنية. منشورات عكاظ.
- المتوكل، أحمد. (1995). قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. دار الأمان.
- المتوكل، أحمد. (2009). اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري. دار الكتب الجديدة المتحدة.

- موشلار، جاك، وريبول، آن. (2010). القاموس الموسوعي للتداولية (ترجمة: مجموعة من الباحثين، إشراف: عز الدين المجدوب). دار سيناترا.
- النادري، محمد أسعد. (2016). نحو اللغة العربية. المكتبة العصرية.

مفهوم الظواهر التركيبية، وتمثلات السببية في لغة القانون

د. محمد شلتاغ سالم	جامعة بغداد/كلّيّة التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيَّة.
Mohammed.Salem2203p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	
أ. م. د. نزار بنيان شمكلي	جامعة بغداد/كلّيّة التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيَّة.
nezar.bnean@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	

الملخَّص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد: البحث ما وراء الأسباب وسيلة من وسائل إشباع الفضول الفطري، وكذلك هي وسيلة من وسائل الإقناع؛ وقد جاء البحث ليقف على أهم العلاقات الدلالية الناشئة عن أثر الظواهر التركيبية الحاكمة على النصوص؛ إذ لا يخلو نصٌّ من إحدى تلك الظواهر؛ لأنّ كلّ نصٍ إمّا أن يكون مترابطًا أو غير مترابط، والمترابط إمّا يكون مترابط بأدوات أو بغيرها. وسوف يتضح كلّ ذلك خلال البحث إن شاء الله.

الكلمات المفتاحيّة: الظواهر التركيبية، التمثلات السببية، لغة القانون.

The concept of structural phenomena and representations of causality in the language of law

Mohammed Shaltagh Salem
Mr. Dr. Nizar Binyan Shamkali

Abstract:
Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our Prophet Muhammad, his pure and virtuous family, and his chosen companions.
Investigating what lies behind causes is one of the means of satisfying innate human curiosity, and it is also a means of persuasion. This study seeks to identify the most significant semantic relations arising from the influence of syntactic phenomena governing texts. No text is devoid of one of these phenomena, for every text is either cohesive or non-cohesive; and a cohesive text is either linked through explicit devices or through other means. These issues will be clarified throughout the course of the study, God willing.

Keywords: Representations, language of law, causality

المقدمة:

إنّ الظواهر التركيبية هي عماد العمليات التواصلية في عمومها، وذلك لأهميتها في نسج النصوص والتراكيب؛ إذ تكمن وظيفتها في كونها بنائية قبل أن تكون دلالية، ويمكن القول إنّ الظواهر التركيبية تتمتع بخاصيتين أو بعبارة أدقّ إنّها تشغل مستويين لسانيين من مستويات اللغة، هما المستوى البنائي التركيبي بصفته عملًا أوليًا، حيث يتمثل أثرها في إخراج المفردات

من مستواها المعجمي إلى مستوى التركيب البنائي، والمستوى الدلالي بصفته محصلة نهائية.

وللأثر الذي تشغله فإنّها توفر أنماطًا وعلاقات دلالية متعددة، ومن بينها العلاقة السببية التي استقرأنا نماذج لها في لغة القانون العراقي، وقد جاء (البحث) بمبحثين، انتظم المبحث الأول الذي وسمناه بـ(الظواهر التركيبية مفهومها والعلاقة بينها) بثلاثة مطالب، تناولنا في المطلب الأول مفهوم الظواهر التركيبية (الربط والارتباط والانفصال)، وفي المطلب الثاني علاقة الربط بالارتباط، ولم نتطرق إلى علاقة الانفصال لأنّها حاكية عن نفسها؛ إذ لا علاقة أصلًا. وفي المطلب الثالث عرضت لأثر الارتباط التركيبي والسياقي في بيان السببية.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: تمثلات السببية في لغة القانون العراقي، وقد اتّسم هذا المبحث بالطابع التطبيقي أكثر من النظري؛ فانتظم بثلاثة مطالب، المطلب الأول تناولت فيه حاكمية السببية على الصياغة القانونية، والمطلب الثاني عرضت فيه للتعبير عن للفعل القانوني، والمطلب الثالث تناولت فيه موطن القوة في الفعل القانوني.

ثم الخاتمة التي تضمنت أهم ما توصل اليه البحث من نتائج وتوصيات، ثم قائمة بثبت المصادر والمراجع.

توطئة

إنّ العلاقة بين الأفعال ونتائجها في لغة القانون، وتحليل القوانين وتفسيرها تفسيرًا إقناعيًا يستمدّ مادته من دلالة الظواهر التركيبية، ويتم ذلك من خلال فهم العلاقات بين الكلمات والجمل المكونة لتلك الظواهر. ولدلالة هذه الظواهر أثر كبير يتمثل - على الأقل - في ثلاثة تمظهرات:

- تحديد المسؤولية القانونية، فالعلاقة المستفادة من دلالة الظواهر مهمة في تحديد المسؤولية القانونية (إثباتًا ونفيًا).
- التفسير القانوني، لعملية التناسق والإخراج النهائي للظواهر التركيبية بشكل نص موجِّه أثر في إعانة القاضي والمشرع على استنباط الأحكام من خلال سهولة الوصول إلى القصد الشرعي.
- تطبيق العدالة، بصفتها محصّلة نهائية واقعة في قمة الهرم وما دونها طرائق تؤدي إليها أو يُفترض منها ذلك، ولابُدَّ فيها من موائمة دلالة الظواهر لمبررات العدالة من خلال إظهار السبب والمسبب بشكل جلي.

المبحث الأول: الظواهر التركيبية مفهومها والعلاقة بينها

المطلب الأول: مفهومها

الظواهر التركيبية مصطلح يراد به تلك الظواهر التي تحكم بناء الجملة أو النصّ وتكون مقررة أو موجهة للعلاقات داخلهما، وهذه من المفاهيم الأساسية التي تبين فلسفة. وقد مال بعض المحدثين في نظرته إلى هذه الظواهر متأثرًا بتسميتها عند البلاغيين (حميدة مصطفى،، 1997، ص 146) العلاقة والتواشج بين عناصر الجملة الواحدة أو بينها وبين الجمل الأخرى؛ مما ينتج عنه علاقة جملية أو نصية تلملم أطراف المعنى العام لتجعله يتساوق والوحدة الجملية أو النصية الملحوظة. ولفهم المقصود من (الظواهر التركيبية) في اللغات عمومًا يجب أن نعيَ الصلة الوثيقة بينها وبين البيئة التي تكون حاضنة لها، وتنتمي إليها وظيفيًا. وربما يبرز أثر الدراسات الحديثة ممثلة باللسانيات التي اتجهت إلى تناول اللغة في ضوء وظائفها التواصلية، فأخذت بتحليل التراكيب وتفسير أنظمتها النحوية والصرفية والصوتية، وهي خاصية ميزت اللسانيات - بمناهجها الحديثة - عن اللغة

المعيارية بمنهجيتها الراسخة؛ إذ تغير مع اللسانيات محور الاشتغال منعطفًا عن مساره بشكل كبير، فبعد أن كانت اللغة بتواصلها يحكم عليها بمدى تحقيق ثباتها اللغوي صارت مع اللسانيات تقرأ من خلال التواصل؛ لذا تعددت المناهج متجاوزة حدود المحذور من استعمال اللغة.

وقد أضفى استعمال اللغة دون التكلّف المعياري مرونة كبيرة على أنماط اللغة وتراكيبها، ولا شكّ أنّ اللغة عبارة عن نظام وشبكة من العلاقات النحوية والسياقية والدلالية وهذه جميعها تتحقق بعنصرين هما الربط الذي يكون بأدوات لفظية في عمومها والارتباط الذي يكون بأدوات غير لفظية. وتتمثل تلك الظواهر بـ(الارتباط والربط والانفصال).

وتسمية هذه الظواهر بكونها ظواهر تركيبية لأنّها حصيلة ما يقرره النظام النحوي؛ إذ هو بين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: الارتباط الذي يشكل علاقة منطقية مؤثرة في قبول قوانين الكون والطبيعية وبين معاني الأشياء، وهذه العلاقات لا دخل للإنسان واللغة في إحداثها، وهي ضرورية لفهم الوجود والتكيّف معه عن طريق فهمها والإيمان بواقعيتها؛ فالعلاقة بين النار والحرارة وبين الشمس والضياء وبين السحاب والمطر وبين النبات والخضرة وبين العلاقات المتضادة كالحرارة والبرودة والنور والظلام والجوع والشبع تمثل جميعها علاقات توفر أنماطًا يعيشها الإنسان بتقلباتها دون أن يكون له دخل في إحداثها، فهي بالنسبة له مسوّرة بعمق فلسفي متداخل.

ومنها كذلك علاقة الفاعلية كالعلاقة بين الكتابة والكاتب وعلاقة المفعولية كالعلاقة بين الكتابة والمكتوب وغير ذلك (حميدة مصطفى،، 1997، ص73ـ74)، حتى غدت علاقات الارتباط المنطقي بين الأشياء والمعاني أمُّ العلاقات جميعها في اللغة وأساسها (حميدة مصطفى،، 1997، ص 103).

الحالة الثانية: الربط الذي هو وارد لتدارك ما لم يحققه الارتباط، ويكون عرضة للانفصال، وهو خاصية جملية؛ لأنّ وظيفته الربط بين جملتين أو أكثر، فقولنا: جاء عليٌّ ومحمّدٌ، عبارة عن جملتين ارتبطتا برابط لفظي، والذي سوّغ ذلك هو وحدة المعنى الدلالي المراد، وهو معنى (المجيء). كما في قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم:17]؛ إذ ارتبطت الجملتان بالرابط اللفظي (الواو) كذلك لوحدة المعنى الدلالي وهو معنى التنزيه. وقوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفلاً ثُمَّ لِتَبلُغُواْ أَشُدَّكُم ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبلُ وَلِتَبلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمّى وَلَعَلَّكُم تَعقِلُونَ} [غافر: 67].

فالوحدة المرحلية لتكوين الخلقة تمثل المحور الذي دعا إلى حضور الرابط اللفظي (ثم)؛ عن طريق تعدد الرابط الذي يلزم منه تعدد المراحل، وهو كاشف عن تتابع جملي يحمل معنى واحدًا وهو معنى (استواء الخلقة).

والمعنى الدلالي في الترابط كاشف عن الجزئية والاستقلال في الجمل؛ إذ يخرج الجملة من كونها وحدة مستقلة بذاتها إلى جعلها عنصرًا مشاركًا، وذلك عن طريق إكسائها معنى الجزئية بالنظر لها في التركيب النصي، إذ الأصل في الجمل الإفراد والاستقلال؛ كون كلّ جملة يُطلَب من وضعها معنى واحد لا غير(الجرجاني، عبد القاهر،، 2001، ص413)، وهي تحقق ذلك بشرط تمام أطراف الإسناد فيها، ولكنّها تتنازل عن استقلالها استجابة لضرورة تحقيق معنى دلالي أوسع تعجز الجملة بمفردها عن تحقيقه.

والناظر في الأمثلة المتقدمة يظهر له بجلاء ووضوح ذلك، ففي المثال (جاء عليٌّ ومحمدٌ) المعنى الدلالي المراد يلحظ من ملحظين، ملحظ المجيء

وملحظ الاشتراك في المجيء مع إظهار أهمية الاشتراك التي حصل الربط بين الجملتين بسببها.

فالربط إذن: هو "علاقة تصطنعها اللغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة أو بين الجملتين؛ لأمن لبس الانفصال"(حميدة مصطفى،، 1997، ص 146).

الحالة الثالثة: الانفصال، وهو -بحسب ما نرى-الأصل الذي تكون عليه الجمل بداعي الاستقلال الذي يوفر وحدة المعنى المراد إيصاله؛ إذ إنّ لكلّ جملة مهما طالت أو قصرت معنى خاصًا بها؛ لأنّها حتى وإن طالت وخرجت من البساطة إلى التركيب تبقى بملاحظة تأديتها لمعناها جملة واحدة، ولكن شمول المعنى لمساحة أوسع عن طريق التشريك أو البدلية أو التخيير أو ما إلى ذلك من المعاني الأخرى التي تفرض عليه سعة تتجاوز حدود الجملة أخرجت التراكيب من الاستقلال إلى المساهمة.

فالانفصال: هو" انعدام العلاقة بين المعنيين، يستوي في ذلك انعدامها بين الجملة وما يجاورها من جمل، وانعدامها بين المكون وما يجاوره من مكونات، وإذا كانت العلاقة منعدمة بين طرفين فلا حاجة إلى الربط بينهما بأداة "(حميدة مصطفى،، 1997، ص 146)، وهو بهذا المعنى لا يمكن أن يتصور في لغة القانون على إطلاقه؛ بحكم كونها - كما تقدمت الإشارة - لغة نصية، أي تقوم - غالبًا - في بنائها على تتابع جملي مترابط؛ فالمعاني القانونية، إن كانت على مستوى الجملة أو تعدّت ذلك إلى النصّ لابُدَّ فيها أن تشتمل على الترابط.

المطلب الثاني: علاقة الربط بالارتباط

الارتباط مصطلح وصفي، بمعنى أنه مصطلحيًا يختلف عن " الربط " الذي هو مصطلح آلي يتم بأدوات متنوعة؛ وعليه من الممكن أن يكون الربط ارتباطًا، ولا عكس. ومما لا شك فيه أنّ للارتباط أهمية بالغة في كشف النسيج الفكري المنظم ذاتًا عند نقله إلى عالم التواصل؛ وذلك لأنّه من ضرورات العالم الخارجي وليس من أدوات الفكر؛ كون الجمل والنصوص مترابطة بشكل تلقائي داخله. ووجود الربط في اللسان متوقف على وجود الارتباط؛ ذلك لفقدان النصية هويتها دون تحقق عنصر الاتساق الذي يعني " تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة ولا يحده شيء"(عفيفة أحمد،، 2001، ص96).

وإلى هذا المعنى أشار جورج يول عندما فرّق إجرائيًا بين الربط بالأدوات والربط بما يحيل على الخارج، بقوله: "فنحن نعلم أنّ النصوص يجب أن يكون لها بنية معيّنة تعتمد على عوامل مختلفة تمامًا عن تلك المطلوبة في بنية الجملة الواحدة، ويتم وصف بعض هذه العوامل من حيث التماسك أو الروابط الموجودة داخل النصوص ... إنّ الترابط الذي نختبره في تفسيرنا للنصوص العادية لا يعتمد ببساطة على الروابط بين الكلمات، لابُدَّ أن يكون هناك عامل آخر يساعد على التمييز بين النصوص المترابطة التي لها معنى وتلك التي لا معنى لها" (GEORGE YULE: The study of language.141).

وقد اقترن مفهومه في اللسان بالمقولات النصية وما افرزته من وسائل متحكمة في بنية النصّ الكلية، فالنص ليس هو مجموعة من الأصوات

تألفت عن طريق أشكال حروفها ولا كلمات توالت على نحو المصادقة، وإنّما هو بنية فكرية منسجمة تُمثَّل على شكل نسيج منظم واحد وبنية كلية له قانونه الخاص من حيث ضرورة تحقق العلاقات بين أجزائه، وتتم هذه العلاقات في صور كثيرة ومتنوعة (عفيفة أحمد،، 2001، ص96). وتكون جمله مترابطة مع بعضها البعض بكيفية تجعلها " مسؤولة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخله، وكلّ جملة فيه لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النصّ"(حماسة محمد، 1996، ص126ـ127). ويتم الاعتماد في ذلك على جملة من التصورات التي تحكم نحو النص تبعًا " للفرض القائل إنّ النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنّها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك "(هاينه مان، فولفجانج، 2004، ص21)، فالترابط المأخوذ في عناية علماء النصّ هو حصيلة تلك العمليات التنظيمية التي تضمن الانسجام على سطحية النصوص؛ وعليه يكون " التماسك النصي هو عبارة عن علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريًا لتفسير النص"(عفيفة أحمد،، 2001، ص96)؛ لأنّه " يشير إلى العلاقات التي بين المساحات وبين الأشياء التي في المساحات... ويشير ايضًا إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص"(دي بوجراند، روبرت، 1998، ص346).

وممّا لا شكّ فيه أنّ الحديث عن هذه الظواهر بصفتها حقائق دلالية بأدوات غير لغوية من قبيل القرائن المعنوية، كالإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة(حسان، تمام، 2006، ص179 (أو حقائق لغوية لا تظهر معالمها بمجرد التمعن في المصطلح مالم يشتمل على تطبيق يوفره النظام النحوي؛ لأنّ النظام النحوي هو الغاية المتوخاة من أنظمة اللغة ومستوياتها؛ كون

النظام المعجمي يمثل المادة الخام له، هذا مع التسليم بأنّ المعجم يمكن وصفه بكونه نظامًا، ولكنّه ولعدم اشتماله على مقومات النظام لأيّ مستوى من مستويات اللغة، وهي العلاقات العضوية والقيم الخلافية بين المكونات، والصلاحية للجدولة، وعدم إمكانية الاستعارة بين لغة وأخرى، لا يمكن وصفه بكونه نظامًا، بل هو قائمة من الكلمات تشتمل على كلّ ما يستعمله المجتمع من مفردات(حسان، تمام، 2006، ص312). والنظامين الصوتي والصرفي (حسان، تمام، 2006، ص178 (يمثلان الآلية التي يختار عن طريقهما ما يلائمه من الصيغ المتعددة.

بعد هذا البيان الموجز في تعريف الظواهر التركيبية (الربط والارتباط والانفصال) لابُدَّ من الإشارة إلى أمور مهمة:

أولها: أنّنا سوف نستبعد من الدراسة ظاهرة الانفصال؛ وذلك لعدم تحققها في النصوص القانونية ببنيتها المكونة لكلّ نص بصفته يمثل مادة تقوم على فعل قانوني وفاعل قانوني، وكذلك كون المادة القانونية سواء أطالت أم قصرت لابُدَّ أن تكون مشتملة على وحدة عضوية حتى مع تعدد الفروض التي تقع تحت حكم واحد.

وثانيها: أنّ الربط والارتباط هما قوام الخطاب القانوني، فالربط يعني التناسق الذي يتمّ عن طريق سلامة البنية القواعدية وما يتبعها وجريانها بوضعها السليم، متضمنة المعاني النحوية والصرفية والأسلوبية المقومة لها بطريقة تكسو النصوص رداء القبول لدى المتلقي. والارتباط هو توخي العلاقات الخارجية المؤثرة في إيجاد النصوص وفي تقبلها كذلك، على اختلافها من حيث كونها اجتماعية أو ثقافية أو فلسفية أو مرجعيات ثابتة تتّسم بسمات قدسية.

ثم إنّنا نرى أنّ التفريق بين الربط والارتباط على أساس ذكر الأداة في الكلام فيما أُطلِق عليه (الربط) وعدم ذكرها فيما أُطلِق (الارتباط) تنقصه الدقة؛ لأنّه من الممكن إطلاق الارتباط على المعنيين، وعلى ذلك يكون بينهما عموم وخصوص مطلق (المظفر، محمد رضا، 1968، ص77)، بمعنى أنّ كلّ ربط يوصف بأنّه ارتباط، ولا يوصف كلّ ارتباط بأنّه ربط؛ لذا سوف تتبنى الدراسة مصطلح (الارتباط) للإشارة إلى الترابط سواء أكان تركيبيًا أم نصّيًا أو سياقيًا، دون تخصيص الربط بالأداة بتسمية أو الربط بغيرها بتسمية أخرى. وبيان ذلك يعني أنّ الربط والارتباط هما قوام الخطاب القانوني، فالربط يعني التناسق الذي يتمُّ عن طريق سلامة البنية القواعدية وما يتبعها وجريانها بوضعها السليم، متضمنة المعاني النحوية والصرفية والأسلوبية المقومة لها بطريقة تكسو النصوص رداء القبول لدى المتلقي. والارتباط هو توخي العلاقات الخارجية المؤثرة في إيجاد النصوص وفي تقبلها كذلك، على اختلافها من حيث كونها اجتماعية أو ثقافية أو فلسفية أو مرجعيات ثابتة تتّسم بسمات قدسية.

وقد تنبه الدكتور تمام حسان إلى هذه النقطة المهمة في تواشج العلاقة بين الارتباط والربط التي تشكل في بعض حالاتها وجهين لشيء واحد، فالربط عنده قرينة لفظية تفيد اتصال أحد المترابطين بالآخر، وهي بهذا الفهم تشكل دالة تبعية؛ إذ لابُدَّ أن أحد المترابطين تابعًا والآخر متبوعًا حتى يتم الربط؛ فقوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَاب ثُمَّ مِن نُّطفَة ثُمَّ مِتن عَلَقَة ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفلا ثُمَّ لِتَبلُغُواْ أَشُدَّكُم ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخا} [غافر:67] فالربط هنا شكل تناسقًا تتابعيًا يعتمد على أسبقية المراحل، ومنه يظهر أنّ التدرج في الخلقة جعل المراحل تابعة لسابقتها ومتبوعة للاحقتها عدا المرحلة الأولى كونها متبوعة لا تابعة، والمرحلة الأخيرة إذ هي تابعة لا متبوعة. ويتم الربط

-عنده-بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره وبين الحال وصاحبه وبين المنعوت ونعته وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه. وكذلك يتم بالضمير العائد الذي تظهر فيه المطابقة، وكذلك بإعادة اللفظ أو بإعادة المعنى أو باسم الإشارة أو ال أو الدخول في العموم بين المترابطين (حسان، تمام، 2006، ص213ـ214).

وعليه يكون هذا العالم لم يفرق بين الربط والارتباط شأنه شأن عموم اللسانيين الذين لم يعيروا أهمية للتفريق بين المصطلحين. وربما يعود ذلك استجابة للمرتكز الذهني في البحث عن طريق المبالغة في الاهتمام بكلّ ما يحقق النصية.

ويعزى سبب اهتمام النحاة بالمبنى أكثر من المعنى إلى " الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاجئين من الخطأ، فرضت على هذا النحو أن يتّسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوًا معياريًا لا نحوًا وصفيًا"(حسان، تمام، 2006، ص13).

وثالثها: سوف نتقيد بموضوع الدراسة وهو الارتباط الذي يؤدي إلى علاقات سببية في النصوص القانونية؛ بغية عدم الخروج عن محور العمل، دون أنواع الارتباط الأخرى؛ وذلك لأنّ الترابط حاصل في النصوص على أي حال؛ إذ لا يُعقل وجود تركيب أو نص لا يشتمل على الترابط، فهو يبدأ من أبسط صور التركيب المسند والمسند إليه ثم صعودًا مع تعدد العناصر المكونة.

المطلب الثالث: أثر الارتباط التركيبي والسياقي في بيان السببية

ويتم ذلك إما بشكل جمل مترابطة بروابط لسانية دالة في أصل وضعها على السببية، من قبيل: (كي، ولام كي، وحتى، وبعض حروف الجر، وحروف العطف)، وإما بشكل ترابطات نصية وسياقية ويتم بروابط مركبة دالة على الربط النصي والسياقي، من قبيل: (مع مراعاة، ولأجل، ومن أجل، ولأنّ، وبسبب، وغير ذلك كما سيتضح إن شاء الله)؛ لذا يمكن القول إنّ النص القانوني اتّسم بعناصر الارتباط على تنوعها بشكل كبير؛ فظهرت على سطحه بشكل جمل تحمل معاني سببية؛ وهي محصلة حتمية؛ لأنّ الارتباط معنى وظيفي حياته بوظيفته وموته بانتفائها ومن جملة وظائفه مراعاة الجوانب المنطقية(ينظر: الناجح، عز الدين 2012، ص365 (التي تضفي على التراكيب وسائل الإقناع. والنص القانوني نصًا تحكمه قواعد السلوك العامة التي تصاحب الإنسان متمرحلة معه في شتى تنقلات حياته، يقول ميشيل تروبر: "نعيش تحت هيمنة القانون: منذ الولادة ينبغي تسجيل الطفل في دوائر النفوس، والاسم الذي يحمله الطفل يجب أن يتوافق مع بعض القواعد. قواعد أخرى تأمر بضرورة إدخاله المدرسة. وعندما نشتري أي شيء أو نأخذ سيارة النقل، يكون هذا إعمالًا لعقد ما. نتزوج، نعمل، ونعالَج في المشافي طبقًا لقانون ..."(تروبر، ميشيل، 1984، ص5).

والأداة التي يتحقق بها الارتباط هي العلاقات السياقية النحوية عن طريق التئام المعاني الجزئية مكونة المعنى الكلي؛ إذ إنّ العلاقات بين أجزاء الجملة أو الجمل المتجاورة تنشأ استجابة للفكرة المراد إيصالها، ففكرة (السماء ممطرة) قبل نقلها بآلية البيان اللغوي قرّت في ذهن صاحبها ثم عبر

عنها. ويكون ذلك عن طريق اختيار الموضوع من الألفاظ بما يناسب المعاني الظاهرية، وهي في المثال اختيار كلمة (السماء) بصفتها موضوعة لمعنى ظاهري لابُدَّ له من تسمية لكي يعرف. وكذلك اختيار كلمة (ممطرة) للتعبير عن معنى ظاهري وقد اجتمع المعنيان ليشكلا علاقة نحوية سياقية أفادت معنى لم يكن ليستفاد منهما منفردين، والأمر ذاته لو تعددت أطراف تلك العلاقة من قبيل: طلب الوالد من ولده مساعدته في العمل، وكلّما تعددت عناصر الجملة قوي الارتباط مع عدم التأثير على وحدة المعنى المراد.

وتكمن أهمية الارتباط فيما يؤديه من وظائف، والوظائف التي يؤديها التي هي نوع من تمثلات للسببية:

1- الوظائف الدلالية المتمثلة في وحدة الحكم على المتغايرين أو المتغايرات لفظًا، من قبيل: "يعد فاعلاً للجريمة:

1- من ارتكبها وحده أو مع غيره.

2- من ساهم في ارتكابها إذا كانت تتكون من جملة أفعال فقام عمداً أثناء ارتكابها بعمل.

من الأعمال المكونة لها.

3- من دفع بأية وسيلة، شخصاً على تنفيذ الفعل المكون للجريمة إذا كان هذا الشخص

غير مسؤول جزائياً عنها لأي سبب"(قانون العقوبات: المادة، 47).

ففي هذا النص الذي يمثل قاعدة قانونية ثلاثة بنود وكلّ بند يمثل فرضًا، وهي في حقيقتها من المواد التفسيرية في الصياغة القانونية؛ لأنّها ليست هي الموجدة للفعل القانوني وإنّما هي كاشفة عنه بفروض حاصلة ولا يتوقف حصولها على الصياغة، وهي من الميزات التي تميز النصوص التفسيرية في

القانون، والتي تعني "استظهار إرادة النص القانوني من ثنايا الألفاظ والعبارات التي منها يتكون، توطئة لتطبيقه على نحو يحقق غاية النظام القانوني، دون مساس بألفاظه أو عباراته ودون صرف إرادته عن مقصدها"(عبد الصمد، محمد وجدي، 1987، 874، وينظر: السنهوري عبد الرزاق، 1950م، ص 235و تـوني أونوريه، 1998،ص118)، فالفرض الأول يُعدُّ مغايرًا للفرض الثاني والفرض الثالث مغاير لهما كذلك.

وفي القانون يكثر هذا النوع من أنواع الربط، ويؤتى به ليؤدي دورًا تنظيميًا في الصياغة القانونية، وغالبًا ما يؤتى به بصيغة تبنيد[مصطلح يراد به تقسيم النص القانوني أو الجملة الطويلة إلى بنود، باستعمال أدوات للفصل، كالترقيم بالأرقام أو الحروف، وكلّ بند يحمل حكمًا قانونيًا مكونًا من فعل قانوني وفاعل قانوني (ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص382)للفقرات المتعددة التي تقع تحت حكم واحد؛ وذلك لتحقيق ميزتين، الميزة الأولى، هي حصر الفروض المتعددة وسبكها بطريقة تبعدها عن مطبات التكهن والتأويل، والميزة الثانية، هي ميزة الاختصار وعدم التطويل الموجب للتكرار على محل واحد. ومنه قوله تعالى: {وَإِذ قُلتُم يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصبِرَ عَلَىٰ طَعَام وَٰاحِد فَٱدعُ لَنَا رَبَّكَ يُخرِج لَنَا مِمَّا تُنبِتُ ٱلأَرضُ مِن بَقلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا} [البقرة: 61].

وقال المتنبي (المتنبي، 1983، ص332):

الخيـــــــلُ والليـــــــلُ والبيـــــــداءُ تعرفنـــــــي

والســـــــيفُ والـــــــرمحُ والقرطـــــــاسُ والقلـــــــمُ

فوقوع المتغايرات - في الآية الكريمة - في سياق واحد جعلها جميعًا محلًا لحكم واحد وهو حكم الإخراج، والذي سوغ ذلك هو علمهم بمدخلية السبب الكوني لتحقيق مطلبهم؛ لأنّهم " قوم فلاحة أهل زراعات فما -

يريدون إلا ما ألفوه -من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك"(الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407ه، ج1 ص145).

وكذلك - بحسب بعض المفسرين - كان سؤالهم النوع الآخر من الطعام لأغراض أخرى تُوجَّه على كونها مباحة (الرازي، محمد بن عمر، 1420ه، ج3، ص531). وكذلك توظيف المتغايرات في قول المتنبي وربطها دلاليًا توحي بملامح الإشهار الذي هو مراد الشاعر بلا شك.

2- الوظائف السياقية المتمثلة في الربط مع تجاوز وحدة المعنى؛ إذ يكون بين الجمل التي تشكل بناءً سياقيًا يكون في أجزائه تعدد للمعاني، وفي عمومه متحدٌ مشكّلًا بنية نصية تصلح بمجموعها للتحليل. ويكون هذا النوع في ربط الجمل، من قبيل المادة: "لا يسأل جزائيا من كان وقت ارتكاب الجريمة فاقد الادراك أو الإرادة لجنون أو عاهة في العقل أو بسبب كونه في حالة سكر أو تخدير نتجت عن مواد مسكرة أو مخدرة أعطيت له قسراً أو على غير علم منه بها، أو لأي سبب آخر يقرر العلم أنّه يفقد الإدراك أو المخدرة أو غيرها سوى نقص أو ضعف في الادراك أو الإرادة وقت ارتكاب الجريمة عد ذلك عذراً مخففاً"(قانون العقوبات: المادة، 60). يشير المشتغلون على الصياغة القانونية إلى أنّ للسياق النص ثلاثة جوانب (ينظر: بيومي، سعيد أحمد،2010، ص395):

- السياق السابق يتمثل في العوامل التي تؤدي إلى ظهور وتكوين النص، كالعامل الاجتماعي وغيره.

- السياق المصاحب وهي البيئة اللفظية للنص التي تصاحبه وقت حدوثه، كالأساليب اللغويةوالإملائية.

- السياق اللاحق وهو القدرة على التأثير والتغيير وشغل الوظائف التي وضع النص من أجلها. وتأثير هذه العوامل يبدو ملحوظًا في هذا النص؛ فقد

اقتضت الوظائف السياقية أن يترابط هذا النص مشكلًا كلًا متناسقًا مع اشتماله على تعدد للمعاني المستفادة من الجملِ المترابطة.

قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ 39} [البقرة: 39].

فيكون لدينا معنيان، معنى الكفر وقد اختص به جماعة، ومعنى الكذب وكذلك اختص به جماعة، والعلاقة بين المعنيين هي علاقة سياقية تطلبت ربط الجمل بأداة رابطة.

وفي لغة القانون تشغل مراعاة الوظائف السياقية طريقًا إلى الاهتداء في الكشف عن وحدة المعنى القانوني وتحقيق انسجامه وتماسكه(ينظر: بيومي، سعيد أحمد،2010، ص365)؛ وذلك يعني أنّ الوظائف السياقية منظور لها بصفتها علاقات ناتجة، وليست علاقات في طور التكوين، فمثلًا وظيفة الكشف عن الحكم القانوني التي تؤخذ كمفهوم عن إجراء قانوني يمثل نتيجة خاضعة لمسبباتها، دون الحاجة إلى التمعن في آلية تكوين الوسيلة الناقلة (اللغة) وعلى ماذا اشتملت؟، وذلك في مثل قول المشرع: "يعاقب بالسجن المؤقت من أعان العدو عمدًا بأية وسيلة..." (قانون العقوبات: المادة، 169)، هذه المادة لو نُظِر إليها من خارج الإطار الشكلي النصي لوجدت أنّها تعطي معنى قانونيًا عامًا يستفاد من تجاوز النص إلى ما ورائه؛ إذ إنّ العقوبة وإن كانت تحمل عنصر الردع ولكنها توحي في مثل هذه المادة إلى أبعد من ذلك فمعونة العدو تعني إضعاف الدولة على أي حال، وهي نتيجة يوفرها النظام النصي بعمليات تجري بطرائق متفاوتة ربما، بمفهوم مشكك، [والمشكك: مصطلح منطقي وهو وصف للكلي، يعنون به المناطقة انطباق المفهوم بشكل غير متوافق على أفراده، كمفهوم البياض، ويقابله (المتواطئ) الذي ينطبق على أفراده بشكل متساوٍ] وقد قصدنا به هنا

أنّ الوظائف السياقية تتم بطرائق متفاوتة بحسب ما تتطلبه آليات الترابط؛ إذ تارة تكتفي بعملية ترابط داخلية فقط أو خارجية فقط أو بهما معًا. (ينظر: المظفر، محمد رضا، 1968، ص70)، وهي حصيلة " العلاقات التماسكية الدلالية والشكلية، مع السياق في تحقيق التماسك النصي، فالنص يحتوي على علاقات داخلية وأخرى خارجية مرتبطة بالسياق، وهذه وتلك تحققان التماسك النصي"(الفقهي، صبحي إبراهيم، 2000، ص107).

3- وظيفة الاقتصاد اللغوي بمعناه العام؛ لأنّ الاقتصاد اللغوي بمعناه الدقيق يقصد به "ميل اللغة إلى توفير الجهد عن طريق الاختصار أو التعديل في مخارج الحروف ومن تلك إسقاط علامات الإعراب (المبارك، مبارك، 1995، ص92)، يتساوق الاقتصاد في استعمال اللغة مع مبدأ اليسر وعدم الجهد الفطري في تكوين الإنسان؛ إذ بطبيعته يسعى دومًا لاختصار المقدمات الطويلة والمداخل المتعددة؛ بغية مباشرته المراد بأيسر السبل، ويتم ذلك عن طريق الاستغناء عن التكرار في أجزاء كثيرة في الكلام اعتمادًا على قانون الجهد الأقل الذي يوفر الوظيفة الأساسية للغة من خلال نقل تجربة الإنسان إلى أقرانه(مارتيني، اندريه، 14). وهي ظاهرة لاحظها القدماء من علماء العربية، ذكر ابن جنى (ت: 395ه) ذلك بقوله: "واعلم أنّ العرب إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد..."(ابن جني، عثمان،1952، ج1، ص84).

وقد تجلت هذه الوظيفة في النصوص القانونية بشكل كبير، وتحديدًا في النصوص التي تمثل قواعد قانونية موجهة للسلوك بشكل عام؛ وتحقق هذه الوظيفة نقطة من نقاط القوة في النص القانوني، وذلك كونها تمثل نصًا تأسيسيًا مسبوكًا، نقصد بكونه مسبوكًا، هو عدم التصريح بالفرض والحكم داخله، وبالمحصلة يبتعد عن سمة الافتراض التي تقوم عليها النصوص

القانونية بعمومها. لا يقبل التفريعات على مضمونه؛ لأنّه يقوم من الأساس على استبعاد التفرعات داخله، ويكثر هذا النوع في النصوص القانونية ذات المرجعيات العرفية والاجتماعية أو الأصولية أو المأخوذة من نصوص أسبق، من قبيل قول المشرع:

"لا عبرة بالدلالة في مقابل التصريح"(القانون المدني: المادة، 156)، وقوله: "السؤال المصدق معاد في الجواب المصدق"(القانون المدني: المادة، 162).

"1- المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، والتعيين بالعرف كالتعيين بالنص.

2- والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم.

3- والممتنع عادة كالممتنع حقيقة "(القانون المدني: المادة، 163 Civil Code: Article 163).

وعلى الرغم من بساطة التركيب في هذه المواد إلا أنّها تحمل معاني تأسيسية.

والارتباط في النصوص القانونية يحقق الفهم العام ويوائم بين المقصود في عناية المشرع وبين آلية ترميزه بطرائق تجعل أحكامه جلية واضحة يفهمها المخاطبون بها بمستوى فهم عام ينطبق على الجميع؛ إذ لا مجال للاعتذار بالجهل بالقانون؛ لأنّه " لو أبيح الاعتذار بجهل بالقانون للإفلات من أحكامه، لما أتيح حينئذ تطبيق القانون إلا في القليل النادر حيث يعلم الناس بأحكامه، وإذن لسادت الفوضى وضاع الأمن وتقوّض النظام في المجتمع، فضلًا عن أن قبول الاحتجاج بجهل القاعدة القانونية فيه نفي لصفة الإلزام عنها، إذ يجعل إلزامها هو توافر العلم بها"(كيرة، حسن، 317).

وقد تقدمت الإشارة إلى أنّ النصَّ القانوني نصٌّ موغل في الصرامة وعدم الاحتمالية والتكهن فيه(ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص169،

وبيومي، سعيد أحمد،2007، ص67)؛ لذا يتطلب الأمر أن تكون نصوصه وتراكيبه مسوّرة باستقصاء الحالة وما يعرض عليها من فروض محتملة، من قبيل قول المشرّع: "ما بيع صفقة واحدة اذا ظهر بعضه معيباً فإذا لم يكن في تفريقه ضرراً، كان للمشتري ان يرد المعيب مع مطالبة البائع بما يصيبه من الثمن وليس له ان يرد الجميع ما لم يرض البائع، اما اذا كان في تفريقه ضرر رد الجميع أو قبل الجميع بكلّ الثمن" (القانون المدني: المادة،561)، فهذه المادة اشتملت على فرض أساسي، هو الشيء المباع صفقة واحدة، ثم بدأ المشرّع بتفريع فروض على الفرض الأساسي، وهذا النوع من الصياغة معروف لدى القدماء من علماء العربية، وعند المفسرين بـ(اعتراض الشرط على الشرط)(ينظر: الاستراباذي، رضي الدين، 1975، ص1416، وابن هشام الأنصاري، عبد الله جمال الدين، 1979، ج3،ص355، والزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، 1957،ج2، ص373، والسيوطي، جلال الدين، 1974، ج1، ص107).

المبحث الثاني: تمثلات السببية في القانون

تمثلات السببية في القانون تأخذ نمطين متقابلين:

المطلب الأول: حاكمية السببية على الصياغة القانونية، مما لا شك فيه أنّ تراكيب الجمل والنصوص لها قواعد معيارية متّبعة حاكمة على سلامتها، وقد توافر لهذه القواعد أنماطًا متعددة في دائرة القبول، خُرّجت هذه الأنماط على كونها تراكيب وأساليب مقبولة؛ كونها قابعة خلف بلاغة اللغة وأسرار بيانها، من قبيل: أسلوب الاشتراط وأسلوب الاستثناء وأسلوب الاستفهام وأسلوب النفي وأسلوب النهي وأسلوب التقديم والتأخير وأسلوب الحذف وأسلوب التقدير وغير ذلك من الأساليب الأخرى

الموجهة لأصل التراكيب من وجهته إلى وجهة أخرى، قال الجرجاني (ت:471ه): "إنَّ مدارَ أمرِ "النظْم" على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لها ازدياداً بَعْدها ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإِطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ"(الجرجاني، عبد القاهر،، 2001، ج1 ص99).

وهذا النوع أخذ حيزًا كبيرًا في الصياغة القانونية، فالسببية هي الحاكمة بشكل تام على نوع الصياغة بتراكيبها المتعددة ويكاد يكون ذلك السبب الأهم من أنواع السببية التي نعرض لها، وربما لا نبالغ لو أدعينا أنّ ذلك مبدأ عام يحكم طرائق التواصل برمّتها، سواء أكانت في اللغة المعيارية أم اللغات القطاعية على تعددها؛ لذا كان كثيرًا ما يتردد في كلمات العلماء وطرائق تخريجهم للتراكيب ما يدل على هذا المعنى، فتراهم يرددون كثيرًا عبارات مثل: (ألا ترى كذا، أو ألا ترى أنّ أو أنّه أو أنّك إذا قلت كذا فكذا)، أو يشيرون إلى ذلك بصراحة أكثر، كقولهم: (والسبب في ذلك، أو في هذا أو جريانه على هذا النحو ... وما إلى ذلك)(سيبويه، عمرو، 1988، ج3، ص26، المبرد، محمد، 1994، ج2، ص201)؛ مما يؤكد حرصهم على تذييل بيان أوجه الكلام بما يضفي عليه سمة إقناعية عن طريق ربطه لسبب جريانه على النحو الذي يتناولوه فيه. وقد أفرد له ابن جني في الخصائص بابًا أسماه "باب الاكتفاء بالسبب من المسبب، وبالمسبب من السبب"(ابن جني، عثمان،1952، ج3، ص189).

ويتساوق هذا المعنى (معنى السببية بإطلاقه هذا) مع معنى القصد، يرتبط موضوع السببية بالقصدية ارتباطًا يتجاوز -بشكل ضروري -الجمود على المصطلح، بمعنى أنّ العلاقة بينهما علاقة المحرك نحو وظائف كلّ منهما، مع ملحظ لا يمكن إغفاله هو أنّ السببية تفترق عن القصدية من جهتين:

الجهة الأولى: هو أنّ السببية يُنظر إليها بوصفها علاقة طبيعية جارية في حوادث العالم، بمعنى أنّها مرتبطة بالحوادث الطبيعية، بينما القصدية لا ترتبط بالحوادث الطبيعية.

الجهة الثانية: أنّ السببية بمعناها العام لا دخل للإنسان أو منتجها بوقوعها، على العكس تمامًا القصدية التي تقوم على تأثير الإنسان أو المنتج لها بشكل تام.

أما السببية بمعناها الخاص فمن الممكن أن ينتج عنها نوع آخر يعبر عنه بالسببية القصدية، وتكون بهذا المعنى ليست هي ذاتها الجارية وفق النظام الطبيعي، بل هي نوع آخر ناتج عن الأسباب المقصودة أو الصناعية، وللتفريق بين السببية بمعناها العام والقصدية والسببية القصدية نسوق مثالًا لكلّ نوع: فالسببية بمعناها العام من قبيل: انجلاء الظلام سببه بزوغ الفجر الناتج عن الحركة الدائبة للأرض المؤثرة في وضع الشمس وضعًا معينًا.

أما القصدية فمن قبيل: قصد الإنسان المبادرة إلى التعلم. والسببية القصدية مثالها: لو صدم شخص شخصًا آخر وأدى ذلك إلى وقوع المصدوم في حفرة؛ فسوف يكون سبب الوقوع في الحفرة هو فعل الصادم عن قصد، وعندئذ يكون الصدم المقصود سببًا للوقوع في الحفرة؛ فيكون الوقوع في الحفرة مسبَّبًا عن الصدم المقصود (ينظر: سيرل جون، 2009، ص147)المراد من عمليات التواصل، وربما يكون ذلك مائزًا مقبولًا بين تلك العمليات من حيث وظيفتها، فيظهر من بعضها وظيفة اللغو ومن بعضها

الآخر وظيفة التنظيم ومن بعضها الآخر وظيفة التسلية وما إلى ذلك، ومعلوم أنّ لغة القانون وبحكم كونها لغة تنظيمية كان لابُدَّ أن تشتمل على معنى القصد في جميع صياغاتها؛ وذلك بحكم ارتباطها بالافتراض المعايَن الذي تهدف الصياغة إلى تشخيصه خارجًا؛ ليترتب الأثر عليه تنظيمًا من منطقة التنظير، فقول المشرّع: "يعاقب بالسجن المؤبد أو المؤقت كلّ شخص كلف بالمفاوضة مع حكومة أجنبية أو منظمة دولية أو شركة أجنبية في شأن من شؤون الدولة فأجراها ضد مصلحتها "(قانون العقوبات 1969م، رقم (111)، يعني أنّ الأمر منظور إليه بحكم الواقع، فالصياغة في مثل هذه الموارد تقوم على إبراز القصدية القانونية، التي تعني أنّ المشرع قاصدًا من وضعه للمادة وضعًا من شأنه أن يتحقق؛ " فالأحكام القانونية أنيطت بالمدلولات المقصودة لا بالصور المنطوقة؛ لأنّ مبدأ القصد هو المحرك والمؤسس لقانون المواضعة اللغوية"(ينظر: كاظم، مرتضى جبار، 2015م، ص108).

وتبرز حاكمية السببية على الصياغة القانونية بانتخاب صيغ ومفردات خاصة تشكل مظاهر تمايز واضحة جارية على النص القانوني، وموجهة للقاعدة القانونية بناء على دلالتها التي وضعت من أجلها؛ إذ تارة تدل على الإلزام وتارة تدل على الجواز وثالثة تدل على الإباحة(ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص262، وبيومي، سعيد أحمد،2007، ص45)، ولكلّ نوع من أنواع الحكم أو درجاته ألفاظ وتراكيب دالة عليه، مع ضرورة بيان أنّ الإلزام يُقصَد به طرفي الامتثال، أي (الإتيان والمنع).

المطلب الثاني: التعبير عن الفعل القانوني: يتم التعبير عن مضمون الفعل القانوني إما:

- بشكل مباشر، أي بصيغة الفعل مادة ومعنى.

وقد جرت العادة في الصياغات القانونية أن يتم التصريح عن الإلزام بثلاثة أنواع من الأفعال (الأفعال اللاشخصية) وهي التي يكون فاعلها اسم ذات معنوي، بمعنى أنّها تدل على حدث فاعله الدلالي مبهم فهي لا تسند لشخص ولا يخاطب بها شخص معين؛ لأنّها تخلو تلك الصورة التي تدل على اللاشخصية (ينظر: سالم، محمد شلتاغ 2021، ص169، والحمزاوي علاء إسماعيل، 2006، ص10 (من قبيل: "يجب، يجوز" والمضارع المبني للمجهول، والمضارع المبني للمعلوم)(ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص75، وبيومي، سعيد أحمد،2007، ص106، وصبرة محمود محمد علي،2007م،47)، وتوظيف هذه الأنواع يعتمد على السببية المؤثرة في بيان قوة القاعدة، وللتمثيل على هذه الأنواع: قول المشرّع: "يجب على المحكمة أن تبين في اسباب حكمها العذر المعفي من العقوبة "(قانون العقوبات: المادة، 2/128 (للدلالة على وجوب الامتثال بإتيان الفعل.

وقوله: "لا يجوز انشاء اية منارة ضوئية الا بعد موافقة سلطة الطيران المدني"(قانون الطيران المدني: المادة، 1/25)، للدلالة على وجوب الامتثال بالمنع عن القيام بالفعل دون موافقة سلطة الطيران.

وقوله: "يُعاقب بالإعدام من ارتكب عمداً فعلاً بقصد المساس باستقلال البلاد أو وحدتها أو سلامة أراضيها وكان الفعل من شأنه أن يؤدي إلى ذلك "(قانون العقوبات: المادة، 156). استعمال الفعل المضارع المبني للمجهول للدلالة على الفعل القانوني المباشر الدال على الإلزام.

وقوله: "يسري على حق الامتياز ما يسري على حق الرهن التأميني والحيازي من احكام متعلقة بهلاك الشيء أو تعيبه" (القانون المدني: المادة، 1366).

فقد استعمل المشرّع الفعل المضارع المبني للمعلوم للدلالة على الإلزام، ويعزى استناد اللغة القانونية في بعض جوانبها على اعتمادها استعمال الفعل المضارع لكونها تتسم بسمة "الوضع المستقبل" الذي يعني أنّها تركز على وضع القواعد وسن الأحكام؛ بغية تنظيم العلاقات بين الناس، وهي بهذا تختلف عن بعض الصياغات من قبيل الصياغة الصحفية التي تكون أغلب صياغاتها إخبارية، وينتهي أثر الخبر بمجرد سماعه أو قراءته، على عكس الصياغة التشريعية "القانونية" التي يظل أثرها إلا أن يتم إلغاؤها(ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص365).

وهذه الصيغة (صيغة الفعل المضارع) معدودة عند البعض (ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص265 وسعدون نجاة وبوتشاشة جمال، 2017، ص9)كافية في التعبير عن الالتزامات وخصوصًا في العقود، بحكم كون العقد يعبر عن التزامات بين الأطراف، واستعمال صيغة الأمر" يجب على فلان أن يفعل كذا" للتعبير عن الالتزامات سوف يحول العقد إلى مجموعة أوامر إلزامية بدلًا من مجموعة التزامات متفق عليها (بيومي، سعيد أحمد،2010، ص107).

- وإمّا بشكل غير مباشر، أي بمعنى الفعل لا بصيغة

- نقصد بالأفعال القانونية غير المباشرة: تلك التراكيب الدالة على نوع الحكم مع خلوّها من الصيغ الفعلية وتقوم بتأدية دور التعبير عن الحكم؛ بمعنى أنّها تخلو من الأفعال الصريحة، وهذه التراكيب تصنف بحسب دلالتها، فمنها ما يدل على الإلزام ومنها ما يدل على الإباحة ومنها ما يدل على المنع، وتستعيض عن الفعل الصريح باتكائها على جزء من الدلالة التي توفرها اللغة، من قبيل: دلالة (لا) النافية للجنس على المنع، ودلالة (على) على معنى الاستعلاء، وهو معنى مصاحب ومحبب في الفكر القانوني؛ لأنّها تميل إلى الجنب السلطوي

المنظِّم. ودلالة (اللام) على الجواز، ودلالة الجملة الخبرية في جانبها التنظيمي. وللتمثيل على ذلك، ورد في القانون: "عند تقدير التعويض العادل عن الضرر لابُدَّ للمحكمة ان تراعي في ذلك مركز الخصوم"(القانون المدني: المادة، 3/191)، الفعل القانون في هذه المادة هو (تقدير التعويض) وهو الفرض طبقًا للقاعدة القانونية، والحكم هو مراعاة مركز الخصوم، وقد ساقه المشرّع على نحو الإلزام المستفاد من (لا النافية للجنس) ومدخولها الدالة على نوع الحكم.

وقوله المشرّع: "3-على المحكمة دعوة الوديع والمودع والمستعير والمعير والمستأجر

والمؤجر والمرتهن والراهن والغاصب والمغصوب منه عند نظر دعوى الوديعة على الوديع والمستعار على المستعير والمأجور على المستأجر والمرهون على المرتهن والمغصوب على الغاصب.

1- للمحكمة أن تدعو أي شخص للاستيضاح منه عما يلزم لحسم الدعوى"(قانون المرافعات المدنية: المادة، 69/ 3-4). الفعل القانوني في هذه المادة ورد في (3) ورد بصيغة الإلزام الذي يعني جعله من أسس النظر في الدعوى؛ لذا عبر عنه بـ (على المحكمة). وفي (4) ورد بصيغة الإباحة (ينظر: مجمع اللغة العربية، 1999، ص103)؛ لذا عبر باللام (للمحكمة).

أما دلالة الجملة الخبرية على نوع الحكم فتعتمد أساسًا على إسناد الفعل القانوني (الخبر) إلى الفاعل القانوني (المبتدأ) (ينظر: بيومي، سعيد أحمد،2010، ص119)، إضافة إلى أنّ نوع الحكم تارة يستفاد من طرائق قانونية غير الإسناد، وأبرزها طريقتان: طريقة شكلية وطريقة معنوية، فالشكلية هي التي تعتمد على الرجوع إلى النص لمعرفة نوع الحكم؛ اعتمادًا على ما يحتويه النص من عبارات دالة؛ إذ كثيرًا ما ترد عبارات دالة على الإلزام، مثل: (لا يصح، لا يجوز، يمنع) وعبارات دالة على الإباحة مثل: (يصح، يجوز).

ويتحقق الارتباط في النصوص القانونية عندما يمثل النص هيئة مادية تنضوي تحته مقوّمات السلوك الإنساني المقبولة لدى العقلاء، سواء أكانت بسطوتها الرادعة أم بجريانها مقررة دون ردع. ونقصد بالسطوة الرادعة تلك النصوص القانونية التي تساق بصيغة الإلزام مقترنة بما يدل عليه من ألفاظ مشددة، كقواعد قانون العقوبات والقانون المدني. والمقررة هي تلك القواعد التي تنظم الحياة عمومًا، ومنها ربط المجتمع بالدولة والوطن الذي يعيش فيه، كقواعد قانون الأحوال الشخصية، وبعض قواعد القانون المدني.

موطن القوة في الفعل القانوني

تكمن مواطن القوة في الفعل القانوني ليس في دلالة الصيغ ذاتها، ولا في دلالة التراكيب، ولكن تكون في المقاصد القانونية؛ لذلك كانت الصيغ والتراكيب دلائل ورموزًا على أثر الفعل القانوني، وهذا الأمر جعل التفاوت ملحوظ قوة وضعفًا في نوع اللفظ المستخدم؛ من قبيل استعمال المشرع تعابير دالة على درجة الحكم؛ فاستعمال صيغة (يجب) بصفتها فعلًا إنجازيًا يؤدي دلالة التنبيه على أثر الإلزام، ودلالة صيغة (يجوز) للتنبيه على الإباحة وتخويل السلطة التقديرية، ودلالة (لا يجوز) على معنى الحظر أو كما يُعرف لدى بعض المشتغلين على الصياغة القانونية (سلب الإباحة) (ينظر: صبرة محمود محمد علي،2012م، ص88).

أما التعبير عن الإلزام بطريق عدم ذكر الفعل الإنجازي يعطي دلالة ربما تكون أقوى، ولك أن تتخيل الفرق في الإلزام بين قول المشرّع: "يجب على الشفيع أن يرفع دعوى الشفعة على كلّ من البائع والمشتري خلال ثلاثين يومًا من تاريخ إعلان رغبته، وألا سقط حقه "(القانون المدني: المادة، 1/1139 Civil Code: Article 1/1139). وقوله: "على الشفيع عند رفعه الدعوى بالشفعة أن يودع صندوق المحكمة التي يوجد المشفوع في

دائرتها مبلغًا يساوي نصف الثمن الحقيقي الذي حصل به البيع، فإن لم يتم الإيداع سقطت شفعته"(القانون المدني: المادة، 1140). إذ تكمن قوة درجة الحكم من حيث تأثرها في التصريح بالفعل الإنجازي من عدمه من ملحظ المباشرة؛ لأنّ التصريح بالوجوب يصرف الذهن إلى أهمية الوجوب أكثر من أهمية الدلالة على الحكم. وكذلك فإنّ التركيب الذي يخلو من صيغة الفعل الإنجازي يكون أكثر تأثيرًا في إبراز الأثر؛ إذ التصريح باستعمال الفعل المضارع مثلًا يكون أكثر تأثيرًا في الدلالة على مضمون الحكم، فمثلًا استعمال صيغة (يلتزم أو يعاقب) أبلغ من صيغة (يجب أن أو يجوز أن) (ينظر: سالم، محمد شلتاغ 2021، ص47).

وقد تميّز هذا النوع (المتضمن فعلًا إنجازيًا) بمجيء فاعله مصدرًا سواء أكان صريحًا، نحو قول المشرّع: "يجوز الاتفاق على ان العقد يعتبر مفسوخاً من تلقاء نفسه دون حاجة إلى حكم قضائي عند عدم الوفاء بالالتزامات الناشئة عنه، وهذا الاتفاق لا يعفى من الاعذار الا إذا اتفق المتعاقدان صراحة على عدم ضرورته"(القانون المدني: المادة،173).

أم مؤولًا، نحو قول المشرّع: "يجب أن يدل الاسم التجاري للشركة على نوعها، وأن يحتوي في الأقل على اسم أحد الشركاء إن كانت شركة تضامنية أو بسيطة أو مشروعًا فرديًا"(قانون التجارة: المادة، 23). ويعود السبب في ذلك - برأي الباحث - إلى أمرين:

أولهما: هو تحقيق الأثر التكميلي للحدث؛ لأنّ هذه الأفعال (اللاشخصية) قاصرة دلاليًا عن الإلماح للموائمة بين الحدثية والزمن (شرطي الفعلية)، إذ فرق بين (تسري النصوص التشريعية) و(يجب الاتفاق) فالفعل "تسري" يلمح إلى الحدثية والزمن، أما الفعل "يجب" فهو قاصر دلاليًا عن ذلك.

ثانيهما: إنّ ذكر الفعل يستدعي فاعله حتمًا؛ لأنّه "لابُدَّ لكلّ فعل من فَاعل لِأَنَّ ... الْفِعْل وَالْفَاعِل بِمَنْزِلَة شَيْء وَاحِد إِذْ كَانَ لَا يَسْتَغْنِي كلّ وَاحِد مِنْهُمَا عَن صَاحبه كالابتداء وَالْخَبَر"(المبرد، محمد، 1994، ج4، ص50).

وينتج عن ذلك أنّ المصدر المعبر به عن الفاعل مع الأفعال اللاشخصية حدث غير مقترن بزمن، والفعل حدث مقترن بزمن، ومعلوم أنّ تساقط القيود عن الشيء تجعله يقترب من العموم في معناه، فالفعل مسوّر بأمرين (الحدثية والزمن) أمّا المصدر فمتحرر من الزمن؛ لذا فهو أكثر عمومية من الفعل وهذا الأمر يتناسب مع ضرورات الصياغة القانونية التي تميل إلى تسويق العمومية بشكل كبير، ولا فرق في ذلك بين نوعي الفاعل، الطبيعي والاعتباري.

الخاتمة والتوصيات

توصل البحث إلى نتائج، أهمها:

1-لا يمكن النظر للظواهر التركيبية بنظرة جزئية تُقتصر في عملية الربط أو الارتباط، بل لابُدَّ من الإيمان بضرورة الأهمية التي تشغلها تلك الظواهر على مستوى العمليات اللسانية برمتها.

2-إنّ مجمل العلاقات المترشحة عن عمليات التواصل هي نتاج تلك الظواهر بدليل اختلاف أو تخلف الظاهرة الحاكمة على العلاقة يجعل منها شيئا لم يكن، فمثلًا أدوات العطف تفرض ربطًا في الكلام (ترابط الجمل) أنّه حصيلة عميلة تجزيئية ترابط وفق دواعٍ سياقة، ولو تخلف الرابط لم يخل بطرفي الربط الجملي.

3-إن السببية حكم منطقي متغلغل في الأنماط اللغوية، وهو ركيزة تواصلية تربط اللغة بمحيطها؛ فتارة تكون السببية حصيلة آثار اجتماعية -كما هو

ملحوظ في لغة القانون التي تعمل جميع نصوصها على تنظيم الحياة الاجتماعية حتى عد ذلك السبب الأبرز في وضع القوانين-وتارة تكون حصيلة العوامل النفسية وغير ذلك.

التوصيات:

ضرورة إيلاء السببية الأهمية البحثية لما لها من أثر في تقدم عجلة البحث وإخراج اللغة من الطابع التقليدي إلى محيطها الواقعي.

ثبت المصادر والمراجع.

- أولًا: القرآن الكريم.
- ثانيًا: الكتب.

- أونوريه، توني، آراء في القانون، ترجمة: د مصطفى رياض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية - القاهرة، ط1، 1998م.

- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1974م.

- صبرة، محمود محمد علي، أصول الصياغة القانونية باللغة العربية والإنجليزية مع شرح وافٍ لأهم خصائص اللغة القانونية، دار الكتب القانونية - مصر، 2012م.

- السنهوري، د. عبد الرزاق أحمد، أصول القانون أو المدخل لدراسة القانون، السنهوري، ود. أحمد حكمت أبو شيت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، 1950م.

- عبد الصمد، محمد وجدي، الاعتذار بالجهل القانوني دراسة تأصيلية تحليلية مقارنة، دار المعارف، ط2، 1987م.

- الحمزاوي، د علاء إسماعيل، الأفعال اللاشخصية في القرآن تحليل تركيبي دلالي في ضوء علم اللغة التِقابلي، (بحث).

- الأنصاري، الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد عبد الحميد الدرويش، دار الجيل-بيروت، ط5، 1979م.

- الرفاعي، د. أحمد محمد، برنامج الدراسات القانونية المدخل للعلوم القانونية (نظرية القانون)، جامعة بنها - كلية الحقوق، 2007م - 2008م.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه -القاهرة، ط1، 1376 هـ - 1957م.

- سالم، محمد شلتاغ، بناء الجملة في لغة القانون دراسة تطبيقية في القانون المدني العراقي، رسالة ماجستير، كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة، 1443هـ -2021م.

- الناجح، عز الدين، الحجاج في الخطاب القانوني، تقديم: خالد ميلاد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس، 2012م.

- الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، (المتوفى: 392هـ)، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (المتوفى: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ -2001م.

- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، 1403هـ -1983م.

- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (المتوفى: 686 هـ)، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس - ليبيا، 1395هـ -1975م.

- الفقهي، د. صبحي أبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار الوفاء للطباعة والنشر - القاهرة، ط1، 1421هـ -2000م.

- تروبر، ميشيل، فلسفة القانون، ترجمة: جورج سعد، دار الأنوار للطباعة والنشر - النبطية.

- قانون التجارة رقم (30) لسنة 1984م.

- قانون الطيران المدني العراقي رقم (148) لسنة 1974م المعدل سنة 2016م.

- قانون العقوبات رقم (111) لسنة 1969م.

- قانون المرافعات المدنية رقم (83) لسنة 1969م المعدل.

- سيرل، جون، القصدية بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 2009م.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، (المتوفى: 180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي -القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988م.

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3 -1407هـ.

- بيومي، د. سعيد أحمد، لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي، دار الكتب القانونية - مصر، ط1، 1431هـ -2010م.

- كاظم، د. مرتضى جبار، اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، دار ومكتبة عدنان - بغداد، ط1، 1436هـ -2015م.

- بيومي، سعيد أحمد، لغة الحكم القضائي، دراسة تركيبية دلالي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1-2007.

- عمر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 1427هـ-2006م.

- مارتيني، أندريه، مبادئ في اللسانيات العامة، ترجمة: د. صعدي زبير، دار آفاق بغداد.

- بحيري، د. سعيد حسن، مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان، ترجمة: مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، ط1، 2004م.

- كيرة، د. حسن، المدخل إلى القانون، القسم الأول، دار المعارف - الاسكندرية، ط1.

- فرج، توفيق حسن، المدخل للعلوم القانونية موجز النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق، مؤسسة الثقافة الجامعية.

- معجم القانون، مجمع اللغة العربية - القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، 1420هـ -1999م.

- مبارك، د. مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي - إنكليزي - عربي، دار الفكر اللبناني - بيروت، ط1، 1995.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420هـ.

- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون العلمية، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ط2، 1994م.

- المظفر، الشيخ محمد رضا، المنطق، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، ط3، 1388هـ -1968م.

- عبد اللطيف، د. محمد حماسة، منهج التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق، مجلة النقد الأدبي فصول، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الرابع عشر، العدد2، 1996م.

- سعدون -بوتشاشة، نجاة - جمال، البناء اللغوي للنص القانوني ما بين العربية والفرنسية، مجلة الأثر، العدد 28، جوان 2017، الجزائر.

- عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق -القاهرة، ط1، 2001.

- دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 1998م.

- حميدة، د. مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار توبار للطباعة -القاهرة، ط1، 1997م.

GEORGE YULE: The study of language.141.

البنية الصرفية في ترتيب المعجم العربي: دراسة في أثر الجذر والوزن على التنظيم المعجمي

م. زهراء شهاب احمد
قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة ميسان
Zahraaallamy1986@gmail.com

الملخص:

يحظى المعجم العربي بمكانة كبيرة بين معاجم اللغات العالمية، إذ لم يقتصر دوره على حصر الألفاظ وتفسيرها، بل تجلّى فيه وعي علمي معمق ببنية العربية ونظامها. فقد تأسست صناعة المعجم العربي على مبدأين مركزيين: الجذر والوزن، وهما أساس البنية الصرفية التي ساعدت على ترتيب المواد بطريقة منهجية دقيقة. وقد وعى الأوائل أن ربط الكلمات بأصولها الجذرية، وفهم صيغها الوزنية، يمثل مدخلًا قويًا لاستيعاب المعنى العام للكلمة ومعرفة امتداداتها الاشتقاقية، فانعكس ذلك على بناء المعجم منذ نشأته.

ويتضح هذا جليًا في معاجم مثل العين للخليل بن أحمد، الذي جعل ترتيب الجذور محورًا لتنظيم الألفاظ، معتبرًا أن فهم الجذر يفتح للباحث بابًا إلى شبكة واسعة من المعاني والعلاقات. كما ساعد الوزن بدوره في تفسير

وظائف الكلمة وتمييز معانيها الفرعية، فصار معيارًا مكمّلًا للجذر في عملية الفهرسة.
غير أنّ اعتماد النظام الجذري والوزني معًا أثار على مرّ العصور نقاشات نقدية، خاصة عندما تغيّرت اهتمامات الباحثين المعاصرين وصاروا أكثر ميلًا إلى الترتيب الألفبائي. ومع ذلك، يظل النظام الصرفي مصدر ثراء وقوة للمعجم العربي، ويستحق دراسة متعمقة تكشف آفاقه وإشكالاته معًا.
وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى استكشاف أثر البنية الصرفية ممثلةً في الجذر والوزن على طريقة ترتيب المعجم العربي، مع تحليل مزايا هذا النظام وتحدياته، ومقارنته بالمحاولات الحديثة لتنظيم الألفاظ وفق أساليب معاصرة تخدم الباحثين وطلاب اللغة وتسهّل التعامل مع المعجم في العصر الرقمي.
الكلمات المفتاحية: البنية الصرفية، التنظيم المعجمي، الوزن، الجذر.

The Morphological Structure in the Arrangement of the Arabic Dictionary: A Study of the Impact of Root and Pattern on Lexicographical Organization

Dr. Zahraa Shihab Ahmed
Department of Arabic Language / College of Education / University of Maysan

Abstract:
The Arabic lexicon occupies a prestigious position among the world's dictionaries, as its role has gone beyond merely recording and explaining words to reflecting a profound scientific awareness of the structure and system of the Arabic language. The compilation of the Arabic lexicon was

founded on two central principles: the root and the morphological pattern, which together represent the morphological structure that supported the systematic and accurate arrangement of its entries. Early scholars understood that linking words to their roots, and analyzing their morphological patterns, offered a powerful gateway to comprehending the general meaning of words and recognizing their derivational extensions. This awareness was directly reflected in lexicographic works from their inception.

This is clearly evident in dictionaries such as Kitab al-'Ayn by Al-Khalil ibn Ahmad, who placed the root at the center of organizing entries, believing that knowledge of the root opens the door for researchers to a broad network of related meanings. The pattern, for its part, helped to explain the grammatical functions of words and distinguish their nuanced meanings, thus serving as a complementary standard alongside the root in the indexing process.

However, the reliance on both the root and the pattern has historically generated critical debates, especially as modern researchers have become more inclined toward alphabetical arrangements. Nevertheless, the morphological system remains a rich and powerful asset of the Arabic lexicon, deserving of an in-depth study that reveals both its potential and its challenges.

Accordingly, this research seeks to explore the impact of the morphological structure, represented by root and pattern, on the arrangement of the Arabic lexicon, analyzing the advantages and challenges of this system, and comparing it to contemporary attempts to organize

entries in a way that better serves researchers, language learners, and users in the digital age.
Keywords: Morphological structure, Lexical organization, Root, Pattern .

المقدمة

تُعد البنية الصرفية المتمثلة في الجذر والوزن من أهم الأسس التي قامت عليها صناعة المعجم العربي منذ نشأتها، فقد مكّن هذا النظام علماء اللغة من تصنيف الألفاظ بشكل دقيق، وربط الكلمات بعضها ببعض من خلال أصلها المشترك وصيغها الاشتقاقية، وقد ساعد ذلك على الكشف عن العلاقات الدلالية بين المفردات وتسهيل البحث فيها. غير أن اعتماد الترتيب الجذري والوزني أثار تساؤلات حديثة حول مدى مناسبته للمستخدم المعاصر، خاصة مع التطورات الرقمية.

المبحث الأول

الإطار النظري

أولًا: مفهوم البنية الصرفية في اللغة العربية

تمثل البنية الصرفية في العربية حجر الأساس لفهم بنية الكلمة وأبعادها الدلالية والوظيفية، وهي ميدان يتقاطع فيه علم الصرف مع علم المعجم بوصفه مستودعًا لهذه البنى. ويقصد بالبنية الصرفية مجموع العناصر الثابتة والمتحركة التي تتكون منها الكلمة العربية من حيث جذورها وأوزانها وصيغها، بما يتيح إمكان توليد عدد كبير من المفردات من أصل واحد (تمام حسان، 1980، ص 98).

وقد نشأ الاهتمام بالبنية الصرفية في وقت مبكر جدًا مع حركة تدوين العلوم العربية في القرن الثاني الهجري؛ إذ اكتشف العلماء أن ربط الكلمات بأصولها الجذرية والصيغ الوزنية يعد أداة قوية لفهم الظواهر الاشتقاقية وتفسير العلاقات المعنوية بين المفردات، مما يرسخ النظام المعجمي (رمضان عبد التواب، 1998، ص 83).

لقد كان علماء الصرف ينظرون إلى الكلمة العربية على أنها بناء لغوي مركب من جذر وصيغة، لا يكفي معرفة معناها المعجمي وحده، بل يجب تحليل بنيتها وتحديد وزنها حتى يمكن الكشف عن دلالاتها الوظيفية وإعرابها في سياق الكلام (إبراهيم أنيس، 1972، ص 114). ولهذا كانت البنية الصرفية معبرًا أساسيًا لتحديد دور الكلمة داخل الجملة، وتعتبر اليوم أساسًا في كل الدراسات اللسانية الحديثة أيضًا.

ثانيًا: الجذر وأثره في بناء النظام المعجمي

يعد الجذر في العربية بمثابة النواة الصلبة للمعنى، حيث تتجمع تحته المفردات التي تشترك في أصل دلالي واحد، حتى لو اختلفت صيغها وتفرعت اشتقاقاتها. وهذا النظام الجذري منح اللغة العربية قدرة هائلة على التوليد؛ إذ يمكن صياغة آلاف الألفاظ من جذور محدودة (أحمد مختار عمر، 2001، ص 59).

وقد أدرك الخليل بن أحمد منذ القرن الثاني الهجري قيمة الجذر تنظيميًا حين أنشأ معجمه الشهير العين معتمدًا الترتيب الجذري، ورتب أبوابه بناء على مخارج الحروف، ثم جمع الألفاظ تحت جذورها، ليضمن للباحث أن يعثر على جميع المشتقات ذات الأصل الواحد في موضع واحد (الخليل بن أحمد، دون تاريخ، ج1، ص 5).

وبهذا المنهج سهل الخليل على اللغويين مهمة تتبع شبكة المعاني، ووضع أمام القارئ صورة متكاملة عن الثروة الاشتقاقية للغة. لقد أظهر هذا الترتيب كيف تتفرع الألفاظ في العربية من أصل ثلاثي أو رباعي إلى صيغ وأوزان تحمل دلالات الحدث والزمن والنسبة والمصدرية وغيرها (تمام حسان، 1980، ص 109).

وإذا كان الجذر يمثل الرصيد الثابت الذي تتفرع منه الكلمات، فإن استحضاره في صناعة المعجم يوفر خريطة واضحة للباحث، ويتيح له الإمساك بالعلاقات الدلالية بسهولة. إلّا أن هذا النظام يتطلب من المستخدم مهارة ردّ الكلمة إلى أصلها، وهو ما قد يكون عسيرًا على من لا يملك دراية كافية بالصرف، خاصة في ظل التعقيد الذي يطرأ على بعض الجذور عند إدخال أحرف الزيادة (عبد اللطيف الخطيب، 2009، ص 103).

ثالثًا: الوزن وأهميته في النظام العربي

أما الوزن، فهو الجانب الصرفي الآخر الذي يكمل دور الجذر ويضيف بعدًا هامًا للتنظيم اللغوي والمعجمي. فالوزن العربي نظام دقيق يُظهر القوالب التي تُبنى عليها الألفاظ، ويميز صيغة عن أخرى، كتمييز فاعل من مفعول، أو مصدر من اسم مكان، وهكذا (إبراهيم أنيس، 1972، ص 117).

لقد ساعد الوزن في توضيح المعاني الصرفية للكلمة، مثل الدلالة على الزمن (الماضي/المضارع)، أو الدلالة على الكثرة، أو الإعلال أو التضعيف، وهو ما جعل الأوزان أيضًا مدخلًا لفهم الوظيفة النحوية (أحمد مختار عمر، 2001، ص 66).

وقد استخدم المعجميون فكرة الوزن من أجل تسهيل ترتيب المفردات داخل المادة الجذرية نفسها؛ فحين يجمع المعجم تحت الجذر الواحد

عشرات الألفاظ، فإن الوزن يصبح المفتاح لترتيب هذه الألفاظ، لأن القارئ يعرف من وزن الكلمة صيغتها ووظيفتها (الخطيب، 2009، ص 105).

مثال ذلك كلمة (استغفار) تعود إلى الجذر (غ ف ر)، لكنها بوزن (استفعال)، ما يشير إلى طلب الغفران، بينما (غافر) بوزن (فاعل)، فتدل على الفاعل نفسه، وهنا يبرز كيف يضيء الوزن العلاقة بين الصيغة والمعنى (تمام حسان، 1980، ص 115).

رابعًا: العلاقة بين الجذر والوزن في خدمة المعجم

الجذر يوفّر للمعجم قاعدة تصنيفية متينة، لكنه بمفرده قد لا يكفي حينما تتعدد المشتقات بشكل واسع، وهنا يأتي الوزن ليكون كاشفًا للمعاني الداخلية ويكمل دور الجذر. لقد رأى القدماء أن المزج بين الجذر والوزن ضروري لترتيب مفردات اللغة، وهو ما يفسر تبني معظم معاجم العربية الكبرى لهذين البعدين معًا (ابن منظور، 2003، ج1، ص 8).

ولذلك كان اللغوي يجد في معجم كالصحاح مادة الجذر، ثم داخله الألفاظ مرتبة بحسب وزنها لتسهل مراجعتها (الجوهري، 1990، ج1، ص 11). وهذه الطريقة وفرت للباحث ترتيبًا واضحًا من جهة، وصورة اشتقاقية متكاملة من جهة أخرى، تعينه على فهم العلاقات المعنوية والصرفية بين الكلمات.

خامسًا: نقد النظام الجذري الوزني

ورغم هذه المزايا، فإن اعتماد الترتيب الجذري الوزني أثار تساؤلات كثيرة، خاصة عند الباحثين المحدثين الذين رأوا أنه يصعب على غير المتخصصين، لأنهم يحتاجون إلى معرفة الجذر أولا ثم الوزن قبل الوصول إلى الكلمة (عبد الرحمن أيوب، 2008، ص 85).

كما أن بعض الكلمات الدخيلة أو الأسماء الأعجمية لا تخضع بسهولة للتحليل الجذري الوزني، مما يجعل ترتيبها داخل المعاجم التقليدية مشكلة إضافية (الخطيب، 2009، ص 109). لهذا ظهرت الدعوات الحديثة إلى اعتماد الترتيب الألفبائي كبديل عملي يسهّل البحث على المستخدم العادي ويواكب عصر الحوسبة والبحث الرقمي (ماهر حسن، 2020، ص 92).

لكن حتى مع هذا النقد، لا يمكن إنكار أن النظام الجذري الوزني هو جوهر الهوية المعجمية للغة العربية، ويحتفظ بقيمته العلمية والتأصيلية الكبرى، ما يجعل من الضروري التفكير في معاجم هجينة تمزج بين الجذر والألفبائية معًا (عز الدين التنوخي، 1997، ص 53).

سادسًا: التحديات التي تواجه ترتيب المعجم وفق البنية الصرفية

من أهم التحديات التي لاحظها المحدثون أن الطالب يحتاج خبرة جيدة بعلم الصرف حتى يستطيع ردّ الكلمة إلى أصلها، وهذا قد لا يتوفر بسهولة، خاصة في عصر التعليم الجامعي المفتوح (حسن شحاتة، 2011، ص 135)، كما أن المعاجم القديمة لا تشرح أحيانًا كيفية اشتقاق الكلمة أو بيان وزنها بصورة منظمة، مما يجعل القارئ يتيه بين المواد الجذرية إذا لم يكن ملما بالقواعد (عبد اللطيف الخطيب، 2009، ص 111)، فمن هنا تبرز ضرورة صياغة معاجم حديثة تراعي الترتيب الهجائي مع الإشارة إلى الجذر والوزن معًا، بحيث يستفيد منها المبتدئ والخبير في وقت واحد (ماهر حسن، 2020، ص 94).

المبحث الثاني

تحليل أثر الجذر والوزن على ترتيب المعجم العربي

أولًا: تحليل أثر الجذر على ترتيب المعجم العربي

لا يخفى على دارس العربية أن الجذر يعدّ أحد أقوى الأسس التي قامت عليها الصناعة المعجمية العربية منذ نشأتها الأولى. ويقصد به ذلك الأصل الذي تجتمع حوله المفردات المنتمية إلى حقل دلالي واحد، بحيث تنبثق منه معاني الاشتقاق المختلفة، وهو ما يمنح اللغة العربية قدرة استثنائية على التوليد والإثراء اللغوي (محمد الزعبلاوي، 2009، ص22).

لقد وعى علماء العربية الأوائل هذه الخاصية الجوهرية للجذر، فأسسوا بناء المعجم على ربط كل كلمة بأصلها الثلاثي أو الرباعي، مما يسهل اكتشاف علاقات الاشتقاق ومعرفة أنماط الصياغة والدلالة (سعد العزاوي، 2014، ص19). ويظهر ذلك واضحًا في معجم العين الذي رتبه الخليل بن أحمد وفق أبواب الأصوات، لكنه جمع مفرداته تحت الجذور التي تعود إليها مهما تعددت صورها (رائد الخطيب، 2010، ص41).

وقد كان اعتماد الجذر وسيلة ممتازة لتجميع أسر الألفاظ، إذ يحقق قدرًا كبيرًا من النظام والاقتصاد في العرض، فلا يحتاج القارئ إلى البحث في أماكن متفرقة للعثور على مشتقات كلمة واحدة، بل يجدها جميعًا منظمة في باب الجذر (عماد خلف، 2021، ص90).

ومكّن هذا الترتيب علماء العربية من رصد تطور الألفاظ عبر العصور، ومقارنة لهجات القبائل، والتثبت من أصالة المفردات أو أعجميتها.

فالكلمات التي تفتقد نظام الجذر الثلاثي غالبًا ما تصنف ضمن الألفاظ المعرّبة أو الدخيلة (عبد الله البكري، 2012، ص55).

وعلى الرغم من القيمة الكبيرة التي أظهرها هذا الترتيب الجذري، فإنه لا يخلو من صعوبات، أبرزها أن الباحث بحاجة إلى مهارة ردّ الكلمة إلى أصلها، وهذا يتطلب خلفية صرفية متقدمة لا تتوفر دائمًا لدى المتعلمين الجدد (ياسر السعدي، 2018، ص73).

فمثلًا يجد الطالب صعوبة في ردّ كلمة (استغفار) إلى أصلها (غ ف ر) لوجود أحرف الزيادة والهمزة، وهكذا قد يضل طريقه داخل المعجم الجذري إذا لم يدرس أبواب الصرف بشكل كافٍ (حمزة اليعقوبي، 2017، ص44).

ومع تطور الدراسات الحديثة ظهرت الحاجة لمواءمة هذا الترتيب الجذري مع متطلبات البحث الرقمي، حيث يعتاد القارئ المعاصر على الترتيب الهجائي السريع دون الاشتغال بتحديد الجذر، ما جعل بعض اللغويين يقترحون صياغة معاجم تجمع بين النظام الجذري والترتيب الهجائي (مازن الهماش، 2020، ص28).

ويبدو أن هذا الحل الوسيط هو الأنجع، لأنه يحافظ على روح العربية المتمثلة في الجذر، ويستجيب في الوقت ذاته لسهولة البحث وتقنيات الحاسوب (أحمد الشمري، 2022، ص61).

إن الجذر العربي يمكّن الباحث من رؤية الامتداد الاشتقاقي للألفاظ بوضوح. على سبيل المثال الجذر (س ل م) يوحد بين كلمات مثل السلام، السليم، التسليم، المستسلم، وهذه القدرة على الجمع تجعل المعجم العربي متفردًا مقارنة بغيره من معاجم اللغات الأخرى التي لا تعتمد نظام الجذور (سعيد الغامدي، 2016، ص133)، وبفضل هذا النظام، يستطيع المعجمي

دراسة تاريخ الألفاظ وتحولاتها بدقة، مستندًا إلى فكرة أن الجذر هو الخيط الجامع بين جميع اشتقاقات المادة (قاسم الفهداوي، 2019، ص80).

غير أن هناك تحديات لا يمكن إغفالها، منها صعوبة تصنيف الكلمات الأجنبية والأسماء العلمية الحديثة داخل الجذر العربي، مما يقتضي حلولًا مكملة في الفهرسة، أو ملاحق خاصة لهذه المفردات (علي الراوي، 2015، ص112)، ويؤكد ذلك أن نظام الجذر وحده لا يحقق الاكتفاء الكامل، بل ينبغي دعمه بأساليب تيسيرية أخرى تسهّل مهمة الباحث والطالب في الوصول إلى الألفاظ (عماد الخزرجي، 2021، ص97).

وعلى الرغم من الانتقادات التي طالت النظام الجذري من بعض الباحثين، يبقى هو النظام الأصيل الذي يعبر عن عبقرية العربية في بناء الدلالة، وحفظ الارتباط بين المفردات المتقاربة (أحمد الشمري، 2022، ص64)، لذلك فإن اتجاه بعض المشاريع المعجمية الحديثة إلى المزج بين الجذر والأبجدية يبدو اختيارًا حكيمًا يوازن بين الأصالة والحداثة (مازن الهماش، 2020، ص31).

ثانيًا: تحليل أثر الوزن على ترتيب المعجم العربي

يعد الوزن الصرفي ركنًا آخر من أركان الترتيب المعجمي، فهو يكشف عن صيغة الكلمة ويوضح دلالتها النحوية والصرفية. ويرتبط الوزن ارتباطًا وثيقًا بالجذر؛ إذ يمثل القالب الذي تصاغ فيه حروف الجذر لإنتاج معانٍ متنوعة (أحمد السماوي، 2019، ص21).

وقد أولى علماء المعاجم اهتمامًا كبيرًا بالوزن؛ لأنه يسهم في تمييز الوظيفة الصرفية للكلمة، ككونها اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدرًا أو دالًا على كثرة أو حرفة (نضال الشرع، 2020، ص55)، فمثلًا وزن (افتعال) يعطي معنى الطلب أو المشاركة، بينما (تفعيل) يدل على التكثير أو التكرار، وهكذا

يتبين من الوزن وظيفة الصيغة دون الحاجة إلى شروح طويلة (محمود المجذوب، 2017، ص88).

واعتمد المعجميون في معظم المعاجم التقليدية على ترتيب المفردات تحت الجذر، ثم توزيعها بحسب الأوزان، ليكون التصنيف أكثر إحكامًا ويساعد في سرعة الاستيعاب (عماد الخزرجى، 2021، ص102)، ويُظهر الوزن التنوع الاشتقاقي للكلمة الواحدة، ويبين علاقتها بالأزمنة أو بالفاعل والمفعول، فيكون بمثابة خريطة مصغرة لحركة الاشتقاق العربي (حمزة اليعقوبي، 2017، ص49).

كما يكشف الوزن عن العلاقة بين الأسماء والأفعال والصفات، بما يساعد القارئ على تمييز الدلالة بسرعة، ويمنع الخلط بين الكلمات ذات الجذر الواحد (ياسر السعدي، 2018، ص76)، ومن مزايا الترتيب الوزني أيضًا أنه يسهّل على الطالب معرفة نوع الصيغة في الاستعمال، خاصة حين يبحث عن أصل كلمة مركبة فيجد أن وزنها يحدد وظيفتها اللغوية (سعيد الغامدي، 2016، ص139).

لكن مثلما واجه الترتيب الجذري صعوبات، فإن النظام الوزني وحده قد يثير التباسًا إذا لم يرافقه توضيح الجذر، لأن الأوزان متشابهة أحيانًا وتحتاج إلى معرفة أصل الجذر للتمييز بينها (محمد الزعبلاوي، 2009، ص28).

لذلك اتجهت بعض التجارب الحديثة إلى الدمج بين الوزن والجذر ضمن فهرسة هجائية، بحيث تذكر المادة مرتين: مرة وفق الترتيب الهجائي العادي، ومرة وفق الجذر والوزن، لتلبية احتياجات القراء جميعًا (رائد الخطيب، 2010، ص44).

وقد أكد بعض الدارسين أن الوزن يلعب دورًا جوهريًا في حفظ معاني اللغة، ويعزز القدرة على فهم البنية الاشتقاقية بعمق، لذا من الخطأ إهماله

فـي المعـاجم الإلكترونيـة المعاصـرة (علـي الـراوي، 2015، ص117)، ويستفيد دارس العربية من معرفة الوزن لفهم اختلاف الدلالات الزمنية بين صيغ الأفعال، أو معرفة النسب والصفة، بما يثري وعيه بالمعنى الوظيفي (مازن الهماش، 2020، ص35).

ويُوصى في صناعة المعاجم الحديثة ببناء قاعدة بيانات تربط الوزن مباشرة بالجـذر، ثـم تعـرض الأمثلـة والشـواهد بشـكل مـنظم، لزيـادة وضـوح المصطلحات (أحمد الشمري، 2022، ص69)، فالجمع بين الوزن والجذر هو ما يضمن للمعجم العربي قدرته على الاستمرار كأداة تعليمية وعلمية دقيقة، تتماشى مع تراث اللغة وتدعم احتياجات المستخدم الحديث (عماد خلف، 2021، ص98).

المبحث الثالث

دراسة مقارنة بين المعاجم العربية في ضوء البنية الصرفية (الجذر والوزن)

تشكّل المعاجم العربية على اختلاف مدارسها مرآة حقيقية للعقل اللغوي العربي، إذ أسهمت في الحفاظ على المفردات ودلالاتها، وربطتها بأصولها الاشتقاقية عبر نظامين محوريين هما: الجذر والوزن. وقد تميّزت هذه المعاجم بتنوّع مناهجها من حيث كيفية توظيف هذين البعدين الصرفيين في الترتيب والتنظيم، ويمكننا أن نلحظ بوضوح أن الجذر كان هو المحور الثابت الذي اعتمد عليه معظم أصحاب المعاجم، بدءًا من الخليل بن أحمد وصولًا إلى الزبيدي، فيما استُخدم الوزن في الغالب كوسيلة توضيحية، دون أن يشكّل مفتاحًا للفهرسة أو نظامًا رئيسيًا لترتيب المواد.

أولًا: معجم العين للخليل بن أحمد

يُعدُّ العين أول محاولة منهجية دقيقة في التراث العربي لتصنيف الكلمات على أساس الجذر، وقد ابتكر الخليل نظامًا صوتيًا حين رتّب الحروف حسب مخارجها، مبتدئًا بأبعدها مخرجًا وهو العين (محمد الزعبلاوي، 2009، ص35). وكان الهدف من ذلك تقريب الكلمات من النظام الصوتي الذي يراه جوهر العربية، ثم جمع الاشتقاقات كلها في باب الجذر.

غير أن الوزن عند الخليل بقي عنصرًا مفسّرًا داخل العرض، ولم يستعمله كفهرسة مستقلة، بل شرح عبر الأوزان علاقة المعاني ببعضها داخل الجذر (سعد العزاوي، 2014، ص48). ومما ميّز العين قدرته على إظهار تماسك عائلات الكلمات، فالقارئ يطّلع على كل ما يتفرع من أصل واحد بترابط واضح، مما يجعل دراسته الصرفية ممكنة ومتسلسلة (رائد الخطيب، 2010، ص56).

ومع ذلك، صعّب الترتيب الصوتي في العين مهمة الوصول إلى الكلمة على من لم يكن متمرسًا بعلم الأصوات، وهو ما يجعل استثماره اليوم يحتاج دليلًا مساعدًا (حمزة اليعقوبي، 2017، ص62).

ثانياً: الصحاح للجوهري

بنقلة تطويرية مهمة، اختار الجوهري في الصحاح الترتيب الهجائي داخل كل جذر، فجمع بين مرونة البحث وسهولة الاستعمال، مع محافظته على الجذر بوصفه أصلًا للتصنيف (رائد الخطيب، 2010، ص63).

لقد قرب الجوهري مادته أكثر إلى الباحثين؛ إذ سهّل عليهم العثور على الألفاظ دون تعقيدات نظام المخارج، لكنه ظل متمسكًا بأن الجذر هو البوابة الأساس، والوزن شرح إضافي فقط (مازن الهماش، 2020، ص42).

ومن مزايا الصحاح أنه أكثر عملية من العين عند التعامل مع الكلمة مباشرة، رغم استمرار حاجته لمهارة ردّ الألفاظ إلى أصولها (عبد الله البكري، 2012، ص69).

ثالثاً: القاموس المحيط للفيروزآبادي

قدّم القاموس المحيط صيغة مطوّرة من المدرسة الجوهريّة، حيث وسّع مادته اللغوية بشكل ضخم وأبقى على الجذر معيارًا للتصنيف، مع ترتيب هجائي داخلي (سعيد الغامدي، 2016، ص147).

وعرض الفيروزآبادي الألفاظ المتفرعة تحت كل جذر بتسلسل واضح، مبرزًا أوزانها كجزء من الشرح لا من نظام الفهرسة، وبذلك سار على نهج سابقيه مع زيادة موسوعية واضحة (قاسم الفهداوي، 2019، ص98).

لكن كثرة مواده وتشعب عباراته تجعل التعامل معه مرهقًا للمتعلمين الجدد، وهو ما يجعل الإفادة منه بحاجة إلى تدريب لغوي متقدّم (ياسر السعدي، 2018، ص88).

رابعًا: لسان العرب لابن منظور

جاء لسان العرب كأكبر مشروع لغوي موسوعي في زمانه؛ إذ دمج جهود سابقيه وأضاف إليها شواهد واسعة وأبعادًا تاريخية وثقافية (نضال الشرع، 2020، ص59).

اعتمد ابن منظور على الجذر ترتيبًا، مع تهذيب ترتيب الحروف هجائيًا داخل الجذر، وأضاف إلى ذلك وفرة من الأمثلة الأدبية والقرآنية التي جعلت المعجم مصدرًا ثقافيًا وحضاريًا كبيرًا (سعد العزاوي، 2014، ص71).

أما الوزن فيه فكان تابعًا في صلب التعريف؛ إذ يذكره ضمن الشرح دون تخصيص باب مستقل له (أحمد الشمري، 2022، ص68). ورغم قيمته

الهائلة، يظل لسان العرب صعب الاستخدام للمبتدئ بسبب طوله وضخامة معلوماته (حمزة اليعقوبي، 2017، ص82).

خامسًا: مقاييس اللغة لابن فارس

أسّس ابن فارس في مقاييس اللغة رؤية قوية بأن كل جذر يجمع معنى كليًا ثابتًا، مهما تغيّرت الصيغ والأوزان (محمد الزعبلاوي، 2009، ص59).

لم يهتم بالفهرسة الوزنية، بل ركز على تحليل المعاني العميقة للجذر وإبراز الرابط بينها، مما جعله مرجعًا مميزًا لدارسي الاشتقاق (قاسم الفهداوي، 2019، ص105).

وأثبت هذا المعجم قوة فكرة الجذر بوصفه شبكة لغوية قادرة على جمع العشرات من المفردات في سياق دلالي واحد (نضال الشرع، 2020، ص67).

سادساً: أساس البلاغة للزمخشري

يعدّ أساس البلاغة عملًا مزدوج الوظيفة، يجمع بين المعجم اللغوي والمعجم البلاغي؛ إذ احتفظ الزمخشري بالترتيب الجذري واهتم بإبراز الأمثال والآيات والتعبيرات المجازية (مازن الهماش، 2020، ص58).وقدّم الوزن ضمن التفسير لا كأداة فهرسة، مع الحرص على توضيح الصورة البلاغية للكلمة، ما يجعله صالحًا للباحث في البلاغة والنحو معًا (أحمد الشمري، 2022، ص82). ومع أنّه ثري بالأمثلة الأدبية، فقد يجد طالب الصرف صعوبة في استكشاف الاشتقاق الصرفي البحث داخله (سعد العزاوي، 2014، ص83).

سابعًا: التهذيب للأزهري

صنف الأزهري التهذيب على النظام الجذري نفسه، لكنه دعمه بتقارير غنية عن لهجات العرب والشواهد القرآنية والشعرية (عماد خلف، 2021، ص110).

واتبع الترتيب الهجائي داخل الجذر لتسهيل البحث، لكنه لم يمنح الوزن ترتيبًا مستقلًا، بل جعله ضمن معاني الكلمة كعادة المعاجم القديمة (عبد الله البكري، 2012، ص72).

ولعل حجم المادة في التهذيب يجعله مرجعًا كبيرًا للمتخصصين، لكنه غير سهل للدارس المبتدئ (أحمد الشمري، 2022، ص86).

ثامنًا: تاج العروس للزبيدي

جمع الزبيدي في تاج العروس خلاصة التراث اللغوي، وأعاد صياغة القاموس المحيط مع شروحات موسعة وتدقيقات لغوية (محمد الزعبلاوي، 2009، ص68).

وحافظ على التصنيف الجذري، مع ترتيب هجائي للأبواب، واهتم بإيراد المصادر الأدبية والتاريخية بإسهاب (سعيد الغامدي، 2016، ص153).

ورغم ثرائه، بقي الوزن عنده عنصرًا شارحًا داخل النص، دون أن يُعتمد كفهرسة مستقلة (مازن الهماش، 2020، ص61)، ويعيب عليه الباحثون حجمه الكبير الذي يصعّب الاستفادة منه دون تدريب مسبق (أحمد الشمري، 2022، ص93).

- **مقارنة وتحليل**

من خلال استعراض هذه النماذج، يتبين أن المعاجم العربية جميعها قدّست الجذر وجعلته القاعدة الثابتة لتنظيم مادتها، بينما ظل الوزن وظيفة شارحة لا أكثر، فالمعاجم الأولى مثل العين ومقاييس اللغة أبرزت الجانب

الاشتقاقي بوضوح، بينما وسّعت لسان العرب وتاج العروس والتهذيب موادها الأدبية والثقافية مع حفاظها على الجذر كإطار جامع (عماد خلف، 2021، ص115).

ويمكن القول إن غياب الترتيب الوزني المستقل لدى هذه المعاجم التقليدية جعل الوصول إلى الصيغة الصرفية للفظ أحيانًا صعبًا على الطالب، وأثار الحاجة في العصر الحديث إلى أن تُدمج أنظمة البحث الآلي لتتيح الفهرسة بالوزن والجذر معًا (أحمد الشمري، 2022، ص96).

ويتضح إذن، أن جهود العلماء الأوائل وضعت أسسًا صلبة لفهم الاشتقاق والمعنى من منظور الجذر، لكنها لم تكتمل بفهرسة وزنية شاملة. ورغم عظمة ذلك الإرث، صار من الضروري تطويره بوسائل رقمية ذكية تحفظ أصالة اللغة وتساعد على تعليمها بأسلوب معاصر.

وهنا تبرز مسؤولية الباحثين اليوم في دراسة المعاجم التراثية بدقة، وتحويلها إلى معاجم إلكترونية تراعي الجذر والوزن والتهجئة معًا، فتكون أداة معرفية فاعلة للطلاب والدارسين (سعيد الغامدي، 2016، ص158).

الخاتمة

لقد برع علماء العربية الأوائل في ابتكار أساليب تصنيفية حافظت على الجذر باعتباره أصلاً جامعًا لجميع المشتقات، مع توظيف الوزن كأداة تفسيرية توضح أبعاد المعنى ووظيفة الصيغة، وقدّم الخليل بن أحمد في العين نموذجًا أوليًا رائدًا حين اختار ترتيب الحروف على أساس المخارج الصوتية، وجمع المشتقات حول الجذر الواحد، مع توضيح الأوزان كشرح داخلي. ثم طوّر الجوهري هذه الفكرة في الصحاح عبر اعتماد الترتيب

الهجائي داخل الجذر، ليراعي حاجة الباحث إلى سرعة الوصول مع الإبقاء على مركزية الجذر.

واستمر ذلك التقليد لدى الفيروزآبادي في القاموس المحيط، وابن منظور في لسان العرب، إذ حافظا على التنظيم الجذري، مع ترتيب هجائي داخل الأبواب وتوسيع دائرة الشواهد والأمثلة، غير أن غياب ترتيب وزني مستقل، بمعنى جعله جزءًا من فهرسة منفصلة، ظل مفقودًا تقريبًا في جميع هذه النماذج، رغم ما للوزن من قدرة هائلة على بيان الوظيفة النحوية والدلالية بدقة. فقد اكتفى المعجميون القدماء بإدراج الوزن داخل التعريف، دون أن يجعلوه مفهرسًا قائمًا بذاته يمكن للقارئ الرجوع إليه بسرعة.

وهنا تبرز جدلية التوازن بين عبقرية الجذر بوصفه جامعًا للأصول، وبين أهمية الوزن في توضيح اختلاف الدلالات. فالجذر يحفظ ترابط المعاني ويعطي تصورًا تاريخيًا للاشتقاق، في حين يحدد الوزن الأبعاد الزمنية والدلالية والتركيبية، مما يعني أن الجمع بينهما ضرورة علمية لا يمكن إغفالها.

لقد سمحت المعاجم العربية التقليدية بفهم الثروة الاشتقاقية الضخمة للغة العربية، وكشفت عن مدى مرونتها وقدرتها على توليد المعاني عبر قرون طويلة. غير أنها لم تكن مهيأة للاستعمال السريع في عصر الرقمنة والتعليم الحديث، لأنها تتطلب من القارئ خبرة واسعة بعلم الصرف، وإتقان ردّ الكلمات إلى جذورها، وتمييز أوزانها بدقة، ومع ذلك تبقى قيمة هذه المعاجم راسخة، لأنها وثّقت مادة لغوية هائلة، وحفظت المصطلحات، وربطت النصوص القرآنية والشعرية والأساليب البيانية بالبعد المعجمي، وهو إرث يجب احترامه والاستفادة منه.

إن الخلل الذي يظهر أحيانًا في فهم المصطلحات عند الطلاب اليوم لا يعود إلى ضعف هذه المعاجم، بل إلى ضعف التدريب على مهارات البحث فيها. ولهذا فإن رقمنة هذه المعاجم وصياغتها في تطبيقات حاسوبية متقدمة تمثل خطوة حتمية، فالمعجم العربي الحديث يجب أن يجمع بين النظام الجذري باعتباره الإطار الأصلي للمعنى، وبين الفهرسة الوزنية لتيسير التمييز بين الصيغ المختلفة، مع الاستعانة بترتيب هجائي يسهّل الدخول إلى المادة مباشرة.

كما أن تطوير محركات بحث ذكية قادرة على اكتشاف الجذر آليًا، واقتراح الوزن المحتمل، سيجعل خدمة هذه المعاجم أكبر وأعمق للأجيال القادمة، ويحافظ على ثروة اللغة العربية حية ومتجددة، ومن النتائج والتوصيات التي خرجت بها في هذا البحث هي ما يلي:

أولًا: النتائج

1. جميع المعاجم التراثية اعتمدت الجذر أساسًا وحيدًا لترتيب المواد اللغوية.
2. لم تخصّص أي من هذه المعاجم نظام فهرسة وزنية مستقل، بل اكتفت بذكر الأوزان ضمن الشرح.
3. المعاجم التي رتبت حروف الجذر هجائيًا سهلت الوصول نسبيًا مقارنة بمعجم العين الصوتي.
4. ثراء الشواهد القرآنية والشعرية زاد قيمة المعاجم لكنه جعلها معقدة للطالب المبتدئ.
5. غياب الفهرسة الوزنية المستقلة سبّب صعوبة في معرفة وظائف الكلمات بسرعة.

6. معاجم مثل القاموس المحيط وتاج العروس تحولت إلى موسوعات ثقافية أكثر من كونها معاجم تعليمية.
7. جميع المعاجم تحتاج مهارات صرفية قوية لفهم رد الكلمة إلى أصلها.
8. المعاجم الإلكترونية لم تستثمر حتى الآن الجمع التفاعلي بين الجذر والوزن بشكل كافٍ.
9. الدراسات المعجمية الحديثة تؤكد أهمية دمج الترتيب الألفبائي لتسهيل البحث.
10. نظام الجذر ما يزال جوهر بناء المعجم العربي ويصعب تجاوزه رغم التطورات الحديثة.

ثانيًا: التوصيات

1. تطوير معاجم إلكترونية هجينة تجمع بين الترتيب الجذري والوزني والهجائي معًا.
2. تدريب طلاب اللغة العربية على مهارات ردّ الكلمات إلى الجذور وتحليل الأوزان.
3. تصميم واجهات بحث ذكية تربط وزن الكلمة بوظيفتها النحوية والمعجمية.
4. تشجيع البحوث التطبيقية لقياس كفاءة عرض المواد في المعاجم الرقمية.
5. الحفاظ على أصالة المعاجم التراثية مع إعادة تقديمها في صيغ رقمية سهلة الاس.

المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس، دراسة في فقه اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1972.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003.
- أحمد الشمري، التقنيات الرقمية والمعجم، دار الرواق، الرياض، السعودية، 2022.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، 2001.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.
- الجوهري، الصحاح في اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.
- حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية وتطوير مناهجها، دار الأندلس، القاهرة، 2011.
- حمزة اليعقوبي، قضايا صرفية معاصرة، مطبعة جامعة القادسية، القادسية، العراق، 2017.
- الخليل بن أحمد، العين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون تاريخ.
- رائد الخطيب، المعاجم العربية وقضايا الترتيب، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2010.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي التاريخي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
- سعد العزاوي، المعاجم العربية في ضوء الدراسات الحديثة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، العراق، 2014.

- سعيد الغامدي، أسس المعجم العربي، دار الطلائع، القاهرة، مصر، 2016.
- عبد الرحمن أيوب، النظريات الحديثة في الصناعة المعجمية، دار الطليعة، بيروت، 2008.
- عبد اللطيف الخطيب، قضايا المصطلح اللغوي، مكتبة الرشد، الرياض، 2009.
- عبدالله البكري، اللغة العربية والتعريب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2012.
- عز الدين التنوخي، بناء المعجم العربي، دار المنارة، بيروت، 1997.
- علي الراوي، قضايا لسانية معاصرة، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2015.
- عماد خلف، البنية المعجمية العربية، مكتبة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2021.
- قاسم الفهداوي، اللغة العربية: تاريخ وبنية، دار الأكاديميون للنشر، عمان، الأردن، 2019.
- مازن الهماش، الاتجاهات الحديثة في المعاجم، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.
- ماهر حسن، الأسس النظرية للنحو العربي، دار الطليعة، بيروت، 2020.
- محمد الزعبلاوي، نظرية الجذر العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009.
- محمود المجذوب، أصول علم الصرف، دار الفكر الجامعي، بيروت، لبنان، 2017.

- نضال الشرع، المعجم العربي: دراسة وظيفية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2020.
- ياسر السعدي، دراسات في الصناعة المعجمية، دار النور للنشر، بغداد، العراق، 2018.

المقياس الصوابي لجموع التكسير عند إبراهيم المنذر

م.م. مروه سلام رشيد مروه سلام رشيد	قسم اللغة العربية/ كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد
Marwa.salam2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	
أ.م. د. مياسة وليد طه	قسم اللغة العربية/ كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد
Mayassa.waleed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	

الملخص:

يتناول هذا المبحث قضايا جموع التكسير في فكر إبراهيم المنذر النقدي، من خلال تحليل آرائه في خمس مسائل رئيسة، هي: جمع (حاجة) على (حوائج)، و(عادة) على (عوائد)، وجمع (فَعْل) على (أفْعال) و(فُعُول) مثل: (خَصْم - أخصام) و(زَهْر- زُهُور)، وجمع (ريح) على (أرياح)، والجمع على (فعائل) ذوات الأصول الواوية واليائية مثل (مغارة - مغاور/ مغائر)، وجمع (مفعول) على (مفاعيل).

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مستعرضًا آراء المنذر في هذه المسائل، ثم موازنتها بآراء القدماء والمحدثين من النقاد واللغويين، مع الاستناد إلى قرارات المجامع اللغوية.

الكلمات المفتاحية: جموع التكسير، إبراهيم المنذر، النقد اللغوي، الصواب اللغوي، القياس، السماع.

The Normative Criterion of Broken Plurals According to Ibrahim Al-Mundhir

Researcher: Marwa Salam Rashid
University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, Department of Arabic Language
Asst. Prof. Dr. Mayassa Walid Taha
University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, Department of Arabic Language

Abstract
This section examines broken plurals In Ibrahim al-Mundhir's critical thought through five main issues: the plurals of hajah as hawajij, adah as awaid, fa'l as af'al and fu'ul (e.g., khasm-akhsam, zahr-zuhur), rih as aryah, the plural pattern fa'il for words with original waw or ya (e.g., magharah-maghawir/maghair), and maf'ul as mafa'll.
The research adopts a descriptive-analytical approach, presenting al-Mundhir's views, comparing them with classical and modern critics, and drawing on linguistic academy decisIons.
Keywords: Broken Plurals, Ibrahim Al-Mundhir, Linguistic Criticism, Linguistic Correctness, Analogy (Qiyas), Attested Usage (Sama).

أهمية البحث:

يسلط البحث الضوء على المقياس الصوابي في جموع التكسير عند إبراهيم المنذر، ويكشف معاييره النقدية (كالقياس، والسماع، والشيوع) في الحكم على هذه الجموع.

مشكلة البحث

لا توجد دراسة منهجية تجمع آراء الأستاذ إبراهيم المنذر في قضايا جموع التكسير، خاصة مع تناقض موقفه الظاهر؛ إذ يرفض جموعًا مسموعة كـ(حوائج) ويقبل أخرى شاذة كـ(مفاعيل) لشيوعها، مما يستدعي تحليلاً يكشف عن المنهج الخفي في نقده.

المقدمة:

تمثل قضايا جموع التكسير محوراً رئيساً في النقد اللغوي الحديث، وقد اهتم إبراهيم المنذر بقضايا الصواب والخطأ في استعمال جموع التكسير، فكانت له آراء نقدية متشددة في بعض الصيغ، ومتساهلة في صيغ أخرى، أثارت آراءه جدلًا نقديًا واسعًا بين مؤيد ومعارض. ولم تسلم آراؤه من الرد والانتقاد، إذ تصدى له نقاد محدثون كالغلاييني والعدناني والزعبلاوي، مصوبين كثيرًا من تخطئاته.

جوع التكسير اصطلاحًا:

"جمع التكسير مثل: دراهم جمع درهم وكلاب جمع كلب وإنما سمي جمع التكسير؛ لأن لفظ الواحد تغير عن حاله وضده جمع السلامة وهو كالصالحين والصالحات وإنما سمي جمع السلامة؛ لأن لفظ الواحد ثابت على حاله"(الخوارزمي، د.ت، ص 87)، وعرفه الجرجاني: "جمع المكسر: هو ما تغير فيه بناء واحده، كرجال"(الجرجاني، 1983، ص 78).

1.جمع (حاجة) على (حاجات) و(عادة) على (عادات):

خطأ الأستاذ إبراهيم المنذر جمع عادة على عوائد وحاجة على حوائج، وقال في الحاشية: "أما حوائج فقد ورد استعمالها قديمًا، كقول الشاعر(الجوهري، 1987، جـ1، ص 243: لم أعثر على قائله):

نهـارُ المـرءِ أمثـلُ حـين يقضـي حوائجَـه مـن الليـلِ الطويـلِ

وهو شاذ نادر كما شذت (شدائد)، و(ضرائر) جمع شدة، وضرة؛ لأن فعلة لا تجمع على فعائل"(المنذر، 1927، ص 3)، وشايعه الدكتور كمال إبراهيم في تخطئته جمع حاجة على حوائج، وذكر أنها ليست من كلام العرب، بل هي من وضع المولّدين الذين لا يحتجّ بكلامهم، وأن حوائج لم ترد في السماع، ولا قياس لها (إبراهيم، 1935، ص 49).

لم يكن الأستاذ إبراهيم المنذر أول من تنبه لهذا الخطأ فقد تنبه إليه قبله الأصمعي (ت216هـ)؛ إذ كان يرى أنها مولَّدة؛ لأنها خارجة عن القياس(ابن منظور، 1994، جـ2، ص 243)، ونبه الحريري إلى هذا الخطأ، فقال: "وَيَقُولُونَ فِي جمع حَاجَة: حوائج، فيوهمون فِيهِ كَمَا وهم بعض...وَالصَّوَاب أَن يجمع فِي أقل الْعدَد على حاجات"(الحريري، 1998، ص 64-65).

وأن يجمع في أكثر العدد على حَاج، مثل هَامة وهام(الحريري، 1998، ص65)، واحتج بقول الرَّاعِي النُّمَيريّ (الراعي النميري، 1980، ص 28):

ومرسل وَرَسُول غير مُتَّهم وحاجة غير مزجاة من الْحَاج

ردّ ابن بري علي الحريري بأن جمع (حاجة) على (حوائج) ورد في الحديث النبوي الشريف، وفي أشعار العرب الفصحاء(ابن بري وابن ظفر، 1996، ص 758-759)، واحتج بحديث: "استعينوا على نجاحِ الحوائجِ بالكتمانِ لها" (العجلوني، 1351هـ، جـ1، ص 123، حديث رقم 342)، ومن الأبيات التي احتج بها: قول الأعشى الكبير(الأعشى، د.ت، ص 339):

النـاسُ حَـولَ قِبابِـهِ أهـلُ الْحَـوَائِجِ والمَسـائلْ

وقول الشمَّاخ بن ضرار الذبياني(الشماخ، 1968، ص 463):

تقطّـعُ بيننـا الحاجـاتُ إِلَّا حـوائجَ يَعْتَسِـفْنَ مـع الجَـريء

واحتج كذلك بورودها عند العلماء منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي إذ ذكر أن الحوائج جمع حائجة، وإن الحاجة مخففة منها: "خففوا الحائجة فقالوا: حاجة، ألا تراه جُمِعَ على الحوائج"(الخليل بن أحمد، د.ت، جـ3، ص 291) وسيبويه: "تنجز حوائجه واستنجز فهو بمنزلة تيقن واستيقن"(سيبويه، 1988، جـ4، ص 73)، وشايعه في ذلك الشهاب الخفاجي (الخفاجي، 1996، ص 239-243).

ردّ الشيخ مصطفى الغلاييني على الأستاذ إبراهيم المنذر، بقوله: "قلت الحوائج جائزة منصوص عليها، وقد وردت كثيرًا في نثر من يوثق بكلامهم وسعرهم. نعم أنها شاذة في القياس باعتبارها جمع حاجة لكنها ليست شاذة في السماع ولا نادرة في الاستعمال. كما سترى، وأنت خبير أنهم جعلوا الكلمة المخالفة للفصاحة إذا كانت شاذة في القياس والاستعمال معًا، أما أن شذت في القياس دون السماع فلم يقل أحد من العلماء بعدم فصاحتها، وإلا كان كثير من الكلام غير فصيح"(الغلاييني، 1927، ص 38).

وذهب الشيخ مصطفى الغلاييني إلى أنهم جعلوا (حوائج) جمعًا (لحائجة) المخففة من (الحاجة)، فوزنها الحقيقي (فاعلة) وتجمع قياسًا على (فواعل) على أصلها، وعند الجمع ترد الأشياء إلى أصولها، وحين جمعت على حاجات كان جمعها على اللفظ الحالي (أي: المخفف) (الغلاييني، 1927، ص 38-39).

يرى الشيخ مصطفى الغلاييني أن تمثل الأستاذ إبراهيم المنذر حوائج بضرائر وشدائد تمثيل غير موفَّق؛ لأن الأولى فاعلة في الأصل، والشدة فِعْلة، والضرة فَعْلة، إلا أن أراد تمثيلها بهما من حيث الشذوذ، وأن الشدائد والضرائر اسمان لجمع شدة وضرة، وهما في الأصل جمعان لشديدة وضريرة، ثم خففتا، وجمع شديدة بمعنى مكاره شدائد على

القياس(الغلاييني، 1927، ص 39)، واحتج بما ورد في التاج: "والشِّدَّة والشَّدِيدَة: من مكارِهِ الدَّهْر وَجَمعهَا، شدائِدُ، فإِذا كَانَ جمْع شَدِيدَة فَهُوَ على الْقيَاس، وإِذا كَانَ جمّع شِدَّة، فَهُوَ نَادِر" (الزبيدي، 1965-2001، جـ8، ص 247)، وأما ضريرة فخففوها بحذف حرف المد فصارت (ضررة) بفتح فكسر، ثم سكنوا الراء الأولى وادغموا، وبقيت الضرائر (جمعاً للأصل الذي تولدت منه) الضرة (وهو ضريرة). وشأنها في ذلك شأن غيرها من الألفاظ التي خففت وبقي جمعها جاريًا على غير لفظه الحالي في الاستعمال (أي على لفظه القديم قبل التخفيف) (الغلاييني، 1927، ص 39)، واحتج بما ورد في المخصص: "وَمن الشاذِّ قَوْلهم ضَرَّة وضَرائِرُ جمعُ ضَريرة"(ابن سيده، 1996، جـ4، ص 272).

ثم مضى الغلاييّنيّ بذكر شواهدَ على (صِحة) جمع حاجة على (حوائج)، لكن لم يأتِ بجديد فكل ما ذكره سبقه إليه ابن بري، وانتهى إلى أنّ حوائج صحيحة فصيحة، وأنّه لا مانع من أن يقول الناس حوائج كما يقولون حاجات ولا ضير في أنّها جمعٌ لحائجة أو لحاجة، لإثبات لفظة، يكفي أن تكون واردة في السماع، أو موافقتها للقياس (الغلاييني، 1927، ص 42-43).

وقد أجازَ هذا الجمع عدد من النُقاد المحدثين، وعدّوه جمعًا صحيحًا فصيحًا، وإن كان على غير القياس، ولكن اجازوه لوروده في السّماع بكثرة، لذلك أجازوا استعماله منهم: أبو الثناء الآلوسي (الآلوسي، 1883، ص 212)، ومحمد العدناني (العدناني، 2012، ص 71)، وصلاح الدين الزعبلاوي (الزعبلاوي، 1939، ص 90-91)، وآخرون (أبو السعود، 1988، ص 43-44)، (عمر، 1998، ص 136).

أما جمع (عادة) على (عوائد) فقد ردّ الأستاذ إبراهيم المنذر فيها على من نقده بقوله: "ومنه جمع عادة على عوائد، أنها وردت في الاستعمال فيكون جمعها هكذا من باب الشذوذ، والذي أراه أن عوائد جمع عائدة مؤنث عائد اسم فاعل من عاد وفي العادة معنى العودة، ولا يدعي في المرء إلا ما رسخ في ذهنه وكرر عمله حتى أصبح ملكة فيه"(المنذر، 1927، ص 64)، وشايعه الأستاذ أسعد داغر، فقال: "ويتركون المطرد المقيس من الجموع، ويعمدون إلى الشاذ النادر فيستعملونه. كما في (عوائد) جمع (عادة)، فإنه وَرَدَ شُذُوذًا على خلاف القاعدة، وهو بالحقيقة جمع (عائدة) بمعنى: المعروف والصلة والمنفعة وجمع (عادة) إنما هو: عاد وعيد وعادات...واختلف في تأويل: (عوائد) جمع (عادة): فمن قائل أنها جمع لمفرد مهمل، وقائل إنها وردت على غير القياس، وقائل أنها جمع لمفرد مقدر على وزن فاعلة، أي عائدة. وهكذا قيل في (حوائج) جمع (حاجة)، كأنه جمع (حائجة)"(داغر، 2012، ص 66).

وافق الشيخ مصطفى الغلاييني الأستاذ إبراهيم المنذر أن (عوائد) جمع لـ(عائدة) وليس جمعًا لـ(عادة)، غير أنه يذهب إلى أن عادة هي أيضًا مخففة من عائدة، مثل حاجة مخففة من حائجة(الغلاييني، 1927، ص 35)، واحتج بما ورد في التاج: "وَمن جُموع {الْعَادة} عَوَائِد، ذَكَرَه فِي الْمِصْبَاح وغيرِه، وَهُوَ نَظِيرُ حوائِجَ، فِي جمْعِ حاجةٍ، نَقله شيخُنا. الَّذِي صَرَّحَ بِهِ الزَّمَخْشَرِيُّ وغيرُه أَنَّ {العَوَائِدَ} جمعُ عائدةٍ لَا عادةٍ"(الزبيدي، 1965-2001، جـ8، ص 443)، وذكر الغلاييني أن صدره لا ينشرح لهذا الجمع، ولا يستعمل عوائد إلا جمعًا لعائدة التي تأتي بمعنى العودة والصلة، ويفضل الغلاييني أن تجمع عادة على عادات، وإن كان جمعها صحيحًا على عوائد (الغلاييني، 1927، ص 35).

ردّ الأستاذ محمد العدناني على الأستاذ إبراهيم المنذر تخطئته جمع (عادة) على (عوائد)(العدناني، 2012، ص 80)، واحتج بأن هذا الجمع ورد في المعجمات، منها: والمصباح: "وَالْعَادَةُ مَعْرُوفَةُ وَالْجَمْعُ عَادٌ وَعَادَاتٌ وَعَوَائِدُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يُعَاوِدُهَا أَيْ يَرْجِعُ إِلَيْهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى"(الفيومي، د.ت، جـ2، ص 436)، ومتن اللغة(رضا، 1958-1961، جـ4، ص 236)، وشايعه الدكتور في ذلك إميل بديع يعقوب(يعقوب، 1986، ص 201)، غير أنه أضاف أنها وردت في المعجم الوسيط: "(الْعَادة) كل مَا اُعْتِيدَ حَتَّى صَار يفعل من غير جهد وَالْحَالة تَتَكَرَّر على نهج وَاحِد كعادة الْحيض فِي الْمَرْأَة (ج) عَاد وعادات وعوائد"(مجمع اللغة العربية، 1972، جـ2، ص 635).

تذهب الباحثة إلى جواز جمع (حاجة) على (حوائج) لكثرة ورودها في كلام العرب، فقد قال الجوهري: "حوائج على غير قياس، كأنهم جمعوا حائجة، وكان الأصمعي يُنْكِرُهُ ويقول: هو مُوَلَّدٌ. وإنما أنكره لخروجه عن القياس، وإلاّ فهو كثيرٌ في كلام العرب"(الجوهري، 1987، جـ1، ص 307).

أما جمع (عادة) على (عوائد) فهي جائزة أيضًا؛ لأنهم شبهوها بجمع (حاجة) على (حوائج)، سواء على رأي من عدّها تخفيفًا، أو من عدّها جمعًا سماعيًا مخالفًا للقياس؛ لأن ورودها في كلام الفصحاء يغني عن القياس، غير أن جمع (حاجة) على (حاجات)، و(عادة) على (عادات) يبقى الأفصح والأكثر موافقة للقياس، والسماع معًا.

2.جمع (خَصْم على أخْصام)، (زَهْر على زُهُور):

أجاز الأستاذ إبراهيم المنذر جمع خَصْم على أخْصام، وزَهْر على زُهُور، فقال: "ومنه أن جمع التكسير لا ضابط له وعلى هذا منعوا جمع زَهْر وزُهور، وخَصْم وأخْصام، ودَهْر وأدْهار، في حين أن هذا الجمع صحيح مأنوس لا بأس من اتباعه، فتقول في جمع زَهْر: أزْهار وزُهُور، وخَصْم:

أخْصام وخُصُوم، ودَهْر: أدْهار ودُهُور، مثل شكل: أشكال وشكول، ونهر: أنهار ونهور، وميل: أميال وميول، ونجم: أنجام ونجوم، ولحن: ألحان ولحون"(المنذر، 1927، ص 65-66).

ردّ الشيخ مصطفى الغلاييني على الأستاذ إبراهيم المنذر، بقوله: "أقول: أن لجموع التكسير ضوابط معروفة في كتب القوم، غير أن بعض الجموع قد جاء على غير القاعدة، والشاذ عن القياس لا تنقض به الأصول، فمتى عرف المتأدب قواعد الجموع يعلم أن جمع خَصْم، ودَهْر، وسَهْم على (أخْصام، وأدْهار، وأسْهام) خطأ؛ لأن (فَعْلًا) بفتح فسكون لا يجمع على أفْعال إلا شذوذًا"(الغلاييني، 1927، ص 139-140)، واحتج بقول سيبويه: "واعلم أنه قد يجئ في فعلٍ أفعالٌ مكان أفعلٍ، قال الشاعر، الأعشى(الأعشى، د.ت، ص 73):

وُجِدتَ إذا اصْطلَحُوا خَيْرَهم وزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنادِهَا

وليس ذلك بالباب في كلام العرب. ومن ذلك قولهم: أفراخٌ وأجدادٌ وأفرادٌ، وأجدٌّ عربية وهي الأصل"(سيبويه، 1988، جـ3، ص 586)، والأعلم الشنتمري: "الشاهد في جمعه زَنْدًا على أَزْناد وهو جمع شاذ؛ لأن باب (فَعْل) حكمه أن يكسر في القليل على (أَفْعُل)، إلا أنه قد شذ في أحرف يسيرة فكسر على (أَفْعال) تشبيها ب(فَعَل) المفتوح العين لأنه ثلاثي مثله، فأخرج إليه كما أخرج (فَعْل) إلى (فَعْل) في (أَفْعُل) فقالوا: من زَمَن وأزْمن، ونظير زَنْد وأزْناد فَرْخ وأفْراخ، ورَأد وأرَاد وهو أصل اللحي"(الأعلم الشنتمري، 1994، ص 531).

وذهب الشيخ مصطفى الغلاييني أن تمثيل الأستاذ إبراهيم المنذر ب(بيت، وعين) غير صائب؛ لأنها معتلة العين وتجمع قياسًا على (أفْعال)، ونهَر بفتح العين (فَعَل) تجمع قياسًا على (أفْعال)، أما زهَر بفتح العين فإن جمعها على

أفْعال قياسي، وشكل إذا كانت بكسر الفاء (وهي يجوز بها الكسر والفتح) فهي كذلك تجمع قياسًا على أفْعال، وإن ما شذّ من هذا الباب إنما بُني على مفرده قبل التخفيف (أي كان محرك العين وبعدها تم تخفيفها فسكنت) وبذا يكون جمعها صحيحًا على الأصل(لأن العين متحركة)، وغير مخالف للقياس (الغلاييني، 1927، ص 142).

أجاز الأستاذ محمد سليم الجندي جمع (خَصْم) على (أخْصام)(الجندي، 1925، ص 61)، واحتج بورد هذا الجمع في التاج، ويرى أن مقالة المنكر مدفوعة بنص التاج: "الأَخْصام جمع خَصِم كَكَتِف وَأَكْتَاف، أو جَمْع خَصْم كَفَرْخ وَأَفْرَاخ، أو جمع خَصِيم كشَهِيد وَأَشْهاد"(الزبيدي، 1965-2001، جـ32، ص 104)، وشايعه في ذلك الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي(الزعبلاوي، 1939، ص 88)، والدكتور إميل بديع يعقوب (يعقوب، 1986، ص 128).

أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع (فَعْل) عل (أفْعال) مطلقًا، واحتج المجمع بنص ابن حيان: وقال يوماً: (فَعْلٌ وأَفعالٌ) قليل، وزعم أصحابنا النّحويون أنه ما جاء إلاّ زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد، فقلت: أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها (فَعْلٌ وأَفعال)"، وقد نص قرار المجمع على: "قرر المجمع من قبل أنّ قياس جمع فَعْل -الاسم صحيح العين- أن يكون على أَفْعُل جمع قلة، وعلى فِعال أو فُعُول جمع كثرة، استنادًا إلى نص أبي حيان في استحسان الذهاب إلى جمع فَعْل عل أفْعال مطلقًا، واستنادًا إلى الألفاظ الكثيرة التي وردت مجموعة على هذا الوزن، وترى اللجنة جواز جمع فَعْل اسمًا صحيح العين على أفْعال مثل بحث على أفْعال، ولو كان صحيح الفاء واللام، ويدخل في ذلك مهموز الفاء، ومعتلها، والمضعف"(مجمع اللغة العربية، 1975، جـ2، ص 27).

أما جمع (زَهْر) على (زُهُور) فقد خطأه الأستاذ أسعد داغر، وأكد أنه لم يذكر في المعجمات، وذكر أنه من كلام العامة واحتج بما ورد في محيط المحيط: "العامة تقول: زُهُور"، ويذهب إلى أن زَهْر جمع زهرة فلا يصح جمعها على أزْهار؛ لأن جمع الجمع له أوزان معروفة، وليس (أفْعال) منها، فلا يصح إلا إذا ورد جمع (فَعْل وأفْعال) جمع (فَعْلة)، ولحل هذه المشكلة، فإنه يعد زَهْر شبه جمع واحده زهرة، نحو: تمر وتمرة، نخل ونخلة(داغر، 2012، ص 55-56)، و(حمزة ومطر، 2023، ص 195).

أجاز الأستاذ محمد العدناني جمع زَهْر على زُهُور (العدناني، 2012، ص 113)، واحتج بما ورد في التاج في مادة عنبر: "ومَرْعَى نَحْلِه من الزُّهور الطَّيِّبَة يَكْتَسِب طِيبَه مِنْهَا"(الزبيدي، 1965-2001، جـ13، ص 148)، وما ذكره الشيخ مصطفى الغلاييني أن كل اسم على وزن فَعْل ليست عينه واوا يجمع على فعول كقَلْب قُلُوب، ولَيْث لُيُوث (الغلاييني، 1993، جـ2، ص 41).

وذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن جمع زَهْر على زهور قياسي، مثل: كعب- وكعوب، وشمس- وشموس، وضرس- وضروس، وبرج- وبروج، غير أنه لم يرد في المعجمات، إنما ورد هذا الجمع ورد عرضًا في المعجمات (عمر، 1998، ص 143)، ومنها: المصباح، وأنه ورد في مادة روض: "وَالرَّوْضَةُ الْمَوْضِعُ الْمُعْجِبُ بِالزُّهُورِ" (الفيومي، د.ت، جـ1، ص 254)، وشايعه في ذلك الدكتور إميل بديع يعقوب (يعقوب، 1986، ص 156).

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد عدّ جمع (زَهْر) على (زُهُور)، وقد نص قراره على: "زَهْر يجمعه العرب على أزْهار، ويجمعه المولدون على زُهُور، وأزْهار" (مجمع اللغة العربية، 1989، ص 54).

وذهب الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن إهمالها في مدخلها، قد يكون بسبب؛ أنها من الجموع القياسية، وقد عدّ قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة غير موفق حين عدّها من كلام المولدين (عمر، 2008، جـ1، ص 426).

وتذهب الباحثة إلى جواز استعمال جمع (فَعْل) على (أفْعال)، لكثرة نظائره في اللغة، وإن جمع (فَعْل) على (فُعُول) جمع قياسي أن لم تكن عينه واوًا، وإن لم يرد في المعجمات، فقد قال ابن جني: "إِذا كَانَ الِاسْم على فعل مَفْتُوح الْفَاء سَاكن الْعين، ووَلم تكن عينه واوًا وَلَا يَاء فَجَمعه فِي الْقلَّة على أَفْعُلِ وَفِي الْكَثْرَة على فِعَال وفعول وَذَلِكَ قَوْلك كلب وأكلب وَكَعب وأكعب وَفِي الْكَثْرَة كلاب وكعوب"(ابن جني، د.ت، ص 171).

3.جمع (ريح) على (رياح) أو (أرواح):

خطأ الأستاذ إبراهيم المنذر جمع ريح على أرياح وجعل صوابها رياح أو أرواح بقوله: "(كانت الارياح تهب عليهم من كل جانب) الرياح أو الأرواح، ولم يسمع أرياح في كلام البلغاء" (المنذر، 1927، ص 28).

نبه الحريري إلى هذه التخطئة، فقد كان يرى أن جمع (ريح) على (أرياح) خطأ بيّن، ووهم مستهجن (الحريري، 1998، ص 48)، واحتج بقول ذي الرُّمّة (ذي الرمة، 2006، ص 39):

إذا هبت الأرواح من نحو جانب

به أهل مَيَّ هاج شوقي هبوبها

ووضح العلة في ذلك أن أصل ريح (روح) لاشتقاقها من الروح، وابدلت الواو ياء في ريح لانكسار ما قبلها، فإذا جمعت على أرواح فقد سكن ما قبل الواو وزالت الْعلَّة الَّتِي توجب قَلبهَا يَاء فَلهَذَا وَجب أَن تُعَاد إِلى أَصْلهَا (الحريري، 1998، ص 48).

وشبه الحريري جمع ريح على أرواح بجمع ثوب ثِيَاب أَثْوَاب، وحوض حِيَاض أَحْوَاض، عند جمعها على أَفْعَال عادت الواو إلى أصلها، ردّ على من يقول لم جُمِع عيد على أعياد، واصله الواو (من عاد، يعود)؛ ويذكر سبب جمعه ألَّا يلتبس جمع عيد بجمع عود، وأكدَ الحريري جمع ريح على أرواح بشعر ميسون بنت جندل:

لبيت تخفق الْأَرْوَاح فِيهِ أحب إليّ من قصر منيف

ردّ الشهاب الخفاجي على تخطئة الحريري جمع (ريح) على (أرياح) (الخفاجي، 1996، ص 190)، واحتج بصحة هذا الجمع بكلام ابن هشام (ت 761هـ)، وقد ردّ ابن هشام على الحريري والجوهري بقوله: "من العرب من يقول: أرياح كراهية الاشتباه بجمع (رُوح). كما قال الجمع: أعياد كراهية الاشتباه بجمع عود. وقول الحريري: إن الأرياح في جمع (رِيح) لحن مردود. وقول الجوهري: الريح واحدة الرياح وقد يُجمع على أرواح، يقضي أن الأرياح هو الكثير، وليس كذلك، وإنّما الكثير أرواح"(ابن هشام، 2010، ص 137)، ويذهب الشهاب الخفاجي إن أرياح أيضا قلبت لئلا يلتبس بجمع رُوح على أرواح، مثلما فعلوا مع جمع عيد على أعياد؛ لئلا يلتبس بجمع عود على أعواد(الخفاجي، 1996، ص 192)، وشايعه في ذلك الدكتور أحمد مختار عمر في ذلك، فهو يرى أن قبول الحريري جمع عيد على أعياد مخافة الالتباس بجمع عود، فكان يجب عليه قبول جمع ريح على أرياح مخافة الالتباس بجمع روح (عمر، 2008، جـ1، ص 37).

ردّ الشيخ مصطفى الغلاييني على الأستاذ إبراهيم المنذر تخطئته جمع (ريح) على (أرياح) فذهب إلى أن جمع ريح على أرواح جمع قياسي، وأن من يجمعها على أرياح فقد رَجَعَ إلى لفظها لا إلى أصلها تجنبًا للالتباس (الغلاييني، 1927، ص 80-81)، واحتج بما ورد المعجمات منها:

المخصص (ابن سيده، 1996، جـ2، ص 412)، ومختار الصحاح(الرازي، 1999، ص 131)، وأنه من أراد الأفصح فإنه يجمع ريح على رياح؛ لأنها لم ترد في القرآن إلا وهي مجموعة على رياح (الغلاييني، 1927، ص 81)، وينبغي إخضاع القواعد اللغوية والقياس النحوي للنص القرآني، لا العكس؛ فهو أفصح النصوص وأبلغها فهو كلام الله المعجز وما اشتبه على اللغويين يرجع إلى اتساع في المقاصد الدلالية والأمور(يونس، 2023، ص 292).

تذهب الباحثة إلى ترجيح رأي الشيخ مصطفى الغلاييني، أن تجمع ريح على رياح؛ لأن ريح لم ترد في القرآن مجموعة إلّا على رياح، وأنه من أراد الأفصح جمعها على رياح، لكن الغلاييني قال من جمعها على أرواح أو أرياح فلم يعدُ الفصيح.

أما جمعها على أرواح (وهو: القياس) فيسبب هذا الجمع الالتباس مع جمع روح على أرواح، وجمعها على أرياح، شاذ على غير القياس، وأن سمعت، لكنها لم تقوى بالسماع.

4.جمع (مغارة) على (مغاور)، و(منارة) على (مناور)، و(مصيبة) على (مصاوب):

خطأ الأستاذ إبراهيم المنذر من يقول: "(مكائد، ومضائق، ومخائل، ومصائف، مصائد، ومعائب- ومغائر، منائر، ومفائز، ومنائح)، والصواب: مكايد، ومضايق، ومخايل، ومصايف، ومصايد، ومعايب- ومغاور، ومناور، ومفاوز، ومناوح (بالياء في الأولى، والواو في الثانية؛ لأنها أصلية)، وشذت مصائب (الأصل مصاوب) حتى قيل همزة مصائب من المصائب"(المنذر، 1927، ص 5)، وشايعه في ذلك الدكتور كمال إبراهيم(إبراهيم، 1935، ص 37)، والدكتور مصطفى جواد(جواد، 1988، جـ1، ص 67-68).

لم يكن المنذر أول من تنبه لهذا الخطأ، فهو خطأ قديم، نبه عليه كثير من القدماء، منهم: سيبويه، فقد قال: "فأما قولهم مصائب فإنه غلطٌ منهم"(سيبويه، 1988، جـ4، ص 356)، وذهبوا إلى أن من مسائل إبدال الهمزة من الواو والياء: أن تقع إحداهما بعد ألف مفاعل، وكانت الواو أو الياء مدة زائدة في المفرد، أما إذا كانت المدة أصلية، فلا تبدل، كما في مصيبة مصائب، فإن الواو ليست بمدة زائدة، وكذلك ومعيشة ومعايش، فإن الياء أصلية؛ لأنها عين الكلمة، وأصلها الحركة، فلما وقعت بعد ألف مفاعل تحركت، فلم تُبدل همزة(ابن جني، 1954، ص 309)، ومن همزها فقد همزها على التوهم، فتوهموا في (مُفْعِلَة) وظنوا أنها (فَعِيلَة)، فهمزوها في الجمع فقالوا في جمع مصيبة مصائب، وشبهوها بصحيفة صحائف(ابن جني، 1954، ص 264-265)، و(حسن، 2017، ص 12)، ومن المحدثين الذين سبقوا الأستاذ إبراهيم المنذر إلى هذا الخطأ الأستاذ شاكر شُقير اللبناني (شقير، 1891، ص 32).

ردّ الشيخ مصطفى الغلاييني على الأستاذ إبراهيم المنذر في تخطئته جمع (منارة) على (منائر)، وجمع (مصيبة) على (مصائب)، وذكر أن هذين الجمعين وردا سماعًا على غير القياس، وأن القياس فيهما (مناور) و(مصاوب)، ومن همز فيهما (أي قال: منائر، ومصائب)، فقد شبّه الأصلي بالزائد (الغلاييني، 1927، ص 46-47)، بورود الجمعين عند الجوهري، إذ قال: "والمَنارَةُ أيضاً: ما يُوضَع فوقها السِراج، وهي مَفْعَلة من الاستنارة، بفتح الميم، والجمع المَناوِر بالواو، لأنه من النورِ. ومن قال: مَنائِر، فهمز، فقد شبّه الأصلي بالزائد، كما قالوا: مصيبة ومصائب، وأصله: مصاوب" (الجوهري، 1987، جـ2، ص 893).

اضطرب موقف الأستاذ محمد العدناني من هذا الجمع، فقد خطأ جمع (مصير) على (مصائر)، و(مضيق) على (مضائق)، وجعل صوابهما (مصائر)، و(مضايق)؛ لأن الياء أصلية (العدناني، 2012، ص 147، 151)، لكن ما لبث أن أجازه؛ بسبب إجازة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لذلك أجاز أن تجمع (مكيدة) على (مكايد) و(مكائد)، و(مغارة) على (مغاور) و(مغائر) (العدناني، 2012، ص 224)، وكذلك أجازه الدكتور إيميل بديع يعقوب هذا الجمع (يعقوب، 1986، ص 182، 237)، واحتج بقرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وذهب المجمع إلى جواز إلحاق المد الأصلي في صيغة (مفاعل) بالمد الزائد في صيغة (فعائل). وعلى هذا، يجوز في عين (مفاعل) قلبها همزة، سواء أكان أصلها واوًا أم ياءً، فيقال: (مكايد) و(مكائد)، و(مغاور) و(مغائر) (مجمع اللغة العربية، 1989، ص 100).

تتساءل الدكتورة سرّاء: لماذا يُتهم العرب بالغلط والجهل عند تفضيلهم مصائب، ومنائر بدل مصاوب ومناور، مع أنهم أصحاب اللغة وأهلها، ولهم الحق في صياغتها بما يتوافق مع سليقتهم، وتستند في ذلك إلى ما يقرّه علماء التصريف أنفسهم، من أن ارتجال العرب للهمز في مواضع لا أصل لها ولا قياس يدعمها، أمر وارد وموجود بكثرة في كلامهم، سواء في النثر أو الشعر (الأوسي، 2019، ص 79-80)، وليس كل شاء منبوذ(الجبوري، 2014، ص 89)، تحتج الدكتورة سرّاء بقول ابن جني في قسم (شواذ الهمز): "وهو ما جاء من غير أصل له، ولا إبدال دعا قياس إليه، وهو كثير. منه قولهم: مصائب...، ومثله قراءة أهل المدينة لكلمة معائش بالهمز، وجاء أيضا في شعر الطرماح مزائد جمع مزادة، وصوابها مزايد. قال (الطرماح، 1994، ص 246):

مزائـــد خرقـــاء اليـــدين مســـيفةٍ يخـب بهـا كـل متخلـف غيـر آئِـنِ

وقالوا أيضا: منارة ومنائر، وإنما صوابها: مناور، لأن الألف عين وليست بزائدة"(ابن جني، د.ت، جـ3، ص 146-147).

تذهب الباحثة إلى جواز الوجهين، استنادًا إلى ما قرره مجمع اللغة العربية من إجازة قلب العين همزة في (مفاعل) سواءً كان أصلها واوًا أو ياءً. غير أنها ترى أن إبقاء الياء أو الواو في مثل (مكايد) و(مغاور) أولى، لأنه القياس.

5.جمع (مفعول) على (مفاعيل):

أجاز المنذر جمع مفعول على مفاعيل، إذ يرى أنه مأنوس، لكثرة وروده، ولا يجب الاقتصار به على السماع (أي أن المنذر يُجيز القياس فيه)، ومثل ما يُقال مجنون مجانين، وميمون ميامين، وملعون ملاعين، يجوز أن يُقال: منكود مناكيد، ومجروح مجاريح، ومشنوق مشانيق، وموضوع مواضيع، ومشروع مشاريع، ومرسوم، مراسيم (المنذر، 1927، ص 66).

ذهب القدماء إلى عدم قياسية جمع مفعول على مفاعيل انطلاقًا من قول سيبويه: "والمفعول نحو مضروبٍ، تقول: مضروبون. غير أنهم قد قالوا: مكسورٌ ومكاسير، وملعونٌ وملاعين، ومشئومٌ ومشائيم، ومسلوخةٌ ومساليخ، شبهوها بما يكون من الأسماء على هذا الوزن، كما فعل ذلك ببعض ما ذكرنا. فأما مجرى الكلام الأكثر فأن يجمع بالواو والنون، والمؤنث بالتاء. وكذلك مفعلٌ ومفعلٌ إلاَّ إنهَّم قد قالوا: منكرٌ ومناكير، ومفطرٌ ومفاطير، وموسرٌ ومياسير" (سيبويه، 1988، جـ3، ص 641).

وافق الشيخ مصطفى الغلاييني الأستاذ إبراهيم المنذر بجواز قياس جمع مفعول على مفاعيل مطلقًا وفسر قول سيبويه في وزن (مفعول) و(مفعل، بضم الميم، وفتح العين وكسرها) من الصفات، لم يمنع جمعها جمع تكسير، وإنما أشار إلى أن الغالب فيها أن تُجمع جمع تصحيح، ويجوز فيها

التكسير، ولم يُعمم سيبويه هذا الحكم على غير هذه الأوزان الثلاثة، بخلاف من جاء بعده من النحاة، الذين عمّموا الحكم على كل صفة تبدأ بميم زائدة، فمنعوا تكسيرها إلا في الكلمات ورد بها السماع، وهو توسع منهم في هذا الباب، وضيقوا على الناس بهذا التوسع (الغلاييني، 1927، ص 142-149).

وذهب الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي إلى أن مذهب الشيخ مصطفى الغلاييني غير مستقيم، لأن سيبويه لو أجاز جمع السلامة لما عدد الشاذ بعدها، ولما شبه الشاذ منها بالأسماء (الزعبلاوي، د.ت، ص 291)، واحتج بتعليق ابن سيده على كلام سيبويه، إذ قال: "إِنَّمَا أذكر مثل هَذَا الْجمع، لِأَن حكم مثل هَذَا أَن يجمع بِالْوَاو وَالنُّون فِي الْمُذكر، وبالألف وَالتَّاء فِي الْمُؤَنَّث، لكِنهمْ كسروه تَشْبِيها بِمَا جَاءَ من الأسماء على هَذَا الْوَزْن"(ابن سيده، 2000، جـ6، ص 706)، ويوضح الزعبلاوي منهج سيبويه، فإذا قال: الأقل (يعني النادر من الكلام)، وإذا قال: الأكثر (تكون هي القاعدة التي يُقاس عليها)، ويرى الزعبلاوي أن سيبويه لم يقصر حكمه بالتصحيح على (مفعول ومفعل ومفعل) بل عممه، واحتج بنص آخر لسيبويه: "اعلم أن ما كان يُجمع بغير الواو والنون نحو حَسَنٍ وحِسان...،وما كان يُجمع بالواو والنون نحو منطلِق ومنطلقين"(سيبويه، 1988، جـ4، ص 8)، وتناول سواه مما بدئ بالميم من الصفات، شأنه في ذلك شأن المتأخرين(الزعبلاوي، د.ت، ص 291-293).

أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يجمع مفعول على مفاعيل مطلقًا (مجمع اللغة العربية، 1975، جـ2، ص 32)، ويذهب صلاح الدين الزعبلاوي أنه إذا أخذنا بقرار المجمع، جاز أن نقول في وصف غير العاقل: أيام معدودة أو معدودات، وأشياء موضوعة أو موضوعات، وهذه الألفاظ

قد جاءت هنا أوصافاً لغير العاقل على مفعول، وجاز لنا أن نقول فيما كان وصفًا للمذكر العاقل على وزن مفعول: هؤلاء (مسارير) و(مكاسير)، صفة للرجال جمعاً لـ(مسرور)، و(مَكْسور)، وهذا الكسر قائم في الأصل على التفريق بين الوصف والاسم في هذا الباب (الزعبلاوي، د.ت، ص 289)، وقد شايعه الدكتور مجيد الزاملي في هذا الرأي، فذهب إلى أن الصفة المبدوءة بميم، وكانت وصفا لمذكور أو مقدر، فإنها تجمع جمع تصحيح، وأما إذا ضارعت الأسماء جاز فيها جمع التكسير(الزاملي، 2016، ص 157-158).

يذهب مجمع اللغة العراقي إلى إجازة جمع مفعول من الصفات على مفاعيل لدى الحاجة إليه، لأن ماورد منه يعد من المأثور ولكن لا يقاس عليه، وهو أكثر من يتم نعته بالشذوذ، أما الأسماء فإن جمعها على مفاعيل هو الأصل والقياس (آل ياسين، 1992، ص 98)، وتذهب الباحثة إلى ما ذهب إليه مجمع اللغة العراقي؛ لأنه لا يرفضه مطلقًا، انما يجيزه عند الحاجة إليه.

النتائج:

1. يتسم منهج إبراهيم المنذر في الحكم على جموع التكسير بالتعددية المعيارية، إذ لم يعتمد معيارًا واحدًا (كالقياس أو السماع فحسب)، بل زاوج بينهما وفقًا لشيوع اللفظ واستقراره في الاستعمال الفصيح. فقد رفض صيغًا كـ(حوائج) و(عوائد) و(مصائب) – مع ورودها في السماع – لشذوذها في القياس، بينما أجاز صيغًا أخرى كجمع (مفعول) على (مفاعيل) مع شذوذها في القياس لكثرة شيوعها واطرادها في الاستعمال.

2.يكشف تحليل مواقف المنذر عن استقلاليته النقدية؛ إذ لم يكن مجرد ناقل للتراث النقدي، بل كان ينتقي ويرجح وفق رؤيته الخاصة. فقد وافق القدماء في رفض (حوائج) و(مصائب)، وخالفهم في إجازة جمع (فَعْل) على (أفْعال)، مما يدل على أن نقده كان نقدًا حيًا قائمًا على الموازنة والاختيار، لا على التقليد والمتابعة.

3.يتبين أن شيوع اللفظة في كلام الفصحاء كان المعيار الحاسم في أحكام المنذر، ربما يفوق أحيانًا معيار القياس. وهذا يفسر تقبله لصيغ شاذة قياسًا كـ(مفاعيل) ورفضه لصيغ مسموعة كـ(حوائج)، مما يؤكد أن الاستعمال الفصيح كان عنده مقدمًا على القياس إذا تعارضًا، شريطة أن يتحقق الشيوع لا الورود العابر.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، كمال. أغلاط الكُتاب. بغداد: المطبعة العربية، 1354هـ / 1935م.

- ابن بري وابن ظفر. الحواشي على درة الغواص. ضمن: درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها. تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي قرني. ط 1. بيروت: دار الجيل، 1417هـ / 1996م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار. ط 4. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. اللمع في العربية. تحقيق فائز فارس. الكويت: دار الكتب الثقافية، د.ت.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني). ط 1. القاهرة: دار إحياء التراث القديم، 1373هـ / 1954م.

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق عبد الحميد هنداوي. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ / 2000م.
- ابن سيده، علي بن إسماعيل. المخصص. تحقيق خليل إبراهيم جفال. ط 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ / 1996م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر، 1414هـ.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين محمد. شرح قصيدة بانت سعاد. دراسة وتحقيق عبد الله عبد القادر الطويل. ط 1. المكتبة الإسلامية، 1431هـ / 2010م.
- أبو السعود، عباس. أزاهير الفصحى في دقائق اللغة. ط 2. القاهرة: دار المعارف، 1988م.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس. ديوان الأعشى الكبير. تحقيق محمد محمد حسين. القاهرة: المطبعة النموذجية، د.ت.
- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان. تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ / 1994م.
- آل ياسين، محمد. مسائل لغوية في مذكرات مجمعية. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1413هـ / 1992م.
- الآلوسي، محمود شكري. كشف الطرّة عن الغرّة. دمشق: المطبعة الحنفية، 1301هـ / 1883م.
- الأوسي، سراء قيس إسماعيل. النقد التصريفي في العربية. ط 1. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2019م.

- الجبوري، محمد صالح ياسين. الدكتور أحمد علم الدين الجندي وجهوده في خدمة اللغة العربية. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1، العدد 211، 2014م.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. التعريفات. تحقيق جماعة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ/ 1983م.
- الجندي، محمد سليم. إصلاح الفاسد من لغة الجرائد. دمشق: مطبعة الترقي، 1925م.
- جواد، مصطفى. قل ولا تقل. تقديم وإشراف عبد المطلب صالح. ط 1. بغداد: مكتبة النهضة العربية، 1409هـ / 1988م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط 4. بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ / 1987م.
- الحريري، القاسم بن علي. درة الغواص في أوهام الخواص. تحقيق عرفات مطرجي. ط1. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1418هـ/ 1998م.
- حسن، ساجدة مزبان. الاستغناء في أبنية جموع القلة والكثرة في القرآن الكريم بين الرفض والقبول. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 1، العدد 222، 2017م.
- حمزة، خالد حميد، وضياء فاخر جبر مطر. صيغتا (فُعْلَة/ فَعَلة) في كناشة النوادر لعبد السلام محمد هارون (1327-1408هـ) دراسة صرفية. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 62، العدد 3، أيلول 2023م.
- الخفاجي، أحمد بن محمد. شرح درة الغواص في أوهام الخواص. تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي قرني. ط 1. بيروت: دار الجيل، 1417هـ/ 1996م.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي. العين. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- الخوارزمي، محمد بن أحمد. مفاتيح العلوم. تحقيق إبراهيم الأبياري. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- داغر، أسعد خليل. تذكرة الكاتب. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012م.
- ذي الرمة، غيلان بن عقبة. ديوان ذي الرمة. اعتنى به وشرح غريبه عبد الرحمن المصطاوي. ط 1. بيروت: دار المعرفة، 1427هـ/ 2006م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. تحقيق يوسف الشيخ محمد. ط 5. بيروت - صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1420هـ/ 1999م.
- الراعي النميري. ديوان الراعي النميري. تحقيق راينهرت فايبرت. بيروت: فرانتس شتاينر، د.ط، 1980م.
- رضا، أحمد. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). بيروت: دار مكتبة الحياة، 1958-1960م.
- الزاملي، مجيد خير الله. نظرات في جموع التكسير. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية، 2016م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المختصين. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1385-1422هـ/ 1965-2001م.
- الزعبلاوي، صلاح الدين سعدي. أخطاؤنا في الصحف والدواوين. دمشق: المطبعة الهاشمية، 1939م.
- الزعبلاوي، صلاح الدين. دراسات في النحو. دمشق: اتحاد كتاب العرب، د.ت.

- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط 3. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1408هـ/ 1988م.
- شقير، شاكر. لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية. بعدا - لبنان: المطبعة العثمانية، 1891م.
- الشماخ بن ضرار الذبياني. ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني. تحقيق صلاح الدين الهادي. القاهرة: دار المعارف، 1968م.
- الطرماح بن حكيم. ديوان الطرماح. تحقيق عزة حسن. ط 2. بيروت: دار الشرق العربي، 1414هـ/ 1994م.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. القاهرة: مكتبة القدسي، 1351هـ.
- العدناني، محمد. معجم الأخطاء الشائعة: معجم يعالج الأخطاء اللغوية الشائعة ويبين صوابها مع الشرح والأمثلة. ط 2 منقحة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2012م.
- عمر، أحمد مختار. العربية الصحيحة. ط 2. القاهرة: عالم الكتب، 1998م.
- عمر، أحمد مختار. معجم الصواب اللغوي: دليل المثقف العربي. بمساعدة فريق عمل. ط 1. القاهرة: عالم الكتب، 1429هـ/ 2008م.
- الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم. جامع الدروس العربية. ط 28. بيروت - صيدا: المكتبة العصرية، 1414هـ/ 1993م.
- الغلاييني، مصطفى. نظرات في اللغة والأدب. بيروت: مطبعة وزنكوغراف طبارة، 1927م.
- الفيومي، أحمد بن محمد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

- مجمع اللغة العربية المصري. القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب (من 1934 إلى 1987م). إعداد شوقي أمين وإبراهيم الترزي. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1989م.
- مجمع اللغة العربية المصري. في أصول اللغة. إخراج وضبط محمد شوقي أمين ومصطفى حجازي. ط 1. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1395هـ/ 1975م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. ط 2. إسطنبول: دار الدعوة، 1972م.
- المنذر، إبراهيم. كتاب المنذر. ط2. بيروت: مطبعة السلام، 1927م.
- اليازجي، إبراهيم. لغة الجرائد. جمع وتقديم نظير عبود. ط 1. بيروت: دار مارون عبود، 1984م.
- يعقوب، إيميل بديع. معجم الخطأ والصواب في اللغة. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين، 1986م.
- يونس، بتول فرحان. الاتساع في جموع القلة مع جموع الكثرة في النص القرآني. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 62، العدد 3، أيلول 2023م.

(إنْ) النافية بين الإعمال والإهمال وتطبيقاتها في منهج اللغة العربية للصف السادس الإعداديّ

م. د. مرتضى صباح صيوان الحسون
مديرية تربية محافظة البصرة

الملخَّصُ:
يُشكِّلُ هذا البحث محاولةً بحثيةً جادَّة في تسليطِ الضوءِ على "إنْ" النافية من حيثُ إعمالُها وإهمالُها، وبسط آراءِ العلماءِ فيها ومناقشة تلكَ على وفقِ المنهجِ التحليليّ في اللغةِ، ومقارنة تلكَ الآراءِ وما نتوصلُ إليه من نتائج علميّةٍ في هذا البحث مع ما ثُبِّتَ في منهج الصف السادس الإعداديّ من ذكرٍ لهذهِ الأداة من قاعدةٍ وتطبيقاتٍ مع محاولتنا تصويبَ ما يمكنُ تصويبُه ممَّا وقعَتْ فيه لجنة تأليف هذا المنهجِ من ارتباكٍ في العبارةِ أو خلطٍ في المضامين.

الكلمات المفتاحية: أدوات النفي، سيبويه، منهج اللغة العربية، الإعمال، الإهمال.

The Negative particle "In" Between Function and Neglect , and Its Applications in the Arabic Language Curriculum for Sixth Preparatory Grade

Ass. Prof.Dr. Murtadha Sabah Saiwan Al-Hassoun
Directorate of Education , Basra Governorate

Abstract:
This research constitutes a serious research attempt to shed light on this negative tool in terms of its application and neglect, and to expand the opinions of scholars on it and discuss those according to the analytical approach in language, and to compare those opinions and the scientific results we reach in this research with what was established in the sixth grade preparatory curriculum of mentioning this tool from a rule and applications, while we try to correct what can be corrected from what the committee writing this curriculum fell into in terms of confusion in the expression or mixing in the contents.

Keywords: Negation tools, Sibawayh, Arabic language curriculum, Activation, Neglect.

قبلَ البدء:

ممَّا لا ريبَ فيه أنَّ ضبطَ عباراتِ المنهج المقرَّر وما يحتويهِ من قواعد لهو من أهم متطلباتِ سيرِ العلمية التربويةِ، فكلَّما ضُبِطَتِ العباراتُ ورُسِمَتِ القواعدُ بشكلٍ سليمٍ كلَّما كانَ أثرُها في نفعِ الطلبة أبلغَ، والعكسُ لو ارتبكتْ عبارات المنهجِ أو تردَّدت من دونِ وضوحٍ وثبات في عرضِ القاعدةِ وشرحها وتطبيقاتِها، وقد لاحظتُ أنَّ هناكَ خللًا بيِّنًا في استعراضِ

منهج الصفِ السادس الإعداديّ للأداة النافية (إنْ) من حيثُ تأصيلُ القاعدةِ، وصياغة العبارة، وكذلك تطبيقاتُها، فعقدتُ هذا البحثَ للكشفِ عن آراءِ النَّحويين في هذهِ الأداةِ من حيثُ الإعمالُ والإهمالُ، ومناقشة تلكَ الآراءِ والتحقيق في أسلمِها وأقومِها، محاولاً قدرَ الإمكانِ اتخاذ الحلولِ الوسطى المرضيّةِ التي تتناسبُ معَ سمْتِ لغتنا الأصيلةِ، متَّبعاً في ذلكَ المنهج التحليليّ للغة، مبتغيًا الوصولَ إلى صياغة قاعدةٍ تصلحُ أنْ تثبَّتَ في المنهج خدمةً لأبنائنا الطلبةِ وصونًا للمسيرةِ العلميةِ.. واللهُ الموفِّقُ

المطلب الأول:

(إنْ) النَّافية وأقوالُ العلماءِ فيها:

منّ المسائلِ التي جرى الخلافُ فيها بينَ النحويينَ مسألة إعمال (إنْ) النافية وإهمالها، و(إنْ) حرفُ نفيٍ يدخلُ على الجملةِ الفعليةِ والاسمية، فأمَّا على الفعلية فتكون غيرَ عاملةٍ باتفاقِ النَّحويينَ وتفيدُ نفي حدوثِ الفعلِ في الزمنِ الماضي إنْ دخلت على الفعل الماضي مثل قولِه تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} (سورة يس، 29)، وتفيدُ نفي الحاضرِ إنْ دخلَتْ على المضارع (الزمخشري، 1993، ينظر:407) مثل قوله تعالى: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} (سورة الأنعام، 148)، ((وقد تكون لغيرِ الحالِ، وذلكَ نحو قولِه تعالى: {بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} (سورة فاطر، 40)، فهي هنا للاستمرار)) (السامرائي،2007، ينظر: 4/ 170) أمَّا الخلافُ فيقعُ في إعمالِها إذا دخلَتْ على الجملةِ الاسميةِ، فقد ذهبَ أغلبُ البصريينَ، ومعَهم الفرَّاءُ إلى كونِها غيرَ عاملةٍ (المرادي،1992، ينظر: 209؛ المرادي 2008، ينظر: 512/1 / ابن عقيل، 1980، ينظر: 317/1،السيوطي، 1999، ينظر: 1/ 453) وتابعَهم على ذلكَ ابن يعيش

(ابـــن يعـــيش، 2001، ينظـــر: 39/5)، والمغاربـــةُ (الســـيوطي،1999، ينظـــر:453/1)، تـــابعوهم علـــى ذلـــك، وأمَّـــا الكســـائيُّ والكوفيـــونَ (المرادي،2008، ينظر: 1/ 512) والمبردُ (المبرد، 1999، ينظر: 2/ 622) وابـنُ السّـرَّاجِ (ابـن السـراج، 1999، ينظـر: 1/ 325-326)، وأبـو علـيّ الفارسي (ابن عقيل 1980، ينظر: 1/ 317 / والسيوطي،1999، 1 / 453)، والسَّمينُ الحلبيّ (السمين الحلبي،1986، 5/ 539) فقد ذهبوا إلى إعمال "إنْ" عملَ "ليس" إذا اجتمعَ فيها شرطان:

الأول: ألَّا ينتقض نفيها بـ(إلَّا)

الثاني: ألَّا يتقدَّمَ خبرُها على اسمها.

وقد اختلفَ النقلُ عنْ سيبويهِ، فقالَ السهيليُّ: إنَّ سيبويهِ يقولُ بالإعمال والمبردُ بالإهمالِ (الأندلسي، 1998، ينظر: 1207/3)، وهذا وهمٌ من السهيليّ؛ لأنَّ المبردَ نصَّ على إعمالِها(المبرد، 1999، ينظر: 2/ 622)؛ ولذا ((نقلَ النَّحاسُ عكسَ هذا، قال: سيبويه والفرّاءُ يرفعانِ، والكسائيّ ينصبُ وهو مذهب أبي العباس)) (الأندلسي، 1998، 1207/3) وقد نسبَ قومٌ القولَ بعدمِ الإعمالِ إلى سيبويهِ (الزمخشري، 1993،ينظر: 407 والسيوطي،1999، ينظر: 1/ 453)، وحجَّةُ منْ نسبَ المنعَ إلى سيبويهِ عدمُ ذكرِها عاملةً في كتابِهِ، وقد حاولَ ابنُ مالكٍ جاهدًا إثباتَ خلافِ ذلكَ، فنسبَ القولَ بالإعمالِ إلى سيبويهِ في أكثرَ من موردٍ ومن ذلكَ:

- قولُه: ((وأكثرُ النحويينَ يزعمونَ أنَّ مذهبَ سيبويهِ في "إنْ" النافيةِ الإهمالُ، وكلامُه مشعرٌ بأنَّ مذهبه الإعمالُ، وذلكَ أنَّه قالَ في بابِ عدَّة ما يكونُ عليه الكلمُ: وأمَّا "إنْ" مع "ما" في لغةِ أهل الحجازِ، فهي بمنزلةِ "ما" مع "إنَّ" الثقيلة تجعلها من حروف الابتداء، وتمنعها أنْ تكونَ من حروفِ "ليس"، فعُلِمَ بهذهِ العبارةِ أنَّ في الكلامِ حروفًا مناسبة لـ"ليس" من جملتها

"ما" ولا شيءَ من الحروفِ يصلحُ لمشاركةِ "ما" في هذهِ المناسبةِ إلا "إنْ" و"لا" فتعيَّنَ كونهما مقصودينِ)) (ابن مالك، 1990، ينظر: 1/ 375)

وأقول: إنَّ ابنَ مالكٍ على جلالةِ قدرِه ورفيعِ منزلتِه في النحوِ غيرَ أنَّه وقعَ في الوهمِ في هذا المورِدِ، ولـمْ يضعْ عبارةَ الكتابِ في موضعِها، فسيبويهِ يقصد من هذه العبارة التي نقلها ابن مالكٍ عن الكتابِ(سيبويه،2006، 221/4) أنَّ "إنْ" إذا جاءَتْ بعدَ "ما" الحجازيةِ تجعلُها مهملةً ويكونُ ما بعدَها مبتدأً وخبرًا كقولِ الشاعر فروة بن مسيكٍ (سيبويه،2006، ينظر: 153/3، والمبرد،1999، ينظر:346/2/ البغدادي،1997، ينظر: 112/4):

وَمَا إِنْ طبُّنَا جبْنٌ وَلكِنْ مَنَايَا وَدَوْلَةُ آخرِيْنَا

فـ(إن) هنا على لغة تميمٍ تكون لغواً (سيبويه،2006، ينظر: 4/ 220-221)، وعلى لغة الحجازيينَ تكون كافَّةً لعمل (ما) الحجازيَّةِ (سيبويه،2006، ينظر: 153/3 و220/4)، ويؤيّدُ كلامَنا هذا ما ذكرَه السيرافيّ في شرحِهِ الكتابَ مبيّناً أنَّها على لغةِ تميمٍ بعدَ "ما" تكون لغواً وتأكيداً؛ لأنَّهم لا يُعملونَ "ما"، وأمَّا في لغة الحجازِ فتكون كافَّةً لِـ(ما) مثلما كانتْ "ما" كافَّةً لـ(إنَّ) في قولنا: ((إنَّما زيدٌ قائمٌ)) (السيرافي، 2008، ينظر: 97/5) والغريبُ أنَّ ابنَ مالكٍ نفسه ذكرَ هذا الأمر في ألفيتِه مشترطاً في عملِ "ما" الحجازيةِ ألَّا يليها "إن" قائلاً: (القريدي،2012، 57)

إعمالَ "ليس" أُعملَتْ "ما" دونَ "إنْ" مع بقا النفي وترتيبٍ زُكِنْ

وذكرَ هذا الشرطَ في شرحِ الكافيةِ قائلاً: ((والثاني: عدمُ "إنْ" فلا عملَ لها عندَ وجودها كقولِ الشاعر (لا يعرف قائله، ورد في، ابن مالك 1982: 431/1 والمرادي، 1992، 328 والبغدادي،1997:4: 119/4)

بني غدانةَ ما إنْ أنتم ذهبٌ ولا صريفٌ ولكنْ أنتم خزفُ)) (ابن مالك،1982، 431/1)

وبهذا تكونُ محاولتُه في إثبات القولِ بالإعمالِ من الكتابِ غيرَ موفَّقةٍ.

- ونراه في موردٍ آخر يحاولُ إثباتَ ذلكَ فيقولُ: ((وأومأ سيبويهِ إلى ذلكَ دونَ تصريحٍ بقولِهِ في "باب عدَّة ما يكون عليه الكلم": ويكون (إنْ) كـ (ما) في معنى (ليس) (سيبويه، 2006، ينظر: 222/4) فلو أرادَ النفيَ دونَ العملِ لقال: "ويكون (إنْ) كـ (ما) في النفي؛ لأنَّ النفيَ من معاني الحروفِ فـ (ما) به أولى من (ليس)؛ لأنَّ (ليس) فعلٌ، وهي حرفٌ، بخلافِ العملِ فإنَّ (ليس) فيه هي أصلٌ لـ(ما، ولا، وإنْ)؛ لأنَّها فعلٌ وهنَّ حروفٌ)) (ابن مالك،1982، 1/ 446-447).

وأقول: إنَّ النَّصَ الذي استندَ إليه ابنُ مالكٍ لا يفي بغرضِ إثبات الإعمالِ من الكتابِ؛ لأنَّ سيبويهِ عنى بـ(المعنى) النَّفيَ وليس العملَ مثلما زعمَ ابن مالكٍ؛ بدليلِ قولِ سيبويهِ: ((وتكون (ما) بمنزلة (ليس) في المعنى، تقول: "عبدُ اللهِ منطلقٌ"، فتقول: "ما عبدُ اللهِ منطلقٌ أو منطلقاً، فتنفي بهذا اللفظِ كما تقول: "ليس عبدُ اللهِ منطلقاً")) (سيبويه،2006: 4/ 221) فلو كانَ سيبويهِ يقصدُ العملَ لأثبتَ نصبَ الخبر "منطلقًا" فقط، ولكنَّه جاءَ بهِ مرَّةً مرفوعًا على لغةِ تميمٍ، ومنصوبًا مرَّةً أخرى على لغة الحجازيينَ؛ لأنَّه ليس بصددِ بيانِ العملِ وإنَّما مرادُه إثباتُ النفي بـ(ما) مثلما ثبتَ بـ(ليس) يدلُّ على ذلكَ قوله: (فتنفي بهذا اللفظ) أي (ما)، فقد أرادَ النفيَ هنا لا العمل، وممّا يؤيدُ كلامَنا أنَّ السيرافيَّ حينَ شرحَ هذهِ العبارةَ اكتفى بالتمثيلِ بقولِه تعالى: { إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} (سورة الملك،20)، فلو كانَ المرادُ العملَ لجاءَ بمثالٍ تكونُ فيهِ "إنْ" عاملةً لا بمثالٍ جاءتْ فيه مهملةً حتى لغةِ الحجازيينَ؛ لانتقاضِ نفيها بـ(إلَّا)!

ويعضدُ كلامَنا أيضًا ما نقلَهُ أبو حيانَ الأندلسيّ عن الأستاذِ أبي علي الفارسيِّ قائلاً: ((هذا الكلامُ ليسَ بنصٍّ على ذلكَ؛ لأنَّه يحتملُ أنْ يريدَ (إنْ)

تكونُ كـ (ما) في النفي، فيكون قد عبَّرَ بقولِه "في معنى ليس" عن النفي وهذا أولى أنْ يُحملَ عليه كلامُه؛ لأنَّ العملَ في "إنْ" شاذٌّ)) (الأندلسي،1997: 281/4)، وعلاوةً على هذا كلِّه فإنَّ سيبويهِ أرادَ من هذا النصِّ حملَ (ما) على (ليس) في نفي الجملة الإسمية على وجهِ الخصوصِ، ذلك النفي الذي يكونُ بنفيِ اتصاف الاسمِ بالخبرِ، ولم يكنْ مرادُه إثباتَ أصلَ معنى النفي لـ(ما) مثلما زعمَ ابنُ مالكٍ؛ بدليلِ أنَّ سيبويهِ قد نصَّ على دلالتِها على النفيِ عندما يتلوها الفعلُ قائلًا: ((وأما "ما" فهي نفيٌ؛ لقولِه: هو يفعلُ إذا كانَ في حالِ الفعلِ فتقولُ: "ما يفعلُ")) (سيبويه،2006، 4/ 221) ثمَّ شرعَ في حملِ "ما" على "ليس" في نفي الجملةِ الإسميةِ، بوصفِ "ليسَ" الأصلَ في نفي الجملة الاسمية وأنَّ "ما" مشبهةٌ بها في هذا المورِدِ وليسَ العكس.

تحقيقُ رأي سيبويهِ:

إنَّ الذي يتجلَّى لنا مِنْ النظرِ في الكتابِ أنَّ سيبويهِ لم يذكرْ (إنْ) النَّافيةَ إلَّا في موردٍ واحد هذا نصُّه: ((وتكونُ في معنى "ما". قالَ الله عزَّ وجلَّ: {إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} (سورة الملك،20)، أي: ما الكافرونَ إلَّا في غرورٍ)) (سيبويه،2006: 152/3) وقدْ حاولَ أكثرُ مَنْ رفضَ إعمالَ "إنْ" أنْ يجعلَ هذا النَّصَّ دليلاً يستدلُّ بهِ على رفضِ سيبويهِ العملَ، وأرى أنَّ هذا النَّصَّ غيرُ كافٍ لإثباتِ ذلكَ، وتوجيهنا لهذا النَّصِّ من نحوينِ:

الأول: إنَّه ذكرَ عدمَ الإعمالِ على مذهبِ تميمٍ في عدمِ إعمال الحروفِ غيرِ المختصَّةِ سواءً أكانتْ "ما" أو "إنْ" وإلى هذا أشارَ المبرِّدُ بقولِه: ((وكانَ سيبويهِ لا يرى فيها إلَّا رفعَ الخبر؛ لأنَّها حرفُ نفيٍ دخل على ابتداءٍ وخبرِهِ؛ كما تدخلُ ألفُ الاستفهامِ فلا تعيّره. وذلكَ كمذهبِ بني تميمٍ في "ما")) (المبرد،1999: 622/2)، فيكونُ إعمالُها على وفقِ لغة الحجازِ أمراً مسكوتاً عنه عندَ سيبويهِ وليس كما توهمَّه الآخرون من أنَّه يمنعه من رأسٍ.

الثاني: إنَّ سيبويهِ لم يكنْ بصددِ بيانِ عمل "إنْ" وإنَّما كانَ في معرضِ بيانِ أنواعِها على أساس المعنى، فبعدَ أنْ ذكرَ أنَّها قد تأتي "للمجازاة" - الشّرط- ، وقد تأتي دالَّةً على الاستثناءِ، ذكرَ أنَّها قد تأتي نافيةً بقولِه: ((وتكونُ في معنى "ما")) (سيبويه،2006، 152/3)، فمرادُه النَّفي وليسَ العمل ونصُّه صريحٌ واضحٌ في أنَّه أراد تشبيهها بـ(ما) من حيث كونها نافيةً وليس بقصدِ كونِها عاملةً أو مهملةً، ثمَّ ذكرَ النوعَ الرابعَ لها وهو أنْ تكونَ كافَّةً إذا جاءتْ بعد "ما"(سيبويه،152/2006:3)، فلا يكونُ هذا النَّصُّ قطعيًّاً في نسبةِ القولِ بالإهمالِ إلى سيبويهِ.

نظرةٌ في رأي أبي حيَّان الأندلسيّ:

ولا ينقضي العجبُ منَ التعارضِ والتناقضِ الذي وقعَ فيهِ أبو حيَّان الأندلسيّ، فنراهُ يرفضُ الإعمالَ في البحر المحيط قائلًا: ((والصحيحُ أنَّه لا يجوزُ؛ لأنَّه لم يحفظْ مِنْ ذلك إلَّا بيتٌ نادرٌ وهو (مجهول القائل، ينظر: ابن مالك، 1997: 447/1 والمرادي، 209،1992 والبغدادي1997: 167/4): إنْ هو مستوليًا على أحدٍ إلَّا على أضعفِ المجانين (الأندلسي، 1999، 245/1)

ولكنَّنا نراه في موردٍ آخرَ ينصُّ على أنَّ الصحيحَ الإعمالَ قائلًا: ((والصحيحُ الإعمالُ، والدليلُ على ذلكَ القياسُ والسماعُ)) (الاندلسي،1997، 227/4) وبعدَ أنْ ساقَ الأدلةَ على الإعمال قال: ((وبهذا السماعِ يتبينُ بطلانُ قولِ مَنْ ذهبَ إلى أنَّه لمْ يأتِ منه إلا قوله "إن هو مستوليًا على أحد" وتخصيصه إياه بالضرورةِ)) (الاندلسي،1997، 227/4) فناقضَ نفسَه بنفسِه في موردينِ، ولعلَّ السَّببَ في هذا التناقضِ أنَّ أبا حيان الأندلسيّ قد تابعَ في التذييلِ رأي ابنِ مالكٍ ولمْ يتمكنْ من الخروجِ من عباءتِه فتبنَّى رأيه القائلَ بالإعمالِ على الرغمِ من كونِ الأندلسيِّ نفسِه قد رفضَه في البحرِ المحيطِ!

المطلب الثاني:

حجَّة المانعينَ:

وحجَّةُ مَنْ منعَ إعمالها تتمحورُ في أمرين:

الأول: إنَّها حرفٌ غير مختصٍّ بالجملةِ الاسميَّةِ والقياسُ أنَّ الحرفَ غيرَ المختصِّ لا يعمل (السيوطي، ينظر 1999، 1/ 453)

وأقولُ: إنَّ هذهِ الحجَّةَ حجةٌ تفتقدُ إلى التأصيلِ العلميّ، بل هي قائمةٌ على أساس الذوقِ الخاصِّ، فما دليلُهم على حصرِ العملِ بكون الأداةِ مختصَّةً بالجملة الاسمية؟ وما منشأُ هذهِ الكبرى؟ لا نكادُ نجدُ جوابًا عن هذهِ التساؤلاتِ في مصنفاتِهم، بل يلزمُ من الأخذ بها الوقوع في الدورِ الباطلِ فحينَ يريدونَ تعليلَ عدمِ تصرّفِ "ليس" يشبهونَه بـ(ما) جاعلينَ "ما" الأصلَ في النفي و"ليس" مشبهًا بها، وأنَّ "ليس" تجري مجرى "ما" عندَهم (ابن الوراق،1999، 246)، وهم أنفسُهم حين يريدونَ إثباتَ العملِ لـ (ما الحجازية) أو لـ(إنْ) يجعلون من "ليس" أصلاً يحملونَهما عليه!

الثاني: إنَّهم يشترطونَ في الأداة العاملةِ أنْ تدلَّ على الحالِ حملاً على "ليس" التي تدلُّ على نفي الحال، و(إنْ) لم يثبتْ أنَّها تدلُ على الحالِ؛ لذا فإنَّ إعمالَها ضعيفٌ. (ابن جني1999، 270/1)

وأقول: إنَّ هذهِ ليستْ حجةً كافيةً في رفضِ عملِ "إنْ" أو تضعيفِه؛ للأسباب الآتية:

أولها: إنَّهم حينَ أرادوا إثباتَ دلالةِ "ليس" على الحال مع أنَّها فعلٌ ماضٍ قالوا بأنَّ دلالتها على الحالِ ((عارضٌ نشأَ من شبهِها الحرفَ في الجمود وفي المعنى)) (الصبان،1997، 334/1) ويعنون بالحرفِ "ما" فـ(ليس) عندَهم إنَّما صارت دالَّةً على الحالِ بسببِ مشابهتها "ما" في معنى النفي

ودلالتها على الحال، والنحويونَ أنفسهم حينما يريدون إثبات العمل لـ(ما) يقولونَ: إنَّما عملتْ لشبهها "ليس" في الدلالة على الحال (المرادي، 1992، ينظر: 323)، وهذا يستلزم الدورَ الباطل.

ثانيًا: إنَّ دلالةَ "ليس" على الحالِ أمرٌ فيه نظرٌ، ولا يمكنُ القطعُ به، فقد ذهبَ جمعٌ من النحويينَ ومنهم ابنُ مالكٍ إلى أنَّها تنفي الحال والمستقبل والماضي (المرادي،1992،ينظر: 499 والسيوطي، 1999، 422/1)، واستدلُّوا بما رواه سيبويه من قولِ العرب: ((ليسَ خلقَ الله مثلَه)) (سيبويه، 2006، 1/ 147) في دلالتِها على الماضي(المرادي، 1992، ينظر:499 والسيوطي،1،422/1999 والسامرائي،2007، 229/1) وبقولِ حسَّان (الأنصاري حسان،1،1974 /433):

فما مِثْلُهُ فِيهم ولا كانَ قبلَهُ

ولَيسَ يكونُ الدَّهر ما دامَ يذبلُ

في دلالتها على المستقبل (المرادي،1992، ينظر:499)، ناهيكَ عمَّا إذا قيِّدَ زمنها بالقرائنِ الخارجيةِ كما في قولِ الأعشى (الأعشى، 393،2010):

لَه نَافِلات ما يغبُّ نوالُها

ولَيْسَ عطاءُ اليومِ مانعَه غدًا

الذي استشهدَ به ابن هشام في مغنيه (الأنصاري، 1985، ينظر:386)، فإذا كانَ الحالُ هكذا مع ليسَ من عدمِ الاتفاقِ النحويّ على ثبوت دلالةِ الحالِ لها فإنَّ القطعَ بالإعمال بحملِ الأداة على ليس من حيث كونها دالةً على الحالِ أمرٌ ليسَ بالسليمِ، فما يُقطعْ به لا يمكنُ الحملُ عليهِ، أضف إلى ذلكَ أنَّ سيبويهِ قد نقلَ عن قومٍ من العربِ أنَّهم كانوا يحملون "ليس" على "ما" ويجعلونها مهملةً تشبيهًا لـ(ليس) بـ(ما) (سيبويه،2006، ينظر: 147/1)،

وبهذا يكون تأصيلُ عملِ: "ليس" بحجةِ دلالته على الحال، وحمل الأدواتِ الحرفية كـ(ما) و(إنْ) عليها محلُّ نظرٍ.

ومعَ التسليمِ بثبوتِ دلالةِ الحالِ مع (ليس) وأنَّها سببٌ في إعمال الأدواتِ المشبهةِ بها، فإنَّ (إنْ) هي الأخرى دالَّةٌ على الحال سواءً أكانتْ عاملةً أم غير عاملةٍ نصَّ على ذلكَ كثيرٌ من النحويينَ (الزمخشري، 1993، ينظر:407 وابن يعيش، 2001، 39/5 وحسن،د.ت،604/1)، فتكونُ مشبَّهةً بـ(ليس) و(ما) وملحقة بهما في العملِ.

المطلب الثالث:

حجَّةُ القائلين بالإعمال:

أمَّا القائلون بإعمالِها فاحتجُّوا بالقياسِ والسَّماع، ((أمَّا القياسُ فإنَّها شاركتْ "ما" في النَّفي، وفي دخولِها على المعرفةِ والنَّكرةِ، وفي نفي الحال)) (الأندلسي،4،1997/ 277) وأمَّا السَّماعُ فاستدلّوا بالشواهد الآتية:

1) قول أهل العاليةِ: ((إنْ أحدٌ خيراً من أحدٍ إلَّا بالعافيةِ)) (المرادي، 1992، 209 والمرادي، 2008، 214/1، والأنصاري د.ت، 159) فقدْ رفعتِ الاسمَ (أحدٌ) ونصبتِ الخبر (خيراً) وكلاهما نكرةٌ.

2) وقولهم: ((إنْ ذلكَ نافعَك ولا ضارَّك)) (المرادي، 1992، 209 والمرادي، 2008، 214/1، والأنصاري د.ت، 159) فرفعتِ الاسم (ذلك) ونصبتِ الخبر (نافعَك) وكلاهما نكرةٌ، فثبتَ ما نصُّوا عليه في القياس من إعمالِها في النكرةِ والمعرفةِ على حدٍّ سواءٍ.

3) وقول الأعرابي: (إنْ قائمًا)، فقد سُمعَ أعرابيٌّ يقول: "إنْ قائمًا" يريد: "إنْ أنا قائمًا" على إعمال "إن" (المرادي، 1992، 209 والمرادي، 2008، 215/1 والأنصاري، 1985، 36) ويحتملُ أن يكونَ هذا من بحذفِ الاسم،

أو أن الأصل: "إنْ أنا قائمًا" فحذف الهمزة ونقل حركتها إلى نون "إن" وأدغم (الأندلسي، 1998، 3/ 1208) وعلى كلا التقديرين فهي عاملة لتحقق شرطيها.

4) ما أنشدَه الكسائيّ: (ابن مالك،1997، ينظر، 447/1، المرادي،1992، 209، والمرادي، 2009، 214/1، وابن عقيل، 1980، 317/1، الأشموني،1998، 268/1):

إنْ هُوَ مُسْتَولِيًا علَى أحَدٍ إلَّا علَى أضْعَفِ المَجَانيْن

فقد رفع الاسم (هو) ونصب الخبر (مستوليًا) لتحقق الشرطين؛ إذ لم ينتقضِ النفي بـ(إلا) ولم يتقدِ الخبر على الاسمِ، وقد حاولَ بعضهم أنْ ينسب ذلكَ إلى الضرورةِ فردَّ عليهم أبو حيَّان قائلًا: ((وأكثر أصحابِنا يذهب إلى أنَّها لا تعمل وأنَّ قوله: "إنْ هو مستوليًا على أحد"...ضرورةٌ، والصحيحُ جوازُ إعمالِها إذ قد ثبتَ ذلكَ لغة لأهلِ العالية نثرًا ونظمًا)) (الأندلسي، 1998، 3/ 1208)، فحملُه على الضرورةِ منافٍ لثبوتِه لغةً لبعضهم نثرًا وشعرًا.

5) ومنه أيضاً قول الشاعر: (مجهول القائل ينظر، ابن مالك، 1990، 376/1، المرادي،1992، 210، ابن عقيل، 1980، 318/1، السيوطي، 1999، 454/1):

إنِ المَرْءُ مَيْتًا بانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ ولكِنْ بأَنْ يُبْغَى علَيْهِ فيَخْذُلا

فقد أعمل "إن" إعمال "ما" فرفعت الاسم "المرء" ونصبت الخبر "ميتًا" لتحقق الشرطين.

وإذا كانت هذه الشواهد كلُّها في الإعمال فإنَّ القول بعدم الإعمال لعدم وجود السماعِ يكونُ قولًا واهيًا ناتجًا عن الاستقراء الناقص أو المتابعة لمَنْ سبَقَ من دونِ تدبرٍ، ومن هنا رأينا أبا حيان النحويّ يردُّ على ابن مالكٍ حينَّ صرحَ بأنَّ إعمال "إن" قليل قائلًا: ((وإذا كانَ ذلك لغة لبعضِ العرب فلا

يصحّ قول المصنفِ "إنَّه تلحق بما قليلا")) (الأندلسي،1997، 279/4)، والأمرُ كما قالَ أبو حيَّان فورود اللغة كافٍ في إثباتِ صحَّةِ المطلب.

5) قراء سعيد بن جبير:

قرأ ابنُ جبيرٍ قولَه تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} (سورة الأعراف،194)، قرأها بتخفيفِ "إنْ" ونصب "عبادًا" (ينظر، النحاس، 1421هـ، 84/2 وابن جني1999، 270/1)، فأعملَ "إنْ" إعمال "ما" لتحقق الشرطين، وقدْ لاقتْ هذهِ القراءة اعتراضات أهمها:

1) إنَّها مخالفة للقراءة المشهورة (ينظر، النحاس،1421هـ،84/2)، وأقول: إنَّ هذا الاعتراضَ غيرُ قائمٍ؛ لما رأيناه من كثيرٍ من القراءاتِ التي يستدلُّ بها النحويونَ على مطالبِهم وهي مخالفةٌ لما عليه سوادُ القرَّاء، وعلى فرضِ الأخذِ بها يلزمُ اطراح كلِّ القراءات المخالفةِ للمشهورِ وهذا خلفٌ.

2) إنّها خلافُ رأي سيبويهِ الذي لا يقول إلّا بالرفعِ (ينظر، النحاس،1421هـ،84/2)، وهذا الاعتراض غير قائمٍ أيضًا؛ لما قد أثبتناه من أنَّ سيبويهِ لم يمنع الإعمال وإنَّما سكتَ عنه وفرقٌ بين المنعِ والسكوتِ عن الحكم، ويضافُ على هذا أنَّ أحدًا من علماءِ القراءةِ وأصحاب النظرِ القرآني لم يقلْ بأنَّ شرطَ قبولِ القراءةِ موافقتها رأيَ سيبويهِ، بل يكفي أن تكونَ موافقةً لوجهٍ من وجوهِ العربية.

3) إنَّ الكسائي زعم أنَّ "إنْ" لا تأتي إلا وبعده إيجاب بالاستثناء (ينظر، النحاس،1421هـ،84/2)، أقول: وهذا قولٌ لا يمكنُ الركونُ إليه في رفضِ هذهِ القراءةِ لما ثبتَ في القرآن الكريم من قولِه تعالى: {إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} (سورة يونس، 68)، فقد جاءتْ "إن" نافية من دون أن يلحقها الاستثناء؛ ولذا لا يمكنُ لنا أن نؤصّلَ قاعدةً خلاف كلام اللهِ – عزَّ اسمُه-.

4) واعترضَ ابنُ جنّي على هذهِ القراءة واصفًا إياها بالضعفِ بقولِه: ((لأنَّ "إنْ" هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص "ما" به)) (ابن جني1999، 270/2)، وهذا الاعتراضُ بيَّنا بطلانَهُ حينَ أثبتنا دلالةَ "إنْ" على الحال من أقوال العلماءِ سواءً أكانتْ عاملةً أو غير عاملةٍ، وبيَّنا أنَّ "ليس" الذي يعدّونه أصلاً في الإعمال هو الآخر لم يُتَّفقْ على إثبات دلالة الحال له.

5) واعترضَ أبو حيَّان الأندلسيّ على هذهِ القراءة بكونِها مخالفةً لقراءةِ العامَّة مناقضة لها في المعنى فقراءة الجمهور تثبتُ أنَّهم عبادٌ أمثالكم وهذه القراءة تنفي المماثلة وهذا تنافٍ بينَ القراءتينِ لا يتناسبُ مع القرآنِ الكريم بل يستحيلُ (الاندلسي، 4،278/1997)، وأجابَ الدَّماميُنيُّ على هذا ناعتًا قولَ أبي حيانَ وتلامذته بالوهمِ الذي يُدفعُ بأنَّ قراءةَ العامَّة التي تثبت المماثلةَ من حيث كونهم مربوبين متسمين بسمةِ العبوديَّةِ وهذه المماثلة لا تتعارضُ مع قراءةِ النفي؛ لأنَّها تنفي أنْ يكونَ هؤلاءِ الذين تعبدونَهم مماثلينَ لكم في الإنسانيَّةِ بل هم جماد وأنتم عقلاءُ (ينظر، الدماميني، 1983، 254/3، والآلوسي، 1415هـج، 135/5) وفي هذا النفي إهانةٌ أكبرُ للمشركينَ؛ لأنَّهم يعبدونَ مَن هو أقلّ منهم شأنًا وهم الأحجار والأصنام والأوثان والجمادات.

المطلب الرابع:

تطبيقات "إنْ" في منهج اللغة العربية للصف السادس الإعداديّ:

لقدْ حملَ لنا المنهج الجديدُ الذي تمَّ اعتمادُه بدءًا من عام (2022 م) ارتباكًا كبيرًا في عرضِ قاعدةِ "إن" النافية، فقد ذكرَ المنهجُ أنَّها حرف نفي يدخلُ على الجملتين الفعلية والاسمية ((وهي تشبه "ما" في المعنى ولكنَّها غير عاملة غالباً)) (لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية،52،2024) وعبارة

"غالبًا" توحي بأنَّها قد ترِدُ عاملةً، ولكنَّ المنهجَ لم يشرْ لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ إلى ذلك! وحينَ يستعرضُ الكتاب دخولها على الجملة الاسمية يقول: ((إذا دخلت على جملةٍ اسميةٍ فهي نافية غير عاملة تفيد نفي الحال، ولم ترد عاملة في القرآن الكريم)) (لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية،2024، 52)، وعبارة "لم ترد عاملة في القرآن الكريم" توحي أيضًا بأنَّها قد تأتي عاملةً خارج النصِّ القرآنيّ، ولم يشرْ المنهجُ إلى ذلك!

وأحسبُ أنَّ هذه العبارةُ قد جاءت في هذا المنهج من باب وقوع القدمِ على القدمِ؛ إذ إنَّ المنهج السابق قد ذكرَ أنَّها قد تأتي عاملة واستشهد بقوله: (إن المرء ميتًا).. وقول الأعرابي: (إن أحدٌ خيراً من أحد)، ثمَّ أتبع ذلك بقولهِ: ((ولمْ ترِدْ عاملةً عمل "ليس" في القرآن الكريم)) (لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية،40،2021)، فأخذها واضعو المنهجِ الجديدِ وأثبتوها في كتابِهم من دون الانتباه إلى أنَّهم منعوها عن العمل من أصلٍ!

وأرى أنَّ الأحرى باللجنة الموقرَّة أنْ يذكروا حالتي الإعمال والإهمال - كما كان في المنهج السابق- طالما كانَ هناك أمثلة وشواهد شعرية ونثرية في إعمالِها، ولاسيَّما أنَّ بعضًا من هذه الشواهدِ قد وردتْ في الامتحان الوزاريّ لعام 2020 الفرع التطبيقيّ (قال الشاعر:

إنِ المَـرْءُ مَيْتًـا بانقضـاءِ حياتِـه ولكـنْ بـأَنْ يُبغَـى عليـهِ فيَخْـذُلا

عـيِّنْ أداة النفـي وبـين اثرهـا الإعرابـي ثـم أعـرب مـا تحتـه خـط

فهـذا السـؤال الـوزاريّ يـنصُّ علـى إعمالِهـا ومـن مطالبِـه إعـراب الخبـر المنصـوب (ميتًـا)، ولـيسَ مـن المنطقـيّ تجاهـلُ ذلـك فـي المـنهجِ الجديـد بالطريقةِ المرتبكة المذكورة.

وحينَ نأتي إلى تطبيقاتِها في التمريناتِ فإنَّنا نجدُ أنَّ المنهجَ لم يذكرْها إلّا في نقطتين فقط وهما:

النقطة السادسة من التمرين السابع ونصّها:
((قال تعالى: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (سورة الأنعام، 25) ما الفرق بين (إن) الواردة في الآية الكريمة، والواردة في قولنا: "إنْ تجتهدْ تنجحْ")) (لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية،2024، 72)، وهذه النقطة لم تتطرقْ إلى جانب الإعمال والإهمال في "إنْ" وإنَّما طالبَتْ بالتفريق بين "إنْ" النافية والشرطيَّة، وهذا التفريقُ لم يتطرق إليه المنهج لا من قريب ولا من بعيدٍ!
و النقطة الرابعة عشرة من التمرين نفسه ونصّها: ((ما هذه سيارةً، وإنْ هذهِ إلا دراجةٌ ناريةٌ: وردتْ "ما" و"إن" نافيتين في المثال، فرِق بينهما من حيث العمل، ذاكراً السبب)) (لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية،2024، 72) وهذه النقطة أيضًا مرتبكةٌ ومربكةٌ للطالبِ، فـ(ما) هنا حجازية عاملة لتحقق شرطيها، ولا وجهَ لمقارنتها بـ(إن) التي حكمتم عليها في شرحكم أنَّها غير عاملةٍ، فسؤال المقارنةِ لابدَّ أن يأتي في الموارد التي يكون بينها التقاء من جهةٍ واختلافٌ من جهةٍ أخرى، لا أنْ يكونَ بينَ أداتينِ لا لقاءَ بينهما في العملِ ولا الإعراب بحسب ما قرّرتموه في المنهج؛ ولذا رأينا هذا الارتباك يلقي بظلالِه على كتاب دليلِ المدرسِ الذي يحتوي على الحلول "النموذجية" للتمرينات حيث ذكر في الجواب ما نصُّه: (("ما" نافية حجازية عاملة عمل "ليس" رفعت الأول ونصبت الثاني، "إنْ" نافية غير عاملة)) (لجنة في وزارة التربية المديرية العامة للمناهج،2021، 106)، وهو جوابٌ غير متناسبٍ مع منطوقِ السؤال الواردِ في الكتابِ المنهجيّ؛ فقد طلب التفريقَ في الأثر الإعرابي مع ذكر السبب، وهذا ما تحاشاه كتابُ الدليل واكتفى بذكر كون الأولى عاملةً والثانية غير عاملةٍ من دون بيان السبب، فإذا كانَ الحالُ هكذا في الكتبِ المقررةِ فكيف يكون الأمر عندَ الطلبة وماذا سيكتبون في الإجابة؟!

النتائجُ والتوصياتُ:

وانتهى البحثُ إلى النتائج والتوصياتِ الآتية:

- (إنْ) أداةُ نفي تدخلُ على الجملتين الاسمية والفعلية، وتفيد نفي الزمن الماضي إذا دخلت على الفعل الماضي، وهي لنفي الحال إذا دخلت على المضارع أو الجملة الاسمية، مالم يكنْ هناك قرينة تخرجها عن ذلك.

- إنَّها من الأدوات المشبهة بـ(ليس) في العمل إذا توفرَ فيها شرطان:

الأول: ألا يتقدم خبرها على اسمها

الثاني: ألا ينتقض نفيها بـ(إلا)

يعضدُ هذا القولَ القياسُ والسماعُ؛ لكونِها لغة أهل العالية، وهي لغة عربية لا يمكنُ اطراحها من أصلٍ.

- وانتهى البحث إلى أنَّها قد تأتي مهملة في حال فقدتْ أحد الشرطين المذكورين أو كليهما والأغلب اقترانها بـ(إلَّا).

- وانتهينا إلى أنَّها لم ترد عاملةً في القرآن الكريم؛ لدخولها إمَّا على الأفعال فتأتي غير عاملة، وإمَّا على الجملة الاسمية مع فقدان الشرطين فتكون مهملةً، ولذا يكون عملها نادراً.

- لم يصرِح سيبويه في الكتاب لا بإعمالِها ولا بإهمالها وإنَّما سكتَ عنها واكتفى بذكر معناها فقط، وكلُّ ما قيل من أنَّ سيبويهِ منعَ إعمالَها في كتابِه، أو قالَ بالإهمالِ فهو محض تأوّلٍ منَ المتأخرين عنه، ولا مكان له من الكتاب.

- ويوصي البحث بضرورة التعديل في عرضِ القاعدةِ المقررةِ في منهج الصف السادس الإعداديّ، فلابدَّ أن يشيرَ المنهجُ إلى مجيئها عاملةً على وفقِ ما ذُكرَ من شرطينِ للعمل، كما لابدَّ من تضمينِ الكتاب الشواهد

الشعرية والنثرية الموروثة عن العرب بدلاً من ذكر الأمثلة الصناعية التي تفتقرُ إلى الدقةِ والموضوعية، أو أنْ يكتفي المنهجُ بالأخذِ بقولِ المانعينَ العملَ فيرفعُ من الكتاب عبارة "غالباً" وعبارة "لم ترد عاملة في القرآن الكريم"؛ لما لهما من إيحاءٍ بالعملِ الذي رفضتْه اللجنةُ الموقرةُ من رأسٍ.

-

قائمة بالمصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن السراج النحوي، أبو بكر محمد بن السري بن سهل. (1999). الأصول في النحو (عبد الحسين الفتلي، محقق). مؤسسة الرسالة.

- ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس. (1999). علل النحو (محمود جاسم محمد الدرويش، محقق؛ الطبعة الأولى). مكتبة الراشد.

- ابن جني الموصلي، أبو الفتح عثمان. (1999). المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- ابن عقيل الهمداني، محمد بن عبد الرحمن العقيلي. (1980). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (محمد محيي الدين عبد الحميد، محقق؛ الطبعة العشرون). دار التراث.

- ابن مالك الأندلسي، محمد بن عبد الله جمال الدين. (1990). شرح تسهيل الفوائد (عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، محققان؛ الطبعة الأولى). هجر للطباعة والنشر.

- ابن مالك الأندلسي، محمد بن عبد الله جمال الدين. (1982). شرح الكافية الشافية (عبد المنعم أحمد هريدي، محقق؛ الطبعة الأولى). جامعة أم القرى.

- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف. (1985). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، محققان؛ الطبعة السادسة). دار الفكر.

- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف. (د.ت.). شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (عبد الغني الدقر، محقق). الشركة المتحدة للتوزيع.

- ابن يعيش الموصلي، يعيش بن علي بن يعيش. (2001). شرح المفصل للزمخشري (إميل بديع يعقوب، مقدم؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- الأشموني، علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين. (1998). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل. (2010). ديوان الأعشى الكبير (محمود إبراهيم محمد الرضواني، محقق؛ الطبعة الأولى). وزارة الثقافة والفنون والتراث.

- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هج). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (علي عبد الباري عطية، محقق؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي. (1997). التذييل والتكميل في شرح كتاب تسهيل الفوائد (حسن هنداوي، محقق؛ الطبعة الأولى). دار القلم؛ دار كنوز إشبيليا.

- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي. (1998). ارتشاف الضرب من لسان العرب (رجب عثمان محمد، محقق؛ رمضان عبد التواب، مراجع؛ الطبعة الأولى). مكتبة الخانجي.

- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي. (1999). البحر المحيط في التفسير (صدقي محمد جميل، محقق). دار الفكر.

- الأنصاري، حسان بن ثابت. (1974). ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (وليد عرفات، محقق). دار صادر.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1997). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (عبد السلام محمد هارون، محقق؛ الطبعة الرابعة). مكتبة الخانجي.

- حسن، عباس. (د.ت.). النحو الوافي (الطبعة الخامسة عشرة). دار المعارف.

- الدماميني، محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر. (1983). تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد (محمد عبد الرحمن بن محمد المفدى، محقق؛ الطبعة الأولى).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. (1993). المفصل في صنعة الإعراب (علي بو ملحم، محقق؛ الطبعة الأولى). دار الهلال.

- السامرائي، فاضل صالح. (2007). معاني النحو (الطبعة الحادية والعشرون). دار إحياء التراث العربي.

- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. (1986). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (أحمد محمد الخراط، محقق). دار القلم.

- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان. (2008). شرح كتاب سيبويه (أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، محققان؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، (2006)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي في مصر، الطبعة الثالثة.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1999). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (عبد الحميد هنداوي، محقق). المكتبة الوقفية.

- الصبان الشافعي، أبو العرفان محمد بن علي. (1997). حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- القريدي، عبد العالم. (2012). ألفيات النحو الثلاث (ابن معطي المغربي، وابن مالك الأندلسي، والسيوطي): دراسة متينة مقارنة (الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية. (2021). قواعد اللغة العربية للصف السادس العلمي (نهاد حسوبي صالح وآخرون، مؤلفون؛ الطبعة الثانية عشرة).

- لجنة التأليف في وزارة التربية العراقية. (2024). اللغة العربية للصف السادس الإعدادي (عادل ناجح البصيصي وآخرون، مؤلفون؛ الطبعة الثالثة).

- لجنة في وزارة التربية المديرية العامة للمناهج. (2021). دليل اللغة العربية للصف السادس الإعدادي. المديرية العامة للمناهج.

- المبرد، محمد بن يزيد أبي العباس. (1999). المقتضب (حسن حمد، محقق؛ إميل بديع يعقوب، مراجع؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم. (1992). الجنى الداني في حروف المعاني (فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، محققان؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم. (2008). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (عبد الرحمن علي سليمان، محقق؛ الطبعة الأولى). دار الفكر العربي.

- النحاس، أبو جعفر. (1421هج). إعراب القرآن (عبد المنعم خليل إبراهيم، محقق؛ الطبعة الأولى). دار الكتب العلمية.

الزيادة النحوية عند ابن يعيش في شرح المفصل643هـ

م.م. عبد حسين علي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة
abd.ali2207m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. مياسة وليد طه
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة
mayassa.waleed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

المخلص:

يتناول هذا البحث الزيادة النحوية عند أحد أبرز شراح المفصل، موفق الدين ابن يعيش (ت 643هـ)، بوصفه مفهومًا محوريًا يمس بنية الكلمة والإسناد معاً. وينطلق البحث من إشكالية أساسية هي: كيف نظّر ابن يعيش لهذا المفهوم؟ وما الضوابط التي وضعها للتمييز بين الأصلي والزائد؟ وما الآثار النحوية والصرفية المترتبة على الحكم بالزيادة؟ وقد انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستقرئًا نصوص ابن يعيش في شرح المفصل.

أما في التمهيد، فقد كشف البحث عن تعريف الزيادة عند ابن يعيش بأنها: إلحاق حرف أو أكثر بأصول الكلمة، لتحقيق مقاصد دلالية كالتأكيد والمطاوعة والتأنيث والإلحاق واستغراق الجنس، كما استعرض أنواعها (مطردة وغير مطردة) ومواضعها الأربعة في الكلمة.

وفي المبحث الأول، تجلى، أنَّ موقف ابن يعيش من الزيادة يقوم على ركيزتين: الأولى: اعتبار الزيادة "عدولًا عن الأصل" لا يُصار إليه إلا بدليل، والثانية: مراعاة المعنى النحوي بوصفه غاية الزيادة وعلتها، مؤكدًا أنَّ "قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى".

أمّا المبحث الثاني، فقد قدم البحث نماذج تطبيقية من زيادة الفاء في خبر (إنّ) وزيادة (من) في الإيجاب، مبينًا كيف وظف ابن يعيش رؤيته في الترجيح بين آراء النحاة، وكيف أنَّ "السماع" مقدم على "استصحاب الأصل" عند التعارض.

وقد خلص البحث إلى ست نتائج، أبرزها: أن الزيادة في الأصل أمر شاذ طارئ، وأنّ لها معنى تؤديه لا غيرها، وأنّ السماع هو المعتمد في الحكم بها، وأنّ الزيادة في المبنى قرينة على الزيادة في المعنى، وأنّ ابن يعيش أرسى ضوابط موضوعية كالاشتقاق والشيوع والإمكانية الصرفية، وأخيرًا، أنّ الزيادة تجاوزت الحدود بين الصرف والنحو والصوت مؤكدة وحدة التحليل اللغوي في التراث العربي.

الكلمات المفتاحية: ابن يعيش، شرح المفصل، الزيادة النحوية، العدول عن الأصل، المعنى النحوي، الضوابط الصرفية، الأصلي والزائد، ضوابط الزيادة.

Grammatical Augmentation in Ibn Ya'ish's Commentary on Al-Mufassal (643) A.H.

Asst. Prof. Dr. Mayassa Waleed Taha
Abed Hussein Ali
University of Baghdad - College of Education for Humanities, Ibn Rushd - Department of Arabic Language

Abstract:

This research examines grammatical augmentation as conceived by one of the most prominent commentators on Al-Mufaṣṣal, Muwaffaq al-Dīn Ibn Yaʿīsh (d. 643 AH), as a pivotal concept affecting both word structure and predication. The research proceeds from a fundamental problem: How did Ibn Yaʿīsh theorize this concept? What controls did he establish to distinguish between original and augmented elements? And what are the grammatical and morphological implications of ruling that an element is augmented? The research adopted a descriptive-analytical approach, examining Ibn Yaʿīsh's texts in his commentary on Al-Mufaṣṣal.

In the preamble, the research revealed the definition of augmentation according to Ibn Yaʿīsh as: the addition of one or more letters to the roots of a word, to achieve semantic purposes such as emphasis (al-tawkīd), mutawaʿah (acquiescence/compliance), feminization (al-ta'nīth), analogy (al-ilḥāq), and genus comprehensiveness (istighrāq al-jins). It also reviewed its types (qiyāsī/systematic and non-qiyāsī/non-systematic) and its four positions within the word.

In the first section, it became evident that Ibn Yaʿīsh's position on augmentation rests on two pillars: first, considering augmentation as a "deviation from the original norm" (ʿudūl ʿan al-aṣl) that is not resorted to except with evidence; and second, observance of grammatical meaning (al-maʿnā al-naḥwī) as the purpose and rationale for augmentation, affirming that "the strength of expression indicates the strength of meaning."

As for the second section, the research presented applied examples of the augmentation of (al-fāʾ) in the predicate of (inna), and the augmentation of (min) in affirmative contexts, demonstrating how Ibn Yaʿīsh employed his vision in weighing between grammarians' opinions, and how "authentically transmitted usage" (al-samāʿ) takes precedence over the "presumption of continuity of the original state" (istishāb al-aṣl) when they conflict.

The research concluded with six results, most notably: that augmentation is originally an anomalous matter that is exceptional to linguistic structure; that it must have a meaning that can only be conveyed through it; that authentically transmitted usage is the basis for ruling on it; that augmentation in structure is an indication of augmentation in meaning; that Ibn Yaʿīsh established objective controls such as derivation (al-ishtiqāq), frequency of occurrence (al-shuyūʿ), and morphological possibility (al-imkāniyyah al-ṣarfiyyah); and finally, that augmentation transcended the traditional boundaries between morphology, syntax, and phonology, affirming the unity of linguistic analysis in the Arabic grammatical tradition.

Keywords: Ibn Yaʿīsh, Sharḥ al-Mufaṣṣal, grammatical augmentation, deviation from the original norm, grammatical meaning, distinction criteria, morphological-syntactic integration.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنّ من أكبر الحقول الدلالية في البحث اللغوي العربي حقل الزيادة النحوية، ذلك المفهوم الذي يمثل مفصلًا دقيقًا يمس بناء الكلمة والإسناد معًا. وقد اهتم علم النحو العربي بهذا الحقل من زاويتين أساسيتين: الزاوية الوظيفية التي تبحث في الدور الذي تؤديه الزيادة في تركيب الجملة، والزاوية الدلالية التي تبحث في المعاني التي تنتج عنها. وقد كان موفق الدين ابن يعيش (ت 643هـ) من أبرز النحاة الذين تناولوا هذا المفهوم بالدرس والتحليل، ولا سيما في شرحه الشهير على كتاب "المفصل" لجار الله الزمخشري.

وتنبع أهمية هذا البحث (الزيادة النحوية عند ابن يعيش في شرح المفصّل) من كونه يستقصي موقف ابن يعيش من الزيادة النحوية، ويكشف عن الأسس والضوابط التي وضعها للتمييز بين الأصلي والزائد، والآثار النحوية والصرفية المترتبة على الحكم بالزيادة. وقد وقع اختيار الباحث على شرح المفصل لابن يعيش لما يتمتع به من مكانة مرموقة بين شروح المفصل، وما حواه من تحليلات دقيقة تجمع بين الأصول الصرفية والمقاصد الدلالية.

وتتمثل إشكالية البحث في الأسئلة الآتية: كيف نظّر ابن يعيش لمفهوم الزيادة النحوية؟ وما الضوابط التي أرساها للتمييز بين الأصلي والزائد؟ وما الآثار النحوية والصرفية التي تترتب على الحكم بالزيادة؟ وكيف وظّف هذه الرؤية في توجيه المسائل الخلافية ومناقشة آراء النحاة؟

وقد انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء نصوص ابن يعيش في شرح المفصل، وتحليلها، واستخلاص الرؤية التكاملية التي قدمها للزيادة النحوية. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في تمهيد ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

التمهيد: مفهوم الزيادة النحوية عند ابن يعيش.

المبحث الأول: موقف ابن يعيش من الزيادة النحوية.

المبحث الثاني: نماذج من الزيادة النحوية في شرح المفصل.

الخاتمة: فيها أبرز النتائج التي خرج بها البحث.

التمهيد

مفهوم الزيادة النحوية عند ابن يعيش:

يمثل مفهوم الزيادة في النحو العربي أحد المفاصل الدقيقة التي تمس بناء الكلمة والإسناد معًا، ويتجلّى تنظير ابن يعيش لهذا المفهوم في شرحه الموسع لكتاب المفصل للزمخشري عبر تحليل دقيق يجمع بين الأصول الصرفية والمقاصد الدلالية. ولا يمكن عدّ الزيادة مجرد حشو لفظي أو توسع عشوائي؛ بل "الزيادة ضرب من التصرف" (ابن يعيش، 2001: 314/5) المقيد بضوابط تحفظ للنظام اللغوي تماسكه مع السماح بمرونة التعبير. وفي هذا التمهيد محاولة استقصاء أركان هذا المفهوم كما صاغها ابن يعيش.

أولاً: التعريف والغرض الدلالي:

والزيادة عند ابن يعيش هي قوله: "ومعنى الزيادة إلحاقُ الكلمة من الحروف ما ليس منها، إمّا لإفادة معنى، كـ(أَلِف) ضاربٍ، و(واو) مضروب، وإمّا لضرب من التوسّع في اللغة، نحو (ألف) حِمارِ، و(واو) عَمود، و(ياء) سَعِيدٍ"

(ابن يعيش، 2001: 314/5)، ولكنها إلحاقٌ هادف، إذ "إنّما الزيادة لمعنًى آخر"(ابن يعيش، 2001: 431/4) فليست العبرة بمجرد تكثير اللفظ، بل بما تحققه من مقاصد، أهمها:

1. التأكيد وتقوية المعنى: فهي "تفيد فضلَ تأكيدٍ وبيانٍ، بسبب تكثير اللفظ بها. وقوّةُ اللفظ مؤذنة بقوة المعنى" (ابن يعيش، 2001: 450/4) وهذا جلي في زيادة أحرف مثل (إنّ) و(ما) و(لا) و(من) و(الباء) في سياقات النفي والتوكيد، حيث تُزاد لتأكيد النفي (ابن يعيش، 2001، ينظر: 2/ 75، و2/ 94، و4/ 477، و5/ 66، و5/ 77، و5/ 78).

2. تحقيق معنى المطاوعة واللزوم: كزيادة النون في انفعل، حيث "زيدت أوّلًا للجمع؛ لتتناسب زيادتُها أوّلًا وآخِرًا. وأمّا زيادتها للمطاوعة، نحو (انفعل)، فذلك من قِبَل أنّ النون تُناسِب هذا المعنى" (ابن يعيش، 2001: 5/ 335).

3.التأنيث: كزيادة الألف في (حُبْلَى) و(سَكْرَى) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 450/3)، والهمزة في (حَمْراءَ) و(صَحْراءَ)، حيث إن "الهمزة فيهما زائدةٌ للتأنيث" (ابن يعيش، 2001، ينظر: 202/3).

4.الإلحاق بالقوالب المشهورة: كإلحاق بعض الأسماء الرباعية بأبنية مألوفة مثل: (جَعْفَر) يلحق به: (أجدل)، و(سَفَرْجَل) يلحق به: (عقنقل) و(سجنجل) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 319/3، 179/4).

5.استغراق الجنس: كما في زيادة (من) في النفي، في قولك: (ما جاءني من رجل) حيث "جعلتَ الرجل ابتداءَ غايةِ نفيِ المجيءِ إلى آخِر الرجال، ومن ها هنا دخلها معنى استغراق الجنس"(ابن يعيش، 2001: 462/4).

ثانياً: أنواع الزيادة ومواضعها:

تنقسم الزيادة باعتبار شمولها إلى:

• زيادة مطّردة: وهي التي تتبع قاعدة ثابتة، كزيادة السين في (استفعل) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 344/5).

• زيادة غير مطّردة: وهي الشاذة التي لا تخضع لقاعدة عامة، كبعض الزوائد في الأسماء نحو: (تجفاف)، و(تمثال)، و(تضراب) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 338/5)، وأما مواضعها في الكلمة فهي أربعة: "ما قبل الفاء وما بين الفاء والعين وما بين العين واللام وما بعد اللام" ولكل حرف من حروف الزيادة"(ابن يعيش، 2001: 159/4)- وهي العشرة المجموعة في كلمة (سألتمونيها) (ابن يعيش، 2001: 4/ 159، و5/ 314) - مواضع تطرد فيها زيادته. فالهمزة تطرد زيادتها أولاً في بنات الثلاثة (ابن يعيش، 2001: 320/5)، والتاء تطرد أولاً في تفعيل وتفاعل وآخراً في التأنيث والجمع (ابن يعيش، 2001، ينظر: 336،338/5)، والسين في "استفعل"(ابن يعيش، 2001، ينظر: 344/5)، بينما اللام هي "أبعدُ حروف الزيادة شَبَهًا بحروف المدّ واللين، ولذلك قلّت زيادتُها" (ابن يعيش، 2001: 345/5).

ثالثاً: المعايير والضوابط للتمييز بين الأصل والزائد:

يؤسس ابن يعيش لجملة من الضوابط الموضوعية للحكم على الحرف بالزيادة، محتكمًا في ذلك إلى الأصل وهو "عدمُ الزيادة"(ابن يعيش، 2001، ينظر: 373/2، و190/4، و320/5، و321/5) وأهم هذه المعايير:

1. الاشتقاق: وهو أقوى الأدلة، فبه "يُقضَى بدلالته من غير التفات إلى قلّة الزيادة في ذلك الموضع"(ابن يعيش، 2001: 332/5)، وسقوط الحرف في صيغة مشتقة دليل قاطع على زيادته، كما في جُرائِضٌ حيث "سقوطُ الهمزة في ذلك دليلٌ على زيادتها"(ابن يعيش، 2001: 321/5).

2. كثرة الشيوع في موضع: فـ "لها في ذلك موضعان: أحدهما أن تكثر زيادتُها في موضع، فمتى وُجدت في ذلك الموضع، قُضي بزيادتها فيه، إلّا أن تقوم دلالةٌ على أنّها أصلٌ" (ابن يعيش، 2001: 334/5).

3. خفة الموقع وقربه من الطرف: فالحروف المجاورة لآخر الكلمة والتي من جنس حروف الزيادة تكون عرضة للحذف، نحو: (ضَهْيَأَةٌ) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 5/ 322)، كما أن حُذفُها يدلّ على زيادتها لقولهم: (امرأةٌ ضهيا) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 180/4).

4. الإمكانية الصرفية: فبعض الحروف لا يمكن أن تكون أصلية في مواقع معينة، فـ "الواو لا تكون زائدة أوّلًا أبدًا" (ابن يعيش، 2001: 5/ 328)، والألف "لا تكون مع ثلاثة أحرف أصولٍ فصاعدًا إلا زائدةً"(ابن يعيش، 2001: 422/3).

رابعاً: الآثار النحوية والصرفية للزيادة:

تترتب على الحكم بالزيادة جملة من الأحكام:

1. في الصرف: يُحذف الزائد في التصغير غالبًا، كما في (جُخْدَب) الذي يصغر إلى (جُخَيْدِب) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 421/4)، وفي الجمع أحيانًا. كما قد تكون الزيادة سببًا في منع الصرف، كما في ألف التأنيث(ابن يعيش، 2001، ينظر: 195/1).

2. في النحو والإعراب:

- زيادة العوامل: قد تزاد بعض الأحرف العاملة مع بقاء عملها، كـ ما في (إنما) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 523/4)، أو مع إلغاء عملها، حيث دخولُها كخروجها، كما في (كان) الزائدة(ابن يعيش، 2001، ينظر: 347/4، 424/4، 64/5).

- زيادة حروف الجر: لها مواضع خاصة، كزيادة (الباء) مع الفاعل في (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً) (الإسراء: 96)(ابن يعيش، 2001، ينظر: 477/4)، أو مع المفعول في(وَلَا تُلقُواْ بِأَيدِيكُم إلى ٱلتَّهلُكَةِ)(البقرة: 195) (ابن يعيش، 2001: 78/5).

3. في الظواهر الصوتية: تخضع الحروف الزائدة من حروف العلة لأحكام الإعلال والقلب، كقلب (الواو والياء همزة) إذا وقعت طرفاً بعد ألف زائدة، كما في (كِساء ورِداء) (ابن يعيش، 2001، ينظر: 5/ 350).

ومن هذا التحليل يتكشف أن مفهوم (الزيادة) عند ابن يعيش ليس وصفًا سلبياً للفضلة اللفظية، بل هو مفهوم وظيفي إيجابي يحكم عملية التصرف في المادة اللغوية. فهو جسر بين الثبات والمرونة، حيث تحفظ الضوابطُ الصارمةُ هيبةَ الأصول، بينما تفتح الأغراضُ الدلاليةُ باباً للاشتقاق والتوليد. وقد نجح الشرح في تحويل المسألة من قضية شكلية إلى نظام تحليلي قادر على تفسير الظواهر اللغوية المعقدة، مؤصلاً لقاعدة ذهبية: "لا يدفع المسموع وما عليه اللفظُ إلَّا بدليل، إذ الأصلُ عدمُ الزيادة"(ابن يعيش، 2001: 373/2)، وبذلك يظل مفهوم الزيادة شاهداً على عمق النظرة التكاملية في التراث النحوي، التي تزاوج بين الصورة والمَعنى، وبين القاعدة والسماع.

المبحث الأول

موقف ابن يعيش من الزيادة النحوية

ينبني موقف ابن يعيش من الزيادة النحوية على ركيزتين أساسيتين:

الركيزة الأولى: أن الزيادة عدول عن الأصل:

يرى ابن يعيش أن الزيادة في التركيب النحوي هو أمر مخالف للأصل، وقد صرح بهذا قائلًا: "الأصلُ عدمُ الزيادة" (ابن يعيش، 2001: 373/2)، ومعنى العدول عن الأصل "إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع وما كانت هذه حاله أقنع منه البعض ولم يجب أن يشيع في الكل" (ابن جني، 1999: 53/1).

ومعنى (الأصل) في الدرس اللغوي بمستوييه الصرفي والنحوي يفترض أن هناك صيغًا وتراكيبَ هي الأساس الذي اشتقت أو خرجت منها صيغ وتراكيب أخرى؛ فهذه الصيغ والتراكيب الأساسية تسمى أصولًا، وتلك الصيغ والتراكيب التي خرجت عنها تُسمى فروعًا (عبد الدايم، ينظر: 133).

ويريد اللغويون بمصطلح (الأصل) الدلالة على أحد أمرين: الأول ما يستحقه الشيء بذاته كاستحقاق الأسماء للإعراب دون الأفعال والحروف، فيقولون: الأصل في الأسماء الإعراب، والمعنى الثاني هو التقدم في الرتبة أو الوجود.

وقد أشار ابن يعيش إلى فكرة اعتبار الأصل وعدم التحول عنه إلا بدليل في مواضع متعددة من شرح المفصل، وذلك تحت مصطلحات مختلفة؛ فتارة يسميه باسمه الأصولي (الاستصحاب) مثل قوله: "وإنما أُعْرب الفعل المضارع منها بما في أوّله من الزوائد الأربع وكينونتِه على صيغة ضارَعَ بها الأسماء، فإذا أمرنا منه، ونزعنا حرف المضارعة من أوّله، فقلنا: اضْرِبْ، اذْهَبْ، فتتغيّر الصورة والبنية التي ضارع بها الاسمَ، فعاد إلى أصله من البناء

استصحابًا للحال الأولى" (ابن يعيش، 2001: 4/ 293)، وقال في موضعٍ آخر: "ولا كلامَ أكثرَ من استصحاب الحال؛ وأمّا إذا خرج عن أصله، فيُسْأل عن العلّة المُوجِبة لذلك، فاعرفه" (ابن يعيش، 2001: 5/ 501).

وتارة بمصطلحات أخرى كمصطلح (انكشاف الأصل) (أنيس، 2001، ينظر: 43) ويعدّ أول من استعمله، فذكره عند الكلام عن خبر (عسى)؛ إذ يقول: "ولا يكون الخبر إلا فعلًا مستقبلًا مشفوعًا بـ(أن) الناصبة للفعل، قال الله تعالى (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ)(المائدة: 52)، فـ(زيدٌ) اسمُ (عسى)، وموضعُ (أنْ) مع الفعل نصبٌ لأنه خبرٌ، والذي يدلّ على ذلك قولهم في المثل: (عسى الغُوَيْرُ أبْؤُسًا). والمراد: أن يَبْأَس، فقد انكشف الأصلُ كما انكشف أصلُ (أقام)، و(أطال) بقوله (أبو ربيعة، 1960: 502):

صددتِ فأطوَلْتِ الصُّدُودَ وقَلَّما
وِصالٌ على طُولِ الصُّدُودِ يَدُوم

و(أبْؤُس) في المثل جمع (بَأسٍ)، لأنّ (فَعْلًا) يجمع على (أفْعُلٍ)، نحوَ (كَلْبٍ) و(أكلُبٍ)" (ابن يعيش، 2001: 4/ 372-373).

فالمراد من قوله (انكشف الأصل) أي: ظهر الأصل، ومعنى ظهور الأصل في كلام أي إن هذا الكلام قد جاء على أصله (أنيس، 2001، ينظر: 44).

وتارةً ثالثة يعبر ابن يعيش عنه بمصطلح (مراعاة الأصل)، كما في قوله: "وإنّما قلنا: ضمًّا لازمًا تحرّزًا من مثلِ: (ارْمُوا) و(اِقْضُوا)، فإنّ الهمزة في ذلك كله مكسورةٌ، وإن كان الثالث مضمومًا لأنّ الضمّة عارضةٌ، والميمُ في (ارموا) أصلُها الكسرُ، وكذلك الضاد في (اقضوا) وذلك أنّ الأصل (اقضِيُوا، ارْمِيُوا)، وإنّما استثقلوا الضمّة على الياء المكسور ما قبلها فحذفوها، فبقيت ساكنةً، وواوُ الضمير بعدها ساكن، فحُذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضُمت العين لتصحّ الواو الساكنةُ، فبقيت الهمزةُ مكسورة على ما كانت، كما قالوا:

(أُغزِي)، فضمّوا الهمزة والثالثُ مكسورٌ كما ترى، لأنّ الأصل (اغزُوِي)، فاعتلّت الواوُ فحُذفت ووَلِيَت الياء الزايَ، فانكسرتْ من أجلها، فالضمّةُ الآنَ في الهمزة مراعاةً للأصل" (ابن يعيش، 2001: 5/ 308).

وبذلك يكون العدول عند ابن يعيش حاضرًا في النحو والصرف والمقصود بالعدول الخروج عن القاعدة النحوية أو الصرفية، والاعتماد على القليل في اللغة، مما يضعف ذلك الاستعمال لقلته.

الركيزة الثانية – مراعاة المعنى النحوي في الزيادة:

والمراد بالمعنى النحوي على جهة الخصوص هو الدلالة الناشئة عن العلاقات بين وحدات التركيب –ضمها بمفهوم عبد القاهر الجرجاني– أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو ما، وقد يسميها بعض اللغويين باسم (الدلالة النحوية)؛ وذلك باعتبار علم النحو هو العلم الذي يتناول قواعد تركيب الألفاظ (حبلص، 1993، ينظر: 67، 68)، و(العزاوي، والبعقوبي: 222).

ويمكن القول إن موفق الدين ابن يعيش باعتباره أحد متأخري النحاة فإنه قد جرى على ما استقر عليه الأمر بعد عبد القاهر الجرجاني من المزاوجة الحاصلة بين اللفظ والمعنى، ولم يخض فيما خاض فيه الأقدمون من محاولة تحديد المزية في واحد منهما وجعل الآخر عيالًا عليه، ونصوصه في كتابه شرح المفصل دالة على ذلك، من ذلك قوله: "قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى" (ابن يعيش، 2001: 14/5). وقوله: "ما اجتمع فيه اللفظُ والمعنى كان أقوى في الدلالة" (ابن يعيش، 2001: 403/1). فابن يعيش كان حلقة في تطور النحو العربي بعد الجرجاني، حيث استقرت المزاوجة بين اللفظ والمعنى.

هذا من حيث النقاش في التعبير اللغوي عمومًا، أما من حيث الصنعة النحوية على وجه الخصوص فقد كان ابن يعيش أحد أفراد النحاة الذين اعتنوا عنايةً كبيرةً بالدلالة النحوية وأثرها في التفاضل بين التراكيب النحوية المختلفة، ودورها في إصدار الأحكام النحوية على المسائل والآراء النحوية (خلخال، 2008، ينظر: 58).

وهذه العناية من ابن يعيش بالدلالة النحوية كانت حاضرةً في كل مستويات التعبير اللغوي، بداية من المستوى الصوتي كالتنغيم والوقف وغيرها من الظواهر الصوتية التي بين ابن يعيش أهميتها الدلالية وأثرها في المعنى (ميران، وعبيس 2014، ينظر: 80).

وانتهاءً بالمستوى التركيبي الذي أولى ابن يعيش فيه لعنصر الدلالة عناية كبيرة، وجعله عنصرًا مهمًّا من عناصر تعليل الأحكام النحوية (غوانمة، ينظر: 245)، ولو ذهبنا نستقصي الأمثلة على هذا من شرح المفصل لطال بنا المقام، فمن ذلك قوله: "اشترطوا أن يكون الخبر فعلًا؛ لأنهم أرادوا قربَ وقوع الفعل، فأتوا بلفظ الفعل ليكون أدلّ على الغرض، وجُرّد ذلك الفعل من (أن)؛ لأنهم أرادوا قرب وقوعه في الحال، وإن تَصرّف الكلام إلى الاستقبال، فلم يأتوا بها لتدافُع المعنيَين. ولمّا كان الخبر فعلاً محضًا مجرّدًا من (أنْ)، قدّروه باسم الفاعل، لأنّ الفعل يقع فى الخبر موقعَ اسم الفاعل، نحو: (زيدٌ يقوم)، والمراد: قائم" (ابن يعيش، 2001: 377/4).

فابن يعيش يعلل اشتراط النحويين لتجرد خبر (كاد) من (أن) الناصبة أنها تدل على معنى الاستقبال، بينما كاد تدل على معنى قرب الوقوع في الحاضر القريب؛ لأنها من أفعال المقاربة؛ فلا شك أن معنى (كاد) يناقض معنى (أن)؛ ومن ثم اشترطوا عدم اجتماعهما، وهذه العلة النحوية التي

استنبطها ابن يعيش تدل على ثاقب ذهنه ومراعاته الشديدة لجانب المعنى النحوي (غوانمة، ينظر: 178).

المبحث الثاني

نماذج من الزيادة النحوية في شرح المفصل

النموذج الأول - زيادة الفاء في خبر (إن):

قال موفق الدين ابن يعيش: "قال الأخفش: لا يجوز دخول الفاء مع (إنَّ) عاملة كأخواتها. والأوّلُ أقرب إلى الصحّة. وقد ورد به التنزيلُ قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(الأحقاف: 13)، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(آل عمران: 21)، وقال: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ)(الجمعة: 8)، فأدخل الفاءَ في الخبر؛ فالأخفشُ يحمل الفاءَ في ذلك كلِّه على الزيادة، والأوّل أظهرُ لأن الزيادة على خِلافُ الأصل" (ابن يعيش، 2001: 253/1).

يرجح ابن يعيش في هذا النص الرأي المخالف للأخفش، الذي يمنع دخول الفاء على خبر (إن) ويحكم بزيادتها، معتمداً على أن الزيادة خلاف الأصل؛ فالأصل في الكلام عدم الزيادة.

هذا وعدم جواز دخول الفاء في خبر (إن) هو في الأصل مذهب سيبويه، وقد أشار ابن الحاجب إلى أن البحث في هذه المسألة -مسألة منع سيبويه من دخول الفاء في خبر إن- هو من بحوث متأخري النحويين (ابن الحاجب، 1425ه، ينظر: 184)، وأرجع أول البحث فيها إلى نص الزمخشري في المفصل: "وفي دخول إن خلاف بين الأخفش وصاحب الكتاب" (الزمخشري، 1993: 47).

وأساس هذه المسألة هو قول سيبويه بعدم جواز دخول الفاء على خبر المبتدأ إلا إذا كان متضمنًا معنى الشرط، وقد نص على ذلك في كتابه: "ألا ترى أنّك لو قلت: الذى يأْتيني فله درهمٌ، والذي يأتيني فمكرم محمود، كان حسنًا. ولو قلت: زيدٌ فله درهمٌ لم يجز. وإنَّما جاز ذلك لأنّ قوله: الذي يأَتيني فله درهمٌ، في معنى الجزاءِ؛ فدخلت الفاءُ في خبره كما تدخل في خبر الجزاءِ" (سيبويه، 1988: 140/1)؛ فمنع سيبويه من دخول الفاء على الخبر لا يختص بخبر (إن)، بل يشمل كل خبر لا يتضمن معنى جواب الشرط، فهذا ضابط البحث في المسألة.

وإنما خُصص خبر (إن) بالمنع دون غيره لأنه ظاهر المخالفة لمعنى الشرط الذي هو علة إلحاق الفاء بالخبر؛ لأنها دالة على توكيد وتحققق الخبر، وهي في هذا تخالف الشرط في أنه يدل أصالةً على احتمال تحقق الخبر دون تأكيد وقوعه (الأندلسي، ينظر: 110/4)، وقيل إن الفاء لا تلحق بأختيها أيضًا (لعل) و(ليت)؛ لأنهما دالّان على معنى الترجي والتمني وهما من معاني الإنشاء غير محتملين للصدق والكذب، والشرط يحتملهما (ابن الحاجب، 1425ه، ينظر: 183).

ومن أوجه مخالفة خبر (إن) لمعنى الشرط أيضًا أن الشرط لا يعمل فيه ما قبله لأن له صدر الكلام، بينما (أن) المفتوحة الهمزة يعمل فيها ما قبلها لأنها في تأويل مصدر، كأن تقول: أعجبني أن جاء زيد؛ فإن (أن) وما دخلت عليه معمول للفعل (ابن الحاجب، 1425ه، ينظر: 182).

وذهب الأخفش من البصريين إلى جواز إلحاق الفاء بخبر (إن) واحتج لذلك بأدلة من السماع مثل قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ)(البروج:10)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ)(الجمعة: 8).

ونقل أبو حيان الأندلسي في الجواب عما استدل به الأخفش بأن الفاء في الآيتين زائدة (الأندلسي، 1420ه، ينظر: 77/3)، ورد هذا الجواب ابن الحاجب بأن سيبويه صاحب المنع نفسه لا يجيز زيادة الفاء في خبر المبتدأ (قدارة، 1989، ينظر: 2/ 480)، والراجح هو مذهب الأخفش؛ لأن رأي سيبويه في الأصل مبني على الاستقراء بأن الفاء لا تدخل إلا على ما تضمن معنى الشرط، ومذهب الأخفش مبني -كما سبق- على السماع الكثير الذي ورد في القرآن الكريم والذي لا يوصف بالشذوذ.

فدليل سيبويه في المسألة مبني على استصحاب الأصل الذي استنبطه بالاستقراء، ودليل الأخفش مبني على السماع، ومع اعتبار النحويين للاستصحاب دليلًا من الأدلة النحوية إلا أنهم أكدوا مع ذلك على أنه أضعف الأدلة النحوية؛ وذلك لأنه مبني أصلًا على غلبة الظن في استمرار الحال على ما هو عليه، وعدم وجود دليل يدل على تغيرها (نحلة، 1987، ينظر: 141).

وإلى هذا يشير أبو البركات الأنباري في (اللمع) قائلًا: "واستصحاب الحال من أضعف الأدلة؛ ولهذا لا يجوز التمسك به ما وُجد هناك دليلٌ، ألا ترى أنه لا يجوز التمسك به في إعراب الاسم مع وجود دليل البناء من شبه الحرف أو تضمن معناه، وكذلك لا يجوز التمسك به في بناء الفعل مع وجود دليل الإعراب من مضارعة الاسم" (الأنباري، 2018: 168).

وبناء عليه فإن رأي الأخفش أقوى من رأي سيبويه؛ لأن السماع مقدم على استصحاب الحال، وثمرة الخلاف في المسألة يظهر في معنى (الفاء) نفسها، فعلى قول سيبويه فلا توجيه لها إلا الحكم بزيادتها -كما ذكر أبو حيان- وعلى قول الأخفش فإنها تربط المبتدأ بالخبر ربطًا سببيًا؛ أي إنها تجعل المبتدأ سببًا في حدوث الخبر (ابن هشام، 1985، ينظر: 317).

النموذج الثاني – زيادة (من) في الإيجاب:

قال ابن يعيش: "وأمّا زيادتها مع الخبر، ففي موضع واحد أيضًا في قول أبي الحسن الأخفش، وهو قوله تعالى:﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثلِهَا ﴾ (يونس:27) زعم أن المعنى: جزاءُ سيّئة مِثْلُها، ودلّ على ذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَة سَيِّئَة مِّثلُهَا﴾"(الشورى:3)(ابن يعيش، 2001: 477/4).

وقالَ ابن يعيش: "واعلم أنّ سيبويه لا يجيز زيادةَ "مِنْ" إلَّا مع النفي على ما تقدّم من قولنا: "ما جاءني من أحد"، و"ما جاءنا من بشير ولا نذير" ألا ترى أن المعني زيادتها، إذ ليس المقصود نفيَ بشير واحد، ولا نذير واحد، وإنّما المراد الجنسُ، وكذلك الاستفهامُ، نحو قوله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ)(فاطر:3)، إذ ليس المراد جواز التقدير على خالق واحد، والجامعُ بين الاستفهام والنفي أنهما غير واجبَيْن" (ابن يعيش، 2001: 5/ 77).

فابن يعيش يضعف مذهب الأخفش بزيادة (من) في الإيجاب، ويرد على أدلته التي استدل بها بأنها في سياق الاستفهام، والاستفهام معناه معنى النفي.

اختلف النحاة في جواز زيادة حرف الجر (من) بدون النفي على قولين:

القول الأول: الجواز، وهو مذهب الكوفيين (ابن مالك، 1990، ينظر: 139/3)، و(الأندلسي: 144/11)، وتبعهم الأخفش من البصريين (الصائغ، 2004، ينظر: 63/1)، ووافقهم ابن مالك حيثُ قالَ بعد أن أوردَ رأيَ الأخفشِ في المسألةِ: "وبقوله أقول لثبوت السماع بذلك نظمًا ونثرًا" (ابن مالك، 1990: 138/3).

القول الثاني: المنع، وإليه ذهب البصريون (السيوطي، 2004، ينظر: 464/2)، و(ابن شاهنشاه، 2000: 43/1)، قال العكبري: "لَا تجوز زِيَادَة (مِنْ) فِي الْوَاجِب وأجازها الْأَخْفَش وَدَلِيلنَا أنَّ (مِنْ) حرف وَالْأَصْل فِي

الْحُرُوف أَنَّها وُضعت للمعاني؛ اختصارًا من التَّصْرِيح بِالِاسْمِ أو الْفِعْل الدالّ على ذَلِك الْمَعْنى كالهمزة فإنَّها تدلُّ على اسْتِفْهَام فَإِذا قلت أزيدٌ عنْدك أغنت الْهمزَة عَن (أستفهم) وَأخذت من المَال أَي بعضه، وَمَا قصد بِهِ الِاخْتِصَار لَا يَنْبَغِي أَن يَجِيء زَائِدًا لأنَّ ذَلِك عكس الْغَرَض وإنَّما جَازَ فِي مَوَاضِع لِمَعْنى من تَأْكِيد وَنَحْوه ولا يصحُّ ذَلِك الْمَعْنى هُنَا أَلا ترى أَنَّك لَو قلت ضربت من رجل لم تكن مُفِيدًا بـ (من) شَيْئًا بِخِلَاف قَوْلك مَا ضربت من رجل" (العكبري، 1995: 355/1).

واستدل الكوفيون على مذهبهبم بطائفة من النثرِ والنظمِ يُؤيّدُ بها، فمن النثر: قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)(الأنعام: 34)، وقوله تعالى: (مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ)(الكهف: 31). وقوله تعالى: (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ)(البقرة: 271)، وقوله تعالى:(وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ)(الأحقاف: 31)، ومن النظمِ قول عمر بن أبي ربيعة (أبو ربيعة، 1960: 175):

وَيَنْمِي لَهَا حُبُّهَا عِنْدَنَا فَمَا قَالَ مِنْ كَاشِحٍ لَمْ يَضُرّ

- وقول جرير (جرير:147):

لَمَّا بَلَغْتُ إِمَامِ الْعَدْلِ قُلْتُ لَهُمُ

قَدْ كَانَ مِنْ طُولِ إِدْلاجِي وَتَهْجِيرِي

وتأول البصريون كثيرًا مِمَّا استشهدَ به الفريقُ الثاني تأوَّلًا يُخرجُ عن الحكمِ بزيادةِ (من) في الإيجاب (الجزولي، 1981، ينظر: 124)، و(ابن الحاجب، 2010: 51)، فعلى سبيلِ المثالِ جعلوا (من) في قولِهم:

(قد كانَ شيءٌ من مطرٍ)[1]، وفي الآية الكريمةِ: (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ)، وفي كثيرٍ غيرِها مما استدلَّ به الكوفيون جعلوها للتبعيضِ (ابن شاهنشاه، 2000، ينظر: 75/2)، و(الأندلسي، 145/11).

وخرَّجوا قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)(الأنعام: 34)، على أنَّ الفاعلَ فيها مضمرٌ، و(من) متعلِّقٌ بحالِ الفاعلِ، والتقدير: ولقد جاءكَ هذا النبأُ من نبأِ المرسلين (الأندلسي، ينظر: 145/11)، وجعلوا (من) في البيتِ السابقِ (وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ) للسببِ؛ فيكون المعنى أرى شيئًا عظيمًا كالموت من أجل بين ساعة (الأندلسي، ينظر: 146/11).

(1) وذكر الصبانُ أيضًا في حاشيته على شرحِ الأشموني تخريجًا ثالثًا لهذا الشاهد على المذهب الأول حيث قال: "وأجيب أيضًا بأن الفاعل ضمير مستتر يعود إلى اسم فاعل تضمنه الفعل، والتقدير كان هو أي كائن من جنس المطر"، (الصبَّان، 1977، 315/2).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

أولًا: الزيادة النحوية في الأصل أمر شاذ طارئ على التركيب اللغوي؛ فلا يُصار إليه ولا إلى الحكم به إلا في أضيق الحدود.

ثانيًا: لابد للزيادة النحوية أن يكون لها معنى تؤديه لا يؤدى بغيرها، ومراعاة المعنى من أهم الأسس التي يُحكم بها على الزيادة النحوية بالجواز أو المنع.

ثالثًا: ينبغي مراعاة السماع الوارد عن العرب في الحكم بالزيادة والقياس عليه، وأن تكون الزيادة سواء في الاستعمال أو التوجيه معتمدةً عليه.

رابعًا: الزيادة في المبنى قرينة على الزيادة في المعنى؛ فهي أداة لتأكيده وتحقيق أغراض بلاغية كالمطاوعة واستغراق الجنس، لا مجرد حشو لفظي.

خامسًا: أرسى ابن يعيش ضوابط موضوعية كالاشتقاق وكثرة الشيوع والإمكانية الصرفية، لتمييز الزائد من الأصلي وحفِظ تماسك النظام اللغوي.

سادسًا: تجاوزت الزيادة الحدود التقليدية بين الصرف والنحو والصوت، مؤكدة أن النحو العربي نسق متكامل تتشابك مستوياته في خدمة المعنى.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الحاجب، الكافية في علم النحو، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م.
- ابن الحاجب، جمال الدين. الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: د. محمد عبد الله، دار سعد - مصر، ط1، 1425هـ.
- ابن الصائغ، شمس الدين إبراهيم بن سالم الصاعدي، اللمحة في شرح الملحة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/ 2004م.
- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (ت 1385هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1999م، 3 أجزاء.
- ابن شاهنشاه، الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية - بيروت، 2000م.
- ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد - د. محمد بدوي المختون، دار هجر - مصر، ط1، 1410هـ/ 1990م.
- ابن هشام، الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط6، 1985م.
- ابن يعيش، شرح المفصل. دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ/ 2001م.
- أبو ربيعة، شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة المخزومي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط2، 1960م.

- الأنباري، أبو البركات. لمع الأدلة، تحقيق: د. أحمد عبد الباسط، دار السلام مصر، ط1، 1439هـ/ 2018م.
- الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ، (3/ 77).
- الأندلسي، أبو حيان، التذييل والتكميل شرح كتاب التسهيل، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم - دمشق، ط1.
- أنيس، د. تامر عبد الحميد. الاستصحاب في النحو العربي (رسالة ماجستير)، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، 1421هـ/ 2001م.
- جرير، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف - مصر، ط3.
- الجُزُولي، أبو موسى عيسى بن عبد العزيز (ت 607هـ)، المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق: د. شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى، ط1، 1981م.
- حبلص، د. محمد يوسف. أثر الوقف على الدلالة التركيبية، دار الثقافة العربية - مصر، 1414هـ/ 1993م.
- خلخال، د. سلام موجد. المعنى النحوي عند ابن يعيش، مجلة جامعة كربلاء، المجلد السادس، العدد الأول، 2008م:
- الزمخشري، جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: د. علي بوملحم، مكتبة الهلال - بيروت، ط1، 1993م.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - مصر، ط3، 1408هـ/ 1988م.

- السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، الطبعة الأولى 2004م.
- الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 141هـ/ 1977م.
- عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار الثقافة العربية - مصر، ط1.
- العزاوي، والبعقوبي، د. عقيد خالد حمودي- عماد خليفة، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، دار العصماء - سوريا.
- العكبري، أبو البقاء، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، ط1، 1416هـ/ 1995م.
- غوانمة، د. حسين مصطفى. تعليل الأحكام النحوية عند ابن يعيش في شرح المفصل.
- قدارة، د. فخر صالح سليمان. أمالي ابن الحاجب، تحقيق: دار عمار - الأردن، 1409هـ/ 1989م.
- ميران، وعبيس، فراس فخري، وقصي سمير. القرينة الصوتية وأثرها في توجيه المعنى عند ابن يعيش (ت643ه)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/ جامعة بابل، العدد 18، كانون الأول 2014.
- نحلة، د. محمود. أصول النحو العربي، دار العلوم العربية - بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م.

الألفاظ المَلحونة في كتاب (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل) للمُحِبِّي (ت1111هـ)، دراسة تحليلية

د. مهدي عباس إبراهيم	قسم اللغة العربية/ كلية التربيّة ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ جامعة بغداد.
Mahdi.Abbas2203p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	
أ. د. علاوي سادر جازع	قسم اللغة العربية/ كلية التربيّة ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ جامعة بغداد.
Allewi.sadir@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	

المُلَخص:

يتناول هذا البحث الألفاظ التي وُصفت باللّحن أو الخَطَأ في كتاب (قصد السبيل)، أو أَنَّ مضمون كلام المُحبّي يُوحي بأَنَّها من اللَّحْن، حيث يُسلط هذا البحث الضَّوء على مُصطلح (اللَّحن)، في اللغة والاصطلاح، وهل ثَمّة اختلاف بين (اللَّحن)، و(الخَطَأ)؟ ويسلط الضَّوء أَيضًا على الألفاظ الملحونة، ووضعها في مكانها الصحيح في اللغة، وهل كُلّ ما وُصف باللَّحن أو الخَطَأ في كتاب قصد السبيل يُعَدُّ لَحنًا، أو أَنَّ المُحِبّي كانَ مُتوهمًا أو مُخطئًا في إصدار هذا الحكم على هذه الألفاظ، وأَنَّها صحيحة فصيحة، هذا ما سنعرفه من خلال هذه الورقة البحثيّة، وذلك بالرّجوع إلى كُتب اللغة من مُعجماتٍ وغيرها.

الكلمات المفتاحية: اللَّحن، الخَطَأ، قصد السبيل، المُحبّي.

The Melodic Expressions in the Book (Qasd al-Sabil fima fi al-Lughah al-'Arabiyyah min al-Dakhil) by al-Muhibbi (d. 1111 AH): An Analytical Study.

prof. Dr. Alawi Sader Jaza.
Department of Arabic Language / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences / University of Baghdad.
Mahdi Abbas Ibrahim.
Department of Arabic Language / College of Education Ibn Rushd for Human Sciences / University of Baghdad.

Abstract
This research deals with the words that were described as grammatically incorrect wrong in the book (Qasd al-Sabil), or that the content of al-Muhibbi's words suggests that they are grammatically incorrect. This research sheds light on the term (grammatical error), in language and terminology, and whether there is a difference between (grammatical error) and (wrong). It also sheds light on the grammatically incorrect words, and their correct place in the language, and whether everything that was described as grammatically incorrect or wrong in the book Qasd al-Sabil is considered a grammatical error, or whether al-Muhibbi was mistaken or wrong in issuing this judgment on these words, and that they are correct and eloquent. This is what we will know through this research paper, by referring to language book, dictionaries and others.

Keywords: The melody, the mistake, Qasd al-Sabil, al-Muhibbi.

المُقدّمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المَبعوثِ رحمةً للعالمين، نبيّنا مُحمّدٍ وعلى آله وصحبه وسَلّم.

أَمَّا بعد؛

فقد شاعت في العربيّة أَخطاء كثيرة، فاهتمَّ عدد من العلماء - قديمًا وحديثًا - بجمعها وتصنيفها، والتنبيه عليها، والإرشاد إلى الصَّواب فيها، وإِنَّ أصحاب المُعجمات كانوا حريصين كُلّ الحرص على أَنْ يَضُمّوا في معجماتهم كلّ ما هو فصيح، ولكنَّهم أوردوا في معجماتهم أَلفاظًا من كلام العَامّة، لِيُبَيّنوا خَطأها ويميزوها من كلام العرب الفصيح، ويُوضحوا الصَّواب إزاء الخَطأ. وقد أُلِفت في ذلك كُتب، منها كتاب (ما تلحن فيه العَامّة) للكسائيّ (ت189ه)، و(إصلاح المنطق) لابن السِّكِّيت (ت244ه)، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت276ه)، و(إصلاح غلط المُحَدِّثين) للخطابي (ت388ه)، و(تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لأبي حفص الصقليّ (ت501ه)، و(دُرّة الغواص في أوهام الخواص) للحريريّ (ت516ه)، وغيرها. وإِنَّ من أَسباب الخطأ في اللغة: ضعف المَلَكة اللُّغوية، وغلبة اللهجات العَامّيّة على الفصحى، واختلاط العرب بالأعاجم من أهل أوربا عن طريق التجارة والثقافة والاستعمار، وعدم ممارسة القراءة، وقلة الاهتمام بتعلم قواعد اللغة.

واقتضت طبيعة البحث أَنْ يكون على ثلاثة مباحث، يسبقها مُلخص للبحث، ومقدّمة، وتختمها خاتمة، أَمَّا المبحث الأول فعنوانه: اللَّحن لُغةً واصطلاحًا، وأَمَّا المبحث الثَّاني فعنوانه: اللَّحن بالأسماء، وأَمَّا المبحث الثَّالث فعوانه: اللَّحن بالأفعال، وأَمَّا الخاتمة ففيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

المَبحث الأول: اللَّحْن لُغة واصطلاحًا:

❖ اللَّحْن: لُغةً:

(اللَّحْن) مصدرٌ للفعل الثلاثي (لَحَنَ، يَلْحَن)، والمُرادُ به: الميل، نحو: لَحَنَ إليه بِقوله، أَيّ: مالَ إليه (ينظر: الفراهيدي، ج3/ص229). ويُرادُ به أَيضًا: المَعنى، وفُسِّر به قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القول﴾ (سورة محمد:30). أَيّ: في معنى القول (ينظر: أبو عبيد، 1964م، ج2/ص233)، و(الأنباري، 1992م، ج1/ص306). واللَّحْن - أَيضًا - اللغة، نحو: تَكَلَّمَ فُلانٌ بِلَحْنِه، أي: بِلُغَته (ينظر: كراع، 1988م، ص322). ومن ذلك أَيضًا قَول عمر بن الْخطاب (رضي الله عنه): ((تعلمُوا الفِقْهَ والفرائضَ واللَّحْن كَمَا تتعلمون الْقُرْآن)). فاللّحن هنا بمعنى: اللُّغَة. وقولهم: نزل الْقُرْآن بلَحْنِ قُرَيْش. أَيّ: بلغتهَا، واللَّحْن تَرْجِيع الصَّوْت بالحزن بِالْقُرْآنِ، واللَّحْن أَيضًا في الغناء، وهو تمطيط الصَّوت بالغناء (ينظر: أبو عمر الزاهد، ص132).

❖ اللَّحْن: اصطلاحًا:

هو "تركُ الصَّواب في القراءة" (الفراهيدي، ج3/ص230). وهو "الخَطَأ في الكلام" (أبو عبيد، 1964، ج2/ص233). وهو من الأَضداد، فيُقال للخَطَأ وللصَّواب: لَحْنٌ، ففي معنى الصَّواب، قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (سورة محمد: 30). أَيّ: في صواب القول وصِحّته. وعن ابن الأعرابي أَنَّه يُقال: لَحَن الرَّجُل يَلْحَن لَحْنًا، إِذا أَخطأ، ولَحَن يَلْحَن إِذا أَصاب. وفي حديث عمر (رضي الله عنه)، قال: ((تعلَّموا الفرائض والسُّنّة واللَّحْن؛ كما تتعلمونَ القرآن)). فيجوز أَن يكون اللَّحْن هنا الصَّوَاب؛ ويجوز أَن يكون الخطأ، يُعرَف فَيُتَجَنَّب (ينظر: الأنباري، 1987م، ص238، 239). واللَّحْن هو صرفُ الكلامِ عن جِهته، ثمَّ صَار اسما لَازِما لمُخَالفَة

الْإِعْرَاب، وَالْخَطَأ هو خلافُ المَقصود، والفرق بينهما هو أَنَّ الخَطَأ يكونُ فِي القَوْل وَالفِعْل، تقول: أَخْطَأَ في قوله، وتقول: أَخْطَأَ في فعله، بينما اللَّحْن لَا يكون إِلَّا فِي القَوْل، تقول: لَحَنَ فِي كَلَامه، وَلَا يُقال: لَحَنَ فِي فعله (ينظر: العسكري، ج1/ص55).

وقيل: إِنَّ اللفظ المَلحون، هو اللفظ الذي دخلَ عليه تغيير صَوتيّ انحرف به عن الفصيح (ينظر: ظاظا، 1971م، ص80).

إِذن: اللَّحن هو خلافُ الفصيح، والفرق بينه وبين الخَطأ، هو أَنَّ الخَطأ يكون في القول والفعل، واللحن لا يكون إلا في القول.

المَبحث الثَّاني: اللَّحْن بالأسماء:

1ـ البَقَّال:

ذكرَ المُحبيّ أَنَّ "البَقَّال: بَيَّاعُ الأَطْعِمَة، عَامِّيَّة، والصَّحِيح البَدَّال" (المحبي، 1994م، ج1/ص292).

(البَقَّال)، و(البَدَّال) على وزن (فَعَّال)، و(فَعَّال) من أوزان صِيغ المُبَالغة، هذا يعني أَنَّ (البَقَّال)، أو (البَدَّال)، هو الذي يبيع الأَطعمة على وجه الكثرة والمُبالغة. ونُقِلَ عن أبي الهيثم أَنَّ "الْعَرَب تَقول للَّذي يَبِيع كل شَيْء من المأكولات: بَدّال... والعامة تَقول: بَقَّال" (الأزهري، 2001م، ج14/ص94)، و(ابن منظور،1414ه، ج11/ص48). وقيل: إِنَّ البَقَّال هو مَنْ يَبيع البَقل (ينظر: الحميري،1999م، ج1/ص591). هذا يعني أَنَّه سُمّي بقَّالًا، لِبَيْعِهِ البَقل أو البُقُول.

وذكر الفيروزآبادي (ت817ه) أَنَّهم يقولون لِبَيَّاع المَأكولات أو الأَطعمة: بَقَّال، وهي كلمة عَامّيَّة، والصَحيح: (البَدَّال) (ينظر: الفيروآبادي، 2005م، ص965، 967).

وفَسَّر الكَفوي (ت1094ه) (البَدَّال) بـ(البَقَّال) (ينظر: الكفوي، ص250).
وَنُقِلَ عن ابن السَّمعانيّ أَنَّه قال: إِنَّ (البَقَّال) "هُوَ مَن يبيعُ اليابِسَ مِن الْفَاكِهَة، عامِيَّةٌ، والصَّحِيحُ: البَدَّالُ، بِالدَّال" (الزَّبيديّ، ج28/ص102). وجاء نقلًا عن أبي حاتِم أَنَّه سُمِّيَ (البَدَّال) بَدَّالًا لِأَنَّهُ يُبَدِّلُ بَيعًا ببَيعٍ، فيبيعُ اليومَ شَيْئًا وَغدًا شَيْئًا آخَر (ينظر: الزَّبيديّ، ج28/ص67). وقيل: "(البَدَّال): الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَالٌ إِلا بِقَدْرِ مَا يَشْتَرِي بِهِ شَيْئًا، فإِذا بَاعَهُ اشْتَرَى بِهِ بَدَلًا مِنْهُ، يُسَمَّى بَدَّالًا" (ابن منظور، 1414ه، ج11/ص50).
أَمَّا مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد توسع في معنى (البَقَّال) ليشمل بائِع البُقُول وغيرها، حيثُ قال: "البَقَّال: بائِع البُقُول ونحوها" (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1/ص66).
وذكر الدكتور أحمد مختار عمر (ت1424ه) أَنَّ "(البدّال) هو بائع السلع المنزلية، والمأكولات غير المطهوة كالعسل والجبن والخبز والحلوى وغيرها، أَمَّا (البَقَّال) فهو بائع البُقُول، أي الخضر، أو اليابس من الفاكهة ويصح التوسع في معناه، ليشمل غيرها كذلك، والأكثر شيوعًا في لغة العصر الحديث هو (بَقَّال) بمعناه الواسع" (مختار عمر، 2008م، ج1/ص188).
والمَعْروف عندنا أَنَّ (البَقَّال) هو مَنْ يَبيع البُقُول، والفَاكهة، والخُضَر.
ويُمكن القول: إِنَّ العرب استعملت (بَدَّال) للذي يبيع المأكولات أو الأَطعمة، ثُمَّ خصصوا الدلالة فقالوا للذي يَبيع البُقُول: (بَقَّالًا)، نِسبةً إلى البُقُول التي يَبيعُها، ثُمَّ توسعت تلك الدلالة فَشَملت بائع الفاكهة والخُضر. ورُبَّما أُبدلت الدَّال في (بَدَّال)، قافًا، فأصبحت (بَقَّال)، على الرَّغم مِن تَباعدِهما في المَخرج، فالدَّال نِطْعِية، عند الخليل (ت170ه)، والقاف لَهَوِيّة (ينظر: الفراهيدي، ج1/ص58)، ولكنَّهما اتفقا في صفة الجَهْر، والشِّدّة، والانفتاح (ينظر: سيبويه، 1988م، ج4/ص434، 436)، و(ابن يعيش،

2001م، ج5/ص522)، والقلقلة، والإصمات (ينظر: ابن يعيش، 2001م، ج5/ص522). ونظير ذلك ما وردَ في المُعجمات، فقالوا: خَطِيبٌ مِصْقَع، إِذا كانَ بَليغًا (ينظر: الفراهيدي، ج1/ص129)، و(الجوهري، 1987م، ج3/ص1244)، و(ابن فارس، 1986م، ص537)، وقالوا أَيضًا: خطيبٌ مِصْدَع، إذا كان بليغًا (ينظر: ابن دريد، 1987، ج2/ص654)، و(ابن سيده، 2000م، ج1/ص427)، و(ابن منظور، 1414ه، ج8/ص197). وأورد ذلك أَيضًا أبو الطيب اللغوي (ت351ه) في باب الإبدال بين الدَّال والقاف، وأوردَ أَيضًا أَلفاظًا أُخَر، حصلَ فيها إِبدال بين (الدَّال)، و(القاف)، وهي: قولهم: رَمَاهُ فأَدْعَصَهُ، وأَقْعَصَهُ، إذا أَصَابَ مَقْتَلَهُ. والسَّهْوَد، والسَّهْوَق: الطَّويل (ينظر: أبو الطيب، 1961م، ص384). إِذن كلمة (البَقَّال) فصيحة، وهي أَكثر شيوعًا في عصرنا الحديث.

2ـ الحَفَر:

قالَ المُحبيّ: "في أَسْنَانِهِ حَفَر: بالتَّحريك، والصَّواب: تسكين الفاء" (المحبي، 1994م، ج1/ص436). هذا يعني أَنَّ القول: (في أَسنَانه حَفَرٌ) بفتح الفاء، خطأٌ، والصواب: (حَفْرٌ) بسكون الفاء.

(الحَفَر) بفتح الفاء، مصدر (حَفِرَ)، نحو: حَفِرَت أَسْنَانُه حَفَرًا، و(الحَفْر) بسكون الفاء، مصدر (حَفَرَ)، نحو: حَفَرَت أَسْنَانه تَحْفِرُ حَفْرًا. و(الحَفْر)، و(الحَفَر) لُغَتَانِ، وهو ما يَلْزَقُ بالأسنان من ظاهِرٍ وباطِنٍ (ينظر: الفراهيديّ، ج3/ص212)، أو هو فَسَادٌ في أُصول الأَسنان (ينظر: ابن قتيبة، ص381)، وقيل: "هُوَ أَنْ يَحْفِرَ القَلَحُ أُصُولَ الْأَسْنَان بَيْنَ اللثة وأَصْلِ السنّ من ظَاهِرٍ وبَاطِنٍ يُلِحُّ على العَظْمِ حَتَّى يَتَقَشَّر العظْمُ إِنْ لَمْ يُدْرَكْ سَرِيعًا" (الأزهري، 2001م، ج5/ص14).

وذكرَ ابن السِّكّيت أَنَّ (حَفْر) بسكون الفاء، في قولهم: (بأَسْنَانِهِ حَفْرٌ)، أَفصحُ من (حَفَر) بفتح الفاء، و(حَفَرٌ) بالفتح، لُغةُ بني أَسد (ينظر: ابن السكيت، 2002م، ص136).

وأَشَارَ ابن قتيبة إلى أَنَّ (حَفَر) بالفتح، لُغةٌ رَديئة، واللغة الجيدة هي (حَفْرٌ) بسكون الفاء (ينظر: ابن قتيبة، ص381).

وَذَكَرَ اللغتين (الحَفْر)، و(الحَفَر)، ابن دريد (ت321ه)، والأزهري (ت370ه) نقلًا عن شَمِر، والصاحب بن عَبَّاد (ت385ه)، وابن سيده (ت458ه) نقلًا عن ابن الأعرابي، ولَمْ يُشِيروا إلى أَيّ اللغتين أَفصح وأَجود (ينظر: ابن دريد، 1987م، ج1/ص518)، و(الأزهري، 2001م، ج5/ص23)، و(ابن عبّاد، 1994م، ج3/ص84)، و(ابن سيده، 1996م، ج4/ص407).

وذكر ابن دُرُسْتَوَيه (ت347ه) أَنَّ (الحَفْر)، و(الحَفَر)، لُغَتَانِ مثل: (شَعْرٌ وشَعَرٌ)، و(نَهْرٌ ونَهَرٌ)، والمعنى فيهما مختلف؛ فـ(الحَفْر) بسكون الفاء، مصدرُ فعلٍ متعدٍ، وهو (حَفَرَهُ يَحْفِره حَفْرًا)، أَيّ: أَنَّ الذي حَفَرَ أَسْنَانَهُ إِنَّما هو كِبَرُ السِّنّ أو دَوَام القَلَح، أو آفة لحقتها. وأَمَّا (الحَفَر) بالفتح، فمصدرُ فعلٍ لازمٍ، نحو: (حَفِرَتْ سِنُّهُ حَفَرًا)، كأنه بمعنى الانفعال، وكلُّ واحدٍ منهما جيدٌ في معناه (ينظر: ابن درستويه، 1998م، ص472). والقياس في (فَعَلَ يَفْعِلُ) و(فَعِلَ يَفْعَلُ) المتعديان، أَنْ يَجِيء مصدرهما على (فَعْل) بسكون العين، نحو: ضَرَبَ ضَرْبًا، وحَمِدَهُ حَمْدًا، وهو الأَصل، وعليه القياس. ويَجيء أَيضًا على (فَعَل) بالفتح، نحو: سَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقًا، وغَلَبَ يَغْلِبُ غَلَبًا، وعَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا. أَمَّا (فَعَلَ) اللازم، فقد جاءت بعض مصادره على مصادر المتعدي، فقالوا: حَلَفَ يَحْلِفُ حَلْفًا، وعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزًا. و(فَعِلَ) اللازم، قياس مصدره (فَعَلٌ) بالفتح، نحو: فَرِحَ فَرَحًا، وغَضِبَ غَضَبًا، وبَطِرَ بَطَرًا، وقد يُخَالف فَيَجيء مصدره على (فَعْل) بسكون العين، نحو: ضَحِكَ

ضَـحْكًا، ولَعِـبَ لَعْبًا، وحَـرِدَ حَـرْدًا (ينظـر: ابـن يعـيش، 2001م، ج4/ص47، 49، 50، 51).

وأَشَـار الجـوهري (ت393ه) إلـى أَنَّ (الحَفْـر)، و(الحَفَـر)، لُغَتَـانِ، و(الحَفَـر) بـالفتح، لُغـة بنـي أَسـد، وهـي لُغـةٌ رديئـة (ينظـر: الجـوهري، 1987م، ج2/ص635).

وأَوردَ الزَّبيـدي (ت1205ه) أَنَّـه يُقَـال فـي مصـدر الفعـل (حَفِـرَ) بكسـر الفـاء: (حَفْـرًا وحَفَـرًا)، بسـكون الفـاء وفتحهـا، فتقـول: حَفِـرَت أَسْـنَانُه حَفْـرًا وحَفَـرًا (ينظر: الزَّبيديّ، ج11/ص61).

يَتَّضح مِمَّا تقدم أَنَّه يجوز القـول: (فـي أَسْـنَانِهِ حَفَـرٌ) بالفتح، وليـسَ خَطَـأً كمـا ذهب المُحبي، وليست لغةً رديئة، كما أَشَارَ إلى ذلك عددٌ من أَئمة اللغة، بل هـي لُغـةٌ فصيحة (لُغة بني أَسـد)، ولهـا توجيـه قياسـي بصـفتها مصـدرًا لفعـل لازم، وهـو (حَفِـرَ)، كقولنـا: (حَفِـرَتْ أَسـنانه حَفَـرًا)، وأَنَّ أَغلـبَ أَئمـةِ اللغـة ذَكَـرُوا هـذا القـول بـاللغتين: (فـي أَسـنانه حَفْـرٌ وحَفَـرٌ)، ولَـمْ يُميّزُوا لُغـةً علـى أُخرى.

3ـ الرُّصْغ:

ذكـرَ المُحبـيّ أَنَّ "الرُّصْـغ: بالصَّـاد، عامِّيَّـة، والصَّـواب: بالسِّـين" (المُحبـيّ، 1994م، ج2/ص67). ولـمْ يُفسر المُحبي (الرُّصْغ)، أو (الرُّسْغ)، وهـو عَظْـمُ الحـافر (ينظـر: الفراهيـدي، ج4/ص372)، وهـو "رُسْـغ الدّابّـة وَغَيـره، وَهُـوَ مَوْصِـل الوظيـف بالحـافر مـن ذَوَات الْأَرْبَـع، وَمـن النَّـاس مَوْصِـل الْكَـفّ بالذّراع" (ابن دريد، 1987م، ج2/ص739).

(الصَّاد)، و(السِّين)، من الحروف المُتقاربة المَخَارج، مخرجهما عند الخليل مـن أَسَـلة اللسـان، وهـي مُسـتدَقّ طـرف اللسـان (ينظـر: الفراهيـدي، ج1/ص58)، وعنـد سـيبويه (ت180ه) مِمّـا بـين طـرف اللسـان وفويـق الثنايـا

(ينظر: سيبويه، 1988م، ج4/ص433)، وعند المحدثين أَسْنَانيّة لثوية (ينظر: عبد التواب، 1977م، ص31)، ويُجمع بينهما من الصفات، الهَمس، والرَّخاوة (ينظر: سيبويه، 1988م، ج4/ص434، 435)، و(ابن يعيش، 2001م، ج5/ص522)، والصفير، والإصمات (ينظر: ابن يعيش، 2001م، ج5/ص522). بناءً على ما تقدم، يُمكن القول: إِنَّه حصل إِبدال بين السين والصَّاد، في كلمتي (الرُّسْغ)، و(الرُّصْغ)، فوحدة المخرج هي ما أدَّت إلى جواز وقوع الإبدال بَينهما، لأنَّ التَّقاربَ في المخرج بين الحروف هو مَيدان الإبدال اللغوي، وهو - غالبًا - مذهب اللغويين الأقدمين، ومذهب الكثير من الدارسين (ينظر: عبد العال، ج1/ص42)، أو إِنَّ (الرُّصْغ) لُغةٌ في (الرُّسْغ)، كما أَشَارَ إلى ذلك عددٌ من أَئمة اللغة، منهم: الخليل، وابن سيده، وابن منظور (ت711ه) (ينظر: الفراهيدي، ج4/ص372)، و(ابن سيده، 2000م، ج5/ص422)، و(ابن منظور، 1414ه، ج8/ص428). وأوردَ ابن السكيت، وابن دريد، وسَلَمة العوتبي (ت511ه) (الرُّسْغ)، و(الرُّصْغ)، بالسِّين والصَّاد، إلا أَنَّ سَلَمة أَشَارَ إلى أَنَّ (الرُّسْغ) بالسِّين أَفصح (ينظر: ابن السكيت، ص42)، و(ابن دريد، 1987م، ج2/ص739)، و(العوتبي، 1999م، ج1/ص238). وذكر ابن قتيبة: هو(الرُّسْغ) بالسِّين، لا بالصَّاد (ابن قتيبة، ص386). ورَدَّ ابن السِّيد البطليوسي (ت521ه) على قول ابن قتيبة، حيث ذكرَ أَنَّ النَّحويين قد أَجازُوا أَنَّ كلَّ (سين)، وقعت بعدها (غين)، أو(خاء)، أو(قاف) أو(طاء) أن تُبْدَلَ صادًا، بشرط أَنْ تكون السِّين هي الأَصل، فإنْ كانت الصَّاد هي الأصل لَمْ يَجز أن تقلب سينًا، نحو: (سخرت منه)، و(صخرت)، و(بسطة)، و(بصطة) فمتى رأيت من هذا النوع ما يقال بالصاد والسين، فاعلم أن السين هي الأصل، لأن الأضعف، وهو (السِّين) يُرد إلى الأقوى، وهو (الصَّاد)، ولا يرد الأقوى إلى الأضعف، لأَنَّ (الصَّاد)

حرفٌ مُستعلٍ، و(السين) حرفٌ مُسْتَسْفِل، فَثَقُلَ عليهم الاستعلاء بعدَ التَّسَفُّل لِما فيه من الكُلفة، فإذا تقدَّمَ حرف الاستعلاء لَمْ يُكْرَه وقوع السِّين بعده، لأَنَّه كالانحدار من العُلوّ، وذلك خفيفٌ لا كلفةَ فيه، وهذا هو الذي يجوز القياس عليه، وأمَّا ما عدا ذلك، فيُوقَفُ فيه عندَ السَّماع (ينظر: البطليوسيّ، 1996م، ج2/ص196، 197)، و(البطليوسيّ، ص709، 710). ونظير ذلك في العربية كثير، ومنه: القُعَاص، والقُعَاس: وهو داءٌ يأخذُ في الصَّدْر. وخطيبٌ مِصْقَع، ومِسْقَع: أيّ: بليغ. ورَصَعَت عينُ الرّجل، ورسَعَت: إذا فَسَدَت. والصَّلْهَب، والسَّلْهَب: الطويل (ينظر: البطليوسيّ، ص700، 701، 703).

يَتَّضح مِمَّا تقدم أَنَّ (الرُّصْغ)، كلمة فصيحة، وليس كما ذهب ابن قتيبة، إلى أَنَّ الصَّواب (الرُّسْغ) بالسِّين، وتَبعه في ذلك المُحبي، فالكلمتان فصيحتان، والأصل (الرُّسْغ) بالسين، ثُمَّ أُبْدِلَت السين صَادًا، فأَصبحت (الرُّصْغ)، أو أَنَّ (الرُّصْغ) لُغةٌ في (الرُّسْغ).

4ـ المَشْوَرَة:

ذكرَ المُحبيّ أَنَّ "المَشْوَرَة: بفتحتين بينهما سكون، لَحْنٌ، قالَهُ غيرُ واحد، وقالَ ابن يعيش (ت643ه): مِمَّا شَذَّ مَكْوَزَة، ومَدْيَن، في الأَعلام، والقياس: مَكَازَة، وقالوا في غير العَلَم: (مَشْوَرَة)، وهي (مَفْعَلَةٌ)، من (الشُّورَى)، مِن (شاوَرْتُ في الأمر)، يُقال: (مَشْوَرَةٌ)، و(مَشُورَةٌ)، فـ(مَشُورَةٌ)، على القياس بنقل الضَّمّة إلى الشين، و(مَشْوَرَةٌ) شاذّ، والقياس: (مَشَارَةٌ) كـ(مَقالَةٍ) و(مَقَامَة)، وقالوا: مَصْيَدة، ومَقْوَدة مثله، وكانَ المبرّد لا يجعل ذلك من الشَّاذّ في الأعلام" (المُحبيّ، 1994م، ج2/ص473)، و(ينظر: ابن يعيش، 2001م، ج5/ ص460، 461).

(المَشْوَرَة)، بفتح الميم والواو، وسكون الشين، على وزن (مَفْعَلَة)، ذكرها عددٌ من أَئِمة اللغة ولَمْ يُشيروا إلى أَنَّها لَحنٌ، ولَمْ يُنكروها، ومِن هؤلاءِ اللغويين الخليل، فقد ذكرَ أَنَّ (المَشْوَرَة) على وزن (مَفْعَلَة)، مُشتقة من الإشارة، أي: أَشَرْتُ عليهم بكذا، ويُقال أَيضًا: مَشُورَة (ينظر: الفراهيديّ، ج6/ص281). و(مَشُوْرَة)، أَصلُها (مَشْوُرَة)، بِضَمّ الواو، على وزن (مَفْعُلَة)، فَنُقِلَت حركة الواو إلى الشِّين، وسُكِّنت الواو، فقيل: مَشُوْرَة (ينظر: الحريريّ، 1998م، ص29)، و(الحميريّ، 1999م، ج6/ص3579). والزَّجاج (ت311ه) فقد ذكرَ أَنَّه "يُقَال: شَاوَرْتُ الرَّجلَ مُشَاوَرةً وشِوارًا، وما يكون من ذلك فاسمه المَشُورَة، وبعضهم يقول المَشْوَرة" (الزَّجَّاج، 1988م، ج1/ص485). وذكرَ الفارابيّ (ت350ه) أَنَّ "(المَشْوَرة): لُغةٌ من المَشُورة" (الفارابيّ، 2003م، ج3/ص350). ونقل الأزهري عن ابن السِّكّيت أَنَّ (المَشُورة)، بفتح الميم، وضمّ الشِّين، و(المَشْوَرَة) بفتح الميم والواو، وسكون الشِّين، لُغتان. وعن الفَرَّاء أَنَّ (المَشُورة)، أَصلُها (مَشْوَرَة)، ثمَّ نُقِلت إلى مَشُورَة (ينظر: الأزهريّ، 2001م، ج11/ص277). وذكر الجوهري أَنَّ "(المَشْوَرَةُ): (الشُّورَى)، وَكَذَلك (الْمَشُورَةُ) بِضَمِّ الشِّينِ" (الجوهريّ، 1987م، ج2/ص705). وَذكرَ أبو حفص نجم الدِّين النسفي (ت537ه) أَنَّ "(الْمَشُورَةُ) بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَضَمِّ الشِّينِ، هِيَ اللُّغَةُ الصَّحِيحَةُ الْفَصِيحَةُ، وَ(الْمَشْوَرَةُ) بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَتَسْكِينِ الشِّينِ، وَفَتْحِ الْوَاوِ، لُغَةٌ فِيهَا" (النسفيّ، 1311ه، ص40). وذكر الزَّمخشريّ (ت538ه) أَنَّه قُرِئ: مَثُوبَة، ومَثْوَبَة. كما قالوا: مَشُورَة، ومَشْوَرَة (ينظر: الزّمخشريّ، 1407ه، ج1/ص651). وذكر نشوان الحميري (ت573ه) أَنَّ "المَشْوَرَة: لُغةٌ في المَشُورة" (الحميريّ، 1999م، ج6/ص3579). وذكر الفيومي (ت770ه) أَنَّ (المَشُورة)، و(المَشْوَرة) لُغتان (ينظر: الفيوميّ، ج1/ص326).

أَمَّا مَنْ أَنْكَرها من اللغويين، فهو الحريريّ (ت516ه) فقد ذكر أَنَّهم "يَقُولُونَ: المَشْوَرَة مُباركة، فيبنونها على (مَفْعَلَة)، وَالصَّوَاب أَن يُقَال فِيهَا: (مَشُورَة) على وزن مَثُوبَة ومَعُونَة، كَمَا قَالَ بشار" (ابن برد، 2007م، ج4/ص172): (الحريريّ، 1998م، ص29).

إِذا بَلَغَ الرَّأْي المَشُورَة فَاسْتَعِنْ بِرَأْي لَبِيب أو نصاحة حَازِم

وأَشَارَ جمال الدِّين الجوزي (ت597ه) إلى أَنَّ (المَشْوَرَة) من كلام العامة، والصواب: المَشُورَة، على وزن (مَثُوبة) (ينظر: الجوزيّ، 2006م، ص177).

إِذن: (المَشْوَرَة)، بفتح الميم والواو، وسكون الشين، لُغةٌ في (المَشُورة)، وهي لُغةٌ صحيحة، ويُؤيدُ ذلك السَّماع، فقد أَجازَها أَغلبُ أَئِمة اللغة، إلّا أَنَّ استعمالها قليل.

5ـ المُصَان:

ذكرَ المُحبيّ أَنَّ "المُصَان: بمعنى المَحفوظ، من غلط العَامّة، والصَّواب: (مَصُون)" (المُحبيّ، 1994م، ج2/ص474).

ووجه الخطأ أَنَّ (مُصَان)، اسم مفعول من الفعل (أَصَانَ)، وهذا الفعل لَمْ يَرِد في المُعجمات، فالذي ورد فيها هو الفعل (صَانَ)، واسم المفعول منه (مَصُون). ولذلك فقد أَنْكَرَهُ أَغلبُ أَئمة اللغة، والصَّواب أَنْ تقول: شَيْءٌ مَصُون، ولا تَقُلْ: مُصَان (ينظر: ابن السكيت، 2002م، ص227)، و(ابن دريد، 1987م، ج2/ص900)، و(الأزهري، 2001م، ج12/ص170)، و(الجوهري، 1987م، ج6/ص2153). وَأَصْلُ (مَصُون)، هو (مَصْوُون)، على وزن (مَفْعُول)، فنُقِلَت حَرَكَة الْوَاو (الضَّمَّة) إلى حرف الصَّاد قبلها، وسُكِّنت الواو، فاجتمعت واوان ساكنتان، فَحُذِفَت إِحْدَاهمَا (ينظر: الحريريّ، 1998م، ص70).

وأَشَارَ الدكتور أحمد مُختار عمر إلى أَنَّ كلمة (مُصَان)، صحيحة، استنادًا إلى إِجازة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ما شاع استعماله من الأفعال الثلاثية المزيدة بالهمزة (أفعل)، التي بمعنى (فَعَل) الثلاثي المجرَّد، على أن تكون الهمزة لتقوية المعنى وإفادة التأكيد. واستنادًا إلى ما عقدَه ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) مِنْ بابٍ بعنوان: (فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ باتفاق المعنى). وما أَوردَهُ ابن منظور أنَّ فَعَل وأَفعل كثيرًا ما يعتقبان على المعنى الواحد، نحو: جَدَّ الأمر وأجدَّ، وصددته عن كذا وأصددته (ينظر: مختار عمر، 2008م، ج1/ص704).

فلو قُلْنا: صَانَ الرَّجلُ لِسَانَه عن الخَطأ، فهو أسلوب خبريّ، معناهُ: حَفظَ الرَّجلُ لِسَانَه عن الخطأ. أَمَّا إذا قُلْنا: أَصَانَ الرَّجلُ لِسَانَه عن الخَطَأ؟، فَيُحْتَمَل أَنْ يكونَ هذا أسلوبًا إنشائِيًّا (أسلوب استفهام)، ومعناه: هَلْ حَفظَ الرَّجلُ لِسَانَه عن الخَطَأ؟ لذلك، الصَّواب أَنْ نقول: (مَصُون)، لِأَنَّه اسم مفعول من الفعل (صَانَ)، بمعنى: حفظَ، فهذا الفعل هو الذي وردَ في المعجمات، ولا نقول: (مُصَان)؛ لأَنَّ (مُصَان) اسم مفعول من الفعل (أَصانَ)، وهذا الفعل لَمْ يَرِدْ في المعجمات.

المَبحث الثَّالث: اللَّحن بالأفعال:

1ـ اشْتَرَّ:

هذا الفعل، لَمْ يُفَسّره المُحِبي، وإِنَّما اكتفى بذكره فقط، وبَيَّنَ الخَطَأ منه والصَّواب، فقال: "اشْتَرَّ البَعِير: بالشِّين خطأ، وإِنَّما يُقَال (اجْتَرَّ)" (المُحبيّ، 1994م، ج1/ص190).

و(اجْتَرَّ) مِن الجِرَّة، وكُلُّ ذِي كَرْشٍ يَجْتَرّ (ينظر: الجوهريّ، 1987م، ج2/ص612)، والجِرَّة: "مَا تَجْتَرّه الْإِبِل فتُخْرِجه من أجوافها لتَمْضَغه ثمَّ

تَـردّه فِـي أكراشـها بعـد الجِـرَّة أَي: بعـد أَن تَجْتَـرّه" (أبـو عبيـد، 1964م، ج3/ص21).

نَجِدُ أَنَّ (اشْتَرَّ)، و(اجْتَرَّ)، لا يختلفانِ عن بَعضِهما إلا في الشِّين، في (اشْتَرَّ)، والجيم، في (اجْتَرَّ)، وهـذا التَّشـابه يُحيلُنـا إلـى إمكـان وقـوع الإبـدال بـين (الشِّين)، و(الجيم)، فهمـا مُتَّحـدان فـي المَخـرج، والحـروف إِذا توحـدت أو اتَّحـدت فـي المَخـرج، يَسـهل الإبـدال بينهـا (ينظـر: ابـن جنـيّ، 2000م، ج1/ص225). فالجِيم والشِّين عِندَ الخليل شَجريتان، لأَنَّ مَبْدأهما من شَـجر الفـم، أَيّ: مَفرجه (ينظر: الفراهيديّ، ج1/ص58)، وعندَ سيبويه مَخْرجهما من وسط اللسان بينه وبين وسنط الحنك الأَعلى (ينظر: سيبويه، 1988م، ج4/ص433)، وعندَ المُحدثين مَخرجهما من الغَار، يُنطَق بهما برفع مقدمة اللّسان تجاه الغَار (ينظر: عبد التواب، 1977م، ص50، 51). ويجمَع بينهما من الصفات الانفتاح (ينظر: سيبويه، 1988م، ج4/ص436)، و(ابن يعيش، 2001م، ج5/ص522، 524)، والإِصـمات (ينظـر: ابـن يعـيش، 2001م، ج5/ص522، 524).

إِذن: يُمكـن القـول: إِنَّ (الشِّـين) فـي (اشْـتَّرَ) بـدلٌ مـن (الجِـيم) فـي (اجْتَّـرَ)، لِكونِهما مُتَّحدين في المَخْرَج. ونظير ذلك قول الرَّاجز (الرَّجز بلا نسبة في ابـن جنـيّ، 2000م، ج1/ص217)، و(ابـن سـيده، 2000م، ج7/ص352)، و(ابن منظور، 1414ه، ج2/ص274):

إِذْ ذَاكَ إِذْ حبل الوصَال مُدْمَش.

أَيّ: "(مُدْمَج)، فالشِّين بدلٌ من الجيم" (ابن جنيّ، 2000م، ج1/ص217).

وأَوردَ أَبو الطَّيب اللّغوي أَلفاظًا كثيرة، حَصَلَ فيها إِبدال بين الجيم والشِّين، ومـن ذلـك قـولهم: جَمَـخَ بِأَنْفِـهِ، وشَـمَخَ: إِذا تَـاهَ وتكبَّـرَ. وأَرَّجَ علـى القـومِ، وأَرَّشَ: إِذا حَمَّلَ عليهم ووشَى بهم. والهَجْم والهَشْم: القدح. ويُقال: هَجَمَ

ما في الضَّرْع، وهَشَمَ ما فيه: إذا استخرجَ ما فِيهِ (ينظر: أبو الطيب، 1961م، ج1/ص226، 228).

وذهب ابن الأثير (ت606ه) إلى أَنَّ (اشْتَرَّ)، و(اجْتَرَّ) حَصَل بينهما إبدالٌ، لأَنَّ الجيم والشِّين مِنْ مَخْرَجٍ واحد، ولَمْ يُخَطِّئْ قولَهم: (اشْتَرَّ البعير). حيثُ قال: "وَفِي حَدِيثِ الْحَجَّاجِ ((لَهَا كِظَّةٌ تَشْتَرُّ)). يُقَالُ: اشْتَرَّ البعيرُ واجترَّ، وَهِيَ الجِرَّةُ لِمَا يُخْرِجُه البعيرُ مِنْ جَوْفِهِ إلى فَمِهِ ويمضَغُه ثُمَّ يَبْتَلِعه. وَالْجِيمُ وَالشِّينُ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ" (ابن الأثير، 1979م، ج2/ص459).

إذن: قولهم: (اشتَرَّ البعير)، صحيحٌ، وليس خَطَأً كما أَشارَ إلى ذلك المُحِبّيّ، إلّا أَنَّ استعماله قليل، والأَصل هو (اجترَّ)، لأَنَّه من (الجِرَّة) وهو مَا يُخْرِجُه البعيرُ مِنْ جَوْفِهِ إلى فَمِهِ ويمضَغُه ثُمَّ يَبْتَلِعه.

2ـ أَنْعَشَهُ:

ذكر المُحبي أَنَّ "أَنْعَشَه الله: عاميّة، والصواب: نَعَشَه" (المُحبيّ، 1994م، ج1/ ص219). هذا يعني أَنَّ المُحبّي يرى أَنَّ الفعل (أَنْعَشَ) خَطَأ، والصَّواب (نَعَشَ)، بلا همز.

وبالرجوع إلى كتب اللغة، وجدت أَنَّ الفعل (أَنْعَشَ) اختلف فيه اللغويون، فمنهم مَنْ أَثبته ولم ينسبه إلى كلام العامة، ومنهم مَنْ أنكره ونسبه إلى العامة، فالذينَ أَثبتوه، هم: الخليل، فقد ذكرَ أَنَّ قولنا: نَعَشَهُ الله فانتعش، بمعنى: سَدَّ الله فقره، وقولك: أَنْعَشْتُهُ فانتعش، أَي: جَبَرْتُهُ فانجبَرَ بعد فقرٍ (ينظر: الفراهيدي، ج1/ ص259). يُفهم من ذلك أَنَّ (نَعَشَه)، و(أَنْعَشَه) بمعنى: جَبَرَهُ وسَدَّ فقرَهُ. وابن قتيبة فقد ذكر (نَعَشَه)، و(أَنْعَشَه) في باب فعلت وأَفعلت باتفاق المعنى (ينظر: ابن قتيبة، 1397ه، ج2/ص298). وقاسم السَّرَقُسْطِيّ (ت302ه) إذ ذكر أَنَّ كُلَّ شيءٍ رَفَعْتَهُ أو جَبَرْتَهُ، فقد نَعَشْتَهُ، وأَنَّ (نَعَشَ) فيه لُغتانِ: (نَعَشَ) و(أَنْعَشَ). و(أَنْعَشَ) ذَكرهُ أبو عبيد

(ينظر: قاسم السَّرَقُسطِيّ، 2001م، ج2/ص726). وابن عَبَّاد وابن سيده فقد ذكرا الفعلين (نَعَشَهُ)، و(أَنْعَشَهُ)، بمعنى: رَفَعَهُ (ينظر: ابن عبّاد، 1994م، ج1/ص290)، و(ابن سيده، 2000م، ج1/ص374)، ولذلك سُمِّي النَّعشُ نعشًا؛ لِأَنَّهُ يرفع (ينظر: ابن قتيبة، 1397ه، ج2/ص298). وأَشارَ أبو عثمان السَّرَقُسْطِيّ (ت400ه) وابن القطاع (ت515ه) إلى أَنَّ (أَنْعَشَه الله، ونَعَشَهُ)، بمعنى: جَبَرَهُ، و(أَنْعَشَهُ) لُغَيَّة، ونَعَشَ الرجلُ غيرَهُ، وأَنْعَشَهُ كذلك (ينظر: أبو عثمان السَّرَقُسْطِيّ، 1975م، ج3/ص118)، و(ابن القطاع، 1983م، ج3/ص213). وذكر العَوْتبي أَنَّ الفعل (نَعَشَ) يأتي بغير أَلِف (نَعَشَ)، ويأتي بأَلِف (أَنْعَشَ) (ينظر: العوتبيّ، 1999م، ج4/ ص391). ويرى ابن عياض (ت544ه) أنَّ (أَنْعَشَهُ) لُغةٌ ضعيفةٌ، أَنكرها يعقوب، وذكرها أبو عبيد (ت224ه) (ينظر: ابن عياض، ج2/ ص19). وذكر الفيوميّ الفعلين (نَعَشَ)، و(أَنْعَشَ) (ينظر: الفيوميّ، ج2/ص613). ويرى الفيروزآبادي أَنَّ (نَعَشَهُ)، مثل (أَنْعَشَهُ) (ينظر: الفيروزآباديّ، 2005م، ص609). وأورد مجمع اللغة العربية بالقاهرة الفعلين (نَعَشَ) و(أَنْعَشَ)، ومن ذلك قولهم: أَنْعَشَهُ مِنْ كَبوتِهِ، أيّ: أَنْهَضَهُ وَقَوَّى جَأْشَهُ، و(نَعَشَهُ) بمعنى: رَفَعَهُ، وقالَ لهُ: أَنْعَشَكَ الله (ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج2/ص934).

وأَمَّا اللغويون الذينَ أَنكروا الفعل (أَنْعَشَ)، وأَثبتوا الفعل (نَعَشَ)، فهم: ابن السِّكِّيت، وابن دريد، وابن دُرُسْتَوَيْه، والجوهري (ينظر: ابن السكيت، 2002م، ص165)، و(ابن دريد، 1987م، ج2/ص871)، و(ابن درستويه، 1998م، ص83)، و(الجوهريّ، 1987م، ج3/ص1021). واقتصر ثعلب على الفعل (نَعَشَ)، ولَمْ يذكر (أَنْعَشَ)، حيث قال: "ونَعَشْتُ الرَّجلَ، فأَنا أَنعشُهُ" (ثعلب، ص267).

ويبدو أَنَّ إضافة الهمزة في أول الفعل (نعش)، إذا أعطت دلالة جديدة للفعل، فـ(أَنْعَشَ)، لغة فصيحة، وليست عاميّة، أَمَّا إذا لم تُعطِ دلالة جديدة، فما الفائدة من إضافتها، فالفعل (نَعَشَ) متعدٍ إلى مفعول واحد، و(أَنْعَشَ) متعدٍ إلى مفعول واحد، فإضافة الهمزة له لَمْ تغير فيه شيئًا من جانب التعدية، كأَنْ تجعله متعديًا إلى مفعولين، وإذا لم تغير فيه شيئًا من دلالته المعجمية، فهي كلمة عاميّة، أو أَنَّها لُغة في الفعل (نعش)، ومن اللغويين مَنْ أَشَارَ إلى أَنَّها لُغة ضَعيفة، أو لُغَيَّة.

وعلمًا أَنَّ الجمع بين لُغتين واردٌ عن العرب بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل، وقد أَكد هذا الجمع عدد من اللغويين أَمثال ابن جني والسيوطي، وقد ورد ذلك في الشعر الفصيح كثيرًا (ينظر: شلاش، 1976م، ص423).

إذن: الفعل (أَنعش)، و(نَعَشَ) كلاهما صحيح، إِلّا أَنَّ (نَعَشَ) أَفصح من (أَنعشَ).

3ـ بَقَّلَ:

ذكرَ المُحبيّ أَنَّ قولهم: "بَقَّلَ وَجْهُ الغُلَام: بالتَّشديد، لَحْنٌ. والصَّواب: بَقَلَ، بالتخفيف، إِذا نَبَتَ شَعْرُهُ، كذا في أَدب الكاتب" (المُحبيّ، 1994م، ج1/ص292)، و(ينظر: ابن قتيبة، ص380).

إِنَّ تَضْعِيف عَيْن الفعل، إِمَّا أَنْ يُعْطيه زيادة في المعنى، كَأَنْ يَنْقُلُه من اللّزوم إلى التَعْدية، نحو: (فَرِحَ زيدٌ)، و(فَرَّحْتُ زَيدًا) (ينظر: الأشموني، 1998م، ج1/ص448)، وهذا لا يَتوافق مع الفعل (بَقَّل)، لِأَنَّه بَقِي لازمًا، أو للتكثير والمُبالغة (ينظر: ابن الأثير، 1420ه، ج1/ص438)، و(الأندلسيّ، 1998م، ج4/ص2094)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ﴾ (سورة يوسف: 23). فتَضْعِيف العين في (غَلَّقَت)، أُرِيدَ به الكثرة (ينظر: ابن خالويه، 1401ه، ص311)، و(الفارسيّ، 1993م، ج2/ص161). وإِمَّا أَنْ يكونَ لُغةً،

وهذا ما ذهب إليه عددٌ من أَئمة اللغة، فقد ذكروا الفعل (بَقَلَ) بالتخفيف، و(بَقَّلَ) بالتشديد، ومنهم: ابن دريد، وابن سيده، والزمخشري، وابن منظور، والفيروزآباديّ (ينظر: ابن دريد، 1987م، ج1/ص371)، و(ابن سيده، 2000م، ج6/ص435)، و(الزمخشريّ، 1998م، ج1/ص71)، و(ابن منظور، 1414ه، ج11/ص61)، و(الفيروزآباديّ، 2005م، ص967)، وأَشارَ ابن سيده وابن منظور إلى أَنَّ بعض أهل اللغة كَرِهَ التَّشْديد في الفعل (بَقَّلَ) (ينظر: ابن سيده، 2000م، ج6/ص435)، و(ابن منظور، 1414ه، ج11/ص61). وإِمَّا أَنْ يكون تَصحيفًا، وذهب إلى ذلك عددٌ من أئمة اللغة، منهم: ابن قتيبة، ونَقَلَ عنه المُحبيّ وتبعه في ذلك، وقد ذُكِرَ ذلك أَولًا، والجوهري، وجمال الدين الجوزي (ينظر: الجوهريّ، 1987م، ج4/ص1636)، و(الجوزي، 2006م، ص79).

وأوردَ ابن فارس نقلًا عن أَبي زياد أَنَّ (الْبَقْل) اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَنْبُتُ أَوَّلًا. وَلذلك قِيلَ لِوَجْهِ الْغُلَامِ أول مَا يَنْبُتُ فيه الشعر، أو خَرَجَ شعره، أو خَرَجَت لِحيته: قَدْ بَقَلَ يَبْقُلُ بُقُولًا وَبَقْلًا (ينظر: ابن فارس، 1979م، ج1/ص275).

ويُمكن القول: إِنَّ الفعل (بَقَّل) بالتَّشديد، لُغة صحيحة، وقعت في كلام الثِّقات من اللغويين، أو ذكرها عددٌ من أَئِمة اللغة، ولَمْ يُشِيروا إلى لَحْنِها. ورُبَّما أُريدَ بِتَضعيف عين الفعل، الكثرة والمُبالغة، أَيّ: خَرَجت لِحيتهُ بِكَثافة، أو خَرَجَ شَعْرُه بِكَثرة.

4ـ (خَبَّيْت) و(اختَبَيت):

ذَكَرَ المُحبيّ أَنَّ قولهم: "خَبَّيْتُهُ وَاختَبَيتُ منهُ: عامّيَّتَانِ، والصَّواب: الهَمزُ" (المُحبيّ، 1994م، ج1/ص450).

وبالرّجوع إلى كتب اللغة وجدتُ أَنَّ العرب تُحَقّقُ الهمزة، فتقول: قَرَأْتُ الكتابَ، وخَبَّأْتُ الشَّيْءَ، وتُبدلها، فتقول: قَرَيْتُ الكتابَ، وخَبَّيْتُ الشَّيْءَ،

وتُلَيّنها، فتقول: قَراتُ الكتابَ، وخَباتُ الشَّيْءَ (ينظر: الأنباريّ، 1992م، ج2/ص116)، و(الخطابي، 1982م، ج2/ص151)، وإِنَّ تحقيق الهمز كان من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها كتميم وما جاورها، وأَمَّا تخفيف الهمزة فقد كانت سمة حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربها (ينظر: شاهين، ص30)، و(الياسي، 2025م، ص94)، وإِنَّ الإبدال في الهمزة جائزٌ عند الكوفيين وغيرِهم من البصريين كأبي زيد، أيّ: إبدال الهمزة ياءً أو واوًا على غير القياس، فقالوا في (خَبَّأْتُ): خَبَّيْتُ، وفي (رَفَأْتُ): رَفَوْتُ. وهذا عند سيبويه رديء كلّه وليس له أصل يطرد عليه (ينظر: السيرافيّ، 2008م، ج4/ص280). ومن ذلك أَنَّ أَبا زيدٍ لقي سيبويه فقال له: "سمعتُ العربَ تقول: قريت وتوضيت. فقال له سيبويه: كيف تقول في (أفعل) منه؟ قال: أقرأ...فقال له سيبويه: فقد تركت مذهبك، أيّ لو كان البدل قويًا للزم ووجب أن تقول: أقري؛ كـ(رميت أرمي)" (ابن جنيّ، ج3/ص155).

وذكر الأزهري أَنَّ العرب تركت الهمز في (أَخْبَيْتُ)، و(خَبَّيْتُ)، و(الخَابِية)، للتخفيف، وذلك لكثرتها في كلامهم، فاستثقلوا الهمز (ينظر: الأزهريّ، 2001م، ج7/ص246).

وذكر ابن جني (ت392ه) أَنَّ "الحكم على ما جاء من هذا [في ترك الهمز]: أن يحكم عليه بالتخفيف إلى أنْ يقوم الدليل فيه على الإبدال" (ابن جنيّ، ج3/ص155).

وذكر ابن فارس أَنَّ (الْخَاء)، وَ(الْبَاء) وَالحرف المعتل و(الْهَمْزَة)، في (خَبَأَ) يَدُلُّ عَلَى سَتْرِ الشَّيْءِ. وَمِنَ هذا الْبَابِ أيضًا (الْخِبَاء)؛ نحو: أَخْبَيْتُ إِخْبَاءً، وَخَبَّيْتُ، وَتَخَبَّيْتُ، كُلُّ ذَلِكَ إِذَا اتَّخَذْتَ خِبَاءً (ينظر: ابن فارس، 1979م،

ج2/ص244). والخِباءُ من الأَبنية، أو من بيوت الأعراب، وجمعه: أخبية (ينظر: الفراهيديّ، ج4/ص315).

بناءً على ما تقدم يُمكن القول: إنَّ (خَبَّيْتُ)، و(اختَبيْتُ)، فصيحتان، والدليل على ذلك ما ذكره الأزهري أَنَّ العرب تركت الهمز في (أَخْبَيْتُ)، و(خَبَّيْتُ)، و(الخَابِية)، للتخفيف، وذلك لكثرتها في كلامهم، فاستثقلوا الهمز. وترك الهمز في هذه الألفاظ للتخفيف، أقوى من الإبدال.

الخَاتِمة:

أَهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، هي:

1. إِنَّ كثيرًا من الألفاظ التي حكم عليها بعض اللغويين باللَّحن أو العامّيّة، هي في الحقيقة لغات فصيحة وردت عن العرب الثّقات، وليست خَطَأً عامّيًّا مُبتذلًا، بل هي وجه من وجوه التطور اللّغوي أو اللّهجي.

2. اعتمد البحث على التقارب الصَّوتي بين الألفاظ والتَّوسع الدلالي لِدحض الأَحكام المُتشددة التي وَصَمَت بعض الألفاظ باللّحن والعامّيّة.

3. كلّ ما هو مُخالف لِسُنن العربية يُعَدُّ لَحْنًا.

4. من أسباب الوقوع في اللَّحْن: ضعف المَلَكة اللغوية، وغلبة اللهجات العاميّة على الفصحى، واختلاط العرب بالأعاجم، وعدم ممارسة القراءة، وقلة الاهتمام بتعلم قواعد اللغة.

5. وَضَعَ البحثُ حَدًّا فاصلًا بين مَفهومي الخَطَأ واللّحن؛ فالخَطَأ مفهومٌ عام يقع في القول والفعل، تقول: (أَخْطَأَ الرّجلُ في قولِهِ وفِعلِهِ)، بينما اللَّحْن مفهومٌ خاص لا يقع إلا في القول، فتقول: (لَحَنَ في كلامه)، ولا تقول: (لَحَنَ في فعله).

6. حَكَمَ المُجِبّيّ على عدد من الألفاظ بالخَطَأ، وبالرّجوع إلى كتب اللغة تَبَيَّنَ للباحث أَنَّها صحيحة، منها: (اشتَرَّ)، و(البَقَّال)، و(بَقَّلَ) بتشديد القاف، و(حَفَرٌ) بفتح الفاء، وغيرها.

المَصَادِر والمَرَاجِع:

القرآن الكريم.

- ابن الأثير (ت606ه)، مجد الدين أبو السعادات. البديع في علم العربية، تحقيق: فتحي أحمد عليّ الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 1420ه.

- ابن الأثير (ت606ه)، مجد الدين أبو السعادات. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399ه - 1979م.

- ابن برد (ت168ه)، بشّار بن برد. ديوان بشّار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

- ابن جني (ت392ه)، أبو الفتح عثمان. الخصائص، تحقيق: محمد عليّ النَّجَّار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.

- ابن جني (ت392ه)، أبو الفتح عثمان. سِرّ صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421ه - 2000م.

- ابن خالويه (ت370ه)، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. الحُجَّة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط 4، 1401ه.

- ابن دُرُسْتَويه (ت347ه)، أبو محمد عبدالله بن جعفر. تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1419ه - 1998م.

- ابن دريد (ت321ه)، أبو بكر محمد بن الحسن. جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م.
- ابن السِّكيت (ت244ه)، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مُرعب، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1423ه - 2002م.
- ابن السِّكيت (ت244ه)، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. الكنز اللغوي في اللسن العربي، تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- ابن سيده (458ه)، أبو الحسن علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421ه - 2000م.
- ابن سيده (458ه)، أبو الحسن علي بن إسماعيل. المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1417ه - 1996م.
- ابن عَبّاد (ت385ه)، الصاحب إسماعيل. المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1414ه - 1994م.
- ابن عياض (ت544ه)، عياض بن موسى. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ابن فارس (ت395ه)، أحمد. مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1406ه - 1986م.
- ابن فارس (ت395ه)، أحمد. مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399ه - 1979م.
- ابن قُتيبة (ت276ه)، أبو محمد عبدالله بن مُسلم. أدب الكاتِب، تحقيق: مُحمد الدّالي، مؤسسة الرِّسالة.

ابن قُتيبة (ت276ه)، أبو محمد عبدالله بن مُسلم. غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط 1، 1397ه.
- ابن القطاع (ت515ه)، علي بن جعفر. كتاب الأفعال، عالم الكتب، ط 1، 1403ه - 1983م.
- ابن منظور (ت711ه)، محمد بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414ه.
- ابن يعيش (ت643ه)، يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422ه - 2001م.
- أبو الطيب اللغوي (ت351ه)، عبد الواحد بن عليّ. كتاب الإبدال، تحقيق: عزّ الدين التنوخيّ، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، 1380ه - 1961م.
- أبو عبيد (ت244ه)، القاسم بن سلّام. غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط 1، 1384ه - 1964م.
- أبو عمر الزاهد (ت345ه)، محمد بن عبد الواحد. العشرات في غريب اللغة، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، المطبعة الوطنية، عمان.
- الأزهري (ت370ه)، أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م.
- الأشمونيّ (ت900ه)، أبو الحسن نور الدين. شرح الأشمونيّ على ألَفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419ه - 1998م.
- الأنباري (ت328ه)، أبو بكر محمد بن القاسم. الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412ه - 1992م.

- الأنباري (ت328ه)، أبو بكر محمد بن القاسم. كتاب الأضداد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1407ه - 1987م.
- الأندلسيّ (ت745ه)، أبو حَيّان محمد بن يوسف بن عليّ. ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1418ه - 1998م.
- البطليوسيّ (ت521ه)، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيد. الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبد الحميد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996م.
- البطليوسيّ (ت521ه)، أبو محمد عبدالله بن محمد بن السِّيد. الفرق بين الحروف الخمسة، تحقيق: علي زوين، مطبعة العاني، بغداد.
- ثعلب (ت291ه)، أبو العباس أحمد بن يحيى. الفصيح، تحقيق: عاطف مدكور، دار المعارف. الجوزي (ت597ه)، جمال الدين عبد الرحمن بن علي. تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط 2، 2006م.
- الجوهري (ت393ه)، أبو نصر إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد العزيز العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407ه - 1987م.
- الحريري (ت516ه)، أبو محمد القاسم بن علي. دُرّة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 1، 1418ه - 1998م.
- الحميري (ت573ه)، نشوان بن سعيد. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن عليّ الإريانيّ، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1420ه - 1999م.

- الخطابي (ت388ه)، أبو سليمان حمد بن محمد. غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، 1402ه - 1982م.
- الزَّبيديّ (ت1205ه)، محمد مُرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- الزَّجّاج (ت311ه)، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري. معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408ه - 1988م.
- الزمخشري (ت538ه)، أبو القاسم محمود. أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419ه - 1998م.
- الزمخشري (ت538ه)، أبو القاسم محمود. الكَشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط 3، 1407ه.
- السَّرَقُسْطِيّ (ت بعد400ه)، أبو عثمان سعيد بن محمد. كتاب الأفعال، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهديّ علام، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1395ه - 1975م.
- السَّرَقُسْطِيّ (ت302ه)، قاسم بن ثابت. الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 1422ه - 2001م.
- سيبويه (ت180ه)، أبو بشر عمرو بن عثمان. الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1408ه - 1988م.
- السّيرافيّ (368ه)، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 2008م.

- شاهين، عبد الصبور. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي القاهرة.
- شلاش، هاشم طه. الجمع بين لغتين في كلام العرب، مجلة الآداب جامعة بغداد، العدد 20، سنة 1976م.
- ظاظا (ت1419ه)، حسن محمد توفيق. كلام العرب من قضايا اللغة العربية، 1971م.
- عبد التواب (ت1422ه)، رمضان. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1417ه - 1977م.
- عبد العال، عبد المنعم سيد. معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والاصول العربيّة، مكتبة الخانجي، مصر، ط 2.
- العسكري (ت نحو395ه)، أبو هلال الحسن بن عبد الله. الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
- العَوْتبيّ (ت511ه)، سَلَمة بن مُسلم. الإبانة في اللغة، تحقيق: عبد الكريم خليفة، ونصرت عبد الرحمن، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، وجاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط 1، 1420هـ - 1999م.
- الفارابيّ (ت350ه)، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم. ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مُختار عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1424ه - 2003م.
- الفارسي (ت377ه)، أبو عليّ الحسن بن أحمد. الحُجّة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، مراجعة وتدقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق/ بيروت، ط 2، 1413ه - 1993م.

- الفراهيدي (ت170ه)، الخليل بن أحمد. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفيروزآباديّ (ت817ه)، مجد الدين يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 1426ه - 2005م.
- الفيوميّ (ت770ه)، أحمد بن محمد بن عليّ. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
- كراع النمل (ت بعد309ه)، أبو الحسن الهنائي. المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر، وضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط 2، 1988م.
- الكفوي (ت1094ه)، أبو البقاء أيوب بن موسى. الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. دار الدعوة.
- المُحِبّيّ (ت1111ه)، محمد الأمين بن فضل الله. قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق: عثمان محمود الصينيّ، مكتبة التوبة، الرياض، ط 1، 1415ه - 1994م.
- مختار عمر (ت1424ه)، أحمد مختار عمر. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1429ه - 2008م.
- النسفيّ (ت537ه)، عمر بن محمد. طلبة الطلبة، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى، بغداد، 1311ه.
- الياسي، عائشة أمين. ظاهرة الإبدال في صوت الهمزة في لهجة إمارة الشارقة، مجلة الآداب جامعة بغداد، العدد 154، سنة 2025م.

توظيف الدلالة المعجمية عند اللغويين العرب المحدثين دراسة دلالية

م.م. فاطمة عبد الرضا محمد الحسيني
جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
fatima.Abd2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م. د. زينب هاشم حسين
جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
zainab.hashim@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى دراسة الدلالة المعجمية في ضوء علم الدلالة التطبيقي من خلال تتبّع آراء اللغويين العرب المحدثين، والكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط المعنى المعجمي بالسياق اللغوي والاستعمال الفعلي، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن المعنى المعجمي بكونه لا يُعدّ وحدة دلالية منفردة بذاتها؛ بل يمثل قاعدة أولية تتفاعل مع مستويات لغوية أخرى كالمستوى (الصرفي، والتركيبي، والسياقي) لتنتج المعنى الكلي للنص كما تحاول الدراسة إبراز التحوّل الذي شهدته النظرة إلى الدلالة المعجمية في الدرس اللغوي الحديث، من مفهوم ثابت ومجرّد إلى مفهوم دينامي يتشكل

وفق شروط الاستعمال. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي استنادًا إلى نماذج تطبيقية تُبرز أثر السياق في توجيه المعنى المعجمي.
الكلمات المفتاحية: الدلالة المعجمية، علم الدلالة، الدلالة السياقية، المعجم العربي، التحليل الدلالي.

The Use of Lexical Semantics among Modern Arab Linguists: A Semantic Study

zainab.hashim@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
fatima.Abd2303m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad, College of Education, Ibn Rushd, Department of Arabic Language

Abstract:
This study examines lexical semantics in light of applied semantics, by tracing the structure of several modern Arabic linguistic forms, and revealing the nature of the relationships that correspond to the lexical in the linguistic context and actual usage The study is based on the premise that lexical meaning is not a self-contained semantic unit, but rather represents a primary basis that interacts with other linguistic levels such as morphology, syntax, and context The study also attempts to highlight the transformation that has taken place in the view of lexical meaning in modern linguistic studies, from a fixed and abstract concept to a dynamic concept that is shaped according to the conditions of use The study adopts the descriptive analytical approach based on applied models that highlight the impact of context in guiding lexical meaning.

Keywords: Lexical semantics, Semantic, Contextual semantics, Arabic lexicon, Semantic analysis.

المقدمة:

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية علمية تتجلى في التداخل بين الدلالة المعجمية وغيرها من أنماط الدلالة اللغوية، الأمر الذي أفضى إلى اختلاف الباحثين في تحديد طبيعتها بين الثبات والتغيّر تبعًا للسياق والاستعمال، وتنبع أهميتها من محاولتها الكشف عن حقيقة هذه العلاقة من خلال تحليل التصورات الحديثة وربطها بالتطبيق النصي بما يسهم في إعادة تقويم وظيفة المعجم في تفسير المعنى كما تسعى الدراسة إلى بيان مدى قدرة المعاجم على مواكبة التحولات الدلالية التي تطرأ على الألفاظ في البيئات المختلفة، وتستمد الدراسة قيمتها عبر عرضها لآراء اللغويين العرب المحدثين واستثمارها في بناء رؤية تحليلية متماسكة.

ويعرّف الدكتور إبراهيم بن مراد الدلالةَ المعجميةَ بأنّها امتلاكُ المفردةِ دلالةً خاصّةً تستقلّ بها خارج السياق؛ إذ إنّ الوجهَ الداليّ للمفردة، بمكوّنَيْه الصوتي والصرفي، لا يكفي وحده لتكوين الدليل اللغوي، بل لا بدّ من اقترانه بوجهٍ مدلوليّ، حتى يتحقّق للدليل كونه دليلاً لغويًا بحقّ (مراد:1997م ،ص20-25) (برياق:2012،ص 64) يُشير فايز الداية إلى أنّ المعجم، يمثل المرجع الأساس الذي يضم ألفاظ اللغة وما يمكن تدوينه منها، ويصف أحوالها من حيث المعنى والدلالة. فالتراث المعجمي العربي - كما يرى - يتميز بقدرته على حفظ اللفظ ودلالته الأصلية، مما يتيح للباحث إمكانية استجلاء معاني الألفاظ وما يتصل بها من ظلال دلالية. ويرى أن المعجم يقدّم لنا الصورة الأساسية للدلالة قبل أن تخضع للتطور

أو التأويل السياقي، ولهذا فهو يعدّ المرتكز الأول في فهم المصطلحات كما استخدمها النقاد العرب، ولا سيما في الربط بين مصطلحي اللفظ والمعنى (الداية:2009م ص4140) يرى الدكتور فايز الداية أنّ الدلالة الأساسية أو المعجمية هي جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يُستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية، فهي تمثل الأصل الدلالي الثابت الذي تتفرع عنه المعاني المجازية أو الثانوية، ويضرب مثالًا لذلك بالجذر (طَحَنَ) الذي يدل في أصله على حركة وضغط لتحويل الحبوب إلى مسحوق ناعم بالرحى، وهي دلالة حقيقية مباشرة تمثل النواة الأولى للمعنى، ثم تتسع لتُحمل على دلالات مجازية متعدّدة بحسب السياقات المختلفة (الداية:2009م ص20_21) إذ يرى الداية أن الدلالة المعجمية لا تقتصر على معنى الجذر اللغوي وحده؛ بل تمتد لتشمل الأبنية الصرفية التي تُشتق منه، فيتضمن كلَّ بناء إضافة دلالية خاصة تُسهم في تحديد المعنى العام للمادة، فالدلالة الأساسية للفعل (طَحَنَ) يدخل في أبنية صرفية كثيرة تكتسب معاني فرعية من الوزن الصرفي نفسه. مثال كلمة (طَحَنَ) فيدل على الحدث المجرد، و(يَطحنُ) على الفعل المضارع الذي يقترن بالفاعل، و(سيطحن) يدل على الفعل في المستقبل، و(اطحنْ) على الأمر، بينما (طَحَّان) دالة على اسم الفاعل بصيغة مبالغة تُحدِّد صاحب الحرفة، و(مَطحون) اسم مفعول للشيء الذي جرى عليه الفعل، و(الطاحونة والطحَّانة) تدلان على الآلة التي تقوم بعملية الطحن، سواء بالحركة المائية أو الحيوانية أو الميكانيكية (الداية:2009م ص21) ويُلاحظ الداية أن بعض الصيغ اشتُقّت للدلالة على أجزاء من الجسم تقوم بوظيفة مشابهة، مثل الطواحن بمعنى الأضراس التي تُحوّل الطعام من خشن إلى ناعم، وواحدتها طاحنة. وبهذا يبيّن الداية أن التطور الدلالي في الأبنية الصرفية قائم على

الجمع بين الدلالة الأساسية للجذر والدلالة الإضافية للوزن، فيتكوَّن بذلك حقل دلالي متكامل يجمع بين الأصل والوظيفة (الداية:2009م ص21) ويُبيّن الداية أن الحالة المعجمية للألفاظ تمثل الإطار الدلالي الأصلي الذي يحيط بها، وأن العودة إلى هذا الإطار ضرورية لتفسير ميل النقاد إلى الحصول على فهم خاص للمصطلح اللغوي. كما يوضح أن هذا المستوى من التحليل يكشف عن الفرق بين من يتعامل مع الكلمة من حيث دلالتها المعجمية المفردة، وبين من يتناولها من حيث تآزرها مع غيرها في توليد المعنى المركب، وهو ما يمكّن الباحث من التمييز بين نوعين من التحليل الدلالي: التحليل المعجمي الذي يدرس المفردة في ذاتها، والتحليل التركيبي الذي ينظر في علاقتها بسياقها ومعانيها الناتجة والوظيفة (الداية:2009م، ص21).

ويتبين مما سبق أن فايز الداية ينظر إلى الدلالة المعجمية بوصفها المعنى الأولي للكلمة كما يثبته المعجم، وقد عبّر عنها بمصطلحات متعددة، مثل: (المعنى المعجمي)، و(المعنى القاعدي)، و(المعنى الأساسي)، و(المعنى المركزي)، و(الدلالة المفردة)، وكلها تشير عنده إلى مفهوم دلالي واحد أما الدكتور هادي نهر فيرى أن الدلالة المعجمية تمثل المستوى الأول من مستويات المعنى في اللغة؛ إذ تُعنى بالعلاقة الثابتة بين اللفظ ومدلوله في الواقع الخارجي، فهي دلالة وحدانية المعنى وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدال) والمسمى بها (المدلول)، حيث يقابل كل لفظ معنى مركزيًّا أو مسمّى محددًا في المحيط الخارجي. وبذلك تُعدّ هذه الدلالة المرجع الأساس في عملية التواصل اللغوي، إذ تتيح للناطقين باللغة فهماً مشتركاً للكلمة في معناها الأصلي قبل دخولها في أي سياق نحوي أو تركيبي (نهر :2007م، ص 216_217).

ويؤكد الدكتور هادي نهر أن علماء العربية الأوائل قد أدركوا أثر هذا المستوى من المعنى في توجيه المعنى النحوي، ومن ثمّ الدلالة التركيبية؛ إذ لم يفصلوا بين الدلالة المعجمية والبنية النحوية، بل رأوا أن كليهما يعملان في تكامل لتحقيق الدلالة المقصودة. فالوظائف النحوية مثل: الفاعلية والمفعولية والحالية والإخراجية والتمييزية تمثل ما أطلقوا عليه متممات الإسناد أو قيود الإسناد، وهي عناصر تحدد موقع اللفظ في التركيب وتوجّه دلالته في السياق. كما أن الحركات الإعرابية عندهم ليست مجرد علامات صوتية بل قرائن دلالية حاسمة تُبرز الفروق الدقيقة في المعاني بحسب اختلاف المواقع التركيبية. من خلال هذا الربط بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي، يبرز الدكتور هادي نهر منهجه في تحليل الدلالة العربية بوصفها نظاماً متكاملاً يبدأ من المعجم وينتهي بالتركيب، مؤكداً أن الفهم الدقيق للتركيب لا يتحقق إلا باستحضار الدلالة المعجمية التي تُعدّ منطلقاً لكل تحليل دلالي(نهر :2007م، ص222).

ونجد أيضًا أن البعض يرى أن المعنى المعجمي قد لا يفي بالغرض لتحديد الدلالة بحسب السياقات وتنوعها، فمنهم الدكتور فايز الداية، " ثم إن هذا لا يعد نقصا في الدرس المعجمي، لأنّ المنوط به إيراد المعنى المشترك أو المركزي الذي يتشعب إلى مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها، وأن الفروق أو ما نسميه بالظلال تتسع أو تضيق إلا أنها تبقى موصولة بالأصل الذي يرجع إليه في تثبيت الجدة الحادثة، أو اللمحة المضافة، ولذلك كله ليس في وسع المعجم أن يورد كل ظلال أو دلالة سياقية لأنه يتحول عندئذ إلى أعمدة من الألفاظ التفسيرية لا تكاد تنتهي" (نهر :2007م، ص 216_217) وتبيّن الباحثة أن هناك تباين منهجي في ربط المعنى المعجمي لدى كلٍّ من فايز الداية وهادي نهر؛ إذ

يتجه الداية إلى ربط توجيه الدلالة المعجمية بمعنى الصيغة الصرفية وما تحمله من قيمة وظيفية تسهم في تحديد مجال استعمال المادة اللغوية، بينما يركّز هادي نهر على ارتباط المعنى المعجمي بالبنية النحوية ووظائفها التركيبية، بوصفها العنصر الحاسم في توجيه الدلالة داخل السياق.

خصائص المعنى المعجمي عند المحدثين العرب:

ويشير الدكتور فريد عوض إلى أن المعنى المعجمي يتميز بخصائص مركزية، متعددة تجعل منه أداة أساسية لفهم بنية المعنى اللغوي قبل التطرق إلى السياق أو الاستخدام وهي(حيدر:2007م، ص51)

1. معنى عام: يُنظر إلى المعنى المعجمي على أنه معنى شامل وغير مقيد بسياق معين، أي أنه يمثل جوهر اللفظ في حد ذاته قبل أن يخضع لتحديد السياق الذي يقيده ويضبطه، مما يتيح للباحث دراسة المعنى في صورته الأساسية والثابتة.

2. معنى متعدد: للكلمة معانٍ متعددة في المعجم لأنها قابلة للاستخدام في سياقات متنوعة، ويكتسب كل سياق جديد معنى خاصًا للفظ، ويظهر هذا التعدد عند دراسة استخدامات الكلمة في النصوص العربية القديمة والحديثة، مما يعكس مرونة اللغة وقدرتها على إنتاج دلالات متباينة ضمن نظم سياقية مختلفة

3. معنى غير ثابت: دلالة الكلمة ليست ثابتة أو جامدة، بل هي قابلة للتطور والتحول بفعل عمليات التعميم أو التخصيص أو الانتقال بين مستويات المعنى، فقد ترتفع دلالتها أو تنخفض بحسب الاستخدام والسياق، وهو ما يُعرف عند الدكتور فريد عوض بـ التغير الدلالي للكلمة.

أما مفهوم الدلالة المعجمية أو ما يطلق عليها بالدلالة الاجتماعية عند الدكتور حمدي بخيت عمران هي الدلالة التي وضعها الأسلاف للألفاظ، وتكفلت المعاجم ببيانها على وفق ما ارتضته الجماعة اللغوية واصطلحت عليه، فهي تمثل المعاني الأصلية المتداولة في الحياة اليومية، والتي يكتسبها الفرد بالتلقين والسماع والقراءة، حتى يتمكن من السيطرة على لغة مجتمعه وقد عمل العرب على جمع تراثهم اللغوي في المعاجم التي مثّلت مرحلة لغوية محددة، هي عصر قوة اللغة العربية، غير أن هذه المعاجم - كما يشير الدكتور حمدي بخيت عمران - لا ترصد التغير الدلالي الذي يطرأ على الألفاظ بمرور الزمن، إذ تكتفي بتفسير الألفاظ كما وردت في زمن الجمع دون ملاحظة التطور في المعنى أو نسبته إلى مستعمليه الحقيقيين(عمران: 2007م، ص 49) ويفرّق الدكتور حمدي بخيت عمران بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية من حيث النظر؛ فالأولى تعكس المعنى الذي استقر في المعاجم، أما الثانية فتمثل المعنى الحي المتحقق في التواصل الواقعي بين الناس، وهو الهدف الأساس في كل عملية لغوية. ويرى أن النطق بالأصوات والرموز اللغوية ما هو إلا وسيلة لتحقيق الفهم والإفهام الاجتماعيين. ويشير إلى أن المحدثين من اللغويين قد أولوا هذه الدلالة اهتماماً كبيراً، وجعلوها فرعاً مستقلاً في الدراسات اللغوية تحت اسم علم الدلالة (Semantics)، مشيرًا إلى أن كثيراً منهم لا يفرّق بين الدلالة المعجمية والاجتماعية، لأن المعاجم - قديمها وحديثها - تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفًا أساسيًا (عمران: 2007م، ص50)

ويشير الدكتور حمدي بخيت إلى أن فهم الدلالة الاجتماعية لا يتحقق إلا من خلال سياق الحال الذي يضم صفات المتكلمين والسامعين ونشاطهم اللغوي وغير اللغوي، كالصمت، والضحك، والإشارة، وما يصدر عنهم من

استجابات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية(عمران: 2007م، ص50) وقد عَرَّف الدكتور أحمد نعيم كراعين الدلالة المعجمية "بأنها المعاني المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة، المرتبة ترتيبًا معينًا في لغة واحدة أو أكثر" (الكراعين :1993م، ص103) ويشير الدكتور أحمد نعيم كراعين أن الكلام عن الدلالة المعجمية، - فضلاً عن غموضها واختلاف الآراء حولها- يدفعنا إلى تناول المعنى الأصلي أو الوضعي أو الحقيقي الذي استقر عليه الأصوليون والبلاغيون واللغويون فالأصوليون يربطون الحقيقة بالوضع الاصطلاحي، ولا سيما الحقيقة الشرعية، ولما تعددت عندهم الحقائق سعوا إلى ضبطها بحدود جامعة. أما البلاغيون، فنرى علماً من أعلامهم وهو السكاكي يضيف تعريفًا يتسم بالغرابة والغموض فالحقيقة عنده بأنها الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، وهو تعريف لا يخلو من غرابة وإشكال؛ إذ يثير تساؤلات حول كيفية دلالة الكلمة بنفسها، وإمكان تتبع ألفاظ اللغة لمعرفة واضعها الأول ودلالتها الأولى. ويبدو أن هذا التعريف يمكن تطبيقه - إلى حد ما - على الألفاظ ذات الدلالة الشرعية لارتباطها بنص محدد في زمن معين، وكذلك على بعض الألفاظ المرتبطة بالاختراعات العلمية في بيئات مخصوصة. غير أن تعميمه على سائر ألفاظ اللغة يظل إشكاليًا، لأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، ولا ما يمنع من انحراف الدلالة وتغيرها بتعدد الأسباب والعوامل، الأمر الذي يجعل وصف المعنى بالحقيقي أو الوضعي قائمًا على الحدس والترجيح أكثر من قيامه على دليل لغوي قاطع (عمران :2007، ص 103_104) أما الدكتور فريد عوض فيشير إلى أن دراسة الدلالة المعجمية تتصل بفروع أساسية متعددة انبثقت عن علم اللغة الحديث، وتختص كل منها بدراسة الكلمة من منظور دلالي محدد، وهي:

1. علم الدلالة (Semantics): يركّز على دراسة المعنى اللغوي للكلمة، سواء على المستوى المعجمي أو السياقي (حيدر:2005م، ص48) (فحام:2016م، ص 13).

2. علم المفردات (Vocabulary): الذي يهتم بدراسة الألفاظ من حيث اشتقاقها وأبنيتها ودلالاتها، كما يعنى بالمترادفات والمشتركات اللفظية والتعابير الاصطلاحية والسياقية، وبذلك يوفر معلومات شاملة عن المواد اللغوية التي تُدرج في المعجم(القاسمي :2003م، ص 20) (مهدي :2011م، ص 23).

3. علم المعاجم (Lexicology): ويرتبط بعلم الدلالة ارتباطًا مباشرًا، ويعد فرعًا مستقلًا من فروع علم اللغة، إذ يختص بحصر مفردات اللغة وتصنيفها ودراستها، وبيان معانيها أو دلالاتها المعجمية، تمهيدًا للعمل المعجمي (خليل: 1999م،ص157) وقد لاحظ الدكتور فريد عوض أن الدلالة المركزية أو المعجمية تُعدّ الأساس الذي ينطلق منه أيَّ تحليل دلاليّ؛ إذ لا يمكن دراسة الكلمة إلا بعد تحديد الدلالة المعجمية لها. فهي تمثل الجوهر المشترك للفظ بين جميع أفراد المجتمع اللغوي، أيّ المعنى الذي يلتقي عليه مستخدمو اللغة، ولتوضيح ذلك، يستعمل الدكتور فريد عوض كلمة «بحر» الدلالة المركزية للكلمة هي المجرى الواسع المليء بالماء المالح، وهو القدر المشترك من الدلالة الذي يفهمه جميع أفراد المجتمع عند سماعهم للكلمة. مع ذلك، قد تختلف التجارب الشخصية والمشاعر المرتبطة باللفظ بين الأفراد: فبعضهم قد يشعر بالخوف عند سماع كلمة «بحر» نتيجة تجربة سابقة مؤلمة، بينما قد يشعر آخر بالفرح أو المتعة عند التمتع بالسباحة أو النظر إلى البحر. وبذلك، تؤكد الدلالة المركزية على أن المعنى الأساسي للكلمة مشترك بين جميع أفراد المجتمع

اللغوي، في حين تبقى الظلال الدلالية الخاصة والتجارب الفردية متغيرة ومتنوعة بين المستخدمين. ومن هذا المنطلق، تشكل الدلالة المعجمية نقطة الانطلاق لأي دراسة تحليلية للمعنى، فهي تعطي الباحث المرجعية الثابتة والموحدة قبل الانتقال إلى الدلالات الأخرى(حيدر :2005م، ص48-49) يتتبع الدكتور فايز الداية - في سياق علم الدلالة التطبيقي - معالجة (الدلالة المعجمية) عند النقاد العرب القدامى خصوصًا؛ إذ يظهر فيها وعي النقاد بأبعاد اللفظة ودلالاتها الجزئية وإن لم يستخدموا مصطلح «الدلالة» صراحة؛ فقد أكثر النقاد العرب القدماء من استعمال مصطلحي «الألفاظ» و«المعاني» في نطاقٍ عام يتصل بالدلالة، دون تقييدهما بمستوى اللفظ المفرد أو بالمصطلح الدلالي الدقيق. ولذلك، يدعو إلى تتبع الأعمال النقدية التي تُعنى بالمفردة الواحدة في سياق تحليل النصوص وشرحها (الداية :2009م، ص 62) ويشير الداية إلى أن هناك اتجاهين رئيسين في تعامل النقاد مع الألفاظ:

الأول: هو اتجاه الصواب والخطأ اللغوي، حيث يدرس الناقد دلالة اللفظة ليبيّن موضع الانحراف في استخدامها أو مدى دقتها في التعبير عن المعنى المقصود، وغالبًا ما يأتي ذلك ضمن مناقشات نقدية تهدف إلى الكشف عن الغموض أو اضطراب الدلالة في الشعر أما الاتجاه الثاني فهو التطور الدلالي، حيث يتتبع الناقد تحولات المعنى عبر الزمن، مبيّنًا الفروق بين الدلالة الأصلية للفظة ودلالتها الجديدة في استعمال الشاعر، ومظهرًا كيف يمكن أن تتوسع أو تتضيق دلالة اللفظة أو تنتقل من مجالٍ إلى آخر بحسب التطور الدلالي(الداية :2009م، ص 62-63) لاحظ فايز الداية أن الآمدي (ت370هـ) قد أولى عنايةً خاصة بدراسة الألفاظ المفردة وتحليلها، مخصصًا لهذا الجانب جهدًا واضحًا يفوق ما بذله النقاد الآخرون، ويمتاز

الآمدي في هذا المجال بمنهج دلالي تطبيقي يسعى من خلاله إلى تفصيل جوانب دلالة اللفظة الواحدة، والبحث في موضعها الصحيح، ومقارنتها بمرادفاتها المحتملة. كما يقرن حكمه بالسياق الذي ترد فيه الكلمة، مبيّنًا مدى ملاءمتها في ضوء حدودها الدلالية الفردية، وعلاقتها بالمفردات الأخرى التي تجتمع معها في السياق لخدمة مقصد تعبيري معين (عمر:2006م، ص54-55).

ويقرر الدكتور فايز الداية أن الآمدي لا يُعنى في جميع المواضع بضبط المصطلحات الدلالية ضبطًا منهجيًا دقيقًا؛ إذ يجد له أمثلة تستعمل فيها مصطلحي اللفظ والمعنى في نطاق الدلالة الفردية، في حين تفتقر أمثلة أخرى إلى النصّ الصريح على المصطلح، على الرغم من اشتمالها على المضمون الدلالي ذاته. ويثير هذا المنهج لدى الآمدي قضيةً على قدر كبير من الأهمية، تتمثل في مدى وعي النقاد العرب القدامى بمسائل الدلالة وتحليلها، حتى في الحالات التي لم يوظفوا فيها مصطلحات اصطلاحية محددة (عمر:2006م، ص54-55) لذلك حدد فايز الداية المواضيع التي صرح فيها الآمدي بمصطلح اللفظ والمعنى قاصداً الدلالة المفردة في تعليقه على بيت أبي تمام:

هُنَّ عَوادي يوسُفٍ وَصَواحِبُه فَعَزماً فَقِدماً أَدرَكَ الثَّأر طالِبُه

(الآمدي، ص 20) فقوله: «عوادي يوسف وصواحبه»، موضحًا أن لفظة «عوادي» تعني «صوارف»، أي ما يصرف الإنسان ويمنعه عن أمرٍ ما. ويُقال في العربية: عداني عنك كذا أي صرفني. فالشاعر أراد الإشارة إلى الصوارف التي صرفت يوسف عن أمرٍ ما، كالتقوى أو العزم أو الهوى، إلا أنه لم يُحدد جهة الصرف، فجاء اللفظ ناقص الدلالة ما لم يُستكمل بسياقٍ يوضح ما صُرف عنه يوسف. فـ (عوادي يوسف وصواحبه) مثالاً تطبيقياً

على أن بعض الألفاظ في اللغة لا تؤدي معناها تامًّا إلا بقرينةٍ مخصِّصةٍ توضح وجه الدلالة، فهي ألفاظ «غير قائمة بنفسها» لأنها تحتمل أكثر من وجه دلالي. فلو قال الشاعر مثلاً: (هواتن يوسف) أو (شواعف يوسف) لكان اللفظ قائماً بذاته، لأن معناه يُفهم دون حاجة إلى تحديد إضافي، أما لفظة «صوارف» (عوادي) فهي محتملة وتحتاج إلى توضيحٍ بسياقٍ لاحق (الداية :2009م، ص 55) (مهدي:2011م، ص45) وهذا ما لاحظه الداية، عند الآمدي أن دلالة بعض الألفاظ قد لا تتحقق بالكامل ما لم يُحدد سياق استخدامها؛ إذ يمكن أن تأخذ أكثر من وجه دلالي بحسب الموقف الذي تُستعمل فيه، كما في لفظة (صوارف)، وفي المقابل، هناك ألفاظ أخرى تفي بمعناها مباشرة دون حاجة إلى سياق محدد، فلا تؤدي الظلال أو التعدد إلى تعتيمًا أو إبهام في الدلالة، كما في ألفاظ (هواتن، شواعف) (الداية :2009م،ص 56) وقد خَلَص الدكتور فايز الداية إلى أن النقاد، ولا سيما الشراح، يمنحون اهتمامًا بالغًا بالدلالة، حيث ينحون منحًى دلاليًا واضحًا في تحليل المفردة، من دون الالتزام بترتيب المواد أو اتباع اصطلاحات محددة للفظ والمعنى، بل يركزون على إبراز الدلالة الجوهرية للفظة في سياقها واستعمالها (الداية :2009م،ص63) أما الدكتور هادي نهر فقد لاحظ أثر (الدلالة المعجمية) عند الأصوليين والمفسرين العرب، إذ يُبرز ملاحظة دقيقة تتصل بطبيعة الدلالة المعجمية في اللغة العربية، مبيناً أن العلماء القدامى قد التفتوا إلى أن هذا النوع من الدلالة يكون أوضح ما يكون في الألفاظ المحددة ذات المعنى الواحد، مثل الألقاب، والمصطلحات، والأسماء الخاصة التي لا تحتمل إلا دلالة تعريفية واحدة. وقد حظي ذلك باهتمام علماء الأصول، فبحثوا في ثبات المعنى ووضوحه، بينما رأى المفسرون أن هذه الدلالة تنطبق على الآيات القرآنية التي بقيت

على معناها الأصلي، مثل الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وصفاته، كالآيات من سور الحشر والواقعة، وهي عندهم من المحكمات التي لم يدخلها نسخ أو تأويل (نهر:2007م ص218) ثم يوضح هادي نهر أن الدلالة المعجمية على الرغم من ثباتها النسبي تميل إلى التعدد والمرونة، لأن كثيراً من الألفاظ في العربية يتسع معناها أو يتغير بحسب السياق، فلا تُفهم دلالتها الدقيقة إلا في ضوء موقعها في الكلام. وهذا التنوّع في المعنى أدى إلى اختلاف العلماء في تفسير الألفاظ القرآنية، فظهرت مؤلفات متعددة مثل (غريب القرآن) و(غريب الحديث) و(اللغات في القرآن)، هدفها تفسير الألفاظ الغامضة وبيان تطورها الدلالي(نهر:2007م، ص218_219) (سعيد:2016م، ص 32) ورأي هادي نهر أن الوعي اللغوي عند العلماء الأوائل تجاوز حدود المعجم، إذ أدركوا أن المعنى لا يكتمل إلا بتفاعل اللفظ مع السياق القرآني، وأن الدلالة المعجمية تشكّل الأساس الثابت الذي تنبني عليه الدلالات السياقية والتفسيرية في النص العربي (نهر:2007م، ص219) (طه:2016، ص 20) وايضًا تناول الدكتور فريد عوض مفهوم الدلالة المعجمية من أثناء دراستها في المعاجم العربية، متتبعاً منهج المعجميين في عرض المعاني وتحليلها، وقد اعتمد في دراسته على نموذجين تطبيقيين هما: تاج العروس والمعجم الوسيط (حيدر :2005م، ص 51) مركزية الدلالة المعجمية في التطبيق الدلالي:

يلاحظ الدلاليون المحدثون أن الدلالة المعجمية حجر الأساس الذي تتفاعل معه بقية الدلالات التركيبية، والسياقية، وتتبدى في الاستعمال من معناها المعجمي الأساس إلى معانٍ متعددة ومتنوعة بفعل جملة من المتغيرات الاجتماعية والثقافية إلى دلالات أوسع أو أضيق أو تتحول إلى أخرى غيرها أو تتطور بما ينسجم مع السياق الدلالي الجديد؛ فقد بيّن

الدكتور فريد عوض، في أثناء دراسته لكلمة «أبر» في تاج العروس، حيث كشف عن تعدد الدلالات المعجمية للكلمة التي يمكن إرجاعها إلى دلالتين رئيسيتين: (حيدر :2005م، ص 54)

1. الدلالة على الإصلاح، كما في عبارة تأبير النخل، أي إصلاحها.
2. الدلالة على الإفساد، كما يظهر في استعمال الكلمة للدلالة على النميمة أو الاغتياب.

ويلاحظ هنا أن هاتين الدلالتين متضادتان، ويُعزى هذا التباين إلى التغير الدلالي الذي يطرأ على الكلمة بحسب السياق والاستخدام. فـ«أبر» تظهر في معانٍ متعددة: كالإبرة بمعنى مسلة الحديد أو المخيط، وكعظم أو وتر العرقوب، وطرف الذراع من اليد، وفيل المقل، وكلها حالات مجاز العلاقة المشابهة. كذلك تأتي «أبر» بمعنى إبرة العقرب، ومن هذا الاستخدام تولّدت الدلالات الإضافية للنميمة، وإفساد ذات البين، والاغتياب، إذ يقوم ربط المعنى بالعلاقة المشابهة بين من يغتاب وبين العقرب التي تأبر، وأما أبر بمعنى أصلح فلان من يأبر النخل يصلحها، وتوسع مفهوم «أبر» ليشمل كل مصلح صنعة، وهو تعميم للدلالة الأساسية للكلمة. ويوضح فريد عوض إلى أن هذه المداخل الثلاثة تحقق خصائص المعنى المعجمي، فكل منها متعدد الدلالات، ولا تحصره دلالة واحدة ثابتة، ما يعكس حدوث التغير الدلالي واستمرار تحول المعنى بحسب السياق والاستخدام (حيدر :2005م، ص 54) (جعفر:2015م، ص19) وفي المعجم الوسيط، يؤكد عوض استمرار هذا النمط الدلالي للكلمة، إذ يبرز تعدد الدلالات وتفاعلها مع السياق، ما يوضح أهمية دراسة التحولات المعجمية في رصد تطور المعنى لدى العرب القدماء والمعاصرين على حد سواء إذ تتوزع عناصر المعنى المعجمي لكلمة «أبر» على ثلاثة مستويات:

1. الدلالة المركزية: المعنى الأساسي للكلمة، ويشمل البعد الاجتماعي مثل أبر بمعنى لقح النخل أو لدغ العقرب، وكذلك وصف من يقوم بعملية التلقيح.
2. الدلالة الهامشية: المعاني المشتقة والمجازية، مثل الإبرة بمعنى المخيط، ولسع النحلة، والنميمة والاغتياب، والمسلة الحديدية، وإبرة الفونوغراف والمغنطيسية.
3. درجة التطابق: تقوم على العلاقة المجازية بين الدلالة المركزية والهامشية، إذ تنشأ المعاني الجديدة من التوسع المجازي للمعنى الأصلي، ما يعكس التغير الدلالي ومرونة الكلمة في الاستخدامات المختلفة (حيدر :2005م، ص 55) (فحام:2016م، ص41).

الخاتمة:

توصلت هذه الدراسة إلى أن الدلالة المعجمية تمثل الأساس الأولي في بناء المعنى، غير أنها لا تعمل بمعزل عن السياق اللغوي وبقية المستويات اللسانية، وقد بيّنت آراء اللغويين العرب المحدثين أن المعنى المعجمي يكتسب قيمته الدلالية الكاملة من خلال تفاعله مع السياق، مما يؤكد الطابع الوظيفي والدينامي للدلالة. كما أظهرت الدراسة أن التكامل بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية يُعدّ مدخلًا أساسًا لتحليل النصوص تحليلًا دلاليًا دقيقًا، وبذلك تتأكد أهمية إعادة النظر في وظيفة المعجم العربي، والانتقال به من مجرد سجلّ للمعاني إلى أداة تفسيرية تسهم في فهم الاستعمال اللغوي.

نتائج البحث:

1. أثبتت الدراسة أن الدلالة المعجمية تمثل المستوى الدلالي الأول في فهم المعنى.
2. تبيّن أن المعنى المعجمي ليس ثابتًا، بل يتغيّر تبعًا للسياق والاستعمال.
3. جود علاقة تكاملية وثيقة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية.
4. أسهم اللغويون العرب المحدثون في تطوير مفهوم الدلالة وربطه بالتحليل التطبيقي.
5. للدلالة الصرفية والتركيبية دور فاعل في توجيه المعنى المعجمي.
6. لا يكفي الاعتماد على المعجم وحده في تفسير المعنى دون مراعاة السياق.

المصادر والمراجع:

- الآمدي، د.ت، سيف الدين علي بن محمد، أبو الحسن، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط4، دار المعارف- مصر.
- الداية، فايز،2009م، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية تأصيلية نقدية)، ط8، دار الفكر- دمشق.
- حيدر، فريد عوض،2005م، علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية)، ط6، مكتبة الآداب، القاهرة.
- عمر، أحمد مختار، 2006م، علم الدلالة، ط6، مكتبة عالم الكتب - القاهرة.
- عمران، حمدي بخيت، 2007م، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق،ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة.

- القاسمي، علي،2003م، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة لبنان.
- نهر، هادي،2007م، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن.
- الكراعين، أحمد نعيم،1993م، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-بيروت.
الرسائل والأطاريح:
- ربيعة برياق، 2012م، الدلالة المعجمية عند العرب دراسة نظرية وتطبيقة و(أطروحة كتوراه)، جامعة العقيد الحاج لخضر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وأدابها.
البحوث والدوريات:
- جعفر، مشتاق قاسم،2015 م، المنهج المعجمي في تحليل النص الشعري المصاحبات المعجمية انموذجا، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (212) المجلد الأول.
- سعيد، .م. د. محمد قاسم، 2016م، من مظاهر توظيف القراءات القرآنية في المعاجم العربية- أثر اختلاف البنى في تعدد المعاني المعجمية -، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (218)، المجلد الأول.
- طه، أطياف علاء ياسين، السياق اللغوي والتغير الدلالي في أساس البلاغة للزمخشري، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، ملحق العدد (219).

- فحام، م. د. صفاء توفيق فحام، 2016م، الدلالة في غرر الآيات القرآنية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد تربية ابن رشد، العدد (219)، المجلد الأول.
- مهدي، د. جنات محمد، 2011م، دلالة المفردة القرآنية في بيان لغة الجسد والإيحائية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد العدد (168).

المعجم الكبير دراسة في ضوء النظريَّة الإحاليَّة

م. م صفاء أكرم حنتوش وزارة التربية
Safaa.Akram 2202@coart.uobaghdad.edu.iq
أ.د. لمى فائق جميل جامعة بغداد/ كلية الآداب

الملخص:
تُعَدُّ النظريَّة الإحاليَّة كما قدّمها أوغدن ورتشاردز من أهم النظريات في دراسة المعنى في المعجمات من خلال نظرية التعريف التي تُعدُّ من أسس بناء أي معجم لغوي، فلا شك في أنَّ أي معجم يسعى بالدرجة الأولى إلى محاولة ضبط العلاقة بين الدال والمدلول، أو المدخل والتعريف. ويتجلى نشاط المعجمي أكثر ما يكون في بناء التعريف، من أجل الوصول إلى المعنى بأوجز عبارة، إمَّا انطلاقًا من أبسط صورة، من طريق ربط معنًى غير معروف بمعنًى معروف، وإمَّا من أعقد صورة من طريق تحليل سمات المدخل أو إيجاد أثره أو استعماله إذا كان على درجة عالية من التجريد والغموض، وتكمن أهمية النظريّة الإحالية في أنها استطاعت نقل صناعة المعجمات الحديثة من تصور تقليدي يعتمد على ربط اللفظ بالشيء مباشرة، إلى تصور علمي أكثر دقة يميز بين الرمز اللغوي والتصور الذهني والمرجع الخارجي. ويعد المعجم الكبير من المعجمات الحديثة، التي

تأثرت بالنظريات اللسانية، وحاول القائمون على المعجم، الإفادة من جميع النظريات اللسانية التي ترتقي بعمل المعجم، ومنها النظرية الإحاليّة.
الكلمات المفتاحية: المعجم الكبير، النظرية الإحالية، نظريّة التعريف، الصناعة المعجمية.

Al-Muʿjam al-Kabīr: A Study in Light of Referential Theory

Abstract:

Lecturer Safaa Akram Hantoush Prof. Dr. Lama Faeq Jameel
Ministry of Education / Al-Rusafa Third Directorate
University of Baghdad / College of Arts

The referential theory which was explained by Ogden and Richards is considered one of the most significant theories in the area of lexical semantics especially in the domain of dictionary building relying on the method of definitions. Its guesses form the basis of one of the pillars of modern lexicography: the systematization of the signifiers of linguistic, and the signified referents to which they relate. It goes without saying that the main role of any dictionary is to control the correlation between a signifier and its signified or, to put it differently, the correlation between a signified and an entry. This control role is most clearly seen in the work of the lexicographer in creating definitions that are aimed at expressing meaning as concisely as possible. The construction process can be made either on a bare minimum where a new meaning is affixed to an old meaning or can remain a more detailed position where the lexical item is questioned about its component features, its semantic implications or its patterns of usage, especially

when the term is incredibly abstract or ambiguous. What is important about referential theory is that it has helped to change the traditional paradigm of a direct correspondence between a word and an object to a more accurate, scientifically rigorous vision of finding a distinction between linguistic symbols, mental representations, and external referents. Al-Muajam al-Kabir is also an example of the recent dictionaries which were influenced by the linguistic theory, and its editors purposely included a range of theoretical knowledge, such as referential theory, in order to provide a high quality and accuracy of the lexicographical output.
Keywords:Al-Muʿjam al-Kabīr; Referential Theory; Theory of Definition; Lexicography.

المقدمة:

لقد كشفت النظريّة الإحاليّة أن العلاقة بين الكلمة والشيء ليست علاقة مباشرة، بل تمرّ عبر وسيط عقلي، الأمر الذي أعاد تشكيل منهج التعريف في المعجمات الحديثة. وأسهم هذا التصور في توجيه المعجمي إلى ضرورة تحديد طبيعة المرجع لكل لفظ، والتمييز بين ما له مرجع مادي محسوس وما له مرجع ذهني مجرد، ليُبنى التعريف على وفق ذلك، إمّا بوصف خصائص الشيء إن كان محسوسًا، وإما بصياغة مفهومه الذهني إن كان معنى مجردًا كالحرية أو الديمقراطية.

ولأن الجانب المادي كان الأكثر عناية في النظرية الإحاليّة، والأكثر حضورًا في المعجم الكبير فقد أرتأيت دراسة المواد التي أرفق تعريفها بالصور، لبيان أهمية الصورة في المعجم، ولا سيما إذا ما علمنا من أنَّ الصور في

المعجمات الحديثة لم تعد وسيلة تزيين وترف، بقدر ما أصبحت عنصرًا دلاليًا؛ لأنها أخذت تحقق أحد أهداف النظرية الإحاليّة، وهو إحكام العلاقة بين الكلمة وما تشير إليه في العالم؛ إذ تتضح أهمية الصورة في المعجم من خلال دورها المحوري في تدعيم الجانب الإحالي للمعنى؛ إذ إنها تمثّل الوسيط الأكثر مباشرة بين الرمز والمرجع. فعلى وفق النظريَّة الإحاليَّة، لا ينتقل المعنى من اللفظ إلى الشيء إلا عبر التصور الذهني، والصورة تسهم في تشكيل هذا التصور بصورة دقيقة ومطابقة للمرجع الخارجي. فضلًا عن أنها تساعد على إزالة الغموض الدلالي في الألفاظ المشتركة، وتحديد حدود المعنى من خلال عرض السمات المرئية للمرجع.

وقد جاءت الدراسة على مبحثين تضمن المبحث الأول: دراسة مفهوم النظرية الإحاليّة، والركائز الأساسية التي قامت عليها النظرية، وتضمن المبحث الثاني: دراسة النظرية الإحاليَة في المعجم الكبير.

المبحث الأول: دراسة مفهوم النظرية الإحاليّة، والركائز الأساسية التي قامت عليها النظرية

أولاً: مفهوم النظرية الإحالية:

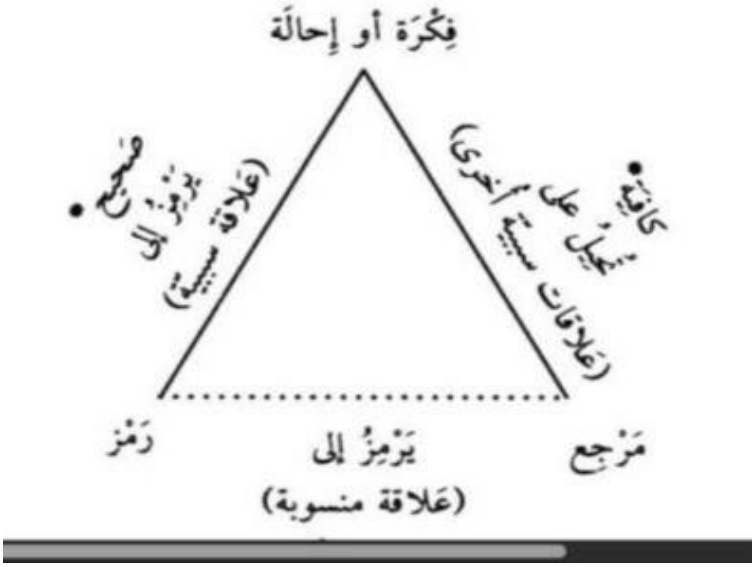
تُعدُّ معالجة طبيعة المعنى، من أكثر القضايا اللسانية تعقيداً؛ لعدة اعتبارات منها أن لفظ معنى في حد ذاته بقي غامضاً تتعاوره النظريات المنطقية والدلالية من وجهات نظر متباينة. (جيلالي حلام، 1999، ص12). وقد قدم أوغدن ورتشاردز مساهمة محورية في دراسة المعنى والتعريف من خلال كتابهما معنى المعنى (The Meaning of Meaning) الصادر عام 1923، فلا شك أنّ مفهوم المعنى كان حاضرًا منذ أن بدأ البشر الأوائل التواصل، فقد أدركوا أن كل ما يقولونه تقريبًا له معنًى عندهم، وأنَّ الفرق

الرئيس بين كيف نُظِر سابقا إلى المعنى وكيف نظر أوغدن ورتشاردز إليه هو ذهاب الكثير من الباحثين إلى أنَّ لكلِّ معنًى واحدًا صحيحًا مرتبطًا بها، في حين أنّ اوغدن ورتشاردز، قد سعيا إلى تحليل الكيفية التي تتشكل بها المعاني داخل اللغة متجاوزين الفكرة التقليدية التي تربط بين الكلمة ومعناها بشكل مباشر، وقد واجها هذا الزعم بنظريتهما التي سمّياها بـ(خرافة المعنى الخاص)، والتي تنص على أن لا وجود لمعنًى واحدٍ صحيحٍ مرتبط بكل كلمة، ذلك بأن كل كلمة تعني شيئًا ما مختلفًا لكل شخص، أو، بعبارة أبسط، لأن المعاني لا تكمن في الكلمات، بل تكمن في البشر، وهذه هي الفكرة الرئيسة في نظرية المعنى. (ينظر: يحيى كيان. 2015، ص69). فقد أكدا على أن الكلمات لا تحمل معانيها بذاتها، بل تستمد دلالاتها من العلاقات التي تقيمها داخل النظام اللغوي والتجربة البشرية (ينظر: أوغدن وريتشاردز، 2015، ص68). وإنَّ معرفة أنَّ مصدر المعنى إنما هو الأفراد يؤدي إلى إزالة الخلط ومنع النزاع عند التواصل مع الآخرين. ولفهم المعنى عند أوغدن ورتشاردز، من المهم فهم نظرية التعريف (Definition Theory)، ونظرية الرَّمز (Symbol Theory)، والتي يمثل المثلث الإحالي فيها قطب الرَّحى فيها. (ينظر: يحيى كيان. 2015، ص69)

يعدُّ المثلث الدلالي أحد المفاهيم الأساسية التي طرحها أوجدن ورتشاردز في كتابهما معنى المعنى (The Meaning of Meaning)، وهو نموذج يوضح العلاقة بين الرمز (Symbol): أي الكلمة أو الرمز المستخدم في التعبير، وبين المرجع (Referent): أي الشيء الذي تحيل عليه الكلمة في الواقع، وبين الإحالة أو الفكرة الذهنية (Thought or Reference): أي التصور العقلي أو الفكرة التي يكونها الفرد عن الشيء. وقد استعمِل هذا النموذج لتفسير كيفية فهم البشر للغة، إذ يؤكد أوغدن ورتشاردز أن

المتكلمين عندما يستعملون كلمات معينة فإنهم لا يستحضرون المعنى بشكل مباشر، بل يعتمدون على تصوراتهم الذهنية التي تشكلت من خلال الخبرة والتفاعل مع العالم، أي أنَّ العلاقة بين اللغة والمعنى تعتمد على إدراك المتكلم والسامع، مما يجعل فهم الكلمات عملية نفسية معرفية تتأثر بالسياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة. (ينظر: أوغدن وريتشاردز، 2015، ص69- 70).

ومن أجل تجنّب الخلط بين العوامل اللغوية المختلفة اقترح أوغدن ورتشاردز مثلث التأويل الذي أعيد إنتاجه على نطاق واسع، وتطلَّب المثلث قدر غير قليل من التأويل، إذ إنّ التصور الذهني كان الحاسم في معالجة المعنى فيه، فبعد أن كانت الدلالة عند سوسير كيانا ذا مكونين هما الفكرة والصورة الصوتية أصبحت عند أوغدن ورتشاردز كيانا ذا أبعاد ثلاثة، هي أولًا: الرمز (symbol): ويقصد به الكلمة المنطوقة نحو كلمة (مِنضَدة)، ثانيًا: الفكرة(thought) أو الإحالة (reference) التي تحضر في ذهن السامع حين يسمع رمز أو كلمة (مِنضّدة)، وهذا المحتوى العقلي قد يكون صورة بصرية، أو صورة مهزوزة، أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني، طبقًا للحالة المعينة، ثالثًا: المرجع(referent)، أي الشي نفسه الذي ارتبط ذهنيًا بشيء آخر. والمثلث الآتي يوضح هذه المكونات والعلاقات التي تربط ما بينها ولتوضيح مفهوم المعنى بسهولة اقترح أوغدن ورتشاردز مخطط المثلث الدلالي لإيضاح العلاقة بين العوامل الثلاثة، فالعلاقات التي تصل بينها ممثلة بأضلاعه. (ينظر: يحيى كيان. 2015، 83- 84).



(أوغدن ورتشاردز، 2015، 70)

فالعلاقات بَيْنَ الفكرة thought والرمز symbol تَكون سَبَبِيَّة. فالرَّمز الذي نستعمِلُه حينَ نتكلَّمُ تُسَبِّبُه جُزئيا الإحالة التي تُنشِئُها، وجُزئيا العَوامِل الاجتماعية والنَّفْسِيَّة الغرَض الَّذِي مِن أَجْلِهِ نُنشِئُ الرَّمزَ، والأَثَرُ المُفتَرضُ لِرُموزنا في الآخرين، ومَوقِفُنا نَحنُ. وحينَ نَسمَع ما يُقالُ تُسَبِّب الرُّموز لنا أمرين، أحدهما: إن الأداء فِعل إحالي، والآخَر: اتِّخاذ مَوقِف يَكونُ، استنادًا إلى الظروفِ، مُشابِهًا تقريبًا لفعل المتكلم وموقفه، وثمة علاقةٌ أيضًا بَينَ الفكرةِ thought والمرجع referent مُباشِرَةٌ تَقْرِيبًا (كما: تفكيرنا في سطح مُلَوَّنٍ نَرَاهُ أو شُهودِنا له)، أو غيرُ مُباشِرَةٍ (كما في تفكيرنا، بنابوليون أو إحالتنا عليه، وفي هذه الحالة قد تكون هناك سلسلة طويلة جدًّا مِن الأحوالِ العَلامِيَّةِ الَّتي تَتَخَلَّلُ بينَ الفِعلِ وَمَرْجِعِهِ، نحو: تاريخي - سجل مُعاصِرٍ - شاهد عيان- مرجع (نابوليون)، أمّا بينَ الرَّمز symbol والمرجع referent فلا تُوجَدُ عَلاقَةٌ ذاتُ صِلَةٍ سِوَى العلاقة غير المباشرةِ التي تَكمُن في أَنَّ

شَخصًا ما يَستَعمِله لِتَمثيل مَرْجِع ما. أَي إنّ الرّمزَ والمَرجِعَ غيرُ مُرتَبِطَيْنِ ارتباطًا مُباشِرًا (وحينَ نَستَعمِل ضِمنِيّا هذه العلاقة لأسباب نَحوِيَّة لَن تكونَ إلَّا عَلاقَة مَنسُوبَة في مُقابِلِ العَلاقَةِ الحقيقية)، وإنَّما ارتباطُهما غيرُ مُباشِرٍ حَولَ ضِلعَي المُثَلَّث". (أوغدن وريتشاردز، 2015، ص69- 70)؛ إذ "إنَّ العلاقة التي تربط بين الرمز والفكرة هي علاقة سببية. وتحيل عبارة علاقة سببية على العملية الذهنية التي يربط بها الشخص الرمز بسياق الفكرة، وتمثل الفكرة أمرين، أحدهما عملية المعنى التي يوجه الرمز بها الذهن للتفكير في فكرة مخصوصة، والاخر رسالة الرمز نفسه. وثمة رموز صادقة، واخرى كاذبة، وحالات صادقة وأخرى كاذبة، فالرمز الصادق هو الذي يمسك بفكرته على نحو صحيح، فالرمز والاحالة يجب أن يتناظرا بحيث يتمكن شخص اخر بوساطة الرمز أن يمسك بفكرة مماثلة أو بفكرة شديدة الشبة بها. أمَّا الرمز الكاذب فمُخلّط وغيرُ ملائمٍ، لكن يمكن أن تكون له إحالة صادقة. وعلاقة الإحالة بالمرجع هي المساحة التي ترتبط بالصدق والكذب، فالإحالة الصادقة توجه الذهن إلى المرجع، أي الموضوع أو الوضع الراهن الذي يمكن تثبيت وجوده باختيار موثوق به". (يحيى كيان. 2015، ص86).

ثانيا: الركائز التي قامت عليها النظريّة الإحاليّة.

1-نظرية التعريف

لقد أولت النظريّة الإحاليّة أهمية خاصة لنظرية التعريف التي تمثل إحدى الركائز الأساسية في الفلسفة واللسانيات، إذ اهتمت بدراسة كيفية تشكل المعاني وانتقالها من خلال اللغة، وهو ما يرتبط بشكل وثيق بآليات التفكير البشري وبناء المعرفة. فقد شكلت إشكالية التعريف منذ القدم محورًا

جوهريا للنقاش الفلسفي والمنطقي، إذ أثارت تساؤلات عميقة حول ماهية التعريف، وحدوده، ومدى تأثيره في تشكيل الإدراك الإنساني. كيف يمكن تحديد مفهوم معين بدقة؟ وما الشروط التي تجعل التعريف ناجحًا في إيصال المعنى؟ وهل يمكن للتعريف أن يكون محايدا ومستقلًا عن الأطر اللغوية والثقافية؟ (ينظر: عيس خليدة، 2025، ص828).

رأى أوغدن ورتشاردز أنَّ نظرية التعريف الموجودة غير قابلة للتطبيق؛ إذ رصدا عدة صعوبات تواجه نظرية التعريف منها: ما الذي نعرفه، الشيء أم الكلمة؟ ومن صعوبات التعريف هو خصوصية التعريف فعادة ما تصاغ التعريفات لأغراض خاصة فهي تتعلق بغرض ما أو حالة ما لذا لا يمكن تطبيقها على جميع الحقول؛ لأنّ كل كلمة لها إحالة خاصة في كل حقل فتعريف كلمة (طاقة) عند الفيزيائي تختلف عن غيره. (أوغدن وريتشاردز، 2015، ص202- 204).

فالتعريف عند أوغدن ورتشاردز يرتكز على المنهج النفسي والتجريبي، حيث إن المعنى ليس جوهريًا في الكلمات، بل يتشكل عبر الإدراك والتفاعل الاجتماعي؛ إذ رفضا فكرة أن المعنى الخاص الثابت والمستقل عن التجربة الفردية والذي سمّياها بـ(خرافة المعنى الخاص)؛ لأن المعنى ديناميكي يعتمد على البيئة والثقافة والسياق. (عيس خليدة، 2025، ص838)

لقد "عدَّ أوغدن ورتشاردز التعريفات أبدالًا رمزيَّة فهي كلمات تُستعمل بدلًا من كلمةٍ أخرى من أجل إيضاح الفكرة التي في ذهن الشخص". (يحيى كيان. 2015، ص72)، فهما يريان أن التواصل أمرٌ صعبٌ، والتناظر في الإحالة عند مختلف المفكرين حدثًا نادرًا، ومن ثَمَّ فهما ينظران إلى التعريفات على أنها خرائط، قد يحتاج المتواصلون إلى أكثر من نقطة

انطلاق موضع على الخريطة يمكنهم من خلاله تحديد مكانهم، من أجل تحقيق نقل كافٍ لكيفيَّة تأويل شخص ما لكلمة ما، ويجب عدم الركون إلى افتراض أنَّه مضمون ما لم يُعلم كلّ من نقاط الانطلاق، ومسالك التعريف اللذين بوساطتهما يتوصل، في الأقل، إلى غالبية الرموز المستعملة، وقد اقترح أوغدن ورتشاردز عددًا من نقاط الانطلاق التي هي عُرضة لأن تكون في ضمن حقول المقاربة لمستمعينا. (ينظر: أوغدن ورتشاردز، 2015، ص 206- 217)

ومن أجل التخلص من مشكلة اللبس الحاصل في الكلمات التي يُظن بها التجريد، اقترحا نمطًا خاصًا من التعريف وهو(تقنية التعريف المتعدد)، ويتلخص هذا المنهج في تجميع السياقات الرئيسة التي يمكن أن تقع فيها الكلمات المُلبِسة، مع استخلاص معانيها من كل سياق منها، ونظرية (مسالك التعريف) التي سهلت مهمة صياغة التعريف نسبيًا، فكل تعريف من التعريفات يعني محاولة ربط معنًى غير معروف بمعنًى مألوف، وهو بهذه الصفة ليس إلّا صورة من صور استبدال الكلمات، ومثل هذا الاستبدال يمكن أن تجري بسهولة ونجاح إذا كانت أنواع العلاقات أو الطرائق التي تربط إحدى الجهتين بالأخرى محددة تحديدًا واضحًا. (ينظر: يحيى كيان. 2015، ص 73- 74)

وقد ذكر أوغدِن ورِتشاردز في (مَعْنَى المَعْنَى) عشرَةَ أَنواعٍ مُختلِفَةٌ من هذه الطرائقِ، "هي الترميز Symbolization، والمُشابَهَةُ Similarity، والعلاقات المكانية Spatial Relations، والعلاقاتُ الزَّمانِيَّة Temporal Relations، والسببية (الفيزيائية) Physical) Causation، والسَّبَبِيَّةُ (السايكولوجِيَّة) (Psychological) Causation والسَّبَبِيَّةُ (السايكوفيزيائية) (Psycho-physical) Causation، وأَن يَكونَ المُعرَّف موضوعَ حالَةٍ

ذِهنِيَّةٍ Being the Object of a Mental State، والعلاقات المعقدة المُشتَرَكَةُ Common Complex Relations، والعلاقات القانُونِيَّةُ Legal Relations". ينظر: (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص210-214).

ويرى أوغدن ورتشاردز، أنه لا يمكن اختزال جميع العلاقات أو الطرائق التي تربط بين العلاقات، ولكنهما حاولا تميز أكثر الطرائق الرابطة بين العلاقات، وأنها ليس بالضرورة تستوعب جميع العلاقات، وأنه قد توجد علاقات أخرى، وهي لا تقل أهمية عن العلاقات التي ذكرناها. (ينظر: أوغدن ورتشاردز، 2015، ص214).

ومن الحلول التي قدماها في مجال تذليل الصعوبات التي واجهت نظرية التعريف، اقتراحهما مقاربة تحليلية لنظرية المعنى، والتعريف معتمدين على نظريتهم الثلاثية التي تربط بين الرمز والفكرة الذهنية، والمرجع، مما جعلهم يركزون على البعدين الدلالي والإدراكي في بناء المعاني. (ينظر: عيس خليدة، 2025، ص 838).

نخلص مما سبق أن أوغدن ورتشادز يريان أنّ أكثر المشكلات صعوبة التي تواجه المتواصلين هو سوء الفهم واللبس الذي يمكن أن يحدث بينهم، وذلك يحدث عندما يستعمل المتواصلون كلمات ذوات معانٍ مختلطة، وملبسة، فمن هذا اللبس يمكن أن تنشأ عدة من المشكلات، بالمقابل فإن الكثير من هذه المشكلات يمكن تجنبها عندما نثبت بدقة تامة معاني التعبيرات التي نستعملها. (ينظر: أوغدن ورتشاردز، 2015، ص 22). ويبدو أن هذا المفهوم كان حاضرًا في ذهن القائمين على المعجم، إذ نجدهم قد حرصوا على تجنب الليس وسوء الفهم الذي يمكن أن يقع فيه مستعمل المعجم؛ بسبب تغير معاني الكلمة عبر الزمن، أو من طريق تغير السياق الثقافي للناطقين بالعربية نتيجة الاختلاف الثقافي والاجتماعي، فقد حاول

القائمون على المعجم تطبيق النظريّة الإحاليّة في تعريف بعض مدخلات المعجم من خلال استعمال المرجع المادي وهو وضع صورة المدخل؛ وذلك من أجل توجيه الإحالة (أي الصورة الذهنية) لدى مستعمل المعجم إلى المدخل المقصود، ولا سيما أن هناك الكثير من المدخلات قد تعددت معانيها ومدلولاتها على وفق السياق الثقافي والاجتماعي، بل وحتى على وفق السياق السايكولوجي لعدد من مستعملي الكلمة.

2-نظرية السياق.

يشكل السياق عنصر رئيس في النظريّة الإحاليّة، فالمعنى "بصفته فاعلية بديلة للعلامات التي من طريقها تتجمع المجردات - أو الجوانب - التي هي في الواقع أجزاء غائبة للسياقات المختلفة وحدات جديدة، وأن الكلمة اعتيادياً هي بديل (أو واسطة) لا لانطباع ماض متميز واحد فقط، بل لمجموعة من الظواهر العامة". (رتشاردز، 2002. ص94)، أي إنَّ المعنى في النظرية الإحاليّة يكون محمولًا بوساطة الصور السياقيّة. والذي يعطي المعنى لكل تجربة إنما هو السياق، فمعاني تجربة كل شخص تكون ممثلة في نطاق العمليات الذهنية، و"أن معاني الكلمات تأخذ حمولتها الدلالية بالتواضع والأكثر من ذلك، هو أن معاني الكلمات مستمدة من تواضعات مؤقتة، ما يُبقي على دور الخطاب في بعث الكلمات من جديد، من خلال إعطاءها حمولة دلالية جديدة. والفكرة الأساسية التي ينطلق منها رتشاردز في دعمه لهذا الاتجاه، تقوم على عدم وجود معاني معجمية ثابتة للكلمات خارج السياق والاستعمال، ويرى أن وجود معنى حقيقي للكلمات مجرد وهم قائم على ما سماه بخُرافة المعنى الخاص، فثبات معنى الكلمة إنما ينشأ - في الحقيقة - عن التكرار والسياقات التي تُظفي عليها معناها، فالمعنى ليس ذو طبيعة سكونية متحجرة، إنه ذو طبيعة دينامية تستمد

فاعليتها من سياقات متعددة". (جعطيط سعيد، عبد الرحمن نعيمة حاج، 2022، 246)

3-الاستعارة.

تُعد الاستعارة من النظريات الرئيسة التي استند عليها أوغدن وريتشاردز، ولا سيما إذا ما علمنا، أنهما ينظران إلى اللغة على أنها استعارية بطبيعتها، وأننا لا يمكننا التكلم ببضع جمل إلَّا وكانت الاستعارة حاضرة فيها، (ينظر: رتشاردز، 2002. ص93). وأنَّ جزءًا كبيرًا من تجاربنا وسلوكياتنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته. ومن ثَمَّ فأنَّ نسقنا التصوري يكون جزئيًامبنينا بوساطة الاستعارة، بهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من «حقائق» أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن «حقائق» بصدد الفكر البشري والنسق التصوري البشري. (لاكوف جورج- جونسن مارك، 2009، المقدمة). والاستعارة عند أوغدن ورتشاردز هي: "استعمال إحالة واحدة لمجموعة من الأشياء بينها علاقة مُعطاة، من أجل تيسير تمييز علاقة مشابهة في مجموعة أُخرى. وفي تأويل اللغة الاستعارية يُقال إنّ إحالة ما تستعير جزءًا من سياق إحالة أخرى في شكل تجريدي".(أوغدن ورتشاردز، 2015، ص327). لقد قام مشروع رتشاردز الاستعاري على ثنائتين الأولى خارجية: هي ثنائية اللغة والفكر، والثانية داخلية: هي ثنائية حامل vehicle ومحمول.tenor، وترجع فكرة هذا التقسيم (الحامل والمحمول) في البلاغة الأوربية إلى جونسن الذي نقل عنه رتشاردز رأيه في انطواء الاستعارة على فكرتين في فكرة واحدة. (ينظر: رتشاردز، 2002، ص7، وص97)، فقال: "يقول الدكتور جونسن إن التعبير الاستعاري سمة رفيعة من سمات الأسلوب عندما يستعمل بشكل حسن لأنه يعطيك فكرتين في فكرة واحدة". (رتشاردز، 2002، ص95) إلا أن رتشاردز دفع مقولة جونسن إلى

غاياتها القصوى، فنفى أن تكون الاستعارة محصورة باللفظ، أو أنها استبدال شكلي للكلمات. فقال: "تلاحظ النظرية التقليدية أنماطا قليلة من الاستعارة، وتحصر المصطلح على بعض هذه الأنماط، ولذلك فهي تجعل الاستعارة مسألة لفظية، مسألة تحويل أو استبدال للكلمات، في حين أنها في الأساس استعارات وعلاقات بين الأفكار. إنها عملية تبادل بين النصوص. فالفكر استعاري يعمل بوساطة المقارنة، ومنها تنبثق الاستعارات في اللغة". (رتشاردز، 2002، ص7). فقد توخى رتشاردز من وراء استعماله لهذين المصطلحين الجديدين استبعاد كل ما من شأنه أن يوحي باستمرار الحديث عن ثنائية المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. (ينظر: لحوديق عبد العزيز، 2015، ص 177). لذا يبدو لي إن محاولة بعض الباحثين بالمقاربة بين النظرية الاستعارية عند رتشاردز، وعند القدماء بالقول إن: "حامل vehicle ومحمول.tenor، يقابلها في البلاغة العربية (مستعار له، ومستعار منه)". (رتشاردز، 2002، ص7)، غير موفقة، لأن العلاقة بين المحمول والحامل هو تفاعل بين الفكرتين لا التشبيه بينهما كما هو الحال في العلاقة بين المستعار له والمستعار منه.

لقد تنبه رتشاردز إلى العلاقة الجدلية بين اللغة والفكر؛ لأن السؤال عن كيفية عمل اللغة؟ يفضي إلى السؤال عن كيفية عمل الفكر والشعور؟ وكل أنماط النشاط الذهني ويقيم العلاقة بين اللغة والفكر انطلاقًا من القول بتفاعل طرفي الاستعارة، فالاستعارة استنادًا إلى مبدأ التفاعل تُعد مسألة طبيعية في اللغة وفي التفكير الإنساني، فالتفاعل هو ما يؤسس الاستعارة لا الاستبدال، والتفاعل لا يكون بين طرفين جامدين، إنما يكون بين فكرتين تتسمان بالنشاط والحيوية، ما يعني أن ناتج التفاعل بينهما يؤدي إلى فكرة جديدة مولدة عنهما؛ إن الاستعارة تغدو بذلك نمط معرفي ثقافي يوسع من

تجاربنا وخبراتنا ونظرتنا للغة والواقع، فنجد أن عملية الاستعارة تتجاوز كونها عملية لغوية إلى كونها عملية ذهنية فكرية (معرفية) (ينظر: رتشاردز، 2002، ص 94- 96).، تحدث نتيجة التفاعل بين الأفكار داخل الجملة والخطاب، وهو ما يتولد عنه معنى جديد لا يمت بصلة إلى المعاني الجاهزة المرتبطة بالسياقات القديمة. فالاستعارة لا تؤدي المعنى نفسه الذي تؤديه العبارة الحرفية، ولا تعد المعنى الجديد مجرد طريقة في التقديم أو وجها من وجوه الدلالة، وإنما هي تخلق لمعنى جديد ناتج عن العلاقة المتفاعلة بين الطرفين.(ينظر: لاكوف جورج- جونسن مارك، 2009، ص175) هكذا تكون الاستعارة أساس عمل الفكر نفسه، لا مجرد تشكيل لعوب على سطح اللغة. (رتشاردز، 2002، ص7).

إنَّ القول: بتعددية المعاني التي تحملها الكلمة، ولا سيما في الاستعارة، وتعددية وجوه قراءة الاستعارة، أو تعددية علاقتها جعلت رتشاردز يقترح "تقسيم الاستعارات عمومًا إلى نوعين: نوع يقوم على وجود علاقة شبه مباشرة بين الطرفين المحمول والحامل، ونوع يقوم على وجود موقف مشترك نتخذه (لأسباب عرضية خارجية) نحو الطرفين المكونين للاستعارة، وهذا التقسيم بالطبع ليس نهائيًا أو غير قابل للاختزال". (رتشاردز،2002، ص 114) فالأول يمكن أن نطلق عليه اسم الاستعارات اللغوية (التواصلية)، والآخر الاستعارات الفكرية والشعورية (الأدبية). وتكمن فائدة هذا التقسيم حسب ريتشاردز في كونه ينفعنا في تجنب السقوط في الافتراض القائل: إن عدم فهمنا للطريقة التي تعمل بها الاستعارة لا يعني بالضرورة أنها لا تعمل، لأن الاستعارات اللغوية هي ما قد يسهل فهمه أما الاستعارات الفكرية والشعورية فتخضع لدرجة الثقافة والفكر، وهذا ما يعكس الجانب المعرفي للاستعارة ولمشروع رتشاردز الاستعاري. (عامر جراح، 2022، 78).

يرى رتشاردز أن العلاقة المنسوبة - الاعتباطية- لا تقتصر على العلاقة بين الرمز والمرجع في مثلثه الدلالي في النظرية الإحالية فقط، وإنما تشمل أيضا العلاقة بين المحمول والحامل في داخل اللفظ نفسه، ومن هنا يأتي انشقاق الاستعارة وتملصها الدائم. ومن هنا أيضا تكون الاستعارة كلية الحضور لا ينجو منها كلام أو نص. وحين ترتفع الاستعارة من أفق النص اللغوي في مستواه الواضح البسيط إلى مدار الفكر الفلسفي الملتبس، تصبح اللغة بكاملها جهازًا من الاستعارات الخفية المتنكرة تحت قناع الحقائق. (رتشاردز، 2002، ص 7-8).

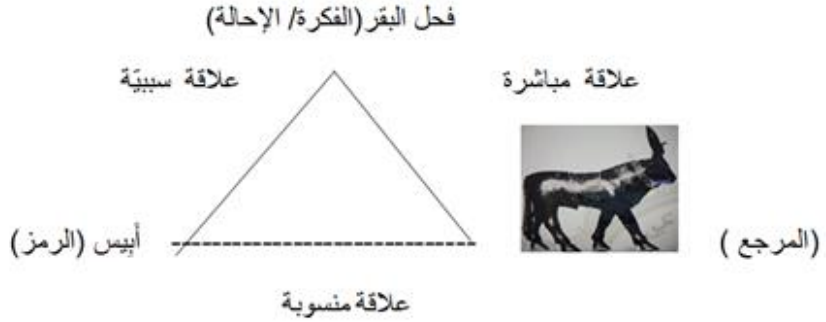
المبحث الثاني: النظريّة الإحاليّة في المعجم الكبير

تُعدّ النظريّة الإحاليّة من أبرز النظريات التي حاولت تفسير طبيعة العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، وقد أسهمت إسهامًا كبيرًا في تطوير آليات التعريف من خلال منهج التعريف الذي طرحه أوغدن ورتشاردز في كتابهما (معنى المعنى)، والتي سهلت كثيرًا مهمة صياغة التعريف في صناعة المعجم الحديث. وتنطلق هذه النظرية من أساس تقوم عليه عملية التواصل اللغوي، وهو أنّ المعنى لا يستقر في الكلمة ذاتها، بل يتحدد من خلال السياق الذي استعمل فيه، مما دفعت المعجمات الحديثة ومنها المعجم الكبير إلى إرفاق التعريف بالأمثلة، والشواهد، والصور التي توضّح مجال الاستعمال. وبذلك فقد أسهمت النظرية الإحاليّة من تطوير منهج التعريف ليصبح أقرب إلى تمثيل البنية الحقيقية للمعنى، قائمًا على فهم العلاقة الثلاثية بين الرمز والفكرة والمرجع، بدلاً من الاقتصار على صياغات معجميّة شكليّة قد تنفصل عن آلية اشتغال المعنى في الذهن واللغة، ومن هذا التصور انفتحت أفاق جديدة أمام المعجميين في فهم طبيعة التعريف وآلياته، بما حقق قدرًا

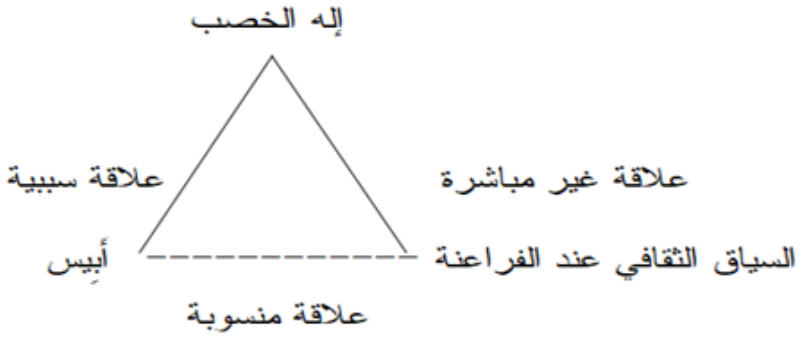
كبيرًا من الدقة والوضوح في صياغة المعاني. ولما كان التعريف بتحليل النظريّة الإحاليّة لها صلة وثيقة بقضايا التعريف في المعجمات اللغويّة العربيّة، فقد اخترت دراستها في هذا المبحث، ولكي نقف على مدى إفادة المعجم الكبير من منهج التعريف في النظرية الإحاليّة، قمت بتطبيق النظريّة، على مداخل المعجم الكبير؛ إذ اخترت مجموعة من المداخل التي أرفق تعريفها بالصور التعريفيّة، أي تحليل المداخل الماديّة فقط؛ لأنها "كانت أكثر اعتناء أوغدن ورتشاردز في (معنى المعنى). ومن ثم حللتها على وفق النظرية الإحاليّة، ومنها:

1-أَبِيس: ((اسم فحل البقر، رمز الخصب عند الفراعنة)). (مجمع اللغة العربية، 1970، 1/ 69)

نلحظ أن الرمز (أبِيس) قد أحال إلى فكرتين، الأولى :(فحل البقر) وهي: إحالة مباشرة، فالصورة الذهنية التي تشكلت، كان مرجعها الصورة الواقعية المثبتة في المعجم؛ إذ إنَّ الصورة هنا لم تعد وسيلة إيضاحية ثانوية، بل أصبحت مكوّنًا دلاليًا فاعلًا ينهض بمهمة ضبط الإحالة، وتوحيد الصورة الذهنية بين مستعملي المعجم؛ من خلال تثبيت المرجع؛ لأنهم يرون الشيء نفسه. وهي إحالة سببية صادقة. ويمكن التمثيل لها بالشكل الآتي:



أمّا الإحالة الثانية: فهي أَبِيس: رمز الخصب. وهي: إحالة سببيّة غير مباشرة تمر عبر الذهن متأثرة بالسياق الثقافي لقوم معينين وهم الفراعنة، وهي إحالة أتت من سياقات سيكولوجية خاصة بالفراعنة، دون غيرهم. وهنا يظهر دور السياق في توجيه الإحالة، فالرباط السحري الذي ربط بين الرمز والإحالة والمرجع هو رباط السياق الديني أو الثقافي هو العامل الموجه للإحالة الذهنية، وتحويلها من إحالة مادية إلى إحالة معنوية خاصة، ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:



ويبدو لي أن فكرة رتشاردز وأوغدن في أن المعنى ليس شيئًا ثابتًا في الرموز، بل هو أمر يخص الأشخاص، وأن كلَّ شخص قد يربط فكرة أو إحالة مختلفة بالرمز نفسه بناءً على تجربته وفكرته، كانت حاضرة في إحالات الرمز (أَبِيس).

يمكننا القول إن مفهوم المثلث الدلالي لا يُشكل أساسًا لتفسير العلاقة بين الكلمة والمعنى فحسب، بل يتعداه إلى فهم أن الكلمات لا تمتلك دلالاتها بشكل مستقل عن المستخدمين، فإنها عرضة للتحول المستمر نتيجة للاستخدامات الجديدة والظروف السايكولوجية أو الانفعالية المتغيرة؛ إذ يمكن للكلمة نفسها أن تحمل دلالات مختلفة بناءً على السياق الثقافي أو الاجتماعي الذي ترد فيه. (عيسى خليدة، 2025، ص828). فأنَّ" استعمالنا لأيَّة كلمة مقدَّمة لترمز إلى مرجعنا في أية مناسبة ليس ناجمًا عن ملاءمة مخصوصة للكلمة لذلك المرجع المخصوص، وإنما يُحدده جميع أنواع الحوادث الغريبة في تأريخنا الشخصي". (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص217).

2- الأَطُوم: ((سُلَحْفاة بحرية غليظة الجلد، تتخذ من الخفاف للجمالين، وتخصف به النِّعال، وفي علم الأحياء: حيوان بحري يشبه السمك في شكله الظاهري، البقرة سمّيت بذلك على التشبيه بالسلحفاة البحرية، لغلظ جلدها، وبه فسر بيت)) . (مجمع اللغة العربية، 1970، 1/ 354).

كعب بن زهير: (زهير كعب، 1997، 63)

وجِلْدُها من أَطُومٍ ما يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ، بضاحِية المتنين، مَهْزُولُ

وفي اللسان: (ابن منظور، 1414، 12/ 20)

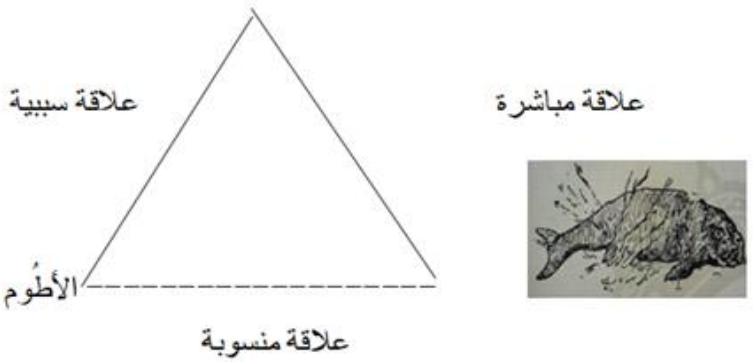
كأَطُومٍ فَقَدَتْ بُرْغُزَها أَعْقَبَتْها الغُبْسُ مِنْهَا نَدَما

غَفَلَتْ ثُمَّ أَتَتْ تَطْلُبُه فإِذا هِيَ بِعِظام وَدَما

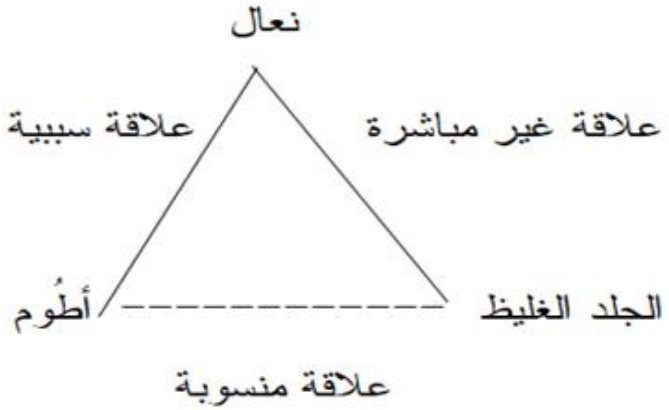
نلحظ مما سبق أن الرمز (أَطُوم) قد أحال على مرجعه بأكثر من فكرة، فقد أحال على المرجع (الصورة المثبتة) بإحالتين مباشرتين هما: سلحفاة بحرية غليظة الجلد، وسمك بحري، وهي إحالة مباشرة، فهو حيوان بحري يشبه

السمك في الشكل الظاهري، ويشبه السلحفاة في جلدها السميك. ويمكن التمثيل بالشكل الآتي:

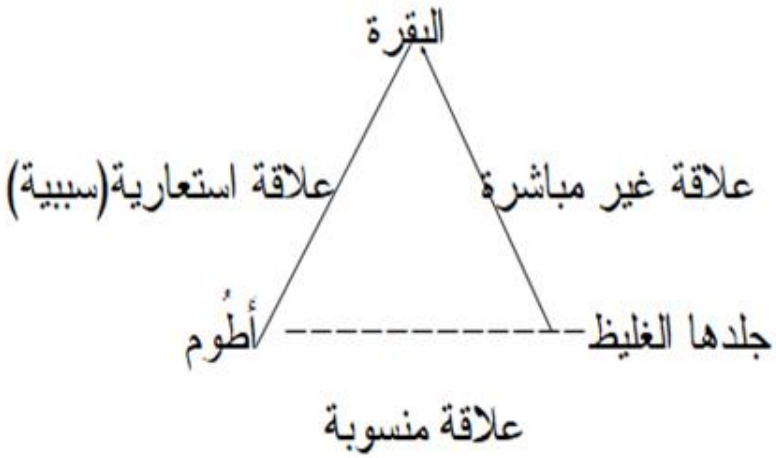
(سلحفاة بحرية غليظة الجلد، ، سمك بحري، بقرة)



وقد أحال الرمز (أطُوم) بإحالتين غير مباشرة أولهما، النعال الذي يصنع من جلدها، وهي إحالة غير مباشرة، استدعتها الصورة السياقية الناجمة من المرجع الحقيقي، الذي استعمل جلده في تصنيع الخفاف والنعال. ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:



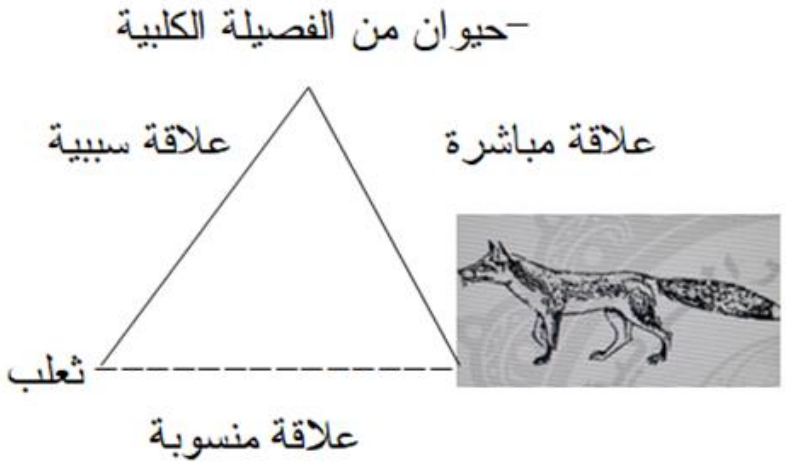
والإحالة الأخرى هي البقرة وهذه الإحالة استدعاها السياق الثقافي، فالعرب قديما كانت تسمي البقرة بالأطوم وذلك لغلاظة جلدها، ويمكن التمثيل له بالشكل الاتي:



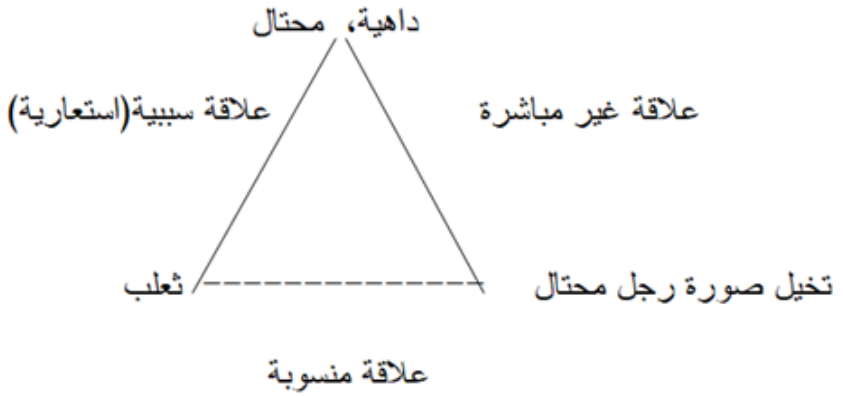
نلحظ مما سبق أن للسياق له أثر في تعدد معنى أَطُوم، والسياق المقصود هنا هو: "عملية ذهنيَّة أو مركب من العمليات الذهنيَّة يحصل للفكرة الأصلية من خلال الحال التي يجد الكائن نفسه" (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص140 الهامش)، وهو السياق الذي أشار له أوغدن ورتشاردز، بقولهما: هو "مجموعة كيانات -أشياء أو أحداث- مترابطة بطريقة معينة" (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص140)، فهو "نوع من المجموعات التي يتكرر حدوثها والتي إن كان أحد أعضائها في الأقل محددًا حدد سائر أعضائها الآخرين". (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص140 الهامش)

3-الثَّعْلَب: "حيوان لا حمٌ قناصٌ ذكيٌّ من فصيلة الكلاب، أصغر من ابن أوى، يضرب به المثل في الاحتيال،... الثعلب :الرجل الدَّاهية" . (مجمع اللغة العربية، 1992، 3/ 266- 267).

نلحظ أن الرمز(ثعلب)، قد أحال إلى فكرتين، الأولى: هو حيوان الثعلب، وهي إحالة مباشرة، قد وجهها المعجم من خلال الصورة التي ثبتها. ويمن التمثيل لها بالشكل الآتي:



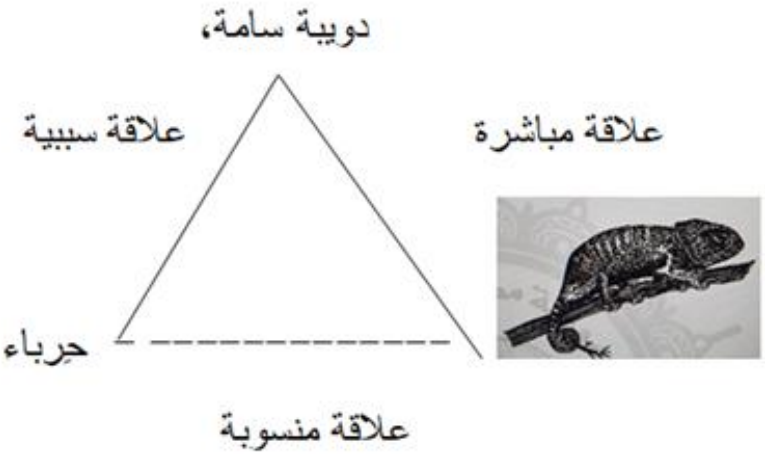
أمّا الإحالة الثانية، فهي إحالة غير مباشرة، وهي: الرجل الداهية، ويمكن التمثيل لها بالشكل الآتي:



إن لجوء المعجم إلى فكرة الاستعارة، في تفسير المعاني من غير توضيح بقوله: (الثعلب: الرجل الداهية)، يجعلنا نرى رؤيته في محاولة خلق تفاعل بين فكرتين مختلفتين، ترتكزان على كلمة واحدة هي(الثعلب)، إذ تكون دلالتها نتيجة تفاعلهما، وهما: الأولى، وهي الفكرة الواقعية المستوحاة من الصورة (الثعلب) البصرية، بأنه حيوانٌ مفترسٌ يلجأ إلى الحيلة المتسمة بالذكاء في اصطياد فريسته، والأخرى هي الفكرة الاستعارية المستوحاة من الفكرة الذهنية السايكولوجية عند سماع الرمز (الثعلب)، ليحضر في الذهن صورة رجل داهية، محتال، فاستعارة (الثعلب: الرجل الداهية) من وجهة النظرية التفاعلية تنظر إلى الإنسان وقد اكتسب بعض صفات الثعلب المكروهة، وتنظر إلى (الثعلب) وقد امتلك بعض الصفات الإنسانية، وذلك اعتمادًا على معرفة القارىء بالمواضع المتشابهة المشتركة التي لا يهم أكانت صحيحة أم خاطئة مادامت تشكل جزءًا من تمثلات الناس لمفهوم الثعلب بوصفه حيوانًا مفترسًا وخداعًا وضارًا، إن فكرة الثعلب هي جزء من نظام فكر. (ينظر: لحويدق عبد العزيز، 2015، 186- 187)، ويمكن القول: إن الاستعارة في النظريّة الإحاليّة، ولا سيما عند رتشاردز قد غطت على بعض مفهومات الإنسان السابقة، ونظمت ولونت إدراكنا لذكائه وقدراته العقلية، فالقدرات العقلية نظر إليها نظرة خاصة مترتبة على ربط الرجل بالثعلب، هناك نوع من تدهور النظرة إليها، كذلك نجد أن فكرة الثعلب دخلها تعديل، فلم يعد الثعلب غريبًا في صفاته، وأصبح هناك عالم مشترك يضم هذين النظامين: الرجل والثعلب. (ينظر: لحويدق عبد العزيز، 2015، ص187)

4- الحِرْبَاء: ((دويبة نحو العظاة، أو على شكل سام أبرص، ذو قوائم أربع دقيقة، يستقبل الشمس برأسه، ويدور معها كيفما دارت، ....، رجل حِرْباء، يَتلون كتلوّن الحِرْباء)). (مجمع اللغة العربية، 2000، 5/ 190- 191).

نلحظ أن رمز (حِرباء)، يحيل إلى مرجعين: الأولى: الحرباء: دويبة، وهي إحالة سببية مباشرة مستمدة من الواقع، ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:



وأما الإحالة الثانية فهي: الرجل المتغير في مواقفه وآرائه (المنافق). هي إحالة غير مباشرة، استعارية تفاعلية بين الرجل المنافق والحرباء. وإن الإحالة الأخيرة تجعلنا نقف موقفا مؤيدا لموقف أوغدن ورتشاردز من الاستعارة في أنها أداة تفكير وليست مجرد أسلوب بلاغي، وإنها وسيلة من وسائل توسع المعنى، لأنها تنقل الكلمة من مجالها المألوف إلى مجال آخر فتخلق صلة جديدة بين الأفكار، وهذا التوسع في الدلالة لا يمكن فهمه إلَّا داخل سياقات استعمالية محددة. (أوغدن ورتشاردز، 2015، ص329)، فإحالة الرمز(حِرباء)، إلى رجل متغير في موقفه(منافق)، تؤكد ذلك فلا يمكن التفكير في هذه الإحالة إلّا في سياق استعمالي محدد تؤدي الكلمة فيه إلى

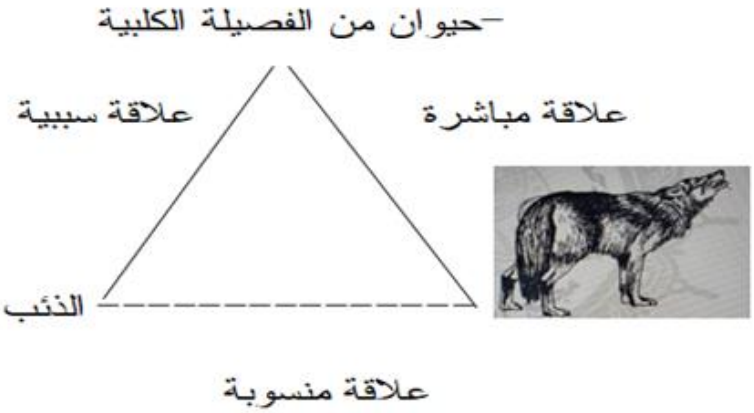
استحضار الفكرة الصحيحة لدى السامع . ويمكن التمثيل له بالمثلث الدلالي الآتي:



5- الـذِّئْب: ((كلـبُ البَـرِّ...، نـوع مـن الفصـيلة الكلبيـة مـن رتبـة اللـواحم والثدييات، وقيل: "هو ذِئبٌ في ثلَّة"، وبه ضُرب المثل في شِدة الخُبث؛ فقيل: "أخبث من ذئب الغضا"، (مجمع اللغة العربية، 2008، 8/ 21-22) قال المتنبي: (المتنبي، 1983، ص481) يمدح كافورا:

جَرى الخُلفُ إِلّا فيكَ أَنَّكَ واحِدٌوَأَنَّكَ لَيثٌ وَالمُلوكُ ذِئابُ

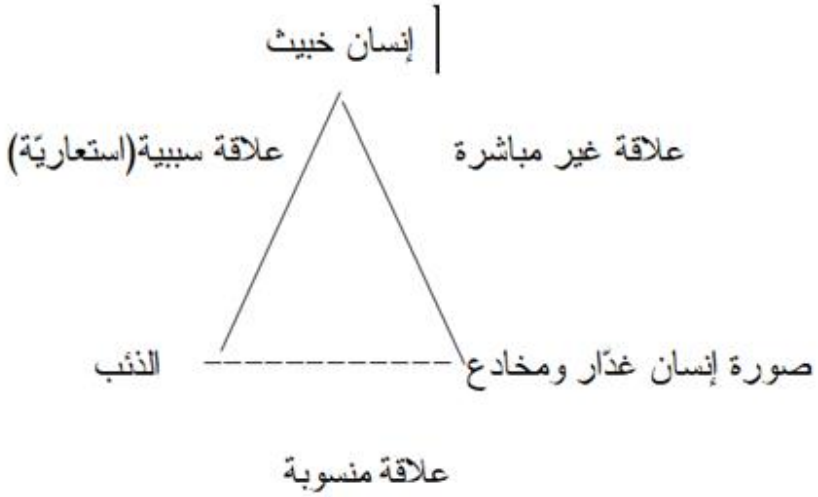
نلحظ مما سبق أنّ الرمز (ذئب)، قد أحال إلى مرجعين، الأولى: حيوان من الفصيلة الكلبية، وهي الصورة التي أثبتها المعجم، مستوحاة من الواقع، وهي إحالة سببية مباشرة، ويمكن التمثيل لها بالشكل الآتي:



والثانية: وهي صورة ذهنية سايكولوجيّة استعاريّة، وهي إحالة غير مباشرة مستوحاة من الصورة التفاعليّة، بين المحمول والحامل (الملوك ذئاب)، فالصورة الاستعاريّة، المستوحاة من الرمز (الذئب)، "هو مجموعة من المعاني الضمنية المركبة التي تحتاج من صانع الاستعارة إلى جهد فكري لصياغتها وتتطلب جهدا مماثلا من المتلقي. وكأن الاستعارة لا تتحقق إلا بقيام المتلقي بإعادة العملية التي قام بها مبدع الاستعارة فينتقي ويؤكد ويطمس وينظم الخصائص التي تجمع بين الفكرتين، ويعيد صياغة مجموع المعاني الضمنية التي تربط بينهما". (لحويدق عبد العزيز، 2015، ص 185)، وبعبارة أخرى يمكن القول: إنَّ أفكارنا عن الإنسان الذي يتسم بالخديعة والغدر، و(الذئب) الذي عرف عنه أنه يتحين الفرصة، قد نشطت وعملت الواحدة مع الأخرى وتفاعلت، وأنتجت معنًى جديدا من خلال هذا التفاعل. (ينظر: لحويدق عبد العزيز، 2015، ص178).

ويرى ماكس بلاك، إن الاستعارة قد تمت من خلال التفاعل بين فكرة أن الإنسان قد اكتسب بعض صفات الذئب السيئة، وهي الخديعة، والغدر، وفكرة أن الذئب نفسه أيضا قد اكتسب بعض صفات الإنسانية. بالاعتماد

على معرفة المتلقي (مستعمل المعجم)، بالمواضع المشتركة بينهما. (ينظر: لحويدق عبد العزيز، 2015، ص187)، ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:



الخاتمة:

لقد توصل البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها بالآتي:

-يظهر لنا من خلال البحث أن النظريَّة الإحاليَّة من أهم النظريات الدلاليّة التي تفسر لنا العلاقة بين اللغة والواقع، فالمعنى في النظريَّة الإحاليَّة لا يقوم بذاته، بل يتحدد من خلال إحالته إلى شيء خارج اللغة، سواء أكان هذا الشيء ماديًا أم معنويًا.

- يظهر لنا أن للنظريّة الإحاليّة أثر في تطوير صناعة المعجمات الحديثة، ولا سيما المعجم الكبير؛ إذ أسهمت في تطوير التعريف المعجمي من خلال، إدخال الأمثلة الاستعمالية بوصفها أدوات إحاليّة، ومن خلال توظيف الصور والرسوم لتثبيت المرجع.

- يظهر أثر النظريّة الإحاليّة في المعجم الكبير، من خلال محاولة المعجم الابتعاد عن التعريفات اللفظيَّة المغلقة لصالح التعريفات الوظيفيَّة والتفسيريَّة.

- يظهر لنا أثر النظريّة الإحاليّة في المعجم الكبير، من خلال تحوّل المعجم من قائمة معانٍ لغويّة إلى أداة لتوجيه الذهن نحو المرجع الصحيح. فالتعريف المعجمي لم يعد وصفا لغويًا محضا، بل أصبح فعلا إحاليًا مقصودًا يهدف إلى بناء علاقة سليمة بين الرمز ومرجعه عبر تصور ذهني دقيق. وهذا ما جعل النظرية الإحالية أساسًا نظريًا مهمًا في تقويم التعريفات المعجمية الحديثة.

- أسهم المثلث الدلالي في توضيح آلية التعريف المعجمي، فالمعجمي عند التعريف ينطلق من الرمز (المدخل المعجمي)، ومن ثمّ يقدم وصفًا يولّد فكرة ذهنيَّة لدى القارئ، تقود هذه الفكرة إلى المرجع الصحيح. فالتعريف المعجمي ليس سوى محاولة منظَّمة لبناء الضلع الأوسط من المثلث (الفكرة/التصور)، لضمان إحالة سليمة بين اللفظ ومرجعه.

- ثبت لنا أن للسياق دور مهم في بناء التعريف؛ إذ تؤكد النظريَّة الإحاليّة أنَّ الإحالة قد تتغيّر بتغيّر السياق، وهو ما ينعكس في تعدد التعريفات داخل المدخل الواحد في المعجم، فالمدخل الواحد قد يحمل إحالة حقيقة، وإحالة مجازية، وإحالة ثقافية أو دينية.

- يظهر لنا تأثر المعجم الكبير بالنظرية الاستعاريَّة الإحاليّة، إذ خلال النظريّة الاستعاريّة عند أوغدن ورتشاردز أن الاستعارة ليست هامشًا بل مركزًا في بناء المعنى، وأن تجاهلها في العمل المعجمي يؤدي إلى تمثيل ناقص للدلالة. ومن ثمّ، فإن الإفادة من هذه النظريّة تُمكّن المعجم من تجاوز التصورات السكونية للمعنى، والاقتراب من اللغة بوصفها نشاطًا حيًا

ومتجددًا. وهكذا يغدو المعجم أكثر انسجامًا مع طبيعة اللغة كما تُستعمل وتُفهم في الواقع.

المراجع

• أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، ط1، 2015، دار الكتاب الجديد المتحدة.

• جعطيط سعيد، عبد الرحمن نعيمة حاج، الاستعارة والرمز-من-الاحالة الخارجية إلى الإحالة على الذات: مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 10، ع2، 2022م

• رتشارردز، فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي- ناصر حلاوي، أفريقيا الشرق، 2002م.

• عامر الجراح، الاستعارة بين التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج: 49، ع:6، ملحق: 1/ 2022م.

• عيسى خليدة، نظرية التعريف في اللسانيات العامة بين المقاربة التجريبية الغربية والتحليل المنطقي العربي، مجلة(لغة-كلام)، الجزائر، مج11، ع02، جوان2025م.

• لاكوف جورج - جونسن مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد الماشطة، دار توبقال، ط2، 2009.

• لحويدق عبد العزيز، نظريات الاستعارة في لبلاغة الغربية من أرسطوإلى لايكوف ومارك جونسون: ط1، 2015م، دار كنوز المعرفة.

• مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير، ج1/ 1970، ج3/ 1992، ج5/ 2000، ج8/ 2008

• يحيى كيان أحمد حازم، اللغة بين الدلالة والتضليل، ط1، 2015، دار الكتاب الجديد المتحدة.

الألفاظ الدالة على السَّماء وما فيها في كتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري (395هـ) دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية

م.م هديل مثنى صالح	جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة
hadeel.saleh2207m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	
أ.م.د. مائدة رحيمة غضيب	جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة
maada.rhaymah@ircoedu.uobaghdad.edu.iq	

الملخص:

يعدُّ كتاب (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكري من أول معجمات المعاني، حيث يعدُّ مرحلة متطورة من التأليف بعد الرسائل اللغوية، وقد تناولت في هذا البحث ألفاظ السَّماء وما فيها، ودراسة العلاقة التي تربط بين هذه الألفاظ، ومعرفة التطور الدلالي.

الكلمات المفتاحيّة: أبو هلال العسكري، كتاب التلخيص، نظرية الحقول الدلالية، الفاظ السَّماء.

Lexical Items Denoting the Sky and Its Contents in Al-Talkhīs by Abu Hilal al-Askari (d. 395AH): A Study in the Light of Semantic Field Theory

Hadeel Muthanna Saleh
Asst. Prof. Dr. Ma'ida Rhaima Ghdheab
University of Baghdad - College of Education for Humanities, Ibn Rushd - Department of Arabic Language

Abstract:
Kitab al-Talkhis fi Ma'rifat Asma' al-Ashya' (The Compendium on the Knowledge of the Names of Things) by Abu Hilal Al-Askari is considered one of the earliest semantic dictionaries. It represents an advanced stage of lexicographical writing following the linguistic epistles. This research focuses on the vocabulary related to the sky and its components, examining the relationships between these words and exploring their semantic development .

Keywords: Abu Hilal Al-Askari, Kitab al-Talkhis, Semantic Field Theory, Vocabulary of the Sky

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين مُحمَّد الصَّادق الأمين، وعلى آلِهِ الطيّبينَ الطَّاهِرين، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

لقد كانت الرسائل اللغوية والمعجمات حصونًا منيعة جعلت اللغة العربية لغة حيَّة، مُحافظة على كيانها، وصامدة بوجه قرون الزمن، وأساس هذه اللغة متمثل في جذور الكلمات، ومعاني هذه الجذور، وكان كتاب

(التلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكريّ (ت395ه) من أوائل معجمات المعاني.

وفي هذا البحث المتواضع الذي عنوانه "الألفاظ الدالة على السَّماء وما فيها في كتاب (التلخيص) لأبي هلال العسكري(395ه) دراسة في ضوء نظرية الحقول الدلالية"، لأبين جهد هذا العالم الجليل في جمع الالفاظ حسب الترتيب المعنوي، وعلاقة هذا الجهد بالدراسات اللغوية الحديثة، والربط بينهما، وكذلك تسليط الضوء على كتاب (التلخيص) وبيان مكانة هذا الكتاب؛ إذ نجد أنَّ أكثر الدراسات تشير إلى (المخصص) لابن سيده (ت458ه)، مع أنَّ كتاب (التلخيص) سابق له لا يقل أهمية عنه، وكتاب التلخيص هو كتاب تعليمي ألفه أبو هلال؛ ليكون مرجعا للمتوسطين والمبتدئين، ويغلب على الكتاب الاختصار والإيجاز في شرحه للألفاظ، وكذلك بيان أنَّ نظرية الحقول الدلالية لم تغب عن ذهن علماء اللغة العربية القدماء.

وقد سارت خطة البحث على ملخص، ومقدمة، وتمهيد، وحقل ألفاظ السَّماء، ثم بيان أنواع العلاقات بين ألفاظ الحقل، وينتهي البحث لأهم النتائج التي توصلت اليها.

وفي النهاية أسأل الله التوفيق والسداد.

السَّماءُ:

قال أبو هلال "السَّماءُ ممدودةٌ مؤنَّثةٌ، والجمعُ سماواتٌ. واشتقاقُها منَ السُّموِّ، وهوَ العلوُّ. وسماءُ البيتِ سقفُهُ والنِّسبةُ إلى السَّماءِ سماويٌّ ...والجمعُ أسْميَةٌ وسُمْيٌّ" (العسكري، 1996: 253).

تعريف أبي هلال للفظة السَّماء موافق لتعريف الخليل للفظة: سْمُو سُمُوًّا، أي: ارتفع، السّما: سقف كلِّ شيء، وكلّ بيت، وجمع السّماء سّماوات وأسمية وسُميّ. والسّماويّ: نسبة إلى السّماوة (الفراهيدي، 1982، ينظر: 7/ 318، 319 (س م و)). وفي قوله السَّماء مؤنثة فقد ذكرَ قطرب أنَّ السّماءَ مؤنث، وأمّا سماءُ البيتِ فأَنَّهُ يُذَكَّرُ ويُؤنَّثُ (قطرب، 1985، ينظر: 11)، والسَّماء "كلُّ ما علاك فأظلّك" (الجوهري، 1987: 6/ 328(س م ا))، و(ابن منظور، 1414ه: 398/14، س م ا)، والسَّماء الزرقاء هي السماء الصافية (إسماعيل، 2018، ينظر: 131)، قالَ تعالى:((ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرضَ فِرٰشا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآء وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرٰتِ رِزقا لَّكُم فَلَا تَجعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادا وَأَنتُم تَعلَمُونَ 22)) [سورة البقرة:22].

وذكرَ ابو هلال مرادفات للفظة (السَّماء) وهي: الجَربَاءُ والمَطَرُ.

الجَربَاء:

قال أبو هلال " ويُقالُ للسَّماءِ: الجَرباءُ، وجربةُ، غيرُ مصروفةٍ" (العسكري، 1996: 253).

قالَ الخليلُ: الجرباء من السماء: "الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر" (الفراهيدي، 1982: 112/6 (ج ر ب))، بينما قال ابن سيده: الجرباء هي" النَّاحِيَة الَّتِي يَدُور فِيهَا فلك الشَّمْس وَالْقَمَر" (ابن سيدة، 1958: 401/7 (جرب))، وسُميت السماء جَربَاءُ لما فيها من الكواكب، وقيل: سميت بذلك لموضع المجرة كأنها جربتْ بالنجوم، تشبيها بالجرب الذي يصيب الإنسان (الأزهري، 1967، ينظر: 37/11 (ج ر ب))، و(ابن منظور، 1414ه، 4/ 556 (ع ر ر))، والجَرَب هو "بَثَرٌ يَعْلُو أَبْدانَ النَاسِ والإِبِلِ. جَرِبَ يَجْرَبُ جَرَباً، فَهُوَ جَرِبٌ وجَرْبان وأَجْرَبُ، والأُنثى

جَرْبـاءُ"(ابن منظـور، 1414ه: 556/4، (ع ر ر)). ونلحـظ هنـا وجـود تطـور دلالي، وهو انتقال دلالة
الجرب وهو داء يصيب الإنسان والإبل إلى اسم من أسماء السّماء.

المَطَرُ:

قال أبو هلال "والسَّماءُ أيضاً المطرُ"(العسكري، 1996: 253).
أمـا سـبب تسـمية السـماء (مَطَـر)؛ لأن المطَـر ينـزل مـن السَّـماء (ابـن قتيبـة، 1963، ينظـر: 97)، و(الثعـالبي، 1954: 225)، قـال تعالى:((يُرسِـلِ ٱلسَّـمَآءَ عَلَيكُم مِّدرَارا 11))[سورة نوح:11].
قال معود الحكماء البيت من الوافر:(العسكري، 1996: 253)، (ابن منظور، 1414ه: 399/14 س م ا):
إذَا سَقَطَ السّمَاءُ بأرضِ قَومٍ رَعَينَاهُ وإن كانوا غِضَابَا
هناك تطور دلالي، وهو انتقال دلالة المطر إلى اسم من أسماء السَّماء لأن المطر والسماء يشتركان بالمكان.

البُرجُ:

ذكر أبو هلال البُرج أصله من الظُّهَور، ومنه قيلَ: تبرَّجتِ المرأةُ، إِذَا أظهرتْ محاسنها، وكـذلك سـمِّيَ الحِصـنُ بُرجـا. وأسـمَاءُ البُـرُوجِ. الحمـلُ، والثَّـورُ، والجـوزاءُ، والسَّـرطانُ، والأسـدُ، والسُّـنبلةُ، والميـزانُ، والعقـربُ، والقـوسُ، والجديُ، والدَّلوُ، والحوتُ (العسكري، 1996، ينظر: 257، 254).
ونقل الازهري عن (الفراء) وجود خلاف في معنى البُروج، ومنهم من قالَ: هِيَ النُّجوم، وَقيل: هِيَ البُروجُ المعرُوفَة، اثْنا عَشَر بُرجًا، وكذلك قيل: هِيَ قُصورٌ فِي السَّمَاء(الأزهري، 1967: 11/ 40(ب ر ج))، وعرفه ابن فارس:

"الباء والراء والجيم أصلان: أحدهما البروز والظهور والآخر الوَزَرُ والملجأ، فمن الأول البَرجُ وهو سعة العين وشدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها ومنه التَّبرج، وهو إظهار المرأة محاسنها، والأصل الثاني البُرْجُ واحد بروج السماء وأصل البروج الحصون والقصور" (ابن فارس، 1979: 238/1 (ب ر ج). قَال تعالى: ((أَينَمَا تَكُونُواْ يُدرِككُّمُ ٱلمَوتُ وَلَو كُنتُم فِي بُرُوج مُّشَيَّدَة 78)) [سورة النساء:78]

الكَوْكَبُ:

ذكر أبو هلال الكَوْكَبَ بقوله " والكوكبُ معروفٌ. وكوكبُ الشَّيءِ معظمهُ. يُقالُ: هَذَا كوكبُ

النَّبات، أيْ معظمهُ" (العسكري، 1996: 254).

عرفه الخليلُ: الكوكب هو "النَّجْمُ، والبَيَاضُ فِي السّماءِ يُسمّى كَوكَبًا " (الفراهيدي، 1982: 157/4 (ك وك ب))، و" الكَوكَبُ مَعْرُوفٌ منْ كَوَاكبِ السّماءِ، وَيُشبّهُ بهِ النُّورُ، فيُسمّى كَوكَبًا"(الأزهري، 1967: 10/ 218 (ك وك ب))، و(ابن منظور، 1414ه، 720/1 ك وك ب). وذكر الزبيدي "الكَوْكَبَ مِنَ الشَّيْءِ: مُعْظَمُهُ مثلُ: كَوْكَبِ العُشْبِ، وكَوْكَبِ الماءِ، وكَوْكَبِ الجَيش" (الزبيدي، 1967، 254(ك وك ب)).

قال الأعشى (الأعشى، 1977: 57):

أي ضـــــاحكُ الشَّـــــمسَ منْهـــــا كوكـــــبٌ

شـــــرقٌ مـــــؤزرٌ بعمـــــيمِ النَّبـــــتِ مُكتهـــــلُ

النّجْمُ:

قال أبو هلال: "والنَّجمُ معروفٌ، وأصلهُ منَ الظُّهورِ. يُقالُ: نجمَ النَّبتُ والقرنُ، إِذَا طلعا. ونجمَ ناجمٌ بمكانِ كذا، أيْ ظهرَ. ونجمَ السَّحابُ: نشأ، وأنجمَ: أقلعَ. وسمِّيَ النَّبتُ أول ما يطلُعُ نجماً" (العسكري، 1996: 254، 255).

يطلق اسم النجم على كُلِّ مَنْزِلٍ منْ مَنَازِلِ القَمَرِ، وكُل كَوكَبٍ منْ أَعْلامِ الكَوَاكبِ يُسمَى نَجمًا، والنُّجومُ تجمعُ الكَواكبِ كُلِّها، وهو بالثّريَا أَخَصُّ، فإذا أُطْلِقَ فإنّما يُرادُ بهِ هيَ، ويقال: نجم الشيء أي طلع وظهر(الفراهيدي، 1982، ينظر: 6/ 154 (ن ج م))، (ابن منظور، 1414ه، ينظر: 12/ 570، 568 ن ج م)، وذكرَ كراع النمل إن النجمَ اسمٌ للثُّرَيّا والنَّجْم، من نباتِ الأرْض: ما لم يَكُنْ على ساقٍ، وجمعه نُجُوم، والنُّجوم: مَصْدَر، يقال: نَجَمَ القَرْنُ ينجُم نُجومًا، فهو ناجِمٌ: إذا طَلَع (كراع النمل، 1988، ينظر: 103).. قال تعالى: ((وَٱلنَّجمُ وَٱلشَّجَرُ يَسجُدَانِ 6)) [سورة الرحمن:62]

﴿فَلَآ أُقسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75]، في توجيه هذه قيل: إن المراد بالنجوم مواقعها، أي منازلها ومساقطها (ماهر، 2018، ينظر: 117).

قال الشاعر (الزبيدي، 1967، 5/ 521، مادة خ ر ج):

إِذا اللَّيْـــــلُ غَشَّـــــاها، وخَـــــرَّج لَوْنَـــــهُ

نُجُـــــومٌ، كأَمْثـــــالِ المصـــــابيحِ، تَخْفِـــــقُ

وذكر أبو هلال أن النجم يُسمَّى طَارِقاً، لطلوعه بالليل (العسكري، 1996: 256)، فأصل الطارق: سالك الطّريق، ثم خصّصتها العرب لطرق اللّيل، ومنه سُمي النجم بهذا الاسم؛ لأنّه اختصّ باللّيل للطروق فيه، وهنا نلحظ وجود تخصيص في دَّلالة لفظة (الطارق) من العموم إلى الخصوص

(الأزهري، 1967، ينظر: 9/9 (ط ر ق))، و(الأصفهاني، 2007: 518 (ط ر ق)).

ومنه قوله تعالى: ((وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُٱلنَّجمُ ٱلثَّاقِبُ 3)) [سورة الطارق:1-3]

وفرق أبو هلال بين الكوكب والنجم في كتابه الفروق اللغوية"إنّ الْكَوْكَب اسْم للكبير من النُّجُوم وكوكب كلّ شَيْء معظمه والنجم عَام فِي صغيرها وكبيرها وَيجوز ان يُقَال الْكَوَاكِب هِيَ الثوابت وَمِنْه يُقَال فِيهِ كَوْكَب من ذهب أو فضَّة؛ لِأَنَّهُ ثَابت لَا يَزُول والنجم الَّذِي يطلع مِنْهَا ويغرب وَلِهَذَا قيل للمنجم منجم لِأَنَّهُ ينظر فِي يطلع مِنْهَا وَلَا يُقَال لَهُ مكوكب" (العسكري، 1981: 301).

الشَمسُ:

لم يذكرْ أبو هلال تعريف للشمسِ وذكر صيغ الجمع لها وذلك بقوله: "والجمعُ القليلُ أشمسٌ، ثمَّ شموسٌ، وإنَّما تجمعُ على مطالِعها فِي كلِّ يومٍ. ويُقالُ: أشمسَ يومنا" (العسكري، 1996: 255).

نقل أبو عبيدة عن الكسائي "أظل يومنا إذا كان ذا ظل وشمس وأشمس والشمس أيضا" (الهروي، 2005: 505/2). وَالْجَمْعُ شُموسٌ، كأَنهم جَعَلُوا كُلَّ نَاحِيَةٍ مِنْهَا شَمْسًا كَمَا قَالُوا للمَفْرِق مَفارِق، وقد أَشْمَسَ يَوْمُنا وشَمَسَ يَشْمُس شُمُوسًا وَشَمِسَ يَشْمَسُ هذ القياسُ وقد قِيلَ يَشْمُس في آتِي شَمِسَ هذا قولُ أهلِ اللُّغة والصحيح عند ابن سيده أنَّ يَشْمُسُ آتِي شَمَسَ ويومٌ شامسٌ واضِحٌ (ابن سيدة، 1958: 5/8 (ش م س)). عرفها ابن فارس: الشِّينُ وَالْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَلَوُّنٍ وَقِلَّةِ اسْتِقْرَارٍ. فَالشَّمْسُ مَعْرُوفَةٌ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقِرَّةٍ"(ابن فارس، 1979: 212/3 (ش م س))،

وقرئ (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لاِ مُسْتَقَرَّ لَّهَا)[1]، والقراءة المشهورة ((وَٱلشَّمسُ تَجرِي لِمُستَقَرّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقدِيرُ ٱلعَزِيزِ ٱلعَلِيمِ)) [سورة يس,38]

وأشار ابن منظور أنّ الشَّمْسَ هيَ الْعَيْنُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ تَجْرِي فِي الفَلَكِ وأَن الضِّح ضَوْءُه الَّذِي يَشْرِقُ عَلَى وَجْهِ الأَرض" (ابن منظور، 1414ه، 6/ 113، ش م س).

قال الفرزدق (المتنبي، 1988: 496):

إنّ السَّماءَ لنا عليكَ نجومُها والشمسَ مُشرقة وكُلَّ هِلال

وذكر أبو هلال أسماء للشَّمس وهي: (ذكاء، والشرقة، والبراح)

ذُكَاءُ:

قال أبو هلال: "واسمُ الشَّمسِ ذكاءُ، غيرُ مصروفة... وأصلهُ منْ قولهمْ ذَكَتِ النَّارُ، إِذَا توقَّدتْ" (العسكري، 1996: 255).

تعريف أبي هلال موافق لتعريف المعجمات فذُكاءُ: هو اسمُ للشَّمْسِ، بالضَّمِّ غَيْرَ مَصْروفةٍ، لَا تَدخُلُها الأَلِفُ واللامُ؛ تقولُ: هَذِه ذُكاءُ طالِعةً مُشْتَقَّة من ذَكَتِ النارُ تَذْكُو إِذَا أَتْمَمْت إِشْعالَها. وذُكاء شدةُ وهَجِ النار، وَيُقَالُ للصُّبْح ابنُ ذُكاء لأَنه مِنْ ضَوْئها (ابن قتيبة، 1956، ينظر: 136)، و(ابن منظور، 1414ه: 14/ 287)، و(الزبيدي، 1967: 94/38: ذ ك ا).

قال الشاعر (العسكري، 1964: 255)، (ابن سيدة، 1996: 134/5):

فتَذَكَّرا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَما أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَها فِي كَافِرِ

(1) هذه قراءة ابن مسعود في الكشاف 16/4، وكذلك هي قراءة ابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن رباح، وزين العابدين، والباقر وابنه الصادق، وابن ابي عبدة في البحر المحيط (الأندلسي، 1993: 321/7).

شَرقةٌ:

قال أبو هلال "ويُقالُ للشَّمسِ: شرقةٌ، غير مصروفةٍ. وتقولُ: لا أفعلُ ذلك ما ذرَّ شَارِقٌ، يعْني الشَّمسَ. وذرورها انبساطُها فِي البلادِ. وشرقتِ الشَّمسُ، إِذَا طلعتْ، وأشرقتْ، إِذَا أضاءتْ وصفتْ" (العسكري، 1964، ينظر: 281/2).

وفي ذلك قالَ ابن السكيت(ت245ه) إنّ الشرقة موضع الشمس في الشتاء ودفؤها، ولا شرقة لها في القيظ (ابن السكيت، 1998، ينظر: 284)، أو هي موضع القُعود في الشمس(الجوهري، 1987، ينظر: 4/ 1500 (ش ر ق))، وَيقِالَ: للشَّمْسِ حِينَ تَشرُق طَلَعَت الشَّرَق والشَّرْق، وَلَا يُقَالُ غرَبت الشَّرْق وَلَا الشَّرَق ومنه قولهم: آتِيكَ كُلَّ يَوْمٍ طَلْعَةَ شَرَقِه (ابن منظور، 1414ه، ينظر: 10/ 175 (ش ر ق)).

ونلحظ أن (شَرقَة) ليس أسم للشَّمس كما ذكرَ أبو هلال، إنَّما هي موضع الشمس أو المكان الذي يُقعدُ فيه في الشتاء حيث يوجد دفء الشّمس.

ومنه قول الشاعر (الفارسي: 3/ 379):

وإذا مررتَ بهِ مَرَرْتَ بقانصٍ مُتَشَمِّسٍ فِي شرْقَةٍ مَقْرورِ

أما الفعلان (شرقتْ وأشرقتْ) فقد ربط أبو هلال الفعل (شرقتْ) بطلوع الشَّمس والفعل (أشرقتْ) بضوئها، هذا موافق لما ذكر في المعجمات (الجوهري، 1987: 4/ 1501 (ش ر ق))، و(ابن سيدة، 1958، ينظر: 162/6(ش ر ق)، وقيل: إنَّ الفعلين بمعنى واحد وهو طلعتْ الشَّمس (الزجَّاج، 1988، ينظر: 324/4)، وذكرَ ابن عصفور(ت669ه) أن للفعل (أَفْعَلَ) أحدَ عشَرَ معنى ومن هذه المعاني (الضَّياء) "كقولك: أشرقت الشَّمس: أضاءت. فأمّا شرقت: فطلعت" (ابن عصفور، 1996: 127، 128).

بَرَاح:

ذكر أبو هلال براح أسم من أسماء الشمس وذلك بقوله: "ويُقالُ للشَّمسِ: براحِ، مَعْدُولٌ عنِ البرحِ" (العسكري، 1964، 256). وقيل: إن سبب تسمية الشَّمس لانتشارِها وظُهُورِها وانكشافِها وبَيانِها وهو مَعدُول عن بارِحة (ابن سيدة، 1958، ينظر: 323/3 (ب ر ح))، و(الزبيدي، 1967: 6/ 312 (ب ر ح)). الْمَعْنى أَنها زالَت وبَرِحَتْ حِين غَرَبَت، فبَرَاحِ بِمَعْنى بارِحةً

قال الشاعر(الأزهري، 1967، 5/ 21)، و(ابن منظور، 1414ه، 409/2 (ب ر ح)):

هَـــذَا مُقـــام قَـــدَمَيْ رَبَـــاحِ بُكْـــرةً حَتَّـــى دلكـــت بـــراح

وذكرَ أبو هلال اجزاء للشمس وهي: (قرن الشمس، وحواجبها، والهالة، والسعرور)

قَرْنُ الشمس:

قال أبو هلال "وقرنُها أعلاها. وحواجبُها نواحيِها" (العسكري، 1964: 256).

هذا موافق لقول ابن قتيبة في قوله: "قَرْنَ الشمس أعلاها، أو أول ما يَبدُو منها في الطلوع. حَواجبها نواحيها "(ابن قتيبة، 1963: 91). وقيل: "الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها لتقع سجدة عبدتها له" (البخاري، 2011: 777/13). وعرفه الزبيدي "القَرْنُ من الشَّمْسِ: ناحِيَتُها، أو أَعْلاها، وأَوَّلُ شُعاعها عنْدَ الطُّلوعِ" (الزبيدي، 1967: 35/ 529 (ق ر ن)).

قال ذو الرمة (ذي الرمة، 1995: 49):

بـــدت مثـــل قـــرن الشـــمس فـــي رونـــق الضـــحى

وصـــــورتها أو أنـــــت فـــــي العـــــين أملـــــح

أما (حَاجِب الشَّمْس) نقل الأزهري عن (الْأَصْمَعِي) أن حاجب الشَّمس يعني قرْنها، وَهُوَ نَاحيَة من قُرصها حِين تبدأ فِي الطُّلُوع (الأزهري، 1967، ينظر: 98/4 (ح ج ب)).

الهَالَةُ والطُّفَاوةُ:

ذكر أبو هلال أنَّ الهالة دارة الشّمس، والطُّفاوة دارة القَمَر(العسكري، 1964، ينظر: 256).

الكثرة الغالبة من اللغويين عرفوا الهالة دارة القمر والطفاوة دارة الشمس (الفراهيدي، 1982، ينظر: 89/4 (ه ا ل))، و(ابن السكيت، 1998: 291)، و(الجوهري، 1987: 2/ 660).

ومنه قول المتنبي (المتنبي، 1988: 826/2):

أَعيا زَوالُكَ عَن مَحَلٍّ نِلتَهُ لا تَخرُجُ الأَقمارُ عَن هالاتِها

وبعضهم الآخر ذكرَ أن الطُّفاوةَ دارة الشمس والقمر(الأزهري، 1967: 24/14 (ط ف ا)) (الزبيدي، 1967: 498/38 (ط ف ا)). وقال أبو العلاء المعري: "هالة الشمس، وهالة القمرة، وهي الدارة التي تكون حولهما، ويجوز أن يكون اشتقاقها من أنها تهول من رآها بحسنها وضيائها..، وزعم ابن الأعرابي أن هالة القمر يقال لها طفاوة" (المعري، 2008: 251).

قال ابن الأعرابي (المعري، 2008: 251):

كأنها البدرُ في طفاوتِه أو هالة الشَّمس عند تشريق

قام أبو هلال بتخصيص دلالة لفظة (الهالة، والطفاوة) وذلك بجعل الهالة دارة للشمس، والطفاوة دارة للقمر.

السُّعرورُ:

قال أبو هلال: "والسُّعرورُ: ما دخَلَ الكوَّةَ منْ شعاعِها ومنْ ضياءِ الصُّبحِ" (العسكري، 1964: 256). نقل ابن سيده عن ابْن دُرَيْد أن "السُّعْرُور والسُّعْرُورَةُ والسِّعْرَارُ والسِّعْرَارةُ - مَا يَدْخُل الكَوَّة من شُعَاع الشَّمْس وَمن الصُّبح" (ابن سيدة، 1996: 374/2)، وكذلك عرفه الصغاني (الصغاني: 28/3 (س ع ر)). تعريف المعجمات موافق لتعريف أبي هلال. والسعرور تعني (الصبح) أيضا(ابن سيدة، 1996: 392/2)، (ابن منظور، 1414ه، 366/4 (س ع ر)).

القَمَرُ:

قال أبو هلال القمر "وأصلهُ منَ القمرةِ، وهيَ البياضُ، ويجمعُ القمرُ أقمارًا. فإذا قيلَ القمرانِ، أريدَ الشَّمسُ والقمرُ" (العسكري، 1964: 256).

وقالَ ابن فارس إن القمر يُسمّى بذلكَ لِبَياضهِ (ابن فارس، 1979، ينظر: 25/5 (ق م ر))، والأبيضان (الشَّمس والقَمر) (إسماعيل، 2018، ينظر: 127)، وأشار ابن منظور القمر الذي في السّمَاءِ يكونُ في اللّيلَةِ الثّالثةِ منَ الشّهرِ وهو مُشْتقٌ منَ القُمْرَةِ (ابن منظور، 1414ه ينظر: 5/ 113 ق م ر)، ويُسمّى القَمَرُ هِلالاً في لَيلَتهِ الأُولَى والثانيةِ والثّالثةِ ثمّ يُسمّى قَمَراً إلى آخرِ الشّهرِ، ويُسمّى في ليلةِ أربعَ عشرةَ بَدْراً (القلقشندي، ينظر: 50/1)، وجاء ذكره في قوله تعالى: ((هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمسَ ضِيَآء وَٱلقَمَرَ نُورا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلأٓيَٰتِ لِقَوم يَعلَمُونَ 5)) [سورة يونس:5]

الكُسُوف والخَسُوفُ:

قالَ أبو هلال: "ويُقالُ: كَسفتِ الشَّمسُ، وخَسفتْ، كُسوفًا وخُسوفًا. وكذلكَ القمرُ، وقالَ بعضهمْ: لا يُقالُ فِي القمرِ إِلاَّ خسفَ، وفي الشَّمسِ إِلاَّ كسفَ" (العسكري، 1964: 256).

ذكرَ أبو هلال أنَّ لفظتين (الكُسُوف والخَسُوفُ) يقالا للشَّمس والقمر من دون تخصيص دّلالة كلّ لفظة منهما سواء بالشّمس أو القمر، وقامَ الخليلُ بتعميم دّلالة الكسوف للشَّمس والقمر وذلك في قوله: "كَسَفَ القَمَر يَكْسِفُ كُسُوفا، والشَّمس تَكْسِف كذلك"(الفراهيدي، 1982: 5/ 314 (ك س ف))، وتخصيص دّلالة الخسوف للشمس في قوله: "خسوفُ الشمسِ يوم القيامة: دخولها في السَّماء" (الفراهيدي، 1982: 202/4 (خ س ف))، قالَ -رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ الشَّمسَ والقمَر لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أحدٍ وَلَا لحَيَاتِـه)) (ابـن الأثيـر 1979، 31/2)، و(ابـن كثيـر، 1998: 255/7)، ووضح ابن اثير سبب مجيء لفظة الخسوف مع الشَّمس والمَعْروف لَهَا فِي اللُّغَةِ الكُسُوف؛ وذلك تَغْليبا لِلْقَمَرِ لِتَذْكِيرِهِ عَلَى تَأْنِيثِ الشَّمْسِ، فجَمع بَيْنَهُمَا فِيمَا يَخُص الْقَمَرَ(ابن الأثير 1979، 31/2)، وأجود الكلام في ذلك أن يُقال: خسوف القمر وكسوف الشَّمس (الجوهري، 1987، ينظر: 1421/4 (ك س ف))، وجاءتْ لفظة

الخُسوف مع االقَمرِ في قوله تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلقَمَرُ﴾ [القيامة: 8]، وجاءتْ لفظة الكسوف مع الشَّمس في قول جرير (جرير: 736/2):

فالشَّـــــمسُ طَالعـــــةٌ لَيْســـــتْ بكَاسِـــــفة

تَبْكِـــــي عَلَيـــــكَ نُجُـــــومَ الليـــــلِ والقَمَـــــرَا

وقيل: "الكسوف تغيرهما والخسوف مغيبهما في السواد" (عياض، 1332ه: 389/1 (خ س ف))، وكسوف الشَّمس غيابها (عباس، 2018، ينظر: 135)،

ونقل الصاغني عن (أبي حاتم) أن الفَرْق بَيْنَ الخُسُوفِ والكُسُوفِ إذا ذَهَبَ كُلُّها فهُوَ الخُسُوفُ، وإذا ذَهَبَ بَعْضُ منها فهُوَ الكُسُوفُ (الصغاني، 1974، ينظر: 460/4 (خ س ف))، ومعنى الكُسوف والخُسوف ذَهَابَ ضوءُ الشَّمس واسْودّادها، ذهاب نور القمر وتَغيَّره إلى السَّواد (ابن منظور، 1414ه، ينظر: 289/9 (ك س ف)).

الهلالُ:

قالَ أبو هلال: "الهلالُ ثلاثٌ. ثمَّ هوَ قمرٌ إلى آخرِ الشَّهرِ" (العسكري، 1964: 26).

هذا موافق لقول ابن قتيبة في قوله: الهلال " أول ليلةٍ والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر" (ابن قتيبة، 1963: 60)، وقال الازهري هو "غُرّة القَمرِ حين يُهِلُّه النّاس في أول الشّهر...سُمي الهلالُ هلالاً، لِأَن النَّاس يرفعون أَصْوَاتهم بالإخبار عَنهُ. وأَهَلَّ الرجلُ واستَهلَّ: إِذا رفع صَوته" (الأزهري، 1967: 239/5 (ه ل ل).

قال الشاعر (ابن منظور، 1414ه: 3/ 25 س ل خ):

إِذا مَا سَلَخْتُ الشهرَ أَهْلَلْتُ مثلَه

كَفَى قاتِلًا سَلْخِي الشُّهورَ وإِهْلالي

البَدْرُ:

قال أبو هلال: "والبدرُ لأربعَ عشرةَ. وسمَّيَ بدراً لامتلائِهِ وكمالِهِ. ويُقالُ: غلامٌ بدرٌ، وجاريةٌ بدرةٌ، إِذَا تمَّتْ وكملتْ. ومنْ هَذَا قيلَ لعشرةِ آلاف درهمٍ: بدرةٌ، لأنَّها تمامُ العددِ. وقيلَ: سُمِّيَ بدراً لمبادرتهِ الشَّمسَ بالطُّلوعِ، كأَنَّهُ يعجلُها المغيب" (العسكري، 1964: 261).

تعريف أبي هلال للفظة البدر موافق لتعريف الخليل والأزهري في قولهما: البَدر هو" القَمَرُ ليلَةُ أربعَ عشرةَ، وسُمِيّ بذلك لأنّهُ يُبادِرُ بِالطُّلُوعِ عندَ غُرُوبِ الشّمسِ"(الفراهيدي، 1982: 34/8 (ب د ر)، و(الأزهري، 1967: 82/14 (ب د ر)). وقيلَ: سُميّ بذلكَ أيضاً " لِمُبادرتهِ الشّمسَ في ليلِها ونَهارِهَا" (قطرب، 1985: 21)، وذكر ابن فارس "الباءُ والدّالُ والرّاءُ، أَصْلان: أَحَدُهُمَا كَمَالُ الشَّيْءِ وَامْتِلَاؤُهُ، وَالْآخَرُ الْإِسْرَاعُ إلى الشَّيْء... وسُميّ البَدْرُ بَدْرًا لِتَمامهِ وامْتِلائهِ"(ابن فارس، 1979: 208/1 (ب د ر)).

النَّوء:

قال أبو هلال "ومعنى النَّوءِ سقوطُ نجمٍ منْها فِي المغربِ معَ الفجرِ، وطلوعُ آخرَ يقابلُهُ منْ ساعتِهِ فِي المشرقِ. وإنَّما سُمِّيَ نوءًا لأنَّهُ إِذَا سقطَ الغاربُ ناءَ الطَّالعُ، ينوءُ نوءًا. والنَّوءُ النهوضُ بثقلٍ. وفي القرآنِ: {لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ}. فجعلَ النَّوءَ السُّقوطَ فِي هَذَا الموضع فكأنَّهُ من الأضدادِ، هكَذَا قَالُوا: وقالَ الأمويُّ: تنوءُ ترتفعُ، وتنوءُ بالعصبةِ: تغلبهمْ، لأنَّهُمْ لوْ ناءوا بها كانوا قدْ حملوُها. فلمَّا ناءتْ هيَ بهمْ، ارتفعتْ بهمْ، لمْ يطيقوها. وتقولُ العربُ: اصطرعَ الرَّجلانِ فناءَ أحدهُما بصاحبِهِ، إِذَا غلبهُ. وهذا وجهٌ حسنٌ جدًا.

وسقوطُ كلِّ نجمٍ منْها فِي ثلاثةَ عشرَ يوماً. وانقضاءُ الثَّمانيةِ والعشرينَ معَ انقضاءِ السَّنةِ. ثمَّ يرجعُ الأمرُ إلى النَّجمِ الأول فِي استئناف السَّنةِ المقبلةِ وإذا سقطَ منْها نجمٌ، وطلعَ آخرُ، وكانَ عندهُ مطرٌ أو ريحٌ أو حرٌّ أو بردٌ نسبوهُ إلى السَّاقطِ، إلى أنْ يسقطَ الَّذِي بعدهُ. فإنْ سقطَ، ولمْ يكنْ مطرٌ قيلَ: خوى النَّجمُ، وأخوى. والرَّديفُ النجمُ الَّذِي ينوءُ منَ المشرقِ إِذَا انقمسَ رقيبهُ فِي المغربِ" (العسكري، 1964: 261).

أَو هُوَ سُقوطُ النَّجْمِ فِي المَغْرِب مَعَ الفَجْرِ، وطُلُوعُ رَقِيبه وَهُوَ نجم آخَر يُقَابِلُه مِنْ سَاعَتِه فِي المَشْرِق فِي كلّ ليلةٍ إلى ثلاثةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَهَكَذَا كلُّ نَجْمٍ مِنها إلى انْقِضَاءِ السَّنة مَا خلا الجَبْهَةَ فإِنَّ لَهَا أَربعةَ عَشرَ يَوْمًا، فَتَنْقضِي جميعُها مَعَ انْقِضاءِ السَّنةِ، وسُمِّي النجم نَوْءًا؛ لأَنه إِذا سَقط الغارِبُ ناءَ الطالِعُ، وذلكَ الطُّلوعُ هُوَ النَّوْءُ، وبعضُهم يَجعلُ النَّوْءَ هُوَ السُّقوط، كأَنه من الأَضدادِ، وَكَانَت العربُ تُضِيفُ الأَمطارَ والرِّياحَ والحَرَّ والبَرْدَ إلى السَّاقِط مِنْهَا، أو إلى الطالعِ مِنْهَا، فَتَقول: مُطِرْنَا (بِنَوْءِ كَذَا) . فإن سقطَ ولم يكن مطراً قيل: خوى النجمُ والرديف النجم الذي يَنُوء من المشرقِ إذا انقَمَس رَقِيبُه في المَغرِبِ (ابن قتيبة، 1956، ينظر: 6، 7)، و(ابن سيدة، 1958: 534/10 (ن وأ))، و(قطرب، 1985: 164) و(الزبيدي، 1967: 1/ 472-473 (ن وأ))، يعد (النوء) من ألفاظ الأضداد حيث يُقال للشيء إذا مال للسّقوط ناء ينوء، وإذا نهض في تَثاقلٍ ناء ينوء (الفراهيدي، 1982، ينظر: 8/ 391 (ن ا ء))، قال ابن درستويه: النَّوء: الارتفاع بمشقة وثِقَل ومنه قيل للكوكب قد ناءَ إذا طلع فهو ينوء (ابن دُرُسْتَوَيْه، 1998: 158/1).

قال امرؤ القيس (امرؤ القيس، 1964: 121):

وَيَهْدَأُ تَارَاتٍ سَنَاهُ وَتَارَة يَنُوءُ كَتَعتَابِ الكَسِيرِ المَهِيض

ينوء: ينهض متثاقلًا.

الخُنَّسُ:

قال أبو هلال: "وأمَّا الخُنَّس فقيلَ: هيَ زحلُ، والمشتري، والمرّيخُ، والزُّهرةُ بفتحِ الهاءِ...

وعطارد، وسمَّاها الله خنَّسًا لأنَّها تسيرُ فِي البروجِ والمنازلِ كسيرِ الشَّمسِ والقمرِ. ثمَّ تخنسُ، أيْ ترجعُ. بينا ترىَ أحدها فِي آخرِ البرجِ كرَّ راجعًا إلى

أوَّلِه، هكَذَا قالَ القتيبيُّ. وعندنا أنَّهُ سمَّاها خنَّسًا لأنَّها تسيرُ منَ المغربِ إلى المشرقِ. فالفلكُ يجذبُها إلى المغربِ، وهيَ تتأخَّرُ إلى المشرقِ. والخنوسُ فِي اللغةِ التَّأخُّرُ. ويُقالُ: خنستُ عنِ الرَّجلُ حقَّهُ، إِذَا أخَّرتهُ عنهُ. وخنستُ عنِ الرَّجلِ، إِذَا تأخَّرتَ عنْهُ. والَّذي قلناهُ يصحُّ على ما يصحُّ عليهِ دبيبُ النَّملةِ مصعدةٌ على الدُّولابِ المنصوبِ (العسكري، 1964: 257)".

ذكرَ أبو هلال قول ابن قتيبة في سبب تسمية الكواكب (زحلُ، والمشتري، والمرّيخُ، والزُّهرةُ، وعطارد) بالخُنَّسِ وهو سيرها كسيرِ الشَّمسِ والقمرِ. ثمَّ تخنسُ، أيْ ترجعُ (ابن قتيبة، 1963، ينظر: 94)، ولأبي هلال ترجيح في سبب تسمية هذه الكواكب خنس وهو سيرها منَ المغربِ إلى المشرقِ. فالفلكُ يجذبُها إلى المغربِ، وهيَ تتأخَّرُ إلى المشرقِ، استند أبو هلال لهذا الرأي بسبب جذر لفظة (الخنس) التي تعني التَّأخير، قالَ الخليلُ: "الخُنَّسُ: الكواكب الخمسةُ التي تجري وتَخْنُس في مجراها حتى يخفى ضوء الشمس، وخُنُوسُها: اختفاؤها بالنهار" (الفراهيدي، 1982: 199/4 (خ ن س))، ونلحظ هنا وجود أختلاف في سبب تسمية هذه الكواكب بالخنس؛ وذلك لأختلاف جذر الكلمة التي تعني عند ابن قتيبة الرجوع، وعند أبي هلال التأخير، وعند الخليل الأختفاء، أصحاب المعجمات الذين ذكروا أن سبب تسميتها هو الأختفاء؛ لأنها تخنس في المغيب، أو تختفي نهاراً وتطلع ليلاً (الفراهيدي، 1982، ينظر: 199/4 (خ ن س))، و(ابن فارس، 1979: 223/2 (خ ن س))، و(الزبيدي، 1967: 33/16(خ ن س)) و(الجوهري، 1987: 33/16 (خ ن س))، ومن علل تسميتها بسبب رجوعها، "فمعنى الخنّس أنّها تخنس أي ترجع ... بينا ترى أحدها آخر البروج كرّ راجعا إلى أوّله، ولذلك لا ترى الزّهرة في وسط السّماء أبدا وإنّما تراها بين يدي الشّمس أو خلفها، وذلك أنّها أسرع من الشّمس، فتستقيم في سيرها حتى

تجاوز الشّمس، وتصير من ورائها، فإذا تباعدت عنها ظهرت بالعشاء في المغرب فترى كذلك حينا ثمّ تكرّ راجعة نحو الشّمس حتى تجاوزها فتصير بين يديها، فتظهر حينئذ في الشّرق بالغدوات. وهكذا هي أبدا، فمتى ما ظهرت في المغرب فهي مستقيمة، ومتى ما ظهرت في المشرق فهي راجعة" (قطرب، 1985: 237، 238)، و(الأصفهاني، 2007: 300)، أمّا التأخير فقد سُمِّيت "خنّسًا لتأخرها، لأنَّها الكواكبُ المتحيّرة التي ترجع وتستقيم" (الجوهري، 1987: 3/ 925 (خ ن س)، و(الزبيدي، 1967: 33/16 (خ ن س))، ورَوَى أَبُو عبيد عَن الفرَّاء والأُمويّ: خَنَسَ الرجلُ اي تَأَخَّر فهو يَخْنُسُ (الأزهري، 1967: 80/7 (خ ن س))، قالَ تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: 15-16]

الدريّ:

قالَ أبو هلال: "أفرادُ النُّجومِ: الدَّراريُّ الَّتِي تطلعُ فِي آفاقِ السَّماءِ. وكوكبٌ دريٌّ لبياضهِ" (العسكري، 1996: 262).

قالَ الخليلُ هو الكوكَب "ثاقِب مُضيءٌ وجمعُه دَراريُّ" (الفراهيدي، 1982: 7/8 (د ر)). وسُمي بذلك نسبة "الى الدُرِّ لبياضه" (الجوهري، 1987: 656/2 (د ر ر)) ومنه قوله تعالى: ((ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ)) [النّور:35]

كوكبٌ حريدٌ:

قالَ أبو هلال "كوكبٌ حريدٌ: متنحٍّ عنِ النُّجومِ" (العسكري، 1996: 262). يُقال للكوكب إذا طلع فى أفق السّماء متنحّيا معتزلا عن الكواكب حريد (الجوهري، 1987، ينظر: 2/ 464(ح ر د))، وذكر أبو هلال في كتاب

الفروق"إن الحرد هُوَ أَن يغْضب الْإِنسان فيبعد عَمَّن غضب عَلَيْهِ وَهُوَ من قَوْلك كَوْكَب حريد أَي بعيد عَن الْكَوَاكِب وَحي حريد أَن بعيد الْمحل وَلِهَذَا لَا يُوصف الله تَعَالَى بالحرد" (العسكري، 1981: 130)، فعموم اللفظ (صبري، 2017، ينظر: 178) (حريد) يدلّ على الابتعاد والانعزال.

قال ذو الرمة (ذي الرمة، 1995: 77):

أَمّاً بكلِّ كوْكَبٍ حَريدِ في كلِّ سهبِ خاشع الحيود

الجَديُ:

قالَ أبو هلال: "لجديُ الَّذِي تعرفُ بهِ القبلةُ. وهوَ منْ بناتِ نعشٍ الصُّغرى...، وهوَ آخرُها" (العسكري، 1964: 268)، والجدي من اولاد المعز(العسكري، 1964، ينظر: 370).

وقالَ ابن قتيبة: إنّ الجديَ من "بنات نعش الصغرى وهذا الجدي ليس من البروج، ولا من منازل القمر الثمانية والعشرين فهو لا يلقى القمر أبدا. وكذلك بنات نعش الصغرى والكبرى" (ابن قتيبة، 1956: 146)، وذكره الجوهري بقولهِ الجدي "برج في السماء. والجَدْيُ: نجمٌ إلى جَنْبِ القطب تُعرف به القِبلةُ" (الجوهري، 1987: 6/ 299 (ج د ي))، وذكر ابن سيده " الجَدْي من النُّجُوم جَدْيان: أَحدهمَا: الَّذِي يَدُور مَعَ بَنَات نعش، وَالْآخر: الَّذِي بلزق الدَّلْو، وَهُوَ من البروج وَلَا تعرفه الْعَرَب، وَكِلَاهُمَا على التَّشْبِيه بالجدي فِي مرْآة العين"(ابن سيدة، 7،501/1958(ج د ي)) .

قال المهلهل (التغلبي، 1995: 42):

كأنَّ الجديَ جديَ بَنَاتِ نَعشٍ يَكُبُّ علىَ اليدينِ بمُستَديرِ

العَيُّوقُ:

قالَ أبو هلال: "والعيُّوقُ فِي طرفِ المجرَّةِ الأيمنِ، يطلعُ معَ الثُّريَّا سواءً فنسبَ إليْها، فيُقالُ: عيُّوقُ الثُّريَّا. وعلى أثرِهِ كواكبُ ثلاثةٌ بيِّنةٌ يُقالُ لها الأعلامُ. وأسفلهُ نجمٌ يُقالُ لهُ: رجلُ العيُّوقِ" (العسكري، 1996: 268، 269) وهذا موافق لتعريف ابن قتيبة (ابن قتيبة، 1963، ينظر: 92)، (ابن قتيبة، 1956، ينظر: 37).

وقال سيبويه في بنائه: لزمته الألف واللام لأنه عندهم الشيء بعينه وكأنه جُعِلَ من أمّة كل واحد منها عيوق، قال: فإن قلت: هل هذا البناء لكل ما عاق شيئاً؟ قيل: هذا بناءٌ خص به هذا النجم كالدبران والسماك (سيبويه، 1988، ينظر: 2/ 101، 102)، وقال الأزهري "عيّوق: فيعول، يحْتَمل أَن يكون بِنَاؤُه من عوْق وَمن عيْق، لِأَن الْيَاء وَالْوَاو فِي ذَلِك سَوَاء" (الأزهري، 1967: 19/3 (ع وق))، وهو كَوْكَبٌ أَحمر مُضِيءٌ فِي طَرَف المَجَرّة الأيْمَن، يتلو الثُّرَيّا فِي نَاحِيَةِ الشَّمال وَيَطْلُعُ قَبْلَ الْجَوْزَاءِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنه يَعُوق الدَّبَران عَنْ لِقَاءِ الثُّرَيّا (ابن منظور 1414ه، ينظر: 280/10 (ع ي وق))، (الزبيدي، 1967: 228/26 (ع وق))، ويُنسب العيوقُ إلى الثريا، ولكنه ليس منها، ولا من ذوات الأنواء، ولكنه يطلعُ إذا طلعت (ابن قتيبة، 1956، ينظر: 34).

قال الشاعر (بشر، 1960: 66):

وَعانَدَتِ الثُريّا بَعْدَ هدءٍ مُعَانَدَةً لَهَا العَيُّوقُ جارُ

أهم العلاقات الدّلاليّة بين ألفاظ حقل السماء وما يتعلّق بها:

1- وجود علاقة ترادف بين (السّماء والجرباء والمطر)، وبين (الشّمس وذُكاء وبراح)، وبين (الكسوف والخسوف)، وبين (الفكة وقصعة المساكين).

2- (النوء) من الاضداد

3- وجود علاقة مشترك لفظي في لفظة الجدي التي تدل على أحد الكواكب وعلى أولاد المعز.

4- كلُّ كوكب من مجموعة الكواكب له لفظة معينة تطلق عليه وحده، وهي جزء من هذه المجموعة، وتربطها بها علاقة التضمّن والاشتمال.

5- علاقة الجزء بالكلِّ تتمثّل بالعلاقة بين السّماء وكلّ ما يتعلّق بها من نجوم وكواكب. وبين (الشمس وقرناها والهالة والسعرور)، وبين (القمر والطفاوة)، وبين (القمر، والهلال، والبدر)، وبين (البروج والحمل والثور والجوزاء...)

6- وجود علاقة تقابل في العدد بين الشّمس والشّموس وأشمس، وبين السماء والسماوات واسمية وسُمي، وبين القمر والأقمار، وبين دري ودراري.

الخاتمة

من خلال الدراسة، وسأوجز أهمَّ النتائج التي توصلت إليها:

1- قامت نظرية الحقول الدلالية على أساسين، الأول منهما: هو جمع الألفاظ تحت لفظ رئيس يجمعها بعلاقة، وهذا يُعدُّ سبقا لعلمائنا القدماء بقرون من الزمن على ظهور نظرية الحقول الدلالية، أمّا الأساس الثاني لهذه النظرية: هو بيان نوع العلاقة بين هذه الالفاظ وهي (الترادف، والتضاد، والاضداد، والجزء بالكل، والاشتمال).

2- لم يغفلْ علماء العربية عن هذه العلاقات، لكنها كانت متناثرة في الكتب اللغوية، أول من تكلم بها سيبويه في كتابه، ثم أصبح لها مؤلفات خاصة.

3- عند جمع الفاظ اللغة العربية من قبل العلماء قديما، تنوعت الطرق في الجمع فكانت بين الرسائل اللغوية، التي أصبحت فيما بعد نواة للمعجمات، ثم معجمات المعاني التي كان أساسها جمع اللغة على أساس معنوي، من خلال وضع لفظ أساسي يندرج تحته مجموعة من الالفاظ ترتبط معها بعلاقة، وكان هذا هو الأساس الذي اتخذه أبو هلال في تاليف كتاب التلخيص، ثم معجمات الالفاظ التي تقوم على جمع الالفاظ وترتيبها على أساس الحروف.

4- كان سبب تسمية الكتاب بـ(التلخيص) وذلك للإيجاز والاختصار الذي فيه، ونجد أن الكتاب محافظ على هذا الاختصار في معظم ألفاظه، لكن توجد ألفاظ قليلة خرج بها أبو هلال عن الاختصار في تعريفها ومنها لفظة (النوء) حيث كان تعريفها ما يقارب النصف ورقة وذلك لا نجده في كتاب الذي عُرفَ بالإيجاز، وكذلك لفظة(الخُنَّس)، ربما يرجع ذلك لاهتمام العرب القدامى بالسماء وما عليها من كواكب ونجوم.

5- يوجد تعارض في فكرة التَّرادف عند أبي هلال العسكري في كتابيه (التلخيص) و(الفروق اللغوية)، فقد أنكر التَّرادف في كتاب الفروق اللغوية الذي يقوم أساسا على أيجاد الفروق بين مجموعة من الالفاظ التي يظنُّ بعض النَّاس أنّها بمعنى واحد، ووضح ذلك في (الباب الأول)، وذكر أن كلَّ اسْمَيْنِ فِي لُغَة وَاحِدَة يحملان معنى من الْمعَانِي يختلف عن المعنى الذي يقتضيه الاسم الآخر والا لَكانَ الثَّانِي فضلة لَا يحْتَاج إِلَيْهِ، أما في كتاب التلخيص فنجده يذكر للشيء أكثر من اسم دون أن يفرق بينهما، وهذا هو الترادف بعينه، ونجد ذلك في أسماء السَّماء، وأسماء الشَّمس.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1979.

- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت 244هـ)، الألفاظ، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، 1998م.

- ابن دُرُسْتَوَيْه، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد ابن المرزبان (ت 347هـ)، تصحيح الفصيح وشرحه: تحقيق: محمد بدوي المختون، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1419هـ-1998م.

- ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ)، المخصص: تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1417هـ - 1996م.

- ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: مصطفى السّقا، ود.حسين نّصار، الطبعة الأولى، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، 1377هـ- 1958.

- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرَمي الإشبيلي، (ت 669هـ)، الممتع الكبير في التصريف: مكتبة لبنان، ط1،1996م.

- ابن فارس، أحمد (ت395هـ)، مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ) الأنواء في مواسم العرب: الناشر: دار المعارف العثمانية- حيدر اباد-الهند، 1956م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ(ت276هـ)، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة، مصر، 1963م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين (ت711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر -بيروت، ط3، 1414هـ.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي - القاهرة، 1967م.
- الأصبهاني، محمد بن عمر المديني أبو موسى(ت581هـ)، المجمع المغيث في غريبي القرآن والحديث: تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة ام القرى، ط1، 1406هـ-1986م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت425هـ)، المفردات في غريب القرآن: ضبطه وراجعه: محمد خليل غسّاني، الطبعة الخامسة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2007م.
- الأعشى، ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، تحقيق: د. محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب، 1398هـ-1977م .
- امرئ القيس، ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر، 1964م.
- الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط: دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان. ط1 1993م-1413هـ.

- البخاري، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، الصحيح البخاري بحاشية السهارنفوري: تحقيق: د. تقي الدين الندوي، الناشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، يوبي-الهند، ط1، 1432هـ-2011م.
- بشر، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم السوري، بيروت، 1960م.
- التغلبي، ديوان المهلهل بن ربيعة، تحقيق: أنطوان محسن القوال، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.
- الثعالبي، أبو منصور بن إسماعيل النيسابوري (ت430هـ)، فقه اللغة وأسرار العربية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري، ط2، القاهرة، 1373هـ-1954م.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ - 1987م.
- ذي الرمة، ديوان ذي الرمة: قدم له أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ط1 1995م -1415هـ.
- الزبيدي، محمد بن محمد السيد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: د. إبراهيم السامرائي، ود. أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة حكومة الكويت، 1386هـ-1967م.
- الزجَّاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه: المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت ط1، 1408هـ - 1988 م.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1408هـ-1988م.
- الصغاني، الحسن بي محمد بن الحسن (ت650ه)، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتب، القاهرة، 1974.
- الطرماح، ديوان الطرماح بن حكيم الطائي، تحقيق: محمد علي البجوسي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- العسكري، أبو هلال، (ت395هـ)، جمهرة الأمثال، حققه وعلّق على حواشيه ووضع فهارسه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد الحميد قطامش، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1964م.
- العسكري، أبو هلال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق: الدكتور عزة حسن، الناشر: دار طلاس، ط2، 1996م.
- العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: حسام الدين المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1981م.
- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544ه)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، تونس، 1332ه.
- الفارسي، أبو القاسم زيد بن علي، شرح حماسة أبي تمام، تحقيق: محمد عثمان علي، الناشر: دار الاوزاعي-بيروت، ط1.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري (ت170هـ)، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، 1982م.

- قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (ت 206هـ)، الأزمنة وتلبية الجاهلية، حققه وقدّم له: د. حنا جميل جواد، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، 1985م.
- كراع النمل، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن (ت بعد 309هـ)، المُنَجَّد في اللغة: تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1988م.
- المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان ابن جني المُسمَى بالفسر، عني بتحقيقه: د. صفاء خلوصي، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية - بغداد، 1988م.
- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (363 - 449 هـ)، اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، المحقق: محمد سعيد المولوي الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م
- الهروي، أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي (ت 224هـ)، الغريب المصنف، المحقق: صفوان عدنان داوودي، دار الفيحاء بدمشق 1426هـ - 2005م.

البحوث الجامعية:

- إسماعيل، س ه نكه ر علي مامه. دلالات الألوان الأساسية في المعجمات العربية، مجلة الأستاذ، العدد 225 - المجلد الأول 2018م-1439هـ.
- صبري، خالد حميد. الخطاب القرآني مقاربة في ضوء لسانيات النص، مجلة الأستاذ، العدد 222 المجلد الأول 2017م، 1438هـ.

- عباس، زهرة خضير. العلاقات الدلالية في شعر ابن دريد الأزري دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص، زهرة خضير عباس، مجلة الأستاذ، العدد 227 /كانون الأول 2018م-1440هـ.
- ماهر، عبير محمد. سورة الواقعة دراسة لغوية، مجلة الأستاذ، العدد 224-المجلد الثاني، 2018م-1439هـ.

شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري

أ.م. د يسرى خلف حسين كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

الملخص

يتناول هذا البحث شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري، التي تعدُّ واحدة من أبرز نماذج فن المقامة في التراث العربي. يهدف البحث إلى استكشاف جماليات هذه التفاصيل ودورها في بناء النص المقامي وتكوين دلالاته. يقوم البحث بتحليل الأساليب الفنية التي استخدمها الحريري لرصد التفاصيل اليومية في واقع مجتمعه خلال عصره، مسلطًا الضوء على القيم الجمالية والفنية التي تحملها هذه التفاصيل، والتي تتجاوز الوصف السطحي لتخلق أبعادًا دلالية وجمالية غنية. كما يركز البحث على دراسة العلاقة بين هذه التفاصيل اليومية وبنية المقامة بشكل عام، وكيف ساهمت في تشكيل الهوية الأسلوبية الفريدة للمقامات الحريرية. يستند البحث إلى المنهج التحليلي، الذي يمزج بين التحليل النصي وتقنيات الدرس البلاغي التقليدي، للكشف عن شعرية التفاصيل اليومية وأبعادها الدلالية والجمالية في مقامات الحريري.

الكلمات المفتاحية: مقامات الحريري، التفاصيل اليومية، شعرية السرد، الحياة الاجتماعية، البلاغة العربية، جماليات النثر.

The Poetics of Everyday Details in Al-Hariri's Maqamat

Assistant Professor Dr. Yusra Khalaf Hussein
Ibn Rushd College of Education, University of Baghdad

Abstract

This study explores the poetics of everyday details in the Maqamat of al-Hariri, one of the most prominent examples of the maqama genre in Arabic literary heritage. The research aims to examine the aesthetics of these details and their role in constructing the maqama text and shaping its meanings. It analyzes the artistic techniques employed by al-Hariri to capture the everyday aspects of his society during his time, highlighting the aesthetic and artistic values embodied in these details, which go beyond surface description to create rich semantic and aesthetic dimensions. The study also focuses on the relationship between these everyday details and the overall structure of the maqama, and how they contributed to shaping the unique stylistic identity of al-Hariri's maqamat. The research adopts an analytical approach, combining textual analysis with traditional rhetorical methods to uncover the poetics of everyday details and their semantic and aesthetic implications in al-Hariri's maqamat.

Keywords: Al-Hariri's Maqamat, everyday details, narrative poetics, social life, Arabic rhetoric, aesthetics of prose.

المقدمة

تُعد مقامات الحريري (446هـ - 516هـ) من أبرز المحطات في تطور النثر الفني في التراث العربي؛ إذ تجاوزت حدود التسلية والوعظ إلى فضاء التعبير الجمالي عن الحياة الاجتماعية، والواقع اليومي للناس. وقد تميزت هذه المقامات ببنية لغوية محكمة، وحس سردي فريد، إضافةً إلى قدرتها على التقاط جزئيات الواقع وتحويلها إلى مكونات فنية بالغة الحيوية. من هنا ينبثق اهتمام هذا البحث بما يمكن أن نُطلق عليه "شعرية التفاصيل اليومية" في هذه المقامات، بوصفها أحد الأبعاد الجمالية التي لم تُفرد لها دراسات كافية مستقلة.

تكمن إشكالية البحث في التساؤل التالي: كيف تتحول التفاصيل اليومية البسيطة في مقامات الحريري إلى عناصر شعرية تساهم في بناء الدلالة وتكثيف الأبعاد الجمالية للنص؟ وهل هي مجرد أدوات وصفية، أم أنها بنية فنية ذات وظيفة سردية وجمالية عميقة؟

ينطلق هذا البحث من فرضية أنّ التفاصيل اليومية، كما تظهر في مقامات الحريري، ليست مجرد زخارف لغوية أو مشاهد هامشية، بل هي نواة سردية تكشف عن منظور الكاتب إلى المجتمع واللغة والواقع، وتمثل في الوقت نفسه استراتيجية بلاغية واعية تُضفي على النص عمقًا رمزيًا وطبقات دلالية متراكبة. ويهدف البحث إلى: تحليل حضور التفاصيل اليومية في المقامات. الكشف عن البُعد الشعري الكامن خلف هذا الحضور، ربط هذه التفاصيل بالسياق البلاغي والاجتماعي والفني العام للمقامة.

وتبرز أهمية البحث في كونه يسلّط الضوء على جانب مُهمل نسبيًا في تحليل المقامة، وهو البعد الجمالي للتفاصيل اليومية، في مقابل الدراسات

التي ركّزت على الفصاحة أو الجانب التعليمي للمقامة فحسب. يستند البحث إلى المنهج التحليلي، الذي يمزج بين التحليل النصي وتقنيات الدرس البلاغي التقليدي، للكشف عن شعرية التفاصيل اليومية وأبعادها الدلالية والجمالية في مقامات الحريري، كما يستأنس ببعض المفاهيم من نظرية الشعرية الحديثة (تودوروف، ياكبسون، كوهين) لتوسيع زاوية النظر إلى مفهوم "الشعرية". وبالرغم من تعدد الدراسات حول المقامات، كدراسات مصطفى الشكعة ومارون عبود وعبد الملك مرتضى وغيرهم، وعلى رأسهم عبد الفتاح كيليطو، فإنها لم تفرد تفصيلًا وافياً لمفهوم شعرية اليومي، مما يجعل هذا البحث إضافة نوعية في هذا السياق. يتوزع البحث على ثلاثة مطالب رئيسة، تتناول أنواع المقامات ذات الطابع الحضري، والتجاري، والديني، بوصفها حوامل أساسية لشعرية التفاصيل اليومية، مع خاتمة تُلخّص أبرز النتائج وتقدم آفاقًا بحثية مستقبلية. اخترت التركيز على المقامات التالية (البصرية، الدمياطية، الدينارية، النجرانية، المكية، الحلوانية، الصنعانية، الكوفية، الحلبية، الدمشقية، البغدادية) من بين خمسين مقامة لأن هذه النماذج تمثل بجلاء الطابع الحضري، والتجاري، والديني، وهي الحقول التي تبرز فيها شعرية التفاصيل اليومية على نحو أوضح وأكثر تكثيفًا.

التمهيد

اولًا: سيرة الحريري

هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (الحموي، 1999: 195/6)، (ابن خلكان، 64/4). وُلد ونشأ في قرية قريبة من البصرة تُدعى المشان في سنة 446 للهجرة، ثم انتقل للسكن في البصرة في محلة بني حرام. كان يتمتع بذكاء وفطنة استثنائية، وقد ارتبط بأبرز علماء عصره، وتلقى عنهم تعاليم الفقه والحديث واللغة والأدب. مما أهله لامتلاك مهارات فصيحة وقدرة بارعة في البلاغة.

ويُروى أنه كان يعيش وسط الرفاهية في البصرة، إذ كان يمتلك في قريته المشان ثمانية عشر ألف نخلة. كما كان يحظى بمكانة مرموقة ونفوذ، إذ كان يعد من رجال الخير في البصرة، وكان ينقل أخبار الناس والجيش والإدارة إلى الخليفة. قضى حياته متنقلًا بين المشان والبصرة وبغداد، حريصًا على حضور مجالس العلم والأدب، حيث كان يحظى بإعجاب الآخرين وثناء الألسنة لما يقدم من أشعار وأدب، فضلا عمّا يقدمه من معارف دقيقة وعلوم متنوعة.

كان الحريري يميل إلى الإحساس المرهف وصادق الحس والحكمة. يُروى أنّ شخصًا غريبًا زاره بغرض التعلم منه، وعندما رآه، استهجن مظهره، ففهم الحريري ذلك، وعندما طلب منه أن يملي عليه شيئًا، رد عليه قائلًا:

ما أنت أول سارٍ غَرَّه قمرٌورائدٍ أعجبَتْه خُضرَة الدِّمَنِ

فاختر لنفسك غيري إنني رجلٌ مثل المُعَيْدِيّ، فاسمع بي ولا تَرَنِي

فشعر الرجل بالخجل وانصرف (ابن خلكان، 66/4-67)، (ابن عماد، 1986: 85/6).

ثانيًا: نشأة فن المقامات وتطوره

فن المقامات هو نوع أدبي يجمع بين الأدب والحكاية. أصلًا، تعني كلمة "مقامة" المجلس أو الاجتماع بين الناس. ومع مرور الوقت، أصبح هذا المصطلح يُستخدم للإشارة إلى حكاية تُروى في تجمع عام. تمثل المقامات قصصًا قصيرة تسرد مغامرات أديب بارع يقوم بإظهار فصاحته وبلاغته الأدبية، مستخدمًا ذلك في إيقاع المكافآت والعطايا من الناس، وينتقل من بلد لآخر ممارسًا مختلف حيله وألاعيبه. ومصاحبًا لهذا الأديب، يوجد راوية يروى للجماهير هذه المواقف ويرصد أحداثها.

يعد بديع الزمان الهمذاني هو أول من أسس فن المقامات، حيث أبدع مقاماته الشهيرة (القلقشندي 1987: 124/14)، واختار شخصية أبي الفتح الإسكندري بطلًا لها، بينما كان راويها عيسى بن هشام، وكلاهما من خيال مؤلفه. كان الهدف من تأليفه للمقامات تعليم اللغة للأجيال الناشئة، مستخدمًا أسلوب الفكاهة الجذاب لإضفاء المتعة على التعلم.

تميزت مقاماته بابتكار قصص تعكس ما يثير رغبات الناس، تحتوي على ألفاظ جمالية وسجع متكامل يخطف الأنفاس، ممزوج بالحكمة والخفة لجذب القلوب (الثعالبي، 1983: 294/4).

انتشرت مقامات الهمذاني بسرعة في العالم الإسلامي ونالت استحسان العلماء. وقد حاول بعض الأدباء تقليدها للحصول على شهرتها. ومع ذلك، كانت تلك المحاولات متواضعة حتى ظهور الحريري (ت 516هـ) الذي أنشأ مقاماته الخمسين الشهيرة، التي تميزت بالجمال الفني، مما أضاف إليها قيمة فنية عالية، ولقت اهتمامًا واسعًا من قبل جميع فئات الناس، حتى صارت مقامات الهمذاني تُعتبر أقل شهرة (القلقشندي، 1987، 125/14).

أشار الحريري في مقدمة مقاماته إلى تأثره ببديع الزمان الهمذاني، معترفًا بفضله في هذا الفن، حيث قال: "هذا مع اعترافي بأن البديع - رحمه الله - سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أُولي بلاغة قدامة، لا يعترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك الميسرى إلا بدلالته" (الحريري، 7)، (الشريشي، 1998: 32/1). تعكس هذه العبارة تواضع الحريري وتقديره العميق للهمذاني، رغم أنه في المقامة السابعة والأربعين، أقر لنفسه بالسبق على بديع الزمان، وذلك على لسان بطله السروجي، حيث قال: "إن يكن الإسكندري قبلي فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل" (الحريري:555)، (الشريشي، 1998: 33).

يجمع العلماء على أن الحريري قد بلغ في فن المقامات مستوى رفيعًا لا يمكن مجاراته، وارتقى إلى مكانة تفوق قدرات السابقين (الحموي، 1999: 6/ 195)، كما يرى البعض أن لديه موهبة فريدة جعلته يجسد هذا الفن بشكل استثنائي. وفقًا لما رواه ياقوت الحموي، شهدت تلك المكانة العالية للحريري، حيث يذكر: "ومن عجيب ما رأيته وشاهدته أني وردت آمد، في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة، وأنا في عنفوان الشباب، فبلغني أنَّ بها علي بن الحسن بن عنتر، المعروف بالشميم الحلي (ت 601هـ)، وكان له علم غزير، لكنه لم يكن يولي أي اعتراف لمسؤولية أحد من أهل الفضل، سواء من المتقدمين أو المتأخرين. وعندما حضرته، كنت أسمع منه ازدراءً لأولئك الذين لهم فضل في العلوم..." (الحموي، 1999: 6/199-200).

يستمر الشميم الحلي في سرد كيف لم يستطع الاعتراف بمكانة غيره، ولكنه أشار إلى الحريري كأحد الثلاثة الذين يستحقون الشهادة، وكان اعترافه بمكانة الحريري يمثل نقطة ضوء في حديثه.

بعد الحريري، ظهر أدباء آخرون مثل السرقسطي (ت 553هـ)، والزمخشري (ت 538هـ)، والسيوطي (ت 911هـ)، الذين قاموا بمحاكاة أسلوب المقامات التي أنشأها الحريري، دون أن يصلوا لمستوى الكمال الذي بلغه. ومع ذلك، يُعد الحريري الأكثر شهرة واتقانًا في هذا المجال.

ولم يقتصر تأثير المقامات على العالم الإسلامي فقط، بل انتقلت عبر الأندلس إلى أوروبا، مما أثرى الأدب الإسباني بشكل واضح. وقد تطور نوع من الفن القصصي في القرن السادس عشر يُعرف بالأقاصيص البيكارسية، التي تصف حياة المشردين والمتسولين، وتعتمد على أساليب مشابهة لتلك المستخدمة في المقامات، حيث يتناول أبطالها حياتهم وحيلهم (ضيف، 1994: 526).

ثالثًا: تعريف شعرية التفاصيل اليومية:

شعرية التفاصيل اليومية هي أسلوب أدبي يعتمد على استحضار المشاهد اليومية والتفاصيل البسيطة التي تشكل جزءًا من الحياة اليومية، لكن يتم معالجتها وتقديمها بطريقة شعرية تحمل معانٍ دلالية تتجاوز الواقع الظاهر. في هذا السياق، لا تقتصر التفاصيل على مجرد وصف للأشياء، بل تتحول إلى رموز تحمل تجارب ومشاعر ومعانٍ فلسفية، مما يسمح للقارئ بتأمل العالم المحيط به بعيون مختلفة. هذه التفاصيل قد تشمل مشاهد طبيعية، مواقف اجتماعية، أو حتى أشياء حياتية عادية، يتم التأكيد عليها بشكل يعكس الجوانب النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية في النص الأدبي (فضل، 2001، 13).

تُعد "الشعرية" من المفاهيم المحورية في النقد الأدبي الحديث، وقد تطورت دلاليًا منذ أرسطو إلى منظّري الحداثة، حتى أصبحت تمثل علمًا

يدرس الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية. ويعود أصل الكلمة إلى لفظة Poetica عند أرسطو، حيث ارتبطت في بداياتها بتمييز الشعر عن غيره من أنواع القول، لكنها تطوّرت لاحقًا لتصبح مرادفًا لعلم الأدب ككل. وقد أولى الشكلانيون الروس في أوائل القرن العشرين اهتمامًا خاصًا بالشعرية، وفي مقدمتهم رومان ياكبسون، الذي اعتبرها وظيفة لغوية تركز على "الرسالة من حيث كونها رسالة"، أي على الجانب الجمالي للغة لا الإخباري فحسب (ياكبسون، 1987: 52)، كما أشار إلى أن الشعرية تتحقق حين يحدث انزياح لغوي عن المألوف، فيغدو النص مدهشًا ومغايرًا للتعبير اليومي.

ومن المنظور البنيوي، يرى جون كوهين أن الشعرية "تقوم على مبدأ الانزياح عن اللغة المرجعية"، بحيث يصبح الخطاب الأدبي خطابًا مكثفًا، مغايرًا في الصياغة والتأويل (كوهين، 1986: 35).

وفي السياق العربي الحديث، حاول النقاد تبيئة هذا المفهوم ضمن تراث البلاغة والنقد العربيين، ومن أبرزهم صلاح فضل، الذي عرّف الشعرية بأنها "القدرة الكامنة في البنية اللغوية للنص الأدبي، حين تتجاوز المعنى المباشر لتنتج دلالات وإيحاءات متعدّدة" (فضل، 2001: 35)ويرى أن الشعرية ليست وقفًا على الشعر، بل قد تتحقق في النثر أيضًا، ما دام يحمل التوتر الفني والتكثيف البلاغي، انطلاقًا من هذه المرجعيات.

يُقصد بـ"شعرية التفاصيل اليومية" في هذا البحث: تلك القدرة الفنية التي يمتلكها الكاتب لتحويل عناصر الحياة اليومية – مثل الفقر، الطعام، الأسواق، العادات، اللهجات، المهن، وحتى الطرائف – من مجرد وقائع اجتماعية إلى مشاهد جمالية غنية بالدلالة والرمز. ويتم هذا التحويل عبر

وسائل بلاغية مثل: السجع، التورية، المفارقة، التضمين، الترميز، التناص، والسرد المشهدي.

وفي هذا السياق، تُعد مقامات الحريري نموذجًا متقدّمًا لاستثمار التفاصيل اليومية في سياق فني؛ إذ لم يكتفِ المؤلف بتصوير الحياة كما هي، بل قدّمها في ثوب بلاغي ساخر، متقن الأسلوب، تتضافر فيه تقنيات البلاغة مع أدوات السرد، ما يجعل من "التفاصيل اليومية" مادةً فنية لا تقل شعرية عن التخييل نفسه.

وبذلك، فإن "شعرية التفاصيل اليومية" ليست عنصرًا عارضًا في المقامات، بل تُعد استراتيجية سردية واعية تسهم في بناء النص، وتعكس موقفًا من العالم واللغة والناس، يُقرّب الأدب من الحياة، دون أن ينفي عنه طاقته الجمالية.

شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري

أولا: المقامات ذات الطابع الحضري

المقامة الكوفية

تعكس "المقامة الكوفية" شعرية التفاصيل اليومية من خلال تصويرها لمواقف إنسانية مألوفة (السمر، الجوع، الضيافة، الكذب الأبيض)، ضمن قالب لغوي مشبع بالبيان، مما يمنح اليومي والمعتاد قيمة جمالية تُخرجه من عاديته إلى فضاء الأدب والفن. وتتجلى هذه الشعرية في الآتي: أولًا: مشهد السمر والسهر: يفتتح الراوي المقامة بمشهد مألوف: سمرٌ ليليّ في مدينة الكوفة، تحت قمرٍ فضيّ. يظهر الأنس في جو الحديث وجمال الصحبة: "سمرتُ بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين، وقمرها كتعويذ من لجين...

فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر." (الحريري، 1978: 105، 106، 40).

هذا المشهد يُصوّر طقسًا اجتماعيًا يوميًا، لكنه يُقدّم بلغة تشبيهية تجعل من الصورة اليومية حدثًا شعريًا.

ثانيًا: وصف الضيف الجائع: يطرق البابَ ضيفٌ غريبٌ، يطلب القِرى، في موقف يشيع في البيئات العربية:

قد دفع الليل الذي اكفهرا إلى ذراكم شعثًا مغبرًا
وأمَّكُم دُون الأنامِ طُرّاً يبغي قِرى منكم ومستقرًّا
(الحريري، 1978: 40، 41).

ثم يُصرّ على عدم التكليف: "لا تلمَظتُ بقِراكم، أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كَلًّا، ولا تجشموا لأجلي أكلًا" (الحريري، 1978: 41).

تُظهر هذه العبارات حساسية الضيف تجاه الكلفة، وهو موقف اجتماعي مألوف يرصده الحريري بدقّة، ويمنحه بُعدًا جماليًا.

ثالثًا: الأكل، الأمثال، وسلوك الضيافة: يتخلل المقامة إشارات إلى الطعام وأمثلته اليومية: "وشرُّ الأضياف من سام التكليف... وما قيل في المثل الذي سار سائره: خير العشاء سوافره" (الحريري، 1978: 41)، تُبرز هذه الأمثال كيف أن السلوك اليومي والمعيشة البسيطة تتحوّل إلى قول مأثور، يحفظه الناس ويتناقلونه، وهو من أبرز مظاهر التفاصيل اليومية.

رابعًا: الحيلة والقصّة العجيبة: يتمحور الحدث حول ادّعاء الضيف بأنه التقى ابنه المفقود، ثم يتبيّن لاحقًا أنه يكذب. غير أن الحيلة ذاتها مبنية على شعور إنساني يومي: الحنين، الفقد، والحيلة في طلب المال، التعاطف. "والله ما برة بعرسي، ولا لي ابن به اكتنيت... وإنما لي فنون سحر"

(الحريري، 1978: 46، 47). بهذا، تُظهر المقامة الكوفية غنى التفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الأدبية والإنسانية.

المقامة البغدادية

تتميز المقامة البغدادية بشعرية التفاصيل اليومية بشكل واضح وبارز، حيث تبرز هذه التفاصيل من خلال تصوير حياة المهمّشين والفقراء، خاصة في شخصية "العجوز" التي يتضح لاحقًا أنها أبو زيد متنكرًا. يبدأ العرض الوصفي بتفاصيل دقيقة عن هيئة العجوز وصبيتها، مثل: "أنحف من المغازل" "وصلد الزند" "وضاع اليسار" "بانت المرافق" "لم يبق لنا ثنية ولا ناب" (الحريري، 1978: 46، 47) تعتبر هذه التعبيرات تجسيدًا لواقع الشيخوخة والبؤس، وتستعير من الحياة الجسدية اليومية ما يخدم شكواها بطريقة شعرية موحية.

كما يظهر النص مشاهد مألوفة في المجتمع، مثل مشهد الاستجداء في الأسواق، واللجوء إلى الشعر كوسيلة للرزق، فضلًا عن تكدس الحشود في السوق والتجول بين المساجد. هذه التفاصيل تعكس الحياة اليومية للناس، ويستخدمها الحريري في إطار بلاغي ساخر.

يُلاحظ أيضًا ذكر أدوات ومواضع مألوفة مثل:

- "بمذقة من حازر أو مخيض"
- "سوق مختصة بالأنام"
- "مسجد خال" (الحريري، 1978: 108، 109).

تُجسّد هذه العبارات «شعرية التفاصيل اليومية» في المقامة البغدادية، فالعبارة الأولى ترفع شأن البسيط (طلب جرعة لبن) إلى مستوى الشعر بلغة بدوية دقيقة (حازر، مخيض)، مخلّفة مفارقة بين فصاحة اللفظ ووضاعة

الحاجة. والعبارة الثانية تحوّل السوق العادي إلى فضاء اجتماعي حي بتجسيد جمهوره (مختصة بالأنام)، مما يضفي هالة على حركة الحياة اليومية. أما العبارة الثالثة فتصوغ من "مسجد خالٍ" صورة مكثفة توحي بالغربة والوحدة، محوّلة مكاناً مألوفاً إلى عنصر درامي.

وهكذا، يستخدم الحريري هذه التفاصيل ليس للوصف فحسب، بل لخلق مفارقة ساخرة، وتكثيف المشاعر، وتقديم نقد اجتماعي غير مباشر للفقر والغربة. فاللغة الفخمة تلتقط أدق تفاصيل الحياة لتحويل المألوف إلى فنّي، مؤكدة أن البلاغة لا تنفصل عن واقع الإنسان المعيش.

المقامة الدمشقية

يتضمن نص المقامة الدمشقية تفاصيل يومية تتخلل البنية السردية والفنية، مما يضفي عليها طابعًا شعريًا خاصًا يجمع بين الواقعية والأسلوب الأدبي المتكلف. تُعتبر هذه المقامة من أبرز تجليات "شعرية التفاصيل اليومية".

"شخصتُ من العراق إلى الغوطة، وأنا ذو جرد مربوطة، وجدة مغبوطة، يلهيني خلو الذرع، ويزدهيني حفول الضرع." (الحريري، 1978: 95).

تُمثّل هذه العبارة نموذجًا رفيعًا لشعرية التفاصيل اليومية، حيث يحوّل الحريري رحلة سفر عادية إلى لوحة حسية مفعمة بالحيوية. فهو لا يذكر السفر فقط، بل يصف حالة المسافر الجسدية (جرد مربوطة – دواب مهيأة) والنفسية (جدة مغبوطة – همة عالية) بأسلوب بلاغي مكثف. يبلغ الإبداع ذروته في وصف مصادر اللهو: خلو الدرع (الفراغ من الحرب) وحفول الضرع (امتلاء الضرع باللبن)، وهي تفاصيل بدوية يومية تُصاغ على نحو استعاري لتعبر عن حياة الترف واللهو. وهكذا يتحول الوصف الواقعي البسيط إلى مشهد شعري يعكس التناقض بين حياة اللهو والرغبة في التغيير.

-لحظة الاستفاقة والقرار بالرحيل:

"وقد استفقت من الإغراق، فعادني عيد من تذكار الوطن." (الحريري، 1978: 95).

يشير التعبير إلى الحنين للوطن، واستفاقة الضمير بعد لهو، مما يجعل القرار بالرحيل نتيجة لحالة داخلية ملموسة.

الحيلة الجديدة: "دعاء الحماية":

دعاء طويل يتلوه بصوت خاشع، مليء بالتفاصيل الحياتية:

"اللهم احفظني في نفسي ونفائسي، وعِرضي وعَرَضي، وعَدَدي وعُددي، وسكني ومسكني، وحولي وحالي." (الحريري، 1978: 99).

يجمع هذا الدعاء مفردات الحياة اليومية الخاصة: النفس، المسكن، المال، العدد، والعرض، ويدمجها ضمن شعرية روحية تعكس حاجات الإنسان الواقعية.

وبهذا، تبرز هذه المقامة عملًا أدبيًا غنيًا بالتفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الفنية والإنسانية.

المقامة الحلبية

تظهر المقامة الحلبية من مقامات الحريري بوضوح شعرية التفاصيل اليومية، وتتجلى في عدة جوانب، منها:

تصوير الحياة اليومية والعادات:

تبدأ المقامة بوصف الرحلة إلى حلب وحمص، وتذكر فيها حركات السفر، والتخييم، ونسيم المكان. هذه التفاصيل تصور أنشطة السفر والمقام في المدن كما يعيشها الناس فعليًا.

قوله: "فأسرعت إليها إسراع النجم... فحين خيمت برسومها" (الحريري، 1978: 375).

فيه تصوير شعري ليوميّات السفر والمقام في أماكن محددة.

-ممارسات التعليم والمسابقة بين الصبيان: يصف المشهد الشيخ مع عشرة صبيان، مما يُصور جلسة تعليمية أو اختبارية، أشبه بمشهد دراسي حي. استخدام الألواح والكتابة والأشعار، والانتقال من واحد إلى آخر، يمثل طقوس التعلم التقليدي (الحريري، 1978: 375، 376).

المهارات اللسانية واللغوية:

تظهر تفصيلات دقيقة عن النطق بين السين والصاد، والضاد والظاء، وتمييز الكتابة ونطق الحروف، وهي قضايا يومية في تعليم اللغة. كما يذكر أدوات الكتابة مثل اللوح، القلم، والحبر مما يعكس البيئة التعليمية اليومية (الحريري، 1978: 377).

تنوع اللهجات والأساليب اللغوية: تظهر أبيات فيها لعب لغوي، أحيانًا شبيه بالهذيان، مثل: "فتنتني فجننتي تجني بتجن يفتن..." (الحريري، 1978: 377).

هذا البيت هو ذروة تجسيد "شعرية التفاصيل اليومية" في بعدها اللغوي. فالنص لا يكتفي بوصف موقف تعليمي عادي، بل يحوّله إلى لوحة فنية تعج بالحياة.

يتميز البيت بالجناس والتلاعب اللفظي المكثف ("فتنتني فجننتي تجني بتجن يفتن")، مما يحاكي الأخطاء اللغوية واللعب الكلامي التلقائي الذي يحدث في الفصول الدراسية الحقيقية. هذا "الهذيان" المُتقَن ليس عبثًا، بل هو محاكاة ذكية للّسان الحائر واللهجات المختلطة في بيئة متعددة الثقافات مثل حلب.

-الطرافة والتندر: يستخدم الشيخ أسلوبًا ظريفًا مع الصبيان، مثل: "يا بدير، يا نُويرة، يا قطرب، يا دغفل..." وهذه الأسماء والتعليقات تضفي روحًا فكاهية مألوفة (الحريري، 1978: 377).

بهذا الشكل، تعكس المقامة الحلبية غنى التفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الأدبية والإنسانية.

ثانيا: المقامات ذات الطابع التجاري والتجربة الإنسانية

المقامة الصنعانية

إنَّ "المقامة الصنعانية" من مقامات الحريري التي تتضمّن شعرية التفاصيل اليومية بوضوح، ومن النماذج التي تدل على شعرية التفاصيل اليومية

-حال الراوي في بداية المقامة

"فدخلتها خاوي الوفاض، بادي الإنفاض، لا أملك بلغة، ولا أجد في جرابي مضغة" (الحريري، 1978: 15).

فهذا تصوير دقيق لحال الفقر والجوع والتشرد، وهي تفاصيل يومية لكن الشاعرية تنبع من فصاحتها وبنائها المجازي.

-وصف التجوال في المدينة

"فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم، وأجول في حوماتها جولان الحائم" (الحريري، 1978: 15).

فهنا حركة الراوي في الطرق والأسواق تكشف عن صراع يومي مع الحاجة والضياع، وهو ملمح من تفاصيل الحياة المعيشة اليومية.

-مشهد الأكل والطعام في النهاية

"فوجدته مثافنًا لتلميذ على خبز سميد وجدَيٍ حنيذ"(الحريري، 1978: 19).

هنا لحظة طعام بسيطة جدًا، لكنها محمّلة بالدلالة: الكفاف، البساطة، وطقس الحياة اليومية المكرور الذي يُختم به المشهد السردي.
ففي هذه المقامة تحتوي على شعرية التفاصيل اليومية في:
وصف حال الفقر والضياع. التجوال في المدينة. مشهد الأكل البسيط في نهاية المقامة.

المقامة الحلوانية

وفي المقامة الحلوانية نجد
-البداية اليومية الحياتية:
"كلفتُ مذ ميطت عني التمائم، ونيطت بي العمائم" (الحريري، 1978: 21).
ان في هذه العبارة لحظة الانتقال من الطفولة إلى النضج، وهي مرحلة يومية يعيشها كل متعلم. الحارث بن همام يبدأ من واقع معاش يعبّر عن طموحه إلى طلب العلم، وهو طموح يومي في البيئة الثقافية العربية.
-الطواف بالمدن ولقاء الناس:
"فلما حللت حلوان، وقد بلوت الإخوان" (الحريري، 1978: 21).
دخول "حلوان" ليس حدثًا خارقًا، بل جزء من تفاصيل الرحلة اليومية في طلب العلم ومخالطة الناس. ثم تأتي المفارقة اليومية حين يلتقي أبا زيد في زي جديد، فهو لا يظهر في هيئة مألوفة بل متنكرًا، وهي صورة واقعية تشبه لقاءاتنا المفاجئة بأشخاص نعرفهم في غير سياقهم.
-الحياة الثقافية اليومية:
"فدخل ذو لحية كثة، وهيئة رثة، فسلم على الجلاس، وجلس في أخريات الناس"(الحريري، 1978: 24).

هنا مشهد مجلس القراءة والمسامرة الثقافية اليومية، حيث يتذاكر القوم الشعر، ويختبر بعضهم بعضًا في الفصاحة والبديهة، وهي مشاهد مألوفة في البيئة الأدبية العباسية.

فأننا نجد المقامة بحكمة مجربة تعكس معاناة الحياة وتقلّبها، وتندرج ضمن ما نسميه بـ"تفاصيل الوعي اليومي العميق"، وهي جزء من شعرية المقامة.

المقامة المكية

والمقامة المكية مليئة بشعرية التفاصيل اليومية من خلال تصويرها للطقوس الدينية، الأطعمة الشعبية، تعب الطريق، الفقر، والحاجة، إلى جانب الحنين للوطن. وهذا كله في قالب بلاغي ساخر شعري، يجعل اليومي أكثر إشراقًا وتأثيرًا. ومن مظاهر "شعرية التفاصيل اليومية" في المقامة المكية:

ـ الزمان والمكان اليوميان: تبدأ المقامة بحدث ديني معروف لدى الناس جميعًا: الحج، ثم الإشارة إلى ما يلي الحج من عادات يومية: قضاء التفث، واستباحة الطيب والرفت. هذه التفاصيل تنتمي لطقوس الحياة الإسلامية اليومية.

وأحوال الطقس والحركة الواقعية: قول الراوي: "استظهرتُ للضرورة بما يقي حر الظهيرة"، و"وقد حمي وطيس الحصباء، وأعشى الهجير عين الحرباء" (الحريري، 1978: 112). يدل على استحضار الواقع المناخي الحار في مكة، وهو ملمح محسوس من تفاصيل الحياة اليومية.

-وصف الحالة الاجتماعية: "إذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع" دخول الشيخ المتسول وابنه إلى المشهد وهم يسألون الطعام والسفر، مشهد يومي مألوف يعكس معاناة الفقر، والحاجة، والاغتراب، وكلها ملامح متكررة في الحياة اليومية العربية، خصوصًا في مواسم الحج.

والتفاصيل الدقيقة في الطعام: يقول الفتى:

أريـــــد مـــــنكم شـــــواءً وجردقًـــــا وعصـــــيدة

فـــــإن غـــــلا فرقـــــاقٌ بـــــه تـــــوارى الشـــــهيدة

أو لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريدة" (الحريري، 1978: 115، 116).

هذا المقطع فيه شعرية عالية ولكنها مؤسسة على حاجات بسيطة: الشواء، العصيدة، الخبز، الفتات – وهي أطعمة شعبية، يُطلب أقلّها عند العجز، في ترتيب درامي يومي ينقل معاناة الجوع ببراعة.

والختام بلحظة وجدانية واقعية: حين يسأل الحارث الشيخ عن داره، يُنشد:

"سروج داري ولكن كيف السبيل إليها؟ وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا عليها" (الحريري، 1978: 117).

هذه الصورة المؤثرة تمثل الحنين إلى الوطن، وهو إحساس إنساني عميق يشكّل جزءًا من اليوميات النفسية للمغترب أو المهاجر.

المقامة النجرانية

هذه المقامة من الأمثلة البارزة على "شعرية التفاصيل اليومية"، من خلال توظيف الحياة الاجتماعية، وأدوات الاستعمال اليومي، وجماليات اللغة في وصف المألوف. منها

وصف الحياة اليومية في نجران:

"فلمّا ألقيتُ الجران بنجران، واصطفيتُ بها الخلان والجيران، اتخذتُ أنديتها معتمري، وموسم فكاهي وسمري، فكنتُ أتعهّدها صباحَ مساء، وأظهر فيها على ما سرّ وساء" (الحريري، 1978: 337).

إنَّ هذه المقاطع تُجسّد العادات اليومية في المدينة (الحضور في الأندية، السمر، مخالطة الناس)، وهي من تفاصيل الحياة المدنية والاجتماعية اليومية التي تندرج في إطار الشعرية الواقعية.

وكذلك التفاعل الاجتماعي والحوار الجماعي:

وما جرى من تبادل الألغاز والمناظرة بينه وبين القوم، فيه تصوير لحالة جماعية ذات طابع ترفيهي فكري، تعكس طقسًا ثقافيًا شائعًا، يمثل الحياة الذهنية واللغوية لجماعة معينة.

وايضًا تفاصيل الاستخدام اليومي للأشياء:

في الألغاز وصف لأشياء مألوفة ويومية مثل:

المروحة، القلم، الميل، الدولاب، المزملة (الرحى)، وكلها أدوات تُستخدم في الحياة اليومية، وتُقدم في المقامة بأسلوب لغوي مكثف واستعاري، يُضفي على العادي بُعدًا جماليًا (الحريري، 1978: 337-345).

ثالثا: المقامات ذات الطابع الديني والثقافي

المقامة الدينارية

المقامة الدينارية مليئة بصور الحياة اليومية من فقر، وجوع، وطمع، وسخرية، وحيل معيشية. وهذه أبرز مظاهر "شعرية التفاصيل اليومية".

وصف الواقع المعيشي الصعب: "صفرت الراحة، وقرعت الساحة، وغار المنبع، ونبا المربع..." (الحريري، 1978:28).

تصوير بلاغي للحالة اليومية من الفقر والضيق: "استبطنا الجوى، وطوينا الأحشاء على الطوى، واكتحلنا السهاد..." (الحريري، 1978: 29).

مشاهد مألوفة من الجوع والسهر والهمّ، تُحاكي معاناة الناس اليومية.

وكذلك التعامل مع المال في الحياة اليومية:

أكـــرم بـــه أصـــفر راقـــت صـــفرته جـــواب آفـــاق ترامـــت ســـفرته (الحريري، 1978: 29).

وصف الدينار كأنه إنسان يتنقل ويسافر، فيه حياة ومكانة في تعاملات الناس: "كم أمر به استتبت إمرته" (الحريري، 1978: 30).

يوضّح كيف يُغيّر الدينار أوضاع الناس في تفاصيل حياتهم اليومية.

الحركات اليومية والمواقف الطريفة: "فوضعه في فيه، وقال: بارك اللهم فيه!" (الحريري، 1978: 30).

مشهد عفوي يعكس حالة الجوع والطمع والدعاء، وكلها مشاهد من حياة الناس.

"فأنشد مرتجلًا... تباً له من خادع مماذق..." (الحريري، 1978: 31).

ارتجال شعري يعكس تقلب المواقف اليومية تجاه المال: مدح ثم ذمّ، طمع ثم ندم.

وفكاهة الحياة اليومية:

تعارجـــتُ لا رغبـــة فـــي العـــرج ولكـــن لأقـــرع بـــاب الفـــرج! (الحريري، 1978: 32).

حيلة ذكية من أبي زيد فيها روح دعابة، مأخوذة من واقع المساكين الباحثين عن الرزق بالحيلة.

المقامة الدمياطية

في هذه المقامة، التفاصيل اليومية (السفر، الغسل، الجدال) تتحول من وقائع بسيطة إلى مكونات شعرية وسردية تُثري البناء الفني للمقامة وتُقرّب القارئ من عالمها المعيش، مما يخدم مفهوم "شعرية التفاصيل اليومية" بوصفها عنصراً مميزاً في مقامات الحريري.

-مشاهد السفر والتنقل: "فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق... وكنا مع ذلك نسير النجاء، ولا نرحل إلا كل هوجاء" (الحريري، 1978: 33).
تصوير دقيق لحالة القافلة، والمشقة في الترحال، ويُدخلنا في عالم المسافرين بما فيه من تعب وانسجام جماعي.
-الجدال الأخلاقي بين البذل والحذر: "أرعى الجار ولو جار... ولا أواخي من يلغي الأواخي" (الحريري، 1978: 34، 35).
فهذا الجدال ينبع من تجارب يومية مع الناس، وهو خلاصة لتجربة اجتماعية يومية تُصاغ شعريًا عبر الحوار.
- طلب أبي زيد الاغتسال: "إن بدني قد اتسخ، ودرني قد رسخ، أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم؟" (الحريري، 1978: 38).
هنا تفصيل بسيط لكنه يومي جدًا، حيث يُشير إلى الحاجة للنظافة، ويعكس جانبًا واقعيًا من حياة الطريق، نادر في أدبٍ اعتاد على المجاز والتكثيف.

المقامة البصرية

المقامة البصرية تُعد نموذجًا غنيًا لعنصر "شعرية التفاصيل اليومية" من خلال لغتها التصويرية، ورصدها للحياة العامة، والتعبير عن الذات، وتجسيد المشهد الحضري والمعيشي اليومي. ويمكن تبيّن ذلك من عدة جوانب:
-تفصيل الحياة اليومية ومشهد المدينة:
حين يصف الجامع في البصرة: "وكان إذ ذاك مأهول المساند، مشفوه الموارد، يُجْتَى من رياضه أزاهير الكلام، ويُسمع في أرجائه صرير الأقلام" (الحريري، 1978: 412).
هذه العبارات تنقل صورة يومية حيّة لواقع الحياة العلمية والثقافية في المسجد، عبر وصف الحضور، والمجالس، والأصوات.

وكذلك وصف أحوال الناس وحركتهم:

في قوله: "إلى أن جلست تجاهه بحيث أمنت اشتباهه، فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه، ولا لبس يخفيه، فانسرى بمرآه همي، وارفضت كتيبة غمي" (الحريري، 1978: 412، 413).

وفي قوله: "وما ابتسم ثغر فجر، ولا بزغ نوره في برد ولا حر، إلا ولتأذينكم بالأسحار دوي كدوي الريح في البحار" (الحريري، 1978: 414).

يصور أجواء الفجر، وممارسات المؤذنين، وسلوك الناس في لحظات يومية مألوفة، بأسلوب شعري نابض.

وأيضًا استحضار مشاهد الطبيعة والبيئة الحضرية:

مثل: "به تلتقي الفلك والركاب، والحيتان والضباب، والحادي والملاح، والقانص والفلاح" (الحريري، 1978: 413). هذا السرد يدمج بين مشاهد البحر والبر والناس والطبيعة، ليصوغ مشهدًا بصريًا تفصيليًا غنيًا بالحياة اليومية.

وكذلك وصف الرحلات والتنقلات:

في قوله: "أنا الذي أنجد وأتهم، وأيمن وأشام، وأصحر وأبحر، وأدلج وأسحر" (الحريري، 1978: 415).

نجد وصفًا لحركة الإنسان في المكان والزمان، وكأنها يوميات رجل مسافر.

الخاتمة

إنَّ مقامات الحريري ليست مجرد متون أدبية تتكئ على الفصاحة والبلاغة، بل هي مرايا دقيقة تعكس الحياة اليومية في صورتها الأعمق والأصدق.

يتبيّن من خلال هذا البحث أنّ شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري تمثل أحد أهم المفاتيح الجمالية لفهم هذا الفن النثري الرفيع؛ إذ استطاع الحريري أن يحوّل المألوف والعابر من وقائع الحياة إلى بناء لغوي وسردي مفعم بالدلالة والرمز. فالتفاصيل اليومية -من الطعام واللباس والسوق والسفر، إلى مظاهر الفقر والحيلة والحنين- لم تكن عنده مجرد مشاهد وصفية تُكمل الصورة، بل كانت جوهر التجربة السردية التي تمنح المقامة طاقتها الإبداعية وتكثيفها الفني. لقد أعاد الحريري تشكيل الواقع اليومي عبر لغة فنية تتقاطع فيها البلاغة مع التخييل، ليجعل من المشهد الاجتماعي مادّة للتأمل والجمال في آن واحد.

كما أثبت التحليل أنّ هذه التفاصيل تسهم في بناء هوية المقامة الأسلوبية، فهي تربط النص ببيئته الثقافية والاجتماعية، وتُظهر ذكاء الكاتب في استثمار اللغة لتصوير حياة الناس، ونقد المجتمع بطرائق فنية غير مباشرة. ومن خلال المزج بين السرد والموقف والبيان، تجلّت شعرية اليومي بوصفها استراتيجية فنية تهدف إلى كشف عمق التجربة الإنسانية في أكثر مظاهرها بساطة.

وتؤكد نتائج البحث أنّ مقامات الحريري لم تكن مجرد استعراض للبلاغة، بل مشروع فني يرصد جماليات العيش اليومي في عصره، ويجعل من اللغة أداة لإعادة بناء العالم بعيون الأديب. ومن هنا يمكن القول إن الحريري

أسّس لشكل مبكر من الشعرية النثرية العربية التي تحتفي بالحياة في تفاصيلها، وتمنح العادي والمتداول بعدًا فنيًا خالدًا.

وعليه، فإن "شعرية التفاصيل اليومية" تظل ميدانًا خصبًا للدرس النقدي، يمكن أن يُستثمر مستقبلاً في مقاربة نصوص نثرية وشعرية أخرى من التراث العربي، للكشف عن مدى قدرة الأدب العربي على تحويل اليومي إلى أفق جمالي وإنساني متجدّد.

المصادر والمراجع

- ابن خلكان. وفيات الأعيان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، دون تاريخ.
- ابن عماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، ج6، 1986م.
- ابن منظور. لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ج12، 1968م.
- الثعالبي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، 1983م.
- الحريري. شرح مقامات الحريري، دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.
- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، تحقيق: الدكتور عمر إبراهيم الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، ج6، 1999م.
- الشريشي. شرح مقامات الحريري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ج1، 1998م.
- ضيف، شوقي. المقامة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ج2، 1964م.

- ضيف، شوقي. عصر الدول والإمارات «الأندلس»، جامعة حلب، 1994م.
- فضل، صلاح. الشعرية والبلاغة، دراسات في أدب الشعر، 2001م.
- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج14، 1987م.
- القيرواني، الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ج1، 2001م.
- كوهين، جون. بنية اللغة الشعرية، ت: محمد البكري، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1986م.
- مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، 1398هـ - 1978م.
- ياكبسون، رومان، اللغة والشعر، بيروت: دار توبقال، 1987م.

رؤية العالم والصراع الاجتماعي في روايات حسونة المصباحي.

م.م. أحمد كاطع صبار	قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة بغداد.
ahmed.ahmed23021@coart.uobaghdad.edu.iq	
أ.د. حيدر فاضل عباس	قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة بغداد.

الملخص:

يتناول البحث رؤية العالم في أعمال حسونة المصباحي من خلال الصراع الاجتماعي والسياسي والديني، مبرزاً تناقضات المجتمع العربي وتوتراته. يعكس النص اغتراب الفرد بين قيود التقاليد ورغبته في التحرر، كما يظهر أثر الحروب والهجرة والسلطة القمعية في تشكيل الوعي الجمعي. تتجسد هذه الرؤية عبر شخصيات تعاني صراع الهوية، وتلجأ إلى الهروب بالفن أو الخيال أو حتى التدمير الذاتي. كما يكشف البحث عن نقد لاذع للنفاق الثقافي وهيمنة السلطة، ويؤكد أن الأدب ليس مجرد انعكاس للواقع، بل أداة لكشف تناقضاته وبناء وعي نقدي يستشرف المستقبل.

الكلمات المفتاحية: رؤية العالم، حسونة المصباحي، الصراع الاجتماعي والسياسي، الاغتراب، صراع الهوية، السلطة القمعية، الوعي النقدي.

Worldview and Social Conflict in the Novels of Hassouna Mosbahi

Prof. Dr. Haider Fadhil Abbas
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Baghdad
Researcher: Ahmed Kati' Sabar
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Baghdad

Abstract
The research examines the worldview in the works of Hassouna Mosbahi through social, political, and religious conflict, highlighting the contradictions and tensions within Arab society. The text reflects the individual's sense of alienation between the constraints of tradition and the desire for liberation, while also showing the impact of wars, migration, and oppressive authority on shaping collective consciousness. This vision is embodied in characters who struggle with identity and resort to escape through art, imagination, or even self-destruction. The study also reveals sharp criticism of cultural hypocrisy and the dominance of authority, emphasizing that literature is not merely a reflection of reality, but a tool for exposing its contradictions and constructing a critical awareness that anticipates the future.

Keywords: Worldview, Hassouna Mosbahi, Social and Political Conflict, Alienation, Identity Conflict, Repressive Authority, Critical Consciousness.

هاجس الصراع الاجتماعي:

قد ظلّ الصراع الاجتماعي هاجسًا يختبئ وراءه الروائي التونسي حسونة المصباحي باحثًا عن بصيص من نور ولو في آخر الطريق ليكشف من خلال كتاباته عن هوسه ووساوسه وما تتشابك في مخيلته من قصص وحكايات ومواقف وصراعات قد مرّ بها أو صادفها أو حتى سمعها. فهو يسرد قصصاً من الواقع العربي والغربي. تناول حسونة المصباحي في معظم أعماله تحولات الحياة العامة في تونس، وتوقف عند التوترات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد. انتقد المحاكمات السياسيّة والحيف الاجتماعي والاقتصادي الذي طال فئة عريضة من الشعب، وكانت أعماله بمثابة قراءة للراهن التونسي وتأمل في الإرث الثقافي والاجتماعي لبلد عرف كثيرًا من التقلبات، وانتقل من مناطق التحرر والانفتاح إلى سياقات مختلفة، بدت للكاتب الراحل أنها تعبير عن تقهقر فكري وحضاري (الخصار، 2025)؛ لينتج رؤيته الخاصة لجزء من هذا العالم المليء بالصراعات والتناقضات وينقل واقعة سردها عليه أحد أصدقائه العراقيين وهي تحمل في طياتها الكثير من الهواجس والتخوفات المبنيّة على الصراعات والحروب التي عصفت بالعالم العربي، فيقدّم سردًا لذلك الصراع في روايته (الآخرون): "يشعل سيجارة ثم يواصل: في تلك الحرب - الحرب العراقية الإيرانية - القذرة خسرت أعزّ صديق إلى نفسي خلال فترة الخدمة العسكرية. اسمه عبد الكريم مثلي كان مهووسا بالسينما، مدمنا على قراءة الروايات البوليسية عازما على السفر إلى أوروبا حال تسريحه من الجندية. كان يقول لي دائمًا: أملي أن أدرس المسرح والسينما في أرقى معاهد لندن أو باريس. وبالرغم من أنه كان من عائلة سنّية محافظة، وأبوه

فقيه وإمام جمعة في واحد من أكبر مساجد بغداد، فإن عبد الكريم كان نفوراً من الأديان جميعها. مرة قال لي: اسمع يا صديقي العزيز! ثمة سؤال يعذبني طول الوقت. لماذا اختار الله أرض الشرق دون غيرها ليظهر فيها الأديان الثلاثة؟ ولما اعترفت له بعجزي عن الإجابة، قال لي هو: الجواب الوحيد المقنع في نظري هو أن الله أراد أن يعذب أهل الشرق أكثر من غيرهم. لذا أوكل لهم هذه المهمة الثقيلة: حماية الأديان. وهكذا بات محكوماً عليهم أن يعيشوا صراعات ونزاعات وحروبا لا تنتهي إلا لكي تندلع من جديد بأشد وحشية وضراوة. صمت قليلاً، ثم أضاف: أما أنت وأنا فلا مكان لنا في هذا الشرق المريض حدّ التعفّن. لذا علينا أن نعجل بالفرار بعيداً، بعيدا قبل أن يأتي الخراب الكبير!" (المصباحي، 2016، ص. 39-40) هذا النص في ظلّ سياقه الاجتماعي يعكس واقعاً اجتماعيًا مريرًا مبنيًا على هاجس الخوف من الحروب والصراعات الدينيّة العميقة. في تلك الحرب القذرة خسر الراوي أعزّ صديق له خلال فترة الخدمة العسكرية. تظهر شخصية عبد الكريم، وهي الشخصية الرئيسيّة في هذا النص، تناقضاً بين انتمائه إلى عائلة سنيّة محافظة (فأبوه إمام جمعة في بغداد) ورفضه للتشدد الديني وتفكيره الجدي بالهرب. هذا الرفض جعله يفكر بالهروب من الشرق، وسجّل نفوره الشديد من التشدد الطائفي والقبلي من خلال تصدّر مشاهد الصراعات والنزاعات والحروب التي لا تنتهي. هذا المشهد يُشكّل جزءاً من رؤية العالم التي تحددها البنيوية التكوينية كنتاج لصراع طبقي أو ديني أو جماعي أيديولوجي. فالصراع هنا قائم بين التقاليد الطائفية المتزمتة والرغبة في التحرر الفكري والتحرر من أية قيود تفرضها الطائفية والقبيلة. وهذا يُعبّر عن تناقض في الوعي الجمعي للمجتمع الشرقي الذي يعيش أزمات متكررة وهواجس مبنية على الخوف بسبب تعارض الهويات

الدينية وانقسامها على نفسها وعمق الصراعات فيما بينها. فتنبثق من هذا الكفاح العقيم رؤية للعالم مبنية على رفض الصراع الدموي المليء بالحروب والنزاعات والمسبب لها الاختلاف الديني الطائفي. إن شخصية عبد الكريم تحدد الخصوم في الشرق؛ فهو يطرح سؤالاً وجودياً: لماذا اختار الله أرض الشرق دون غيرها ليظهر فيها الأديان الثلاثة؟ ويجيب بأن ذلك جزء من عقاب الله لأهل الشرق، مما يجعلهم سجناء حروب تقوم على تحديد الخصوم ومن ثم استخدام القوة للقضاء عليهم. هذا التحديد الأيديولوجي نابع من رؤية واقعية لمعظم صراعات الشرق والمسلمين. ولا تنتهي هذه الرؤية المبنية على صراع الأيديولوجيات، فهي تُعبّر عن الوعي الممكن الذي يستشرف المستقبل بعمق ودراية. لقد اختار طريقاً مبنيّاً على طموح الهروب نحو الغرب، أي الطموح نحو التحرر والهروب من قيود الطائفة والقبيلة إلى أوروبا الخالية -في تلك الفترة- من الصراعات الأيديولوجية، وكذلك اغتنام الفرصة لدراسة الفنون. يقابل ذلك بلورة رؤية الوعي الواقعي عنده والمتمثلة في الواقع القمعي الإقصائي للحرب بكل أشكالها والقيود الطائفيّة الدينيّة المفرطة على الشرقي نوعاً ما. هذا التناقض الواضح في الرؤية الواقعية والوعي المستقبلي يُظهر كيف تتشكّل البنى الذهنية للجماعة المؤدلجة بحسب الفهم الديني المفروض التي حددها بالمجتمع الشرقي. وقد يلجأ الروائي إلى إدخال الدين والسياسة في روايته لما لهذين الفاعلين من تأثير في المتلقي. "ويلجأ المبدع إلى هذا النص الثري في كل جوانبه لما يحمله من طاقات إيحائية وإشارات تخدم غرضه وتكشف عن محور رؤيته السياسيّة، يستلهم منه ما من شأنه أن يثير القارئ، ويجعله أكثر تفاعلاً مع النص" (ربابعة، 2000، ص. 83). فتنكشف رؤيته للعالم في هذا النص من خلال بنائها على الصراع واليأس والانهزام

ومحاولة الهروب من الأزمات وعدم مواجهتها. قد تتشكل البنية الدالة وفقاً للتمثلات البنائية للنص من خلال الحوار بين الراوي وعبد الكريم، والذي يُبرز كبنية دالة مرمزة للواقع الهش المبني على الصراع بين الفرد والمجتمع والدين. فسردية الدين والصراع حاضرة بشكل طغى على النص. وإن استخدام عبد الكريم للسينما والروايات البوليسية كوسيلة ترمز للهروب من الواقع المزري، وانكشاف رمزية رغبته في السفر إلى أوروبا، يُشكّلان بنية دلاليّة عميقة عبّر فيها الراوي عن رفضه للوضع القائم في معظم دول الشرق. من ناحية أخرى، شبه الراوي الشرق بأنه "المريض حدّ التعفّن"، مما يُظهر تماثلاً بنائياً بين بنية النص المتقاربة نحو التحرر وبنية المجتمع المتمثلة بالثبات على موقف الصراعات الدينيّة وتفشّي الجهل والأمراض والفساد. وهذا يؤكد أن العمل الأدبي ليس انعكاساً مباشراً للواقع فحسب، بل هو تفاعل جدلي معه. وقد مثّل هذا النص فقداناً للهوية وتشيؤها والاغتراب المسيطر على الشخصية. فعبد الكريم، رغم انتمائه إلى عائلة دينيّة، يشعر بالاغتراب والانسلاخ عن هويته الأصلية. هذا الاغتراب يُفسَّر عبر مفهوم التشيؤ بحسب غولدمان، حيث تُصبح العلاقات الإنسانيّة مُسيَّرة بقوى خارجية كالحروب والكوارث، فيفقد الفرد إنسانيته ويفقد رغبته في المشاركة في صنع القرار. إن تجسيد حالة الانسلاخ عن الهوية وحضور حالة التشيؤ يمثل محاولة لكسر هذه العلاقة التشيئيّة المريرة واستعادة الذات المبدعة عبر الفن. فالوظيفة النقديّة لهذا النص لا تُكتفى فيها بتصوير الواقع بمرارته ولوعته؛ بل يمارس نقداً لاذعاً للمجتمع الشرقي عبر تسليط الضوء على تناقضاته، كما في العبارة "إنّ الله أرادَ أن يعذبَ أهل الشرقِ أكثر من غيرهم". وقد تختفي -وبشكل واضح- عبر هذه العبارة سخرية مبطنة من الدور المفروض على المنطقة، والمتمثل في كونها "حامية للأديان السماوية"

على اختلافها، والذي نتجت عنه حروب متعاقبة لا نهاية لها. وهذا النقد اللاذع يتوافق مع الرؤية البنيوية التكوينية التي ترى أن الأدب يمارس دوراً إيحائياً ونقدياً في آن واحد عبر كشف التناقضات بين البنى الإيديولوجية والواقع الفعلي. لقد رأينا "في ضوء الكشف العلمي لا يعود الموقف هو موقف الناقد من الأثر أو من صاحبه؛ بل هو موقف الأثر من الحركة التاريخيّة فكراً وأدباً وفناً. ليس الموقف عند الناقد بل في الأثر ودور الناقد هو كشفه" (العيد، 1973، ص. 12). وبذلك تكون العملية تفاعلية بين المبدع للنص والأثر المتحصل من الحياة، لتختزل مسؤولية الناقد بالقدرة على كشفه وتبيانه للمتلقي. والنص عبر شخصية عبد الكريم التي تمثل صراعًا قائمًا بين رؤيته المتطلعة إلى التحرر والبنى الاجتماعية المقيّدة بالموروثات والحروب، يُظهر كيف تتفاعل البنية الداخليّة للنص (الحوار، الرموز، الصراع الوجودي) مع السياق الخارجي (المجتمع الشرقي المُثقَل بالصراعات)، مما يجعل العمل الأدبي تعبيراً عن وعي جماعي معقد يتجاوز الفرد إلى رصد التحولات التاريخيّة والاجتماعية الكبرى.

بنية المجتمع وهاجس الصراع:

في النص الآتي يقدم حسونة المصباحي تصوراً مبسّطاً عن بنية المجتمع التونسي، وقد مزج فيه بين الطفولة حتى البلوغ، وقدم فيه خشونة البدوي ومراهقة الشاب التونسي بطريقة كوميديّة مضحكة بالرغم من عمق بنيتها، حيث كتب في روايته (هلوسات ترشيش): "وأنا أنهض فاتر الهمة من نوم استمر إلى ما يزيد على العشر ساعات، تذكرت طرفة من طرائف مراهقتي: وقتها كنت في سن الخامسة عشرة تقريباً. وكنت أمضي أيام الصيف الحارقة تحت أشجار الزيتون أقرأ قصص الجن والعفاريت، وأكتب على الرمل ما يمر بخاطري من أفكار وانفعالات وخواطر. ذات قيلولة اشتد هجيرها

وعنف أزيز صراصيرها، كنت اقرأ قصة رأس الغول بصوت عالٍ. وفجأة وجدت نفسي وقد انخرطت في الغناء والرقص دون أن أعلم لذلك سبباً. وبينما أنا مستغرق في تلك الحالة، وغائب تمامًا عما حولي، طلع على من بين أشجار الزيتون بدوي خشن محروق السّحنة، يابس الشفتين، وصاح بي: أإنس أنت أم جان؟! وسوف أفتك بك حيناً! قلت، ثم جريت وراءه وأنا أصيح مثل الهنود الحمر في أفلام رعاة البقر الأمريكية. رفع هو جلابيته إلى ما فوق الركبتين، وركض بكل ما أوتي من جهد مطلقًا صيحات النجدة: أغيثوني يا عباد الله، أغيثوني! ولم أكف أنا عن مطاردته إلا عندما لم تعد تفصلنا عن القرية غير بضع مئات من الأمتار" (المصباحي، 2001، ص. 98). يُظهر النص تفاعلاً متشابكاً بين الذات والآخر، والهواجس والصراعات وما يؤججها داخل المجتمع، والخيال والواقع، مع إبراز سمات الصراع الداخلي والخارجي. ومن خلال تحليل مفصّل للبنية السردية ورؤية العالم، نلاحظ الانتقال الزمني الذي ينتقل السرد فيه بين الحاضر (استيقاظ الراوي من نوم طويل: "وأنا أنهض فاتر الهمة من نوم استمر إلى ما يزيد على العشر ساعات") والماضي (ذكرى مراهقته: "تذكرت طرفة من طرائف مراهقتي: وقتها كنت في سن الخامسة عشرة تقريباً"). هذا الانتقال يمثل صراعاً بين الحنين إلى البراءة (المتمثلة بالمراهقة) وفقدانها التدريجي مع النضج. هذا الانسحاب الزمني يُظهر رؤيته للعالم التي ترتفع فيها قيمة الذكريات كوسيلة لفهم الذات. ولعل ذلك التوازي أو التماثل الحاصل بين الحاضر والماضي في روايته يكشف عن تشابه في النزوع (بين الماضي والحاضر) والبحث عن الذات ("وغائب تماماً عما حولي"). فالتشابه بين مراهقته (وهو يستذكر بعض مشاكساته من خلال قراءته لبعض قصص الجن والعفاريت) وحاضره واضح. وقد وظف البيئة خير توظيف من خلال

استخدامه لأشجار الزيتون والحر الشديد، مما أضفى بعداً رمزيّاً يمثل العزلة بأوثق صورها، مع تضمين البحث عن الهوية عبر توظيف الكتابة على الرمل. فالراوي كتب أفكاره على الرمل، وهو يرمز فيها إلى عدم استقرار المراهقة وصراعها مع التعبير عن الذات المفقودة، بين المراهقة وفترة الشباب، من خلال قصص ظل المجتمع يتناقلها. فكأنه يريد أن يقول بأنها ذات محبطة ويائسة، فقدت جزءاً كبيراً من قيمتها بسبب تمزق هويتها، وهي شديدة الارتباط بهموم مجتمعها وتناقضاته وأزماته. وهو ما شكل لها بعداً لا متناهياً من اليأس والإحباط. ولذلك يمثل البحث عن الهوية والتوازن النفسي أحد مكونات هذه الذات المأزومة. كان الصراع قائمًا بين الخيال والواقع على أشده عنده من خلال توظيفه للقصص الخيالية (قصص الجن والعفاريت ورأس الغول) والتي تُجسِّد هوس المراهق بالعوالم الموازية لعالمه. ومما زاد في غرابتها خروج ذلك الرجل البدوي الكبير وهو يصيح بصوته، والذي عبر عنه بخشونة السحنة. هذه كلها تُستخدم كمهرب أو متنفس من واقعٍ قاسٍ جدًا (ممثلًا بحر الصيف اللاهب). وهذا الصراع بين الخيال الجامح وضغوط الواقع يُبرز رؤيةً للعالم تعتمد على الهروب الذاتي والانسحاب أمام ضغوطات الحياة. هذا التحول المفاجئ في مجريات المشهد قد مثّل انخراط الراوي في الغناء والرقص من غير سبب واضح، وهو يعكس صراعًا داخليًّا بين القيود وبين التحرر منها. فالقيود الاجتماعية والخوف من الحكم عليها ممثلان بالرقص والغناء، وهذا يمثل جنوحًا نحو الفوضى العاطفية الذي يشبه مفهوم الفوضى الإبداعية التي تُعدّ مصدراً للتحول الحقيقي. وقد تكتسب الذات في النصوص الممثلة للعاطفة بعداً دراماتيكيًا ممثلًا بصدمة الراوي بالواقع من خلال تجسيد فكرة هوس المراهق بعوالم لا وجود لها، عوالم موازية تشبه حالة الصراعات الموجودة

في المجتمع التي يُجبر عليها المواطن الذي يعيش حالة من حالات العقد والصدمة من الواقع. وإن مفهوم صراع الذات مع الآخر (البدوي) من خلال وصول الصراع إلى مرحلة المواجهة الجسدية والنفسية، والتي تمثلت بظهور البدوي (الذي عبر عنه بالمحروق السحنة) والذي رمز فيه إلى الغرابة والنفور وعدم تقبل الآخر، أو مثّل به التهديد الخارجي. فسؤاله: "أإنس أنت أم جان؟ "يُظهر صراعًا حقيقيًا -حتى لو كان مخفيًا- بين الهوية الحقيقية والهوية المتخيلة عن البدوي لدى بعض الناس، حيث يُجبر الراوي على تقبل المواجهة بين انتمائه الإنساني أو الخرافي. والتي تمثلت بالمطاردة الهزلية وتحوُّلها إلى مطاردة من نوع آخر عبر إضفاء صبغة هزلية عليها من خلال الهروب بالاستعانة برفع الجلابية وصيحاته التي علت الواقعة بالنجدة. كانت مثالاً عن التخفيف من حدّة الصراع الذي كاد أن يكون محتدمًا، لكنه يبقى تعبيرًا عن الخوف والغرابة من المجهول والرغبة في الهيمنة على الآخر والتسلط عليه ليقع تحت رحمته. فاللغة والأسلوب ودور الصراع من خلال إدارة المشهد بالتصوير الحسي هو استخدام لألفاظ مثل (هجير الصيف وأزيز الصراصير) وهو ما يعمق الإحساس بالتوتر والحرقة، ويُجسِّد الصراع مع البيئة. ومن المفارقة الساخرة وصف الراوي نفسه بـ "الجان" أثناء مطاردته للبدوي، والذي يُظهره متناقضاً ومتردداً بين القوة والضعف، وبين الهوية المُتخيَّلة والواقعية. الرؤية الشمولية للعالم في النص تظهر التفاعل بين الفرد والمجتمع؛ فالمطاردة التي تنتهي "قرب القرية" تُشير إلى ضغط المجتمع في تقييد الحريات الفردية، وهو صراع كلاسيكي بين الفرد والجماعة. الانزياحات الفنية والجمع بين السرد الواقعي (تفاصيل المراهقة) والعناصر الفانتازية (الجن) يعكس رؤيةً للعالم تدمج بين المادي والميتافيزيقي، مما يُظهر تعقيد التجربة الإنسانية.

مسؤولية المجتمع عن الصراع:

وهذه المرة ينقل حسونة المصباحي صراعاً من نوع آخر يكون فيه المجتمع جميعه معنيّاً بتفشي الصراع ووصوله إلى مراحل يكون فيها التعجيل بالزوال مآل الجميع. وهو يقول في نص أورده في روايته (هلوسات ترشيش) حينما يصف (تونس) أو (ترشيش): "في البدء لم تكن هناك على تلك الهضبة الخضراء المطلة على البحر غير زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور. ثم جاءت من البحر أميرة فائقة الحسن والجمال يقال إنها كانت هاربة من بطش أهلها وظلمهم لها. ولما استطابت العيش على سفح تلك الهضبة، أمرت رجالها، وكانوا قليلي العدد، أن يقيموا مدينة صغيرة. وفي ظرف أسابيع نفّذ الرجال أمر سيدتهم فارتفعت قبالة البحر مدينة بيضاء بأبواب ونوافذ خضراء وزرقاء. ثم راحت تلك المدينة تتسع وتعمر حتى أصبحت زينة المدن وأكثرها بهجة ونعمة. في أسواقها جميع خيرات الأرض، وفي جنانها وبساتينها مياه وفواكه تجعل زائريها يشعرون كما لو أنهم في الجنة. ولزمن طويل، ظلت تلك المدينة التي سمتها الأميرة (ترشيش) محط الرحال ومبلغ الآمال. وظل أهلها دهراً مديداً يعيشون النعيم والترف، لا يأتيهم الشر لا من الخلف ولا من الأمام. غير أن الزمن مراوغ وخداع، والسعادة لا تدوم لأحد، وكل نعمة مكتوب عليها بالزوال إن آجلًا أم عاجلًا" (المصباحي، 2001، ص. 44). في البدء يسرد رؤيته عن مدينته الحالمة الآمنة المطمئنة الواقعة على تلك الهضبة الخضراء المطلة على البحر، مقتبساً في تمام وصفه لها الآية القرآنية المباركة؛ قال تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)" (سورة النور، الآية 35). إن توظيفه لشجرة الزيتون قد كان في محله لكون هذه الشجرة مباركة بنص القرآن، وهو يقصد بذلك بركة هذا البلد. وتظهر فكرة التناقض بين الوفرة والهشاشة في المجتمعات، مع التركيز على البيئات الساحلية والصراعات الداخلية التي يكون السبب فيها عدم قناعة الناس بأرزاقهم وميلهم إلى تحطيم كل ما هو جميل. يصف ألبير كامو في روايته (الطاعون) مدينة آمنة مطمئنة، ولكنها بعد ذلك تُصاب بمرض الطاعون. تتناول رواية (الطاعون) مدينة ساحلية هي (وهران) تعيش في رخاء ظاهري غير حقيقي وهش بسبب الحروب. "وانشغل كامو في الكثير من مقالاته بالقضية الجزائرية مشيراً إلى أن الحرب هي نتيجة لتراكم سياسات خاطئة وغير إنسانية من جانب السلطات الفرنسية" (المصباحي، 2023). ثم تُصاب الجزائر بكارثة (الطاعون) والتي تُظهر فيها الرواية هشاشة الاستقرار البشري الذي لا ينفع معه أي شيء (كامو، 2017، ص. 10-20). السارد يشير إلى هشاشة الحياة لكون "الدهر مراوغ وخدّاع" ولا يأمنه أحد، وهذا الأمن هش وغير مستتب. وكذلك توظيفه للأميرة التي اختارت هذه المدينة الجاثمة على هضبة والمطلة على الساحل، هو توظيف لرمزية المكان الذي يدعو إلى التأمل في العلو والارتفاع الذي يكون عادة مدعاة للأمن والأمان والسعادة التي تنزل على قلوب من يرونها ويسكنون فيها. غير أنها لا تدوم بسبب مراوغة الناس، والتي عبّر عنها بأن الزمن مراوغ وخداع. وهو توظيف جيد لبيان هشاشة هذا (الأمن والأمان) الذي يكون متذبذباً مع السكان. وهذا الهاجس الخطير ينبع من صراع المجتمع وعدم انصياعهم للتحذيرات، بحيث يظهر كيف يتحول الاطمئنان الدائم إلى وَهْمٍ مع أول أزمة حقيقيّة

تمر بهذه المدينة. إنّ حياة الناس في العادة قائمة على هشاشة الأوضاع وتقلباتها. ومن خلال التحليل لجغرافيا المدن وتاريخها الاجتماعي، نجدها مدينة ساحلية تقبع على هضبة مطلة على البحر المتوسط، وقد ربط بين الوفرة الاقتصادية (مثل أسواق الزيتون) والمخاطر الطبيعية والبشرية. لم يكن ذكره للبطش عابراً، بل كانت القصدية واضحة وضوحاً جلياً. وهذا البطش نفسه يعيشه العرب يومياً في ظل أنظمة متمرسة في البطش والظلم. وهذا البطش والظلم هنا يوحي بما حصل ويحصل لتونس التي يعبر عنها بالأميرة الهاربة من بطش وظلم أهلها لها. فلذلك أمرت رجالها وهم قليلون بأن يختاروا تلك الأرض المرتفعة والمطلة على البحر للتخلص من هذا الظلم وهذا البطش الحاصل من الأهل أنفسهم. وكأنه يريد أن يقول بأنها كالجنة لا يدخلها إلا من ارتضاه الله (جل جلاله) ليس غير، وتوظيف الزيتونة جاء متماشيًا مع ذلك أيضًا.

الصراع عبر اغتراب المثقفين:

في النص القادم من روايته (الآخرون) يتكلم عن إمعان الشعراء المثقفين بالشراب، وهو نوع من أنواع الاغتراب الداخلي الذي فيه يدس المثقف رأسه في التراب لينسى المآسي والآلام، ليعاني من صراع وجودي واجتماعي، مع تركيز على هروبه من الألم عبر الانغماس في الملذات المادية وكذلك النقد اللاذع للسلطة والمجتمع. حيث يقول: "ويظل الشاعر ممعناً في الشراب والغناء باحثاً في أجساد المومسات عما يمكن أن يخفف عنه وطأة الألم الذي اجتاح روحه عنيفًا قاتلًا. أحيانًا تستيقظ المدينة، فيراه الناس مرميًا في الشارع مثل أي مشرد. أثناء جلسات الشراب المستمرة ليلاً نهاراً، ينطلق لسانه منتقدًا السلطة الجديدة ورموزها، مشنعًا بها، ساخرًا من

جيش الشعراء المدّاحين الذين يبنون الفيلات الفخمة على الشواطئ بجوائز العكاظيات الشعرية. فتكثر العيون والآذان من حوله" (المصباحي، 2016، ص. 134-135). فيظل الشاعر يشرب الخمر غير مكترث من وصوله إلى مرحلة السكر الذي لا صحوة معه. فهذا الشاعر المثقف يريد أن ينسى ما يؤلم أمته ويؤلم المثقفين، وهو يضج من حالة باتت منتشرة في أروقة ومنتديات الثقافة، وهي تفشي ظاهرة "ماسحي الأكتاف" من المدّاحين للسلطة. وشاعرنا المثقف فضّل الهروب عنهم، مما سبب له ألماً داخلياً ووجدانياً وخوفاً من السلطة الوجودية التي كممت الأفواه واشترت الأقلام. يصور الشاعر كشخصية موسومة بالتراجيدية المنكفية على نفسها من خلال استخدام الشرب كرمز ووسيلة صارخة للهرب من الواقع المزري المليء بالمنافقين (مدّاحي السلطة). وهذه الشخصية الرافضة للظلم والباحثة عن الرفض بكافة أشكاله وصوره، تبحث عن خلاص أي خلاص حتى لو كان مؤقتاً. فهي تهرب من حاضرها المعتم الذي تسيد عليه المنافقون (ماسحي الأكتاف) ليقع فريسة لتغول الشرب على نفسه وتمكن السكر والعربدة منها، لعلها تنسى ألمها عبر ذلك الشراب والغناء والعلاقات الجسدية العابرة. فهذا الهروب ما فتئ إلا أن يظهر في حالة أزمة هوية واغتراب داخلي ووجودي للمثقف العربي في زمن المدّاحين العابرين. وهذا نوع مؤلم من الضياع المعتم الذي يفقد فيه الإنسان شعوره بذاته ليكون مرتبطاً بفقدان المعنى الحقيقي للحياة التي باتت (سكراً وعربدة)، أو هو نوع من اليأس والانهزام الداخلي من واقع مأزوم متثلم موبوء بسلطة حقيرة. وهو مما يذكرنا بأفكار الفلسفة الوجودية خاصة عند سارتر أو كامو، حيث يصبح الفعل العبثي (الشراب واللذة الجسدية المحرمة) محاولة منه لملء الفراغ الروحي. فلذلك يتبلور نقد هذا النص اجتماعيًا وسياسيًّا على وفق رؤية العالم، كون

الـراوي أقحـم هجـوم الشـاعر (بطـل هـذا المشـهد) علـى السـلطة الجديـدة المُهمِشـة للشـعب، وكـذلك وصـفه لجـيش الشـعراء والمـدّاحين بالسـخرية والنقد اللاذع حيث قال: "ساخرًا من جيش الشعراء المدّاحين الذين يبنون الفيلات الفخمة على الشواطئ بجوائز العكاظيات الشعرية". ويكشف فيها عن رفضه وامتعاضه من الفساد ومن شيوع الانتهازية في المجتمع، ليصبح الشاعر -كما عبر- صوتاً للمقاومة الوطنية ضد هذا النظام المأزوم الذي يكافئ المتملقين له (ممن يبنون الفيلات الفخمة بجوائز شعرية مغرية للمدّاحين). وهذا مما يجعل ربط النص بموضوع السلطة والمقاومة في الأدب النقدي قريباً جداً (كما في كتابات غرامشي أو أعمال جورج أورويل عن الهيمنة الثقافية). (أيوب، 2022)، عرف أنطونيو غرامشي الهيمنة الثقافية بأنها: "سيطرة الطبقة الحاكمة على مجتمع متنوع ثقافياً عبر مناورة ثقافة ذلك المجتمع، والمعتقدات، والتفسيرات، وتصورات القيم والأعراف بحيث تفرض وجهة نظر هذه الطبقة لتصبح المعيار الاجتماعي المقبول؛ أي الأيديولوجية السائدة التي تُعد صالحة لكل مكان وزمان، وتبرر الوضع الراهن الاجتماعي، السياسي والاقتصادي كأنه الوضع الطبيعي والحتمي، الأزلي المفيد للجميع بدلاً من كونه بنية اجتماعيّة مصطنعة لا يستفيد منها سوى الطبقة الحاكمة" (بوللوك وترومبلي، 1999، ص. 387). وهذه النظرة السائدة والحقيقيّة للهيمنة السلطوية على المثقف والتي تؤسس لثنائية مملوءة بالتناقض وتكون واقعة بين المثالية الزائدة من جهة والقسوة القمعية من جهة أخرى. هذه الثنائية بين الاثنين يحاول البعض التأقلم معها والبعض الآخر لا يمكن له أن يتقبلها. فالشاعر المرتمي بأحضان السلطة يعيش تناقضاً حيّاً وصارخاً بين مُثُله وقيمه ومبادئه التي تربّى عليها (من النقد اللاذع والحرية الفكرية) وكذلك يعيش سلوكه تشيؤًا غريبًا يكون قريبًا من

(الانحدار نزولاً حتى الحضيض). وهذا الأمر يشير إلى كون المثقف مأزومًا، والذي يفشل في التوفيق بين رؤيته النقدية العوراء التي تنظر للأمور من زاوية واحدة وواقعه الشخصي المتردي الذي فرض عليه وعلى غيره. ويشير إلى تحقق الاستغلال السلطوي لبعض المثقفين وكيفية تطويع السلطة لهم ليصبح المثقف مدّاحاً للسلطة من أجل الجوائز. والنص يشير إلى وجود فئتين من المثقفين: المثقف الذي مع السلطة، والآخر الذي يبتعد عن المدح والسلطة ويعيش حالة من العزلة والاغتراب. فمشهد ارتماء الشاعر المثقف في الشارع كأي مشرد كريهٍ قد فقد جميع السبل للعيش السوي، يرمز إلى اغتراب الشاعر وعزلته وابتعاده عن المجتمع، حيث ينظر المجتمع إليه كسكير منبوذ انقطعت به كل السبل ولم يبق عنده شيء. بالرغم من أنه قد يكون ممتلئاً بالوعي ومتسلحاً بعزة النفس وشموخ الثقافة؛ لكنه مصاب بعلل المجتمع التي صنعها الشعراء المدّاحون. فالمثقف بحسب النص يعاني انفصاماً بين وعيه اللحظي وواقعه المتردي، ليعيش في نفسه صراعاً داخلياً محتدماً وهو يبحث عن ذاته المغيبة بين رؤية للعالم ضبابية ترفع من قيمة مدّاح منافق وتحط من قدر ثائر يحمل نعشه على كتفه. فالشاعر المثقف المرتمي بأحضان السلطة يعاني من صراعٍ مريرٍ واقعٍ بين رغبته في التعبير المطلق غير المقيد عن الحقيقة (نقداً لاذعاً) وبين إحساسه الواضح بالعجز والشلل اللذين يدفعانه إلى التدمير الذاتي والتحطيم البنيوي. وهذا الصراع يُظهر الهشاشة النفسية للإنسان وحاجته الملحة للقوة ورباطة الجأش من خلال مواجهته لعالم لا يتوافق مع قيمه ومبادئه، ليبحث عن ما يخفف من ألمه وانكساره "ليبحث في أجساد المومسات" لعله يجد ما يُنسيه واقعه المأزوم. ويشير فيه إلى صراعٍ محتدمٍ غير خفي بين الجسد كرمز معدٍ للفناء وفي الوقت نفسه للذة العابرة، والروح المعذبة التي تبحث عن خلاص دائم

أو نور في نفقٍ مظلمٍ. وهذا الثنائي قد يستدعي تحليلاً نفسياً يبحث حول نظرته للإشباع الجنسي كبديل عن الإشباع الروحي. فالمومسات ترمز -ولو نسبياً- إلى البحث عن الحقيقة الغائبة في أماكن مُدنَّسة، أو إلى استغلال الجسد كمرآة لاستغلال الثقافة في موارد الاستغلال الجنسي واستهلاكها. وتشير العكاظيّات الشعرية إلى تطويع الفن وجعله كسلعة رخيصة يبيع ويشتري فيها النظام مدائحه بدلًا من نقده، وهو انتقاد موجه لشعراء السلطة في التراث العربي القديم والحديث (المرّي، 2009).

النقد المباشر للصراع:

في النص الآتي من روايته (الآخرون) يستخدم طريقاً جديداً يفصح من خلاله عن هاجس صراع جديد يقوم على أساس النقد المباشر، وهذه المرة يتناول مثقفي زمانه بالحرية والنقد اللاذع. إذ يقول: "مرة ذهبت إلى نادي القصة. وجدت هناك جمعاً من الأدباء المعروفين متحلقين حول الطاولة، وقد اكفهرت ملامحهم، وبدا عليهم الإحباط والقنوط كما لو أنهم يتقبلون التعازي. قرأ واحد منهم قراءة سخيفة للغاية، فطفق الآخرون يمجدونه حتى لكأنه تشيكوف أو إدغار ألان بو. بعد ما شبعوا ثرثرة طلبت الكلمة، حالما أذن لي بها، قذفتهم بالشتائم ونعت القصة التي قرئت بأنها تمرين إنشائي سخيف لا يكتبه حتى تلميذ في الابتدائية. ثارت ثائرتهم فأخذوا يضربون على الطاولة بقبضاتهم مهددين بطردي من القاعة حينها. لم أعبأ بهم بل ازددت جرأة واحتقاراً لهم، وقلت: إن نادي القصة تحول إلى إسطبل للكتاب غير الجيدين بسبب النفاق والمجاملات. ازرقت سحناتهم كما لو أن رقابهم طوقت بحبالٍ لا مرئية. أما صاحب القصة الرديئة، وهو كهل له ملامح موظف صغير في مؤسسة على وشك الإفلاس، فقد اندفع نحوي

مزمجراً: اسمع. نحن نعلم جيداً أنك تلميذ نجيب لذلك الدجال الذي يسمونه الأستاذ، وإذا لم تخرج حالاً من القاعة، فإننا سوف نكون مضطرين لإبلاغ البوليس لتأديبك!" (المصباحي، 2016، ص. 101-102). عندما يتحول الصراع إلى هجوم عنيف وتستلم أنت زمام المبادرة، فهذا يعني القوة ورباطة الجأش. وهذا ما كان يلمح إليه الراوي بأنه كان قوياً ليقف في وجوههم ويؤدبهم علناً أمامهم. وكذلك يمثل هذا نوعاً من الرفض للتغول الحقير الذي طرأ على الثقافة وعلى منصاتها المعروفة. فالثقافة كانت في مشكلة بحسب ما في النص، وهذا ما أشار إليه في علم اجتماع المعرفة عند كارل مانهايم، في التحقيق من الظروف الاجتماعية التي تظهر فيها رؤية معينة للعالم (بيرغر ولوكمان، 2024). ونحن لا نعلم ما الظروف الاجتماعية المحيطة بتلك المجموعة من المثقفين آنذاك ؟ بحيث نعتهم السارد بأقذع النعوت والصفات، فهو يشتمهم ويتهجم عليهم. لقد عانى السارد من هذه المجموعة المدعية للثقافة والمتزلفة للسلطة تارة والتافهة أخرى، وهو بذلك يعلن رفضه لهم ورفضه للعالم الذي يعيش فيه. فهو يعيش اغتراباً من نوع الرفض لكل حالة سلبية، وهذا ما يخلق لديه نرجسية حادة تجعله يعيش مع هاجس الصراع المجتمعي الكبير. فهو يرفض كل شيء يراه مغايراً لثوابته وما سار أو تربى عليه. فالسارد، وتأكيداً منه على أن الثقافات بعمومها لا بخصوصها إنّما توجد داخل حيز التهجين الذي يعده هومي بابا (أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة شيكاغو) بأنها "ذلك الفضاء الثالث الذي يمَكِّن مواقف ومواضع أخرى من البروز" (رذرفورد، 1990، ص. 211). فالسارد ينثر رفضه في محافل الطبقة المثقفة من باب تسجيل الرفض عبر الاغتراب. وقد استخدم رمز "اكفهرت ملامحهم وكأنهم يتلقون التعازي" كتعبير مجازي عن عدم الرضا من قبله عليهم لتغولهم على هذا

المفصل الذي بدا وكأنه ملك صرف لهم. وقد استخدم ألفاظاً كـ(رقابهم وطوقت، وصاحب القصة الرديئة، وملامح موظف صغير في مؤسسة على وشك الإفلاس). كلها ألفاظ تدل على الرفض الظاهري لتلك البيئة بمجملها. وهذا أدق تعبير عن تلك الحالة التي كان يعيشها الراوي بينهم وهو يرى ملامحهم تتجه صوبه، وكأنهم يعيشون النفاق الظاهري منه والباطني في قولهم: "نحن نعلم جيداً أنك..." وهذا يدل على الإضمار الخفي منهم لشخصه. وقد حاول حسونة المصباحي في هذا النص صنع حالة من الرفض لشخصية الراوي من خلال الحديث نفسه، ولكن بطريقة التنظير لحالة الاغتراب هذه. نجدها كثيراً في كتابات باختين، فهو في كتابه المشهور (نظرية الرواية)، استطاع بنظرته التاريخية المعمقة أن يُنظر للرواية من زاوية تشكلها التاريخي المرتبط بالتغيرات الاجتماعية المصاحبة للأفراد والجماعات. فكثيراً ما نجد هذه الجماعات تشكل صراعاتها الآنية عبر بلورة فكرة تجهيل المجتمعات. فالرواية عنده تُحدد بوصفها شكلاً ومضموناً ضرورياً للتعبير عن العالم المجزأ وعن الذات التي أصبحت فاقدة لعلاقاتها العضوية بالحياة ولاندماجها في كلية متعالية تقدم معنى لوجودها، كما عدّها ملحمة برجوازية (باختين، 2009، ص. 7). فالشخصية ليست صوتًا فرديًا بل صوتًا اجتماعيًا معبرًا عن الواقع لأنها فاعل سيميائي لا ذات نفسية مجردة تعيش لوحدها. فالحياة الروائية عنده فاقدة لعضويتها مع الجماعة ومبتعدة عن الاندماج الحيوي، وهذا ما سجله في النص حتى في بداية وصفه لنادي القصة بـ"الإسطبل" وهو مكان وضيع عند إطلاقه على الجماعة، وهذا ما شكل هجومًا لاذعًا في بادئ الأمر على مجموعة المثقفين في نادي القصة.

الصراع بين الخيال والواقع:

النص الآتي يذكر فيه رحلته داخل المدينة التي وصفها بالعتيقة والغارقة في العتمة والصمت؛ إذ يقوم باستدعاء شخصية خالد، حتى يقرأ عليه قصائد طاغور، ليخلق في مخيلته الروائية عالمًا خياليًا مفعمًا بالحسّية والروحانية المشبعة بالشعر وشرود الذهن. وهو يعكس ثنائيةً بين الواقع المبني على الظلم والصراع وبين الخيال الجميل المُتألّق، مع تأكيد قوة وقدرة الفن على تجاوز حدود الزمكان. وهو يربط بين الأفكار الفلسفية الوجودية والبنى الرمزية الواقعية، ليتبنى نصه هاجس صراع من النوع الذي يتجلى فيه التوتر بين الواقع والخيال: "اجتزنا المدينة العتيقة الغارقة في الصمت والعتمة. منذ الخطوات الأولى فيها تيقنت أن خالداً يعرفها شبرًا شبرا. لما بلغنا القصبة، توقف خالد عند عمود كهربائي. أخرج من محفظته الصغيرة كتاباً رث الغلاف يحتوي على مختارات من قصائد طاغور، وراح يقرأ لي بعض المقاطع بصوت حار. أغمضت عيني وتهت بخيالي بعيدًا بعيدا جدا إلى أن رأيت نفسي أمشي في سهوب الهند تحت القمر، ومن مكان تأتي إلي نغمات قيثارة حزينة، وهمسات صبايا عاشقات يتمشين حافيات الأقدام في روض الرياحين. أشعر بأن النجوم كلّها تتلألأ في كياني. أن الكون يجيش في حياتي كأنه السيل، الزهور تتنوّر في كياني شباب الأرض. والماء، يسمو في قلبي كأنه بخور المجامر ولهاث الوجود كله يتردد ضمن أفكاري كما يتردد في ثقوب النأي" (المصباحي، 2016، ص. 29-30). بنى هذا النص على الصمت الذي قابله بالضوء، والواقع الذي قابله بالخيال، مع تأكيده التثبت من وحدة الوجود المجردة بين الذات السابحة في الخيال وفساحة الكون المتخيَّل. وثنائية الصمت المطبق والعتمة المنتشرة، فهو يصف مدينته

بأنها غارقة في الصمت المريب والعتمة، فهو يشير إلى الصمت بأنه حالة من حالات الاستسلام للظلام الذي هو الظلم في ظل الأنظمة القمعية، وهو بذلك يرمز إلى واقعٍ جليدي أو مهزوز. هذا الواقع الجامد يناظره تفجر في الخيال مثلته قصائد طاغور، التي تُعيد بناء وترميم البيت الداخلي للراوي. وقد عكس النص الوحدة الكونية والتي تجلت في عبارات متناغمة كـ(النجوم كلها تتلألأ في كياني، والكون يجيش في حياتي كأنه السيل)، وهو ما يعكس رؤيةً رهبانية أو صوفية يتجمع عندها تجريد الذات واندماجها بالطبيعة والكون. وقد استلهم ذلك التجرد وتلك الفلسفة الروحية من الفيلسوف الهندي طاغور، وتلك الفلسفة ترى الوجود امتداداً وتجلياً للذات (الجزيرة، 2023). ومقدرة الفن فعلت دور القراءة لخالد، وهنا هو فعل خيالي تحرري، وقد نقلت القصيدة الراوي إلى سهوب الهند الشاسعة وتحت القمر الجميل، والتي بدورها قد أكدت أن الأدب ما هو إلا جسر بين الواقع المادي المظلم والعالم المثالي الجميل. وقد تجلّت بؤرة الصراع في النص في مستويين: فكان المستوى الأول متجلياً في الصراع الخارجي والواقع على حد تعبيره في (المدينة العتيقة) والتي ترمز إلى عالم مليء بالخيال والأحلام، والتي رمز فيها إلى الجمال الروحي والحرية الجسدية. وقد أظهر خالداً من خلال قراءته لقصائد طاغور بأنه المثقف الواقف سداً منيعاً في مواجهة الظلام بواسطة الفكر النير. والمستوى الثاني كان محتدماً في بلورة الصراع الداخلي، والذي سعى فيها الراوي إلى الهروب القسري من واقع المدينة المتشظي عبر الخيال الروحي. لكن هذا الهروب لا يكاد يخلو من احتوائه على تناقض وجودي، وهو بأنه (أشعر بأن النجوم كلها تتلألأ في كياني) والنجوم تتلألأ تكشف عن اندماج كلي مع الكون، بينما توجه العتمة الذهن إلى عودة محتملة إلى الواقع المأزوم. وقد قدّم النص

رؤيةً وجوديةً واضحة يتأكد فيها قوة الخيال في تحرير الذات المضطهدة من قيود الواقع السيء، وهي تؤكد على إبراز صراعٍ محتدم بين الصمت الروحي الداخلي والضوء الفني الخارجي. وهذه الثنائية تُعيد إنتاج أفكار طاغور الفلسفية القائمة على أساس الوحدة الكونية.

مستويات الصراع الوجودية:

في النص الآتي تظهر صراعات متعددة وعلى ثلاثة مستويات (تاريخية ونفسية واجتماعية) والتي تظهر من خلال مشهد في صف مدرسة يسوده المشاكسة والتوتر بين المعلم والتلميذ الذي أسماه جمعة، والراوي العليم الذي يتنقل بين الخوف والفرح. فيستخدم الراوي أدوات الصراع في النص الآتي كبؤرة لفهم هواجسه من السلطة والاضطهاد المفرط في بيئة صغيرة جداً وهي الصف، مع إشارته إلى سرد صراعات تاريخية كفتح صقلية، والتي أضفت بعداً رمزياً غاية في الذكاء: "نضع نحن أيدينا على أفواهنا محاولين كتم الضحكات المجلجلة التي توشك أن تنفلت منا. ينظر إليه المعلم وكأنه ينظر إلى حشرة بالغة القبح والقذارة، ثم يقول له: يبدو أن حماقتك تزداد استفحالاً يوماً بعد يوم يا جمعة. ثم يأمره بالجلوس فيجلس هو وقد بانت عليه المذلة والمسكنة. وأفرح أنا فرحاً شديداً وأتضرع للولي أبي زمعة البلوي ولجميع الرسل والأنبياء أن يرتكب حماقة أخرى حتى يسمعه المعلم وسخ أذنيه. وعندما يحس هو أنني في غاية السعادة بسبب المهانة التي لحقت به، يشير لي في غفلة من المعلم إشارة أفهم منها أنه سوف يمرغ رأسي في التراب، فَتُطفئ سعادتي في الحين وتسري في جسدي برودة الخوف. غير أنني سرعان ما أنسى ذلك حالما يشرع المعلم في سرد قصة فتح صقلية" (المصباحي، 2001، ص. 64). وقد تجلت صراعات

الشخصيات بين المعلم المتسلط ضد الطالب جمعة. فالمعلم هذا يجسد رمزية السلطة بقمعيتها التي تمارسها بقوة، والتي قام بدورها المعلم عبر بثه سيلاً من الإهانات، والتي جعلته يُنظر إليه "كحشرة قبيحة المنظر" من خلال حماقته التي تزداد. وقد استخدم لغة تحقيريّة فجّة هي جزء من آليات وأدوات الصراع والهيمنة في النظرية الماركسية؛ حيث الطبقة المسيطرة (المعلم) تُخضع الطبقة المضطهدة (التلميذ جمعة) (ميلينغتون، 1992). وهذا الصراع يشبه الجدل المادي عند هيجل، حيث تفرض الهيمنة عبر الإذلال، لا الحوار (عبدالفتاح، 1984، ص. 33). ويمر الراوي الداخلي بجدلية الصراع من خلق حالة من التناقض العاطفي عبر الفرح بالمهانة التي لحقت بجمعة، ويليها خوفه من حصول الانتقام. ويذكرنا هذا بتفسير فرويد لإفراغ العدوانية المكبوتة بواسطة الحضارة وسخطها على الشعوب المستسلمة (الأمارة، 2022). ويظهر هذا التذبذب في الشخصية عبر إقامة صراع بين الأنا ونوازعها والرغبة العارمة في الفرح وبين الأنا النرجسية العليا وخوفها من العواقب. وتشبيه الراوي المعلم لجمعة بأنه (حشرة) قد يضفي طابعاً حيوانياً على الضحية ويخلق رؤية متصاعدة نحو تفريغ سلوكيات الكبت عبر التقليل من شأن الآخرين، مما يعزز ثقافة التهميش المبنية على الاغتراب الحقيقي. وهذا الاغتراب يتشابه مع خطاب الاستعمار والذي يجسد المستعمر بالدوني المتسلط. وقوله: "تطفئ سعادتي" مبني على استعارة النار والتي تجسد زوال الفرح سريعاً وذهابه مع الريح، وهو بذلك يحاكي تقلبات الصراع الداخلي الحقيقي الذي حاول الراوي إظهاره من خلال تغليب لغة الصوت الداخلي. وهو يقابل كذلك فرح الراوي المفاجئ ببرودة الخوف كنشوة عن الانتصار الداخلي. وهذا يظهر هشاشة النصر الداخلي والتشفي النفسي في بيئة تنتج القمعية بأبشع صورها. وهذا

النص كذلك لم يغفل التلميح للسياق التاريخي كنوع من الرمزية، فالإهانة الموجهة لجمعة تتشابه مع مرحلة الإهانة التي يوجهها السيد للعبد، بحيث يحافظ السيد (المعلم) على هيمنته عبر إذلال الآخر العبد (جمعة)، بحيث يخلق تناقضًا يهدد استقرار السلطة الظالمة. وهذا الصراع قد أدّى إلى نشوء بعد روحي عبر تضرع الراوي لـ(الولي أبي زمعة البلوي) والذي يظهر محاولة منه لاستدعاء قوة مقدسة لتأجيج الصراع بينهما، والذي أضفى صبغة وبعداً دينياً على الصراع البشري بين طبقات المجتمع. وهو محاولة من الراوي لتبرير الشرور عبر الحتمية الإلهية كما في تراجيديات سوفوكليس في مسرحية (أنتيجوني) (سوفوكليس، 2006، ص. 23)، يمثل هذا النص مرآة عاكسة لواقع مرير مبني على صراعات إنسانية متداخلة بين سطوة سلطوية، وعقد نفسية، ونتاجات تاريخية. والذي أظهر كيف أنتجت البيئات القمعية البوليسية ردود فعل معقدة مبنية على عوامل وقتية كالفرح الوقتي، والخوف المتكرر، والنسيان الغالب على ذاكرة المتلقي إلا مع المقدس التاريخي والذي استخدمه كنوع من الهروب. وكيف تُستخدم السرديات التاريخية كملاذ من الواقع المأزوم عبر تحجيم بؤرة الصراع في بيئة ضيقة أنتجها الراوي، الذي قدّم في النص نقداً لاذعاً لبنى السلطة القاسية والتي تعيد إنتاج نفسها عبر الإذلال للآخر.

الزمكان وتشكل الصراع:

النص الآتي كان لكل جملة فيه معنى دقيق، وقد برز الزمكان بدورهما في تشكل بؤرة الصراع. فكانت ليلة الأربعاء، وتحديداً عند الساعة التاسعة وست دقائق، إشارة بارزة توحي إلى لحظة انتقالية ومفصلية هي (ليلة منتصف الأسبوع) عند الآخر، والتي تعكس عدم الاستقرار وتعني التأرجح

التام بين الوعي واللاوعي، وبدورها تؤدي إلى انزياح الزمن برمزيته باتجاه المجهول: "ليلة الأربعاء، الساعة التاسعة وست دقائق غادر القطار القادم من فيينا محطة ميونيخ باتجاه باريس. العربات مزدحمة بمسافرين من مختلف الأعمار والأجناس: يوغسلاف حضرت فواجع الحرب ندوباً عميقة على ملامحهم حتى بدوا وكأنهم فقدوا نهائياً الرغبة في الحياة. بلغار بنظرات خبيثة تذكر بنظرات مخبري الأنظمة الشيوعية. هنجاريون متحفزون كأنهم يتأهبون للانقضاض على كنز سري. عجائز يابسات عابسات كأنهن طالعات للتو من أنقاض إمبراطوريات أوروبا التي انهارت قبل قرن. شبان وشابات ببنطلونات الدجينز يشربون البيرة والكوكاكولا ويزعقون فرحين بالذهاب إلى عاصمة النور والحب. مصبات الأنهار باقية منذ الأزل. أمّا مصبات أنهار الهجرات البشرية فمتغيّرة طول الوقت وليس من السهل تحديد وجهاتها" (المصباحي، 2016، ص. 11-12). فكان للمكان ورمزيته (القطار) عبر انتقاله من ميونيخ (ألمانيا) إلى باريس (فرنسا)، محملاً بمسافرين من دول أوروبية متنوعة المشارب. والقطار هنا يعامل كرمز كلاسيكي للرحيل والهجرة نحو الغرب حيث الحرية المنشودة، وهو هروب من العقد. وهذا الهروب عبر ركوب القطار يشبه إلى حدٍ ما سفينة نوح التي حملت على ظهرها بقايا الكائنات، والقطار كذلك حمل على متنه البقايا من المجتمعات المهشمة بعد الحرب الضروس. وكان للشخصيات دور كبير في تمثيل بؤرة الصراعات الداخلية والجماعية الكاشفة عن الرؤية بين هاجس الصراع وهاجس الخوف من الآخر. فلليوغسلاف ندوب وجراحات عميقة تسببت في وجود تيار غلب عليه فقدان الرغبة في الحياة. وإن تجسيد الصدمة بمضمونه الوجودي الناتج عن تشكل بؤرة الصراع (الحرب)، فهي تُذكِّرنا بشخصيات دوستويفسكي في (الجريمة والعقاب)، من وجهة نظر "حوارية

باختين" حيث يعاني الأفراد من عذاب داخلي يفوق الواقع المادي من خلال الاهتمام المشترك بتعدد الأصوات بغض النظر عن اختلاف المنهج بينه وبين مفهوم البنية لدى غريماس (فيليك، 1980). والبلغار يرمقون بنظرات خبيثة سوداء تضمر حقداً داخلياً، يشبه تحديداً مخبري الأنظمة الشيوعية الذين كانوا مندسين بين الطبقات العاملة، والذين كانوا رمزاً ومعقلاً للخوف والريبة والاضطهاد التي تولدها الأنظمة الشمولية. فالشعوب لا يمكن أن تنسى الظلم الذي تسببه المستعمرون. أما الهنجاريون فهم متلهفون للانقضاض على (الكنز)، وهذا تعبير مجازي منه عن يأسهم وجوعهم المادي والمعنوي كذلك. وهذا الأمر يشبه تمثلات شخصيات الروائي والأديب الروسي تشيخوف التي تبحث عن الوهم (مايلز، 1999، ص. 99) والتي تبتغي الخلاص المستحيل في وسط العتمة والسماء الملبدة بالغيوم، فلا وجود سوى للوهم الذي حفرته معاول الحروب في أدمغة الشعوب المستضعفة (محمود، 2018). ورمزية (العجائز اليابسات كأنهن طالعات من أنقاض إمبراطوريات) هي نظرة استشرافية لتاريخ أوروبا المنهار بالحروب، ومن قبله سطوة الكنيسة والجوع والأمراض. فالقارة الأوروبية يسمونها بالقارة العجوز، وهذا تجسيد لصراع محتدم مسيطر على الذاكرة المؤلمة مع النسيان الحتمي، كما في كتابات مارسيل بروست عن زوال الماضي الذي لا يعود والذي بات في طي النسيان (البياتي، 2012). وكذلك ينظر الراوي إلى الشباب بـ(بنطلونات الجينز) في عاصمة النور، وقد خلق تناقضاً كبيراً مع الآخرين، ليظهر صراعاً جلياً بين الأجيال، بين ماضي الأمم المثقل وحاضرها السطحي المشوه. وهو يُشبه صورة "الجيل الضائع" في أدب إرنست همنغواي (ميلينغتون، 1992؛ الجزيرة، 2015). وقد برزت الرؤية الكونيّة في النص من خلال الصراع المبني على الثبات والتغيير، فهو يعني

بـ(مصبات الأنهار) بأنها مصبات للهجرات غير الشرعية والتي بدأت مع ويلات الحرب (المصباحي، 2025). فالمصبات الطبيعية للأنهار (باقية منذ الأزل) ولا يمكن إزالتها، وهذا ترميز إلى القوانين والنواميس الثابتة للطبيعة غير الخاضعة للتغيّر. بينما مصبات الهجرات التي ذكرها (متغيرة طوال الوقت)، وهذا تجسيد حي للفوضى في التاريخ البشري وتناقضه المستمر والدائم. وهو تناقض فج يذكر بفلسفة (هيراقليطس) المبنية على فوضى التغيير الدائم (حمادي، 2015). وهو يشكل حيودًا يبرز من خلاله هاجساً نوعياً ومركزيًّا في حد ذاته في البنيوية التكوينية ومفهومها الأوسع "رؤية العالم"، والذي خلق صراعًا بين الإنسان وقدره، كما نوهت إليه ملاحم (هوميروس)، حيث تُحدد الآلهة مصائر البشر بينما يحاولون عبثًا تغييرها (العريس، 2020). التشبيهات الاستعارية (كأنهم، كأنهن) تُضفي طابعًا تراجيديًّا على الشخصيات، كأنها شخصيات من مسرحيات شكسبير المأساوية (زغيب، بدون تاريخ)، تحمل جراحاً لا تُشفى. وفي النص يُقدّم لوحة نفسية اجتماعية لأوروبا من خلال الواقع الحقيقي المهشم، حيث يتبلور الصراع الداخلي للشخوص عبر (الندوب، الخوف، اليأس) في النص، وهو يعكس صراعًا خارجيًا حاصلًا أدى إلى تلك الندوب وعلامات الخوف هو (الحروب، الهجرة، انهيار الإمبراطوريات) عبر أدوات بسيطة كرمزية التضاد، والتي ربط بها مصائر الأفراد المعدمين بمصير القارة العجوز. وهذا يتناغم مع أعمال (ليو تولستوي) في تصوير التاريخ كسلسلة من المآسي الفردية (عواد، 2020).

ارتباط البنى بالصراع:

تعتمد البنيوية التكوينية بأصولها على ربط البنية الداخلية للنص الأدبي (النص الروائي) بالبنى الاجتماعية والصراعات الطبقية التي ترافق المجتمعات الإنسانية. ويُعد العمل الأدبي تعبيراً مجازياً عن رؤية العالم الخاصة، أو رؤية الجماعة أو الطبقة الاجتماعية وفقاً لمبادئ لوسيان غولدمان. وأصبح من المستحيل أن يُفهم النص إذا عزلناه عن سياقه الاجتماعي الذي أنتجه. والنص القادم خير دليل على ذلك: "الساعة التاسعة والنصف لا زلنا نشرب في نفس المقهى، نطير من موضوع لآخر مثل طائرين يقفزان من غصن إلى غصن ابتهاجاً بطلوع الشمس. بعد الكأس الخامسة، يروي لي آخر مغامراته: اسمع يا صديقي. ليس هناك شراب في الدنيا ألعن من الويسكي، إنه قادر أن يجلب لك مصائب يمكن أن تقطع رقبتك. قبل ثلاثة أسابيع بالضبط، نظم العرب المقيمون هنا سهرة سينمائية. وفي نهايتها، أقاموا حفل استقبال قدمت خلاله أرقى أنواع المشروبات. وبالرغم من أني ذهبت إلى هناك وأنا لا أكاد أميز طريقي، فإني رحت أعب الويسكي مثلما أعب الماء بعد ظمئ شديد. فجأة غام كل شيء من حولي، ولم أعد أعي ما أقول أو ما أفعل. ولما أفقت ظهيرة اليوم التالي، وجدت نفسي في شقة صديق لي. وكان قميصي ممزقاً إرباً إرباً، وعلى وجهي وجسدي خدوش وكدمات زرقاء. استفسرت صديقي عن السبب، فأعلمني أنني قمت بأفعال مشينة خلال الاحتفال، إذ رحت أشتم العرب، وأسخر من أفلامهم ومن ثقافتهم. لم أكتف بذلك، بل فتحت سروالي وبلت عليهم. وطبعاً هجموا عليَّ ثم ألقوا بي في الشارع بعد أن أشبعوني ضرباً وركلاً. ومن فرط خجلي من نفسي ومما فعلت، مكثت خمسة أيام كاملة لا أخرج

ولا أقابل الناس. لهذا أقسمت بأغلظ الإيمان أن لا أشرب قطرة ويسكي واحدة مستقبلاً!" (المصباحي، 2016، ص. 21-22). هذا النص يعكس من خلال بنيته السردية مجمل التناقضات في الأحداث الحاصلة في المجتمع، والذي عززه بالوعي المشترك للمجموعة البشرية التي ينتمي إليها الراوي وشخصياته. يغلب على النص هيمنة ضمير المتكلم وبروز قيمة الأنا، مما يعكس تجربة الراوي الذاتية والتي تم تشخيصها عبر فرض جدلية التناقض بين الأفراد والمجتمع الذي يحتضنهم. وقد بدأت القصة في النص بداية من مقهى، والذي جعله فضاء اجتماعياً محايداً. ثم بدأت الأحداث بالانتقال إلى السينما حيث الحفل، ليكون فضاءً بديلاً، ذلك الحفل الذي نظمه العرب المهاجرين. لتنتهي رحلة الراوي بندمه الشديد وعزلته عنهم. وقد تصاعدت المشاهد الدرامية والتي حولت مراسيم الحفل من فضاء مبني على التواصل بأبعاده الثقافية (والذي تخلله عرض الأفلام والترويج للمشروبات) إلى فضاء مبني على هاجس الصراع. فيظهر من خلال ذلك الهاجس المبني على الصراع وتشكل السرد فيه كيف يؤدي الإكثار من شرب الويسكي إلى تهتك العلاقات الاجتماعية وتمييعها. هذا التحول العجيب يحيلنا إلى بيان هشاشة ذلك المجتمع الذي يدعو زوراً إلى التماسك المجتمعي في الظاهر، وذلك في ظل الاختلاف في الثقافات. فالخطيبي يدعو إلى الاهتمام بموضوع الاختلاف، فغيابه أدى إلى طمس الهويات وسط الفكر الشمولي الغربي، وفكر الاختلاف وحده القادر على اقتحام المعرفة الغربية في أوجهها المتعددة، وعن طريقه في الوقت نفسه يستطيع الفكر العربي الخروج من التلف في ميدان العلوم الإنسانية (الخطيبي، 2009، ص. 18). وفي النص برزت الإشارة إلى الجماعة العربية والتي تمثلها حفلة السينما، والتي تُفسر على أنها ممارسة ثقافية وإثبات وجود من خلال تعزيز الهوية الجمعية لهم

عبر تقديم أرقى أنواع المشروبات (الويسكي). والذي ظهر على أنه محاولة جادة نوعاً ما لإثبات المكانة الحقيقية لهم داخل المجتمع، لكنها اصطدمت بسلوك الراوي نفسه والذي جسده استهانته بالقيم والأعراف. فيرمز الراوي إلى الهوية المزدوجة للآخر الذي يفشل ويرفض الاندماج؛ بل يُصور على أنه يهدد النظام والسلم المجتمعي عبر صدور أفعال فردية منه، والتي دلت على أنها تصرفات مشينة. فالسب والشتم تصرفات غير مقبولة أبدًا، والسخرية كذلك، وأخيرًا صدور حالة التبول الإرادية منه وتوظيفها في النص على أنّها تعد سلوكًا غير حضاري. وهي كذلك تعبير عن صراع محتدم بين الفردية الضائعة والجماعة المسيطرة (الحوراني، 2010-2011، ص. 107). مما جعل هذه التصرفات الفردية تُدان كونها تصرفات مفرطة تفرض الاختلال بالتوازن المجتمعي. ولرمزية الشراب (الويسكي) فقد تحول من مصدر للرفاهية إلى أداة مدمرة، وهو ما يفرض حصول تلك الأحداث وبلوغها إلى ثنائية الحضارة بكافة مستلزماتها داخل النص والهمجية في التصرفات غير المسؤولة. وبذلك يشير غولدمان في كتابه (الإله الخفي) إلى أن الرموز تُجسد التناقضات الطبقية (غولدمان، بدون تاريخ، ص. 122). وهنا يُجسد الشراب -وهو مصدر للنسيان- صراعاً بين تحضر ظاهري وبين انحطاط باطني نفسي. فلا فائدة من كون الجسد المُهان والذي عُبر عنه بالقميص الممزق، وهذا التمزيق يدل على الإهانة وهي نوع من الصراع. وآثار الخدوش أكبر دليل على حدوث العقاب المجتمعي الواضح للفرد المتجاوز للحدود واللياقة المجتمعية. وهذا الفعل يشابه ما بينه (ميل دوركايم) في مفهومه عن العقاب الاجتماعي كآلية لإعادة فرض المعايير الأخلاقية (رسول وموسى، 2017). وقد برز الصراع المجتمعي في النص وبروز رؤية العالم في أعلى مضامينها، وذلك من خلال صراع الهوية

الضائعة ودلالتها، والذي ظهر في النص وهو يسجل صراعاً بين هويتين متغايرتين: الهوية العربية المتماسكة نوعاً ما بالطقوس الثقافية، وهوية الراوي العربي أيضاً، والذي صوره كفرد منعزل عن الآخرين. ورفضه الاندماج يمثل وحدة الصراع، والذي يعكس نشوء أزمة بين الهجرة وحالة التعايش الثقافي في تلك المجتمعات الغربية والتي تتميز بأنها مجتمعات متعددة الأعراق والثقافات. فصور الثقافة من خلال فسح المجال لوصول الصراع المحتدم كبديل عن الحوار. وقد عملت العزلة الفردية لمدة خمسة أيام كنوع من العزلة الاختيارية، وكذلك امتناعه عن الشرب، والتي عبرت عن ضغط المجتمع الرهيب على الفرد وإجباره على تغيير سلوكه. وهذا يُظهر كيف أن النص بدأ بممارسة سطوة الجماعة عبر شيوع لغة العار لتلك التصرفات، وهي أداة غير مرئية نوعاً ما للضغط على الفرد المشاكس. وهو ما يتفق مع تحليل (إرفنغ غوفمان) للضغط المجتمعي على شذوذ الفرد عن الجماعة (وطفة، 2023). وقد أشاع الراوي في سخريته من أفلام العرب وثقافتهم التي شكك فيها، ثقافة مبنية على السخرية الغريبة والتي كشفت عن صراع مبطن وهيمنة غريبة في تصدير بنى ثقافية سيئة. وكان الحفل السينمائي خير دليل على محاولته البائسة لإثبات الذات المهيمنة عبر السخرية الثقافية. لذلك فرض لغة الاستهجان، والتي أظهرها عبر هذه الهيمنة وهذا التسلط. وهو مما يعكس نوعاً من تناقضات حالة الهوية في ظل حالة الهجرة أو حالة الاستعمار. وقد جسد هذا النص من خلال بنيته السردية ورمزية شخصياته (رؤية العالم) لجماعة كانت تصارع وتتصارع فيما بينها للإبقاء على هويتها المغيبة في ظل مواجهة ناشئة من الفرد المعاكس لرأي الجماعة، والتي دمرها الصراع الشخصي والمجتمعي.

قائمة المراجع:

- أيوب، محمد شعبان. (2022، فبراير 24). كارل ماركس والباب العالي.. لماذا دعا مؤسس الشيوعية إلى إسقاط الدولة العثمانية؟. الجزيرة نت.
- الأمارة، أسعد شريف. (2022، أبريل 26). الكبت والتفريغ (التنفيس).. شيء من التحليل النفسي. صحيفة المثقف.
- باختين، ميخائيل. (1987). الخطاب الروائي (محمد برادة، ترجمة). دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة (مصر). (العمل الأصلي نشر في 1975).
- البياتي، ميسون. (2012، ديسمبر 18). مارسيل بروست والبحث عن الزمن المفقود. الحوار المتمدن، العدد 3945.
- بيرغر، بيتر، ولوكمان، توماس. (2024، نوفمبر 26). البناء الاجتماعي للواقع. الحوار المتمدن، العدد 8173.
- بوللوك، ألان، وترومبلي، ستيفن (محرران). (1999). قاموس فونتانا الجديد للفكر المعاصر (الطبعة الثالثة).
- الجزيرة نت. (2015، نوفمبر 1). أرنست همنغواي.. تراجيديا الأدب والحياة.
- الجزيرة نت. (2023، مايو 19). رابندرانات طاغور شاعر الطبيعة والحرية الهندي.
- الحوراني، محمد عبد الكريم. (2010-2011). تأويل الاستغلال في نظرية علم الاجتماع - العناصر التكميلية لنظرية سوسيولوجية في الاستغلال. مجدلاوي للنشر والتوزيع.

- الخطيبي، عبد الكبير. (2009). النقد المزدوج (مجموعة من الباحثين، ترجمة). (الطبعة الأولى).
- الخصار، عبد الرحيم. (2025، يونيو 6). حسونة المصباحي الروائي المترحّل الذي تمرد على العالم. صحيفة الاندبندنت عربية.
- ربابعة، موسى. (2000). التناص في نماذج من الشعر العربي الحديث. مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية.
- رسول، خليل إبراهيم، وموسى، هديل سعدي. (2017، ديسمبر 14). ميل دوركهايم وتأثيره في فكر علم الاجتماع [ندوة]. قسم الدراسات الاجتماعية بالتعاون مع كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.
- رذرفورد، جوناثان (محرر). (1990). المساحة الثالثة: مقابلة مع هومي بابا. في الهوية، المجتمع، الثقافة، الاختلاف. لورانس.
- زغيب، هنري. (بدون تاريخ). شخصيات شكسبير من المسرح إلى الصورة. مركز التراث في الجامعة اللبنانية الأميركية.
- سوفوكليس. (2006). مسرحية أنتيجوني (منيرة كروان، ترجمة). المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة.
- عبدالفتاح، إمام. (1984). دراسات هيجلية. دار الثقافة.
- العريس، إبراهيم. (2020، مايو 2). إلياذة هوميروس الأكثر إنسانية بين الملاحم. صحيفة اندبندنت عربية.
- العيد، يمني. (1973). ممارسات في النقد الأدبي. دار الفارابي.
- عواد، إبراهيم. (2020، يناير 5). تولستوي وتعظيم النبيِّ محمد (ص). رأي اليوم.
- غولدمان، لوسيان. (بدون تاريخ). الإله الخفي.

- فيليك، رينيه. (1980). وجهة نظر باختين في دوستويفسكي: البوليفونية والكرنفالي. في دراسات دوستويفسكي - الشكل والبنية. الجمعية الدولية لدوستويفسكي.
- كامو، ألبير. (2017). الطاعون (الطبعة العربية). دار المؤلف للطباعة والنشر والتوزيع.
- المرّي، سيف. (2009، ديسمبر 16). في غيبوبة الذكرى - دراسات في قصيدة الحداثة لـ(حاتم الصكر). مجلة دبي الثقافية.
- المصباحي، حسونة. (2001). وداعاً روزالي. بعنوانات الجمل، ط (1)، 2001م.
- المصباحي، حسونة. (2001). هلوسات ترشيش، حسونة المصباحي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط: 1، 1995.
- المصباحي، حسونة. (2016). الآخرون، دار تبر الزمان، تونس، ط :1، 1998م.
- المصباحي، حسونة. (2023، أغسطس 7). ألبير كامو الصحافي الذي خاض العديد من المعارك. صحيفة إيلاف الإلكترونية.
- المصباحي، حسونة. (2025، ديسمبر 28). كتّاب مراسلون حربيّون (اختاروا الذهاب إلى جبهات القتال ليعيشوا أحداثها ووقائعها عن كثب). صحيفة الشرق الأوسط.
- محمود، علاء الدين. (2018، أبريل 22). شخصيات تشيخوف. صحيفة الخليج.
- ميلينغتون، جيمس ر. (1992). هِمنغواي: حياة بلا عواقب. هوتون ميفلين.

- مايلز، باتريك. (1999). تشيخوف.
- حمادي، حسن. (2015، يونيو 25). هيراقليطس (الحكيم الأفزي) بعيون نيتشه. الحوار المتمدن، العدد 4848.
- وطفة، علي أسعد. (2023، يونيو 1). دراميات التّفاعل الرّمزي في نظريّة (إيرفنغ غوفمان) المدخل الدّرامي لفهم السّلوك البشري. مركز نقد وتنوير.

تجليات السلطة الأبوية في الثقافة الإسلامية من منظور فاطمة المرنيسي، وآليات المقاومة قراءة في ضوء النقد الثقافي

م.م رشا أحمد سلوم	قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب/ جامعة بغداد
Rasha.Ahmed2202p@coart.uobaghdad.edu.iq	
أ.د. كرنفال أيوب محسن	قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب/ جامعة بغداد

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى قراءة الخطاب المرنيسي في سياق التراث الديني والتاريخي والاجتماعي بغية الوقوف على تجليات السلطة الأبوية في الثقافة الإسلامية من منظورها. كما يحاول الكشف عن آليات إنتاج الهيمنة الذكورية عبر الدين والرمز واللغة، وإبراز استراتيجيات المرنيسي في مقاومة هذه السلطة. وذلك بالاعتماد على النقد الثقافي وآلياته للكشف عن المضمر والمسكوت عنه في السرديات الذكورية المؤسِّسة للثقافة الإسلامية، وتفكيك الأنساق التي أنتجت هذه الثقافة.

الكلمات المفتاحية: السلطة الأبوية، فاطمة المرنيسي، النقد الثقافي، استراتيجيات.

Manifestations of Patriarchal Authority in Islamic Culture from the Perspective of Fatima Mernissi and Mechanisms of Resistanc A Reading in Light of Cultural Criticism

Rasha Ahmad Salloum
A.D. Carnvall Ayub Muhsen
Department of Arabic Language, College of Arts, University of Baghdad, Baghdad, Iraq.

Abstract:
This research seeks to read Mernissi's discourse within the context of religious, historical, and social heritage, in order to understand the manifestations of patriarchal authority in Islamic culture from her perspective. It also attempts to uncover the mechanisms by which male dominance is produced through religion, symbols, and language, and to highlight Mernissi's strategies for resisting this authority. This is achieved by employing cultural criticism and its methodologies to reveal the implicit and unstated aspects of the patriarchal narratives that shape Islamic culture, and to deconstruct the cultural patterns that have produced this culture.

Keywords: Patriarchal authority, Fatima Mernissi, cultural criticism, strategies.

مقدمة:

شكّلت المرنيسي علامة فارقة في تاريخ الثقافة المغربية/ العربية المعاصرة، عبر تأسيس نمطٍ كتابيٍّ خاص بها، يعتمد على آلية الحفر في التراث العربي الإسلامي، وإعادة قراءة النصوص الدينية والتاريخية، ليس بغرض المشاكلة والرفض أو القبول، وإنما لحمل القارئ إلى التعرف على العالم خارج الذات، وصولاً إلى مقاصد المؤلّفة ما يجعل منه شريكاً في إنتاج المعرفة. فمثّلت الذاتَ الأنثوية في مواجهة منظومة القيم التي أنتجتها السلطة الذكورية التقليدية بغية إعادة صياغة الوعي المجتمعي من داخل هذه السلطة لكن بمنظور نسوي.

فما السلطة الأبوية؟ وما النقد الثقافي الذي اتخذناه منهجاً لدراستنا هذه؟

السلطة الأبوية: "منظومة اجتماعية واقتصادية وثقافية تضع الرجال في موقع الهيمنة والسيطرة على النساء، وتحدد أدوار الجنسين بطريقة تكرّس التبعية الأنثوية" (بوفوار، سيمون دي، 1994، صفحة 85).

فهي ترى أن هذه السلطة نتاج بناء اجتماعي هدفه تكريس الهيمنة الذكورية على النساء. وقد تشكّلتْ من علاقات سلطوية يحتل فيها الأب أو الذكر موقع اتخاذ القرار داخل الأسرة وفي النظام الاجتماعي، حيث تبنى هذه العلاقات على الطاعة والخضوع لا على المشاركة والمساءلة، ما يسمح بإعادة إنتاج التفاوت بين الجنسين عبر التاريخ.

النقد الثقافي:

يضطلع النقد الثقافي بمهمة تعرية الأنساق التي تسرّبت إلى البنية الذهنية، وترسخت في الذاكرة الجمعيّة الثقافيّة بلا رقابة ولا محاسبة، توجّه

سلوكياتنا ورغباتنا، وتتحكم من موقعها في تشكيل الأنظمة الثقافية ومفهوماتها التي تتحكم بالأفراد. فهو لا يدور" حول الفن والأدب فحسب، إنما حول الثقافة، في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والأنثربولوجية؛ بوصفه دوراً يتنامى في أهميته، ليس لما يكشف عنه في الجوانب السياسية والاجتماعية فقط، بل لأنه يشكّل كذلك النظم، والأنساق، والقيم، والرموز، ويصوغ وعينا بها" (بعلي، حفناوي، 2007، صفحة 219).

ويعد المشروع المرنيسي أنموذجًا فريدًا في قراءة النصوص التراثية قراءة تفكيكية، لا تسعى إلى إلغائها أو الصدام معها، وإنما مواجهتها بالكشف والتحليل وإعادة تأويلها ضمن مشروع إصلاحي فكري، يعيد التوازن للعلاقة بين الذكر والأنثى، وتحرير الفكر من الداخل، وإعادة بناء المعنى الديني والثقافي على أسس المساواة الإنسانية.

وبداية علينا أن نشير إلى قول المرنيسي: "وتحاشيًا لكل سوء فهم وكل تشويش، فإنه من الطبيعي، في كل مرة أتكلم فيها عن الإسلام دون أي وصف في هذا الكتاب، فإني أقصد فيه الإسلام السياسي، الإسلام كممارسة للسلطة، وأعمال الرجال المدفوعين بمصالحهم، والمشبعين بالأهواء، وهو ما يختلف عن الإسلام-الرسالة، الرسالة الإلهية، الإسلام المثالي المدون في القرآن(الكتاب المقدس). وعندما أتكلم عن هذا الأخير فإنني أعبر عنه بالإسلام كرسالة، أو الإسلام الروحي" (المرنيسي، فاطمة، 1994، صفحة 18).

ونحن بدورنا اتبعنا التمييز ذاته خلال البحث.

تجليات السلطة الأبوية في الثقافة الإسلامية من منظور المرنيسي.

1. بناء السلطة الذكورية عبر السردية التاريخية:

تشكّل السرديات التاريخية "الوسيلة التي نرى بها الماضي، وتشكلّ فهمنا للحاضر والمستقبل، وغالبًا ما تركز على قادة الحركات الاجتماعية والأحداث الرئيسة، والأهداف المعلنة. ويجب تحليل هذه السرديات بشكل نقدي لفهم كيف تمّ بناؤها، وما التحيزات المحتملة التي قد تحتويها" (المسعودي، غالب). ما يساهم في تقديم صورة أكثر شمولية للماضي، وفهم كيفية عمل السلطة والهيمنة، وتفكيك المفهومات السائدة، من خلال الكشف عن آثارها على الفئات المهمشة.

وتعدّ الأحاديث النبوية إحدى أشكال السرديات، بل هي من أهم النصوص السردية في الثقافة الإسلامية، وبحكم دورها في تأسيس رؤية الذات لنفسها وعلاقة الذات بالآخر، كانت تحت مجهر البحث في كتابات المرنيسي، لاسيما النص الديني الذي يخدم سلطوية الذكورة، ويلقي بالمؤنث إلى مناطق التعتيم والتهميش؛ فقد تناولته المرنيسي بالتحليل النقدي مسائلة الأسباب التي أنتجته، وكيف تمّ بناؤه، والتحيزات المتضمنة داخله.

فتطرح سؤالًا جدليًا: "هل يمكن للمرأة أن تقود المسلمين؟ (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 11)، منطلقًا للبحث عما جاء في الحديث النبوي: "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة" الذي أورده البخاري في صحيحه عن الصحابي أبي بكرة، متبعةً منهجية العلماء المسلمين في الجرح والتعديل من خلال الاستدلال بما يلي (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 67-79):

يذكر أبو بكرة أن الرسول(ص) قد تلفّظ بهذا الحديث عندما سمع أنّ الفُرس سمّوا امرأة لتحكمهم بعد اغتيال عاهلهم على يد الإمبراطور الروماني هرقل سنة 628. وهو يتذكّره، بعد ربع قرن، في يوم واقعة الجمل بين عائشة

زوجة الرسول(ص)، وعلي بن أبي طالب ابن عم الرسول(ص). الأمر الذي يتطلب ذاكرة أسطورية.

لقد جاء قول أبي بكرة لهذا الحديث لتبرئة نفسه أمام جماعة علي، ولتبرير موقفه أمام عائشة بعد رفضه المشاركة في الحرب. وبالعودة إلى سيرته الذاتية يتكشف أنه أُدين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بشهادة زورٍ، مما يقدح في عدالته كمحدّث.

لتخلص المرنيسي بعدها إلى أن غاية أبي بكرة من استخدام الديني كـ"أداة" هي إنتاج نسق فكري يخدم المصلحة الذكورية بإقصاء المرأة عن السلطة والسياسة. ومن هنا ندرك كيف تتحول الخطابات الدينية إلى أدوات لإنتاج الخضوع الاجتماعي.

إن تفكيك النصوص الدينية التي تنال من المرأة لتحقيق مصالح ذاتية هو مطلب تسعى إليه المرنيسي. وتهدف من خلاله في العمق إلى محاربة الجهل المتعمد بالمرأة، وبدورها التاريخي والحضاري في بناء المجتمعات، وبالتالي تنقية التراث الثقافي والديني خاصة من أنصاف الحقائق، ومن الأوهام التي تلازمه (كداي، عبد اللطيف، 2017، صفحة 6)، وقد تجلى ذلك في مجمل كتاباتها وفق رؤيتها الخاصة وأسلوبها الخاص.

كما تقف المرنيسي على حديث آخر أورده البخاري في صحيحه وهو قول النبي (ص): "الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة إذا مرّت أمام المؤمن، فاصلة بينه، وبين القبلة" (البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، 1978، صفحة 99).

هذا الحديث الذي يخدش وجود المرأة وكرامتها رُوي عن الرسول (ص)، الذي لم يكن رئيس دولة فحسب، بل كان أيضًا عاشقًا لعائشة، وأكّد علناً إيثاره النساء على الرجال. فكيف يمكن لصحابي مثل أبي هريرة ألا يفهم

رسالة الرسول الكريم هذه، ويذهب إلى جعل المرأة عنصراً يقطع العبادة "بتوضعها بين المؤمن والقبلة"؟؟؟

وللإجابة عن هذا السؤال:

تقف المرنيسي عند تعريف القبلة؛ بأنها اتجاه مكة حيث الكعبة، وهي التي تعطي لصلاة المسلم، خارج أهدافها الروحية(التأمل) والذرائعية(الانتظام)، بُعدها الكوني، وهي العمل على تحويل العالم، مع مدينة عربية كمركز سطحي، وإبعاد النساء عن القبلة إذن هو إبعادهن عن كل شيء من البعد المقدّس (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 86، 90).

بالتالي إن حشر المرأة بين الكلب والحمار في حديث أبي هريرة، واعتبارها كعامل اضطراب، يرجع إلى القول بوجود تعارض أساسي بين جوهرها والجوهر الإلهي، ويكفي أن تظهر في حقل الرؤية حتى يكون التماس مع القبلة، أي مع الإلهي، مختلًا (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 90).

أبو هريرة الذي حمل لقبه هذا لأنه كان يصطحب معه قطة صغيرة يحبها، لم يكن يحب الأثر النسوي في اسمه فيطلب أن ينادى بأبي هر، ولم يكن له انشغال ذكوري كثيرًا؛ إذ فضّل، كما يقول: أن يبقى في صحبة النبي(ص)، فقد كان يخدمه ويُعطى أحيانًا "عملًا عابرًا في منازل نسائه"، الأمر الذي يمكن أن يزيل بعض الأستار عن سر حقده على النساء، وعلى القطط إلى درجة تَذكُّرِ حديثٍ متعلقٍ بهما (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 92).

لتعود المرنيسي بعدَها إلى التاريخ الديني، لتجد أن وجهة نظر أبي هريرة حول هذه المسألة وحيدة، بل إن عائشة ردّت عليه بالقول: "تقارنوننا الآن بالحمير والكلاب. والله رأيت النبي(ص) وهو على أهبة إقامة صلاته، وكنت هنالك، ممددة على الفراش، بينه وبين القبلة، ولكي لا أشرد ذهنه، كنت

أتحاشى أن أتحرك.." (البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، 1978، صفحة 199).

فقد تعوّد المؤمنون أن يتأكدوا مما يسمعونه من أقوال من عائشة، واثقين في أحكامها، ليس بصفتها قريبة من النبي(ص) فحسب، وإنما لكونها أكثر من أصحابه امتلاكًا للثقافة ومعرفة بالفقه، وحكمها هو الأفضل، وكثيرًا ما هاجمتْ أبو هريرة وكذّبتْ أحاديثه، وطلبت منه عندما يشرع في ترديد أحاديث الرسول(ص) أن يحترس مما يرويه، وكثيرًا ما صححت كلامه، واعتبرته غير موهوب، يعطي أجوبة فاسدة، ومع ذلك، فإن تأثير أبي هريرة تسرّب في النصوص الدينية الأكثر احتراماً كصحيح البخاري، الذي بحسب ما يبدو، لم يلتزم دومًا بإدخال التصحيحات التي أوردتها عائشة، رغم أن موضوع عدد كبير من هذه الأحاديث "مُنجّسٌ" للنّسويّ (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 91).

أضف إلى ذلك موقف عمر بن الخطاب من أبي هريرة فيصفه بأنه رجل "لا وازع لديه"، ويرى عمر أن الذاكرة معرضة للخطأ بشكل خطير، في حين أن أبا هريرة نجح بتجربة تتطلب القوة لأن يتذكر 5300 حديث، أحصى البخاري 800 ذكرهم كمصدر، لكنّ أبو هريرة يعلل ذاكرته الخرافية بأنه شكا للرسول(ص) نسيان بعض أقواله، فبسط له النبي عباءته أثناء كلامه معه، وبعدئذ أعاد جمعها في نهاية الجلسة، وهكذا لم يعد ينسى شيئًا (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 99- 100).

كان لا بد من التوقف عند شخصية أبي هريرة راوي الأحاديث التي تغرق الحياة اليومية لكل امرأة مسلمة عصرية بعد أن أصبح مصدر تفسير ضخم في الأدب الديني، على الرغم من كونه تمتع بشهرة على جانب كبير من الشك منذ البدء، والبخاري ذاته يعلم بذلك، فهو كان ويبقى موضوع

تناقضات لذا هو بعيد عن أن يُجمع عليه بصفته مصدرًا موثوقًا (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 98- 99).

ويبدو أن هذا النزاع الإلهي_ النسوي المؤسس على الكثير من الأحاديث الموضوعة من قبل أبي الهرة الصغيرة وأمثاله ما زال مستمرًا إلى الآن بعد خمسة عشر قرناً، تتشعب آثاره على حياة المرأة داخل الأسرة وفي المجتمع لتكريس خطاب ذكوري متطرف يضفي الشرعية على السلطة الأبوية في المجتمعات الإسلامية، يخدم مصالحها في بقاء زمام القيادة والسطوة بيدها، وانحياز القانون المجتمعي لتعزيز هذه السلطة.

ويمكن القول أن اعتراضات عائشة وتصحيحاتها، وما رُوي عن واضعي هذه الأحاديث لم تلقَ أيّ اعتبار في التاريخ الإسلامي، بل تحولت تلك المرويات عن الرسول(ص) إلى نصوص "غير قابلة للجدل"، والدليل: هو تبني نهج حجب المرأة وعزلها اجتماعياً وسياسياً، وحتى وجودياً سواء بالحجاب أو بالفصل المكاني، وعدّ ذلك تجسيداً للهوية الإسلامية. وإدارة حياتها عبر منظومة من المعتقدات التي تبتعد عن روح الإسلام.

لاسيما تلك المعتقدات التي تعيد الصورة الجاهلية للمرأة فيما يخص الجنس والحيض إذ كانت تعد مصدرًا للقذارة والتدنيس، بشكل يتعارض تمامًا مع ما جاء في مرويات نساء النبي(ص)، والتي تؤكد براءة الرسول من هذه المعتقدات سواء بأفكاره أو أفعاله، ونبذه لها، فلم يرَ في المرأة قطبًا يلغي الإلهي أو يعطل نظامه.

وعليه، نجد أنّ مناهضة أي خطاب متطرف يتطلب البحث عمقًا نحو جذوره الممتدة في المجتمع، والظروف التاريخية التي أنتجته. ومن الضروري الانتباه إلى أن " التمثلات الاجتماعية السائدة حول المرأة تعمل على تقديم الفوارق الاجتماعية بين الرجال والنساء، على أساس أنها طبيعية ومحكومة

بالفوارق البيولوجية، بل إنها تعمل على تبريرها على أنها مفروضة أنطولوجيًا، والحال أن تلك الفوارق مبنية ومصنوعة اجتماعيًا" (وافي، العربي، 2008، صفحة 11)، لتخدم المشروع الأبوي في أدلجة الذهنية الجمعية على قبول تلك الفوارق المبنية على أساس الجنس على أنها الطبيعي والاعتيادي.

2. الحجاب، الطاعة، الفتنة كرموز محملة بأبعاد أيديولوجية:

يعدّ الدين، إلى جانب كونه عقيدة، أحد أهم المعايير التي تسهم في تحديد السلوك الاجتماعي، بما يضمّه من قواعد ومبادئ وتعاليم، كما أنه يمثّل إحدى آليات الضبط الاجتماعي والرقابة في السر والعلن.

وعلينا أن نميز هنا أن الكثير من عمليات الضبط الاجتماعي التي يمارسها الأفراد باسم الدين لا تعكس المعنى الحقيقي والجوهري للدين كرسالة روحية، وإنما تمثّل هواجسهم في السيطرة والتحكم، وفي إخضاع الأنثوي لرغباتهم، وتقييده كي لا يكون شريكاً في السلطة والسياسة وفي اتخاذ القرار. من هنا كان علينا الوقوف على بعض السلوكيات التي تطرّقت إليها المرنيسي في المجتمع المسلم، والتي تحولت رمزاً يجسد الثقافة الإسلامية من وجهة نظر أبوية.

- الحجاب

بالعودة إلى لسان العرب نجد أن "(حجب) الشيء يحْجُبُهُ حَجْبًا وحجابًا وحجّبه: سترَه، وامرأة محجوبة: قد سُتِرت بسترٍ (ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، د.ت، صفحة 777)، والستر هو حرفيًا الستار.

وكون الحجاب قُدّم إلى المسلمين والمسلمات بوصفه أمرًا إلهيًا في قوله تعالى: {وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب} [سورة

الأحزاب: 53]، نجد أنّ المرنيسي تعود إلى الجذور الأولى لطرح ثيمة (الحجاب) قبل أن يتحوّل إلى مؤسسة يتخذها الإسلام الرسمي هويته الثقافية التي خُص بها الجنس النسوي.

وتقف عند السنة الخامسة للهجرة (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 198- 213): التي نزلت فيها سورة الأحزاب، وكانت المدينة محاصرة من الخارج بأعداء النبي (ص). ومن الداخل كان جزء من سكانها سوف يوصل المدينة إلى حرب أهلية وعدم الأمان؛ فبالنسبة إلى امرأة تتجول دون أن تُزعج كان قد أصبح مستحيلًا، والأمر كذلك بالنسبة إلى نساء النبي (ص). ورغم ذلك لم يكن النبي على استعداد لمواجهة الفصل بين الخاص/ العام، المُحدَث بنزول الحجاب، إلا مع ظهور فئتين من المنافقين: "الذين في قلوبهم مرض" و"المرجفون في المدينة".

وحسب الطبري، الصنف الأول "الذين في قلوبهم مرض" ينتمون إلى الذين يعانون شهوة غير منضبطة للزنى وتعاطي أفعال جنسية غير مشروعة، والصنف الثاني "صنف المرجفين" أي الذين يلعبون دوراً مفسداً مثل اتهامهم لعائشة بالزنى. وبوجود تلك الفئتين من المنافقين أخذت الاعتداءات تقع على مستويين: الاعتداءات المادية، حين كانت تخرج نساء النبي إلى الشارع، والاعتداءات الكلامية، بإثارة شائعات حولهن.

ويأتي الحجاب، على حد تعبير المرنيسي، كي يرمز للتراجع الرسمي عن مبدأ المساواة، ويتحول لاحقاً إلى نظام اجتماعي وإيديولوجي يعيد إنتاج الفصل بين الجنسين. كما تعتقد أن السجال القائم حول الحجاب في المجتمع الإسلامي، هو سجال حول استقلالية المرأة وضرورة تأقلم الرجل معها وانضباطه أمام عورتها، بوصف الحجاب كان يمثل الآلية التي تنظم الغريزة الجنسية بصورة سلفية، أي من خلال الفصل المكاني، ومع إلغاء

آخر حريم 1909، وجد هؤلاء أنفسهم دون حماية (المرنيسي، فاطمة، 2000، صفحة 158). وبدلًا من أن يتوجه السجال نحو المسؤولية الجنسية للرجل والرقابة الذاتية يتوجه نحو الحجاب، والعمل على فرضه على النساء في الأماكن العامة، في ارتباك وقلق مجتمعي واضحين من تواجد المرأة في الأماكن العامة وتحديداً في الوظائف كونها أخذت تعمل إلى جانب الرجل، وتتقاضى أجرًا.

ما قدمناه يظهر أن نزول الآية بالحجاب التي ارتبطت بالستار الذي فصل بين النبي(ص) و(أنس بن مالك)، أي بين رجلين، لعزل حياة الرسول الخاصة عن العامة، أعاد شبح الجاهلية إلى المجتمع العربي؛ فما بدأ كحجاب خُصص للنساء لحمايتهن من العنف في الشارع سوف يرافقهن خلال عصور مهما كان وضع الأمان، وسيتحول على يد رجال الدين والفقهاء إلى حاجز يفصل بينها وبين الحياة العامة، وإلى عادات وتقاليد تحجّم وجودها وترسم دورها الاجتماعي المحدود بأسوار البيت. حتى غدت، وهي التي كرّمها القرآن، عورة تلوث شرف ذكور العائلة إذا ما فكّرت بالتمرد على الأسوار، لذا نجدهم يتفننون بآليات عزلها وإقصائها خوفاً من هذا التمرد.

- الطاعة

يتصاعد في المجتمعات الأبوية دور الأب الرمزي بدءاً بالأسرة وانتهاء بالأمة، وترزح العلاقة بين الزوجين تحت طائلة من التصورات ذات مرجعيات عقائدية وعرفية لا يمكن أن تتحقق بسببها الشراكة التعاقدية المبنية على أساس المساواة. كما تحاول أن تطبع المجتمع بهوية ثقافية ثابتة تقاوم أي تغيير قد يحصل في البنية الاجتماعية. ومن بين هذه التصورات وجوب طاعة الزوجة لزوجها.

كما يتخذ النظام الذكوري من النص الديني حُجّة على وجوب طاعة الزوجة لزوجها في قوله تعالى: {فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان عليًا كبيرًا} (القرآن الكريم) [سورة النساء: 34]

وهنا الآية نزلت حين احتكمت زوجة أحد المسلمين إلى الرسول(ص) بسبب ضرب زوجها لها، والتمست منه القصاص، ووافق الرسول(ص) على ذلك فورًا، لكن الله قرر خلاف ذلك. وترى المرنيسي أن هذا التفاوت بين الله ونبيه، يشير من جهة أخرى إلى التفاوت الذي يعارض النبي(ص) فيه عمر بن الخطاب؛ فاتجاه النبي(ص) الذي لم ينصح باستعمال العنف تجاه النساء يتعارض مع اتجاه مُمثّل بعمر، وكثير من المرويات تؤيد ذلك منها قوله: "لا تضربوا النساء. وفعلاً امتنع الناس عن ذلك. ثم أتى عمر إلى النبي (ص) وقال له: يا رسول الله، لقد تمردت النساء ضد أزواجهن. فأجاز لهم النبي (ص) ضربهن"، أضف إلى ذلك أن النبي لم يضرب أبداً بيده ولا واحدة من نسائه، وحين وجد نفسه مواجهاً بتمردٍ منزليٍّ فضّل أن يترك منزل الزوجية لمدة شهر، وأصرّ على معارضته بأنه لا يستطيع تحمل رؤية رجل غاضب يهمُّ بضرب زوجته، في موقف مغاير بينه وبين صحابته في استخدام العنف تجاه النساء (المرنسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 187- 188).

وإذا ما عدنا إلى كلمة (النشوز) أي التمرد والعصيان في نطاق الجنس، فهل رفْضُ الزوجة العلاقةَ الجنسية يجب أن يقابل بالضرب والإكراه؟ وهل يجد الرجل في ذلك نكرانًا لسلطته وهو "القوّام عليها" بالمعنى الدال على التحكم؟ أم عليه أن يقاطعها حتى ترتد عن سلوكها؟ وغيرها من الأسئلة التي أبقت الفقهاء في حيرة وارتباك، وفصّلوا في هذه الآية لدرجة أن الطبري فسّر

"اهجروهن في مضجعهن" أي اربطوهن بفراشهن وحجته أن "الهجر" لغويًا هو "الحبل الذي كانت تربط به العرب الجمال" (الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، 1994، صفحة 309).

وبدورنا نجد أن ما نعيشه اليوم ناتج عن إسقاطات آراء أولئك الرجال من الفقهاء والمفسرين على علاقاتنا العامة منها والخاصة، الذين عالجوا الموضوعات التي تخص المرأة بما يتناسب مع أفهامهم ومصالحهم. فتحولت تلك الأفكار إلى منهجية منظمة في الأدب الديني كرّست عادات في مجتمعنا العربي لا تشكّل جزءاً من التقليد النبوي، ولا تتفق مع روح الإسلام، وإنما تتناسب مع التقليد الجاهلي الذي عرف بالعنف الشديد تجاه النساء، ومنحت الحق للرجال في ضرب زوجاتهم في حالة النشوز أي في حالة التمرد على السلطة الذكورية استناداً إلى الآية الكريمة.

ويمكننا القول أن الزواج، وفقاً لهذه الرؤية، تحوَل مؤسسةً لممارسة العبودية والاضطهاد على المرأة، بديلاً عن المعاملة بالودّ والرحمة كما جاء في القرآن الكريم: {ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون} [الروم: 21]، وقوله تعالى: {وعاشروهن بالمعروف} [النساء: 19]. الذي يحمل دعوة إلى تبني نمطاً سلوكياً يرتقي بالعلاقة بين الزوجين إلى حالة صحية، تساهم في نقل مؤسسة الزواج من حالة السلب والفردية إلى حالة الإيجاب والتشاركية.

- الفتنة

لماذا يخشى الإسلام الفتنة؟ لماذا يخشى الرجال من سلطة جاذبية النساء الجنسية؟ أهناك افتراض بعجز الرجل عن إرضاء المرأة جنسيًا، وبأنها نتيجة لذلك ستبحث عن رجال آخرين وتتسبب في الفوضى إذا ما توفرت لها الحرية؟ أم هناك افتراض آخر يرى بأن طاقة النساء الجنسية أكبر من طاقة الرجال؟. (المرنيسي، فاطمة، 2005، صفحة 17)

يتميز المجتمع الإسلامي، من وجهة نظر، بنظرية مزدوجة عن الحياة الجنسية، الجانب الأول منها ظاهري" علني" يتمثل في وسم حياة الرجل الجنسية بطابع فعّال مقابل سلبية حياة المرأة الجنسية، والجانب الثاني "ضمني" مكبوت في اللاوعي الإسلامي ينظر إلى سلطة المرأة بوصفها سلطة هدامة وكاسحة (المرنيسي، فاطمة، 2005، صفحة 17).

وحسب رأي المرنيسي، يحمل الجانب الأول رؤية متناقضة عن العلاقة بين الجنسين يمثلها عباس محمود العقاد في مؤلّفه (المرأة في القرآن)، لا سيما وأنه يستند إلى قوله تعالى: {ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة، والله عزيز حكيم} [البقرة: 228] في تفضيل الرجل على المرأة، ويرى أن الخاصية المهيمنة لدى الرجل تكمن في إرادة القوة والغزو، في حين أن هذه الإرادة سلبية لدى المرأة فهي تنتظر أن تُغزى وتخضع، بل إنها لا تستشعر اللذة والسعادة إلا إذا انقادت وخضعت للرجل، وأما الجانب الثاني (النظرية الضمنية) فتتجلى في آراء الإمام الغزالي بشأن الزواج؛ إذ تنقلب الأدوار لتلعب المرأة دور الصائد والرجل دور الفريسة السلبية (المرنيسي، فاطمة، 2005، صفحة 19).

وتتقاطع النظريتان في أمر واحد وهو "سلطة كيد المرأة، وبينما يحاول العقاد الربط بين كيد المرأة وتكوينها الضعيف كرمز لدونيتها التي قررها الله، يرى الإمام الغزالي أن هذه السلطة تشكّل أكثر العناصر تهديماً للنظام الاجتماعي الإسلامي، حيث ترادف الأنوثة الشيطنة" (المرنيسي، فاطمة، 2005، الصفحات 19- 20).

لقد تحولت الأنوثة إلى خطر يتهدد بنية هذا النظام، كونها تتوفر على قوة هدّامة لمناعة الرجل، تحيله خاضعاً منقاداً إلى دور سلبي على عكس ما هو مطلوب منه. الأمر الذي أنتج موقفًا سلبيًا ومعاديًا للمؤنث، باعتباره قوة مضادة وهدّامة.

ومن هنا ربما نفهم أن عزل المرأة أو فرض الحجاب عليها، أو الفصل المكاني بينها وبين الرجل تمثّل آليات لإدارة الجسد الأنثوي بما يضمن حماية الرجل من الوقوع في الفتنة، بما تثيره هذه الكلمة من دلالة على الفوضى أو الاضطراب الجنسي الذي تتسبب فيه المرأة، بالتالي يبحث الرجل عما يحميه من هذه الفتنة، " فيلجأ إلى فرض الحجاب، ومنع النساء من كشف وجوههنّ لأعين الرجال منعاً مطلقاً خوفاً من أن ينفلت زمام هوى النفس من سلطة عقل الرجل، فيسقط في الفتنة بأية امرأة تعرّضت له مهما بلغت من قبح الصورة وبشاعة الخلق؟ إن زعم زاعم صحة هذا الاعتبار رأينا هذا اعترافاً منه بأن المرأة أكمل استعداداً من الرجل". (قاسم، أمين؛، 1970، صفحة 87)

من هنا يعمل الفكر الأبوي على ربط إنقاذ النظام الاجتماعي بتحصين المرأة، واقتصارها على زوجها فلا تتسبب في الفتنة بإغواء رجال آخرين على ارتكاب الزنى، بالتالي على الرجل إشباع رغباتها "نعم، ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين، فإن تحصينها واجب عليه"

(الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، د.ت، صفحة 50). الأمر الذي يظهر الخوف الممزوج بالاحترام تجاه احتياجات المرأة ومتطلباتها، ما يثبت دورها الفعّال في الاتصال الجنسي، فلا يَعُد هناك صائد وفريسة، وإنما كلاهما يتعاونان للوصول إلى اللذة.

لقد أعاد هذا الخطاب تشكيل المعاني الروحية للدين وتحويلها إلى منظومة رمزية تخدم النظام الاجتماعي الذكوري؛ عبر شيطنة الأنوثة وإخضاعها للمراقبة المستمرة، فتصبح المرأة المركز الذي تعاد حوله صياغة معاني العفة والطهارة والهوية، وفق مقاييس السلطة الأبوية.

3. اللغة كحامل للهيمنة: (تحليل اللغة الذكورية في الخطاب الديني والتشريعي)

عمل النظام الأبوي منذ ظهوره على إنتاج معاييره وتمرير امتيازاته عبر المشروع الثقافي والرمزي لصالح تفوقه وسلطويته، فالخطاب اليوم زاخر بالدلالات التي تعيد إنتاج المركزية الذكورية، ووضع المرأة في حالة دونية، مشبوهة دائمًا، ومسؤولة عن الشر والكيد والفتنة.

هذا التوجه الفكري تبنته اللغة الذكورية التي نضح بها الخطاب الديني في سعيها إلى تقديم العلل التي تسوّغ الفعل الذكوري وتجعل منه الطبيعي والاعتيادي، ففي قضية الزواج مثلًا، تتوجه الغاية منه إلى ترويح النفس والتمتع والاستئناس بالنساء الأمر الذي يريح القلب ويقويه على العبادة: "فائدة النكاح في ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة وإراحة القلب وتقويته على العبادة، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور؛ لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمعت وتابت، وإذا روّحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب، وينبغي أن يكون

لنفوس المتقين استراحات بالمباحات" (الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، د.ت، صفحة 32).

النظرية الغزالية تقسم المجتمع الإسلامي، وفق رأي المرنيسي، إلى قسمين (المرنيسي، فاطمة، 2005، الصفحات 35- 36): فئة تنتج المعرفة وتطلبها كطريقة لعبادة الله، وفئة تُستهلك من طرف الأولى وتتكون من النساء، مسخَّرة لخدمة الحياة الجنسية لدى الرجال" الفئة التي تُنتج فكرياً"، في تناقض كبير مع روح الرسالة الإسلامية التي حثت على المساواة، وألغت التمييز بين المؤمنين إلا بدرجة تقواهم. وهذا التصور الذي مثّله خطاب الغزالي سيتجسد في التمييز بين الجنسين، في الحقوق والواجبات، في العلاقات داخل الأسرة وخارجها، في الأدوار الاجتماعية، ما يدفع المرنيسي إلى اعتبار الهندسة الاجتماعية في البلدان الإسلامية من خلال الأسرة وقوانينها، محاولة لضبط القدرة الهدّامة لحياة المرأة الجنسية ووصاية عليها في الوقت نفسه.

نلاحظ أن هذا الخطاب يقوم على تأطير الدور الذي تلعبه المرأة في حياة الرجل المسلم؛ وهو إطفاء الرغبات التي أوقدتها الغريزة الجنسية لديه، والحصول على الذرية، بعيداً عن أن تكون المرأة مثارَ عاطفة أو اهتمام تصرفه عن طريق العلم والمعرفة والعبادة. تتحول المرأة هنا إلى أداة لتفريغ الطاقة الجنسية للرجل، ومؤانسته وإمتاعه للحصول على الراحة اللازمة لكل مجهود فكري (كونه الفئة المنتجة ثقافياً). ما يحيل إلى وجود سلبي للمرأة على صعيد الفكر والثقافة، وإلى تشييء هذا الوجود بتعطيل قدراتها الذهنية وتجريدها من المشاعر، تزامنًا مع النظرة الدونية لها كونها ناقصة عقل ودين.

وبالوقوف أمام قضية تعدد الزوجات: يقدم الغزالي تبريرًا للتعدد: "ومهما كان الباعث معلومًا، فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة، فالمراد تسكين

النفس، فلينظر إليه في الكثرة والقلة، ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع" (الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، د.ت، صفحة 30).

تستند هذه القضية إلى قوله تعالى: {فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة} [سورة النساء: 3]، ومن هنا أخذت صبغتها القانونية التي تتيح للرجل الزواج من أربعة لكن بشرط وحيد هو العدل، وإن خاف ألا يعدل بين زوجاته الأربعة فواحدة. فالمسألة، إذًا، تتعلق بشعور ذاتي عند الرجل (الخوف من عدم العدل) الذي يصعب حصره على المستوى القانون، على الرغم من التأكيد على عدم حدوث العدل مهما حاول من قوله تعالى: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} [سورة النساء: 129].

ثم يأتي المبرر الذي يقدمه الغزالي لرغبة الرجل في مضاجعة أكثر من شريكة واحدة، وذلك للتخفيف من اندفاعه الجنسي، وتوتره الروحي والجسدي على السواء. رغم أن التشريح يثبت أن الميولات الغريزية للرجال والنساء متشابهة، لكن "التشريع" يتيح للرجل الزواج بأربع شريكات لإرضاء هذه الميولات، في حين على المرأة أن تكتفي برجل واحد، وهذا الأمر يؤثر نفسياً على إحساس الرجال والنساء بالكرامة؛ فهو "يرسخ التصور الذي يملكه الرجال عن ذواتهم ككائنات جنسية قبل كل شيء، ويعزز البعد الجنسي للخلية الزوجية، وهو كذلك وسيلة يمارس بها الرجل إذلال المرأة ككائن جنسي بما أنه الدليل الأكبر عن عجز هذه المرأة على إرضائه" (المرنيسي، فاطمة، 2005، صفحة 39).

لقد مارس التشريع بأحكامه الدور الرئيس في إطلاق عنان الرجل وراء رغباته، وتعدد علاقاته وزوجاته، وجعله معبّأً بالبعد الجنسي، وفي الوقت

ذاته، حوّل المرأة إلى كائن مكبوت جنسيًا، قلق، مهتز الثقة بنفسه وبقدرته على إرضاء الرجل، معرض للإذلال حين يقرر الرجل بأي لحظة الزواج من أخرى.

هذا الحصار المفروض على المرأة جنسيًا واجتماعيًا، تبنّته المؤسسات التي تسهر على كبتهن الجنسي، وترويض أفعالهن، وتوجيه هاجسهن إلى إرضاء الرجل وإعلائه، بأفكار ايديولوجية مثل (الرجل أعلى مرتبة من المرأة، هو خليفة الله، رب الأسرة، السيد، من لا يرضى عنها زوجها تدخل النار....) غايتها ليس فقط خضوع المرأة واستسلامها للرجل، بل تجريدها من القيمة والمكانة، وربط رضى الله تعالى برضى الرجل، في امتهان فاضح لإنسانيتها وحقوقها وأهمها الحرية والكرامة.

ويعد الطلاق أوضح تجلٍّ لهذا الامتهان، إذ يكفي كلمة واحدة من الرجل كي ينهي رابطة الزواج، دون أن يضطر لتقديم أي مبرر أمام القاضي، واستبدالها بأخرى خاضع لرغبته، هذه الرغبة التي على أساسها يتزوج أو يطلق كيفما شاء. يستند على قوله تعالى: {وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً} [الآية: 20]

فلفظتا "أردتم" و" استبدال" من العناصر الأساسية في الطلاق كمؤسسة، لذا تجد المرنيسي أن الطلاق كالتعدد يرتكز على تفسير مرتبط بالغريزة؛ ففي تعدد الزوجات يتعلق الأمر بقوة شهوة الرجل الجنسية، وفي الطلاق يرتبط بجانب الملل الذي قد يعرفه الرجل في حياته الزوجية، بحيث يشكّل الطلاق بالنسبة إليه حماية من الوقوع في الزنى الناجم عن الملل (المرنيسي، فاطمة، 2005، الصفحات 40- 41).

تشكل إرادة الرجل الأساس في مؤسستي الزواج والطلاق على حد سواء، وتعتبر كتب الفقهاء والمفسرين غزيرة بالمعلومات المتعلقة بتفاصيلهما

والتي مُنحت صبغة قانونية وتحولت إلى قانون مجتمعي يتحكم بحياة المرأة ويحكمها. لذا من الطبيعي أن نجد الأحكام والقوانين التي تخدم الرجل وتسهم في تحقيق رغباته مقابل تحجيم وجود المرأة وتحديد دورها في هذا الوجود داخل الأسرة وخارجة وتحديداً في علاقتها بالرجل (الزوج)؛ تلك العلاقة التي يؤسسها الخطاب الديني على أساس إمتاع المرأة للرجل وطاعته، مع إمكانية تعدد شريكاته واستبدال أية واحدة لا تؤنسه بواحدة أخرى.

4. الحريم كمؤسسة رمزية:(الحريم ليس مكانًا بل نسقًا ثقافيًا لتقييد الجسد والفضاء).

يتجاوز الحريم مفهومه المكاني المحدود إلى كونه نسقاً ثقافياً غايته تقييد الجسد والفضاء؛ إذ يجعل المرأة ملكية خاصة للرجل، والوصيّ عليها، ويعد الحريم _المؤسسة من أهم القضايا التي لاقت اهتمام المرنيسي فتناولت الحريم في سياقاته التاريخية وتحولاته الاجتماعية في ظل الثقافة الإسلامية، وقدّمت نقدًا" لذهنية تقوم على استصحاب الماضي في الحاضر؛ أي النضج والاكتمال، ويضع في رأسه حريمًا لا مرئيًا، ويسعى إلى ممارسة نوع من الوصاية عليها، وهي راشدة، في مصادرة فجة لحقها في التعبير والاختلاف وإبداء الرأي، وحقها في التنقل والتعليم والعمل والسفر" (علال، عبد الرحمن، 2014، صفحة 19).

الحريم، كما تراه المرنيسي، هو"مفهوم مكاني وحدود تقسم الفضاء إلى قسمين: "فضاء داخلي أنثوي، مستتر ومحرّم على كل الرجال ما عدا السيد، وفضاء خارجي مفتوح على كل الرجال ما عدا النساء، وكلمة حريم، تعني الحرام والحرم في آن، أو المكان المقدس الذي يخضع الدخول إليه إلى قوانين محددة وصارمة" (المرنيسي، فاطمة، 2000، صفحة 9).

نحن أمام فضاءين؛ الأول خاص محدد بالنساء يتبع سيّدًا، لا يحق لغيره الدخول إلا بقوانين ومعايير صارمة، والثاني هو الفضاء العام المخصص للذكور ولا يجوز للنساء اقتحامه. بالتالي يشمل الحريم المكانَ ونساء ذلك المكان.

هذه الحدود التي وضعت بين الفضاءين تقوم بالضرورة على علاقة تراتبية وتوزيع غير عادل للمكان والسلطة. كما أن انعدام أنماط للسلوك توضح كيفية التعامل بين الجنسين في حالة الالتقاء، على اعتبار أن التقاء رجل وامرأة غريبين يعد شيئًا ممنوعًا، فرض على المرأة عادات تمنع حدوث أيّ تفاعل بين الجنسين في حالة دخول المرأة المجال الذكوري، كـ(الحجاب أو مرافقتها من قبل أحد الرجال أو النساء المتقدمات في السن..).

ويبدو أن رواسب داء الحريم ماتزال تهدد بيوتنا، وتشيع في المجتمعات الغربية والعربية، قديمها وحديثها. ويتعلق الأمر كما تقول المرنيسي: "بفيروس خبيث للغاية، من رواسب داء قديم كان منتشراً في القرون الوسطى، في زمن الخليفة هارون الرشيد(القرن الثامن) وساد الاعتقاد بإمكانية القضاء عليه على غرار السل والتيفوئيد. وللأسف، فهذا الفيروس الخبيث يهاجم الرجال في عالمنا اليوم" (المرنيسي، فاطمة، 2000، صفحة 6).

وهنا نشير إلى أن وباء الحريم ليس حصراً على البلدان الفقيرة والنامية، بل هو أشد فساداً في الدول الغنية، نظراً لتحرر النساء هناك وانخراطهن الواسع في العلم والعمل، مع محاولة الرجال الأوروبيين تصنع التحضر والترفع ضد أية رؤية خنوعة للنساء، ويظهر ذلك جلياً في وسائل الإعلام والخطاب الغربي.

كما أن الرغبة في امتلاك جارية تعين الفقير في عمله، تتوازى مع رغبة الغني في أن يرى زوجته تخدمه كالجارية، وإن كانت تماثله في الصفة الوظيفة أو الشهادة العلمية، وكثيرًا ما تضاهيه فيها، إلا أن عليها حين تعود إلى حرمها أن تسلخ عنها ثقافتها وشهادتها ومكانتها، وتتلبس لباس الجارية كي ترضي استيهام الرجل بالسيطرة والسيادة.

وإن استطاع الرجل في المجتمع الإسلامي أن يحقق هذا الاستيهام بل وأن يحوّله إلى قانون يتيح له الزواج من أربع نساء وتمّلك ما أراد من جواري، فقد بقيت حريم الرجل الغربي تسكن أحلامه فقط لأن القانون يمنعه ويفرض عليه الالتزام بالزواج الأحادي. الأمر الذي يحيل إلى قوة الخطاب الديني ودوره المجتمعي في سنّ القوانين والأعراف التي تحافظ على التراتبية، وعلى تعويم السلطة الأبوية وقيمها النسقية.

5. آليات المقاومة ضد السلطة الأبوية عند المرنيسي:

- استخدام المرنيسي لرموز من داخل الثقافة الإسلامية لمقاومة السلطة.

كان من الطبيعي أن تؤدي المعاناة الطويلة للنساء من تسلط الفكر الأبوي وممارساته المجحفة بحقهن وحقوقهن إلى ولادة مقاومة يمكن وصفها بالمقاومة الرمزية من خلال إضاءة المناطق المعتمة والمهمشة في تاريخنا الرسمي التي تمس الأنثوي والسلطوي، والعمل على تحرير الذاكرة النسائية عبر سير نساء بارزات نشيطات وديناميكيات، استطعن خرق الممنوع، وأثبتن قدرة الأنثوي على القيادة والفاعلية، وفضح الثقافة الذكورية التي جعلت من "النسيان" أداة من أدوات السلطة. الأمر الذي يعكس ما وصلت إليه المرأة العربية من وعي ويقظة ورغبة في إحداث التغيير في واقعها الخارجي.

وتستحضر المرنيسي من سير النساء البارزات في التاريخ الإسلامي ما جاء في كتاب (الأغاني) عن سكينة بنت الحسين حفيدة الرسول(ص): "كانت

سكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة، فتقوم بإزاء ابن مطيرة، وهو خالد ابن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، إذا صعد المنبر، فإذا شتم عليا، شتمته هي وجواريها" (المرنيسي، فاطمة، 2010، صفحة 37).

ولدت سكينة سنة 49 ه(671م)، رفضت الحجاب، وشهدت مذبحة والدها في كربلاء، ما يفسر جزئياً تمردها ضد الإسلام السياسي وضد أي انتهاك لحرية الفرد بما في ذلك الحجاب، والتعبير عن معارضتها للعائلة الأموية المالكة، وشتم حكامها في كل مرة تقتضيها المناسبة، وقد تزوجت مرات عدة، وكانت تشترط في عقود زواجها أنها لن تطيع الزوج، ولا تعترف بحقه في التعدد، ولا تفعل إلا ما يوحي به عقلها، كاستقبال الشعراء في منزلها وحضور مجلسهم، وطالبت بالحق لها بالنشوز، هذا التمرد ضد السلطة الزواجية عذّب كثيراً ضمير الفقهاء، وفتن المؤرخين الذين كرسوا لها صفحات وصفحات (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 232-233).

وتشير المرنيسي في ذلك إلى ما كان يملكه المسلمون في تلك الفترة من حرية التعبير، بحكم أن المؤرخين لا يتحدثون عن تعسفات ضدها، حيث كان الحق في الاختلاف والتعبير عن الرأي بحرية بمثابة قاعدة. لكن المنع سيحل فيما بعد وسيتجلى في العصور الأولى التي تلت ظهور الإسلام بـ(الحاكم) في مصر، أو في العصر الحالي بـ(الخميني)؛ من خلال اللجوء دائمًا إلى ممارسة العنف ضد النساء اللاتي يتمردن على الحجاب المؤسساتي الذي يفرض على المرأة ملازمة المجال الخاص، ويضع شرطة تطاردها في المجال العام (المرنيسي، فاطمة، 2010، صفحة 36).

إن هذه المقاربة التي تطرحها المرنيسي يظهر لنا الدور الإيديولوجي العميق للسلطة السياسية في فرض الواقع المعيشي الذي يتناسب مع فكرها الذكوري الرافض للتعددية والاختلاف، والمرأة هي رمز للتعددية

والاختلاف، لذا جاء فرض الحجاب محاولة لإخفاء المرأة تحقيقاً لوهم انعدام الاختلاف، الذي يؤسس للاستبداد في المجتمعات العربية، وينفي مبدأ المساواة، ما يجبر النساء على أن تأخذ دور المعارضة وتسخر قوتها للمقاومة ضد القمع والعنف والاستبداد، وتسعى للوصول إلى السلطة السياسية واستلام زمام القيادة.

وتقدم المرنيسي نماذجاً عن أولئك النسوة النادرات اللواتي مارسن السلطة السياسية، ونلن الامتياز الذي لا يناقش للاعتراف بهنّ كرئيسات دولة، وهو الخطبة باسمهن في المساجد. ومنهن (أسماء بنت شهاب الصليحية) توفيت سنة 480ه، حكمت اليمن مع زوجها (علي بن محمد الصليحي)، وقد أثارت انتباه المؤرخين كونها لا تستر وجهها حين تحضر المجالس، ثم لأنه كان يخطب لها مع زوجها على منابر اليمن (المرنيسي، فاطمة، 1994، صفحة 189) .

وكذلك (أروى بنت أحمد الصليحية) التي توفيت سنة 532ه، وكانت زوجة المكرم ابن أسماء، الذي سار على نهج والده، فاقتسم الحكم مع زوجته أروى، التي احتفظت به بعد وفاته طيلة نص قرن تقريباً. وقد تمتعت هي الأخرى بامتياز إلقاء الخطبة باسمها "اللهم أدم أيام الحرة الكاملة السيدة خليفة المؤمنين (المرنيسي، فاطمة، 1994، الصفحات 189- 190) .

إن الظاهرة التاريخية الأكثر مدعاة للانبهار فيما يخص أسماء وأروى وفق رأي المرنيسي هو فقدان المعاصرين لذاكرتهم بشكل عام؛ لا أحد يذكرهنّ ولا أحد سمع بهن! ما يدفعها إلى توجيه الخطاب إلى النساء المسلمات عامة، والعربيات خاصة، بأنه ليس بالإمكان الاعتماد على أحد لقراءة تاريخهن، سواء تعلق الأمر بعالِم أو بغير عالم، بمن يتخذ موقفًا أو بمحايد،

ومن ثم، فإن هذه القراءة مسؤوليتهن وواجبهن (المرنيسي، فاطمة، 1994، الصفحات 191- 192).

بالاعتماد على التاريخ تقاوم المرنيسي ما عملت الثقافة على تغييبه؛ إذ ستحضر سير نساء استطعن أن يتقلدن مناصب الرجال، وتقدّمتْ لهن فروض الطاعة والولاء، سياسيًا ودينيًا، وقد أثبتن الجدارة والكفء في إدارة الدولة. كما توجّه بنات جنسها إلى المزيد من هذه الكتابات التي تجسد قراءة نسائية واعية للتاريخ، ورفضًا لأدوات "النسيان" والتهميش والإقصاء التي تتبعها السلطة الأبوية في مجتمعاتنا الإسلامية، الأمر الذي يساهم في إعادة تشكيل الهوية الثقافية لكن من منظور نسوي.

إن ما نعاينه اليوم من صراعات ذاتية وصدامات مع الآخر هو نتيجة ما ظلّ عالقًا في الثقافة الجمعية من موروث فكري قائم على التسيّد والإقصاء. يكفي أن نختلف بيولوجيًا لنختلف في الأدوار والسلوكيات والمسؤوليات والتوقعات التي رسمها مسبقاً فكر ذكوري انطلق من الكنيسة، أو من الجامع ليسلّم راية السلطة لرجل السياسة.

- استراتيجية "التأويل المقاوم:

تمثل استراتيجية التأويل المقاوم أداة نقدية تتجاوز المعنى السائد المفروض وتقاوم التفسير الواحد الذي تفرضه على النص السلطة القائمة سواء السلطة الثقافية أو الأيديولوجية أو سلطة المؤلِّف لتفتح آفاقاً جديدة للمعنى فالنص "يدل على الحقيقة وعلى الاحتمال وعلى الممكن،...، وهذا يعني أن النص لا يعبر عن الحقيقة وحدها وإنما يعبر عن الاحتمال، بل والممكن والمستحيل إذا أردنا أن نذهب في الاستدلال إلى أبعد مداه" (مفتاح، محمد،، 1999، صفحة 32).

وقد حضرت هذه الاستراتيجية ضمن أدوات المرنيسي النقدية؛ ونذكر، على سبيل المثال لا الحصر، تناولها لثيمة (الحجاب) في مناسبة نزول الوحي فيه وكذلك لغويًا وتاريخيًا في القسم الثاني من كتابها (الحريم السياسي) (المرنيسي، فاطمة، د.ت، الصفحات 107- 123):

إذ تبدأ بالوقوف على حدث نزول الوحي بالحجاب في قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما} [سورة الأحزاب: 53]

لتعلن أن آية الحجاب نزلت ليس من أجل وضع حاجز بين رجل وامرأة، وإنما بين رجلين. نزلت في غرفة الزوجين (الرسول وزوجته) من أجل حماية حياتهما الخاصة، وإبعاد الشخص الثالث (أنس بن مالك) الذي يصف الحدث بنفسه: لما تزوج النبي (ص) زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا وانصرفوا إلا ثلاثة جلسوا وأطالوا الحديث، الأمر الذي أغاظ النبي(ص)، ودفعه إلى ترك الغرفة إلى أن أعلمته بمغادرتهم أخيراً. عاد نحو غرفة الزواج، فقدّم رِجلاً داخل الغرفة وأبقى الأخرى خارجها، وفي هذه الحالة أسدل ستراً بينه وبيني، ونزلت آية الحجاب هذه في تلك الفترة.

ترى المرنيسي أن مفهوم الحجاب ثلاثي الأبعاد؛ البعد الأول (رؤيويّ) بمعنى الحجب عن النظر، والبعد الثاني (فراغي) بمعنى فصلَ، عيّن حدّاً، أقام عتبة، والبعد الثالث(أخلاقي) يعود لحقيقة مجردة من نظام فكري بأن الحيز الخبئ أو المستور هو حيّز محرم.

وبالعودة إلى لسان العرب نجد أن كلمة حجب تعني "أخفى بستر"، والستر هو حرفيًا الستار، بالتالي إنه العملية التي تقسم الحيز (الفضاء) إلى اثنين وتخفي قسماً عن النظر. كما أن المؤتمن على الكعبة يمتلك امتياز الحجابة أي مسؤول عن حمايتها. و"حجاب الأمير" هو تقليد كان يلجأ إليه الرجل الأكثر قوة من الجماعة الإسلامية، كما فعل الخلفاء والملوك ليتهربوا من نظرات بطاناتهم، وقد طبقت منذ أيام معاوية، الخليفة الخامس.

أما الحجاب عند الصوفيين المسلمين، لا يحمل شيئًا من معنى الستار، وإنما هو ظاهرة سلبية، تشويش، وعدم جدارة، والشخص المحجوب في الصوفية ذلك الذي حد وعيه بالشهوة الحسية أو العقلية، غير قادر على توجيه إدراكاتها نحو الأعلى، نحو السماء، نحو الإلهي.

مما سبق تشير المرنيسي إلى أن تخفيض تمثيل مفهوم الحجاب إلى قطعة قماش يفرضها الرجال على النساء كي تحتجب عندما تمشي بالشارع، هو إفقار وتفريغ للمفهوم من معناه، لا سيما أن الحجاب وحسب الآية القرآنية نزل من السماء ليفصل الحيز بين الرجلين، ويدخل انقطاعاً في المكان كفصل للعام عن الخاص أو بين الدنيوي عن المقدس، لكنه سوف يتوجه، من قبل المفسرين والفقهاء أمثال ابن الجوزي وابن تيمية، نحو عزل للجنسين؛ هذا الحجاب الذي نزل من السماء، سيغطي المرأة، ليفصلها عن الرجل، عن النبي، وإذن عن الله.

مع التذكير دائماً بأن نبي الله كان يذهب إلى الحرب مصحوبًا بواحدة أو أكثر من نسائه، وقد اعتدْن التدخل مباشرة في الشؤون العامة، وكانت المسائل الحربية أو السياسية تعنيهن كالمسائل المنزلية، ويصف الطبري مشهدًا يظهر فيه عمر غاضبًا لرؤية عائشة تتجول في الجبهة، فيصرخ فيها: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 196).

يبدو لنا أن ربط مضمون الآيات الكريمة بأسباب نزولها ووضعها ضمن سياقها التاريخي يساعدنا على إدراك حقيقة ما نتلقاه من مفهومات وتصورات وما نسارع إلى استقباله كمسلّمات لا تقبل النقاش تخضع لتوجّه واحد تغذّيه مصالح النظام الأبوي في ترسيخ إيديولوجيا تخدم هذه المصالح. كما أن التحوّل الذي نراه عبر التاريخ من تأسيس الفكر الإسلامي على ما تضمنته كتب الفقهاء من تفسيرات وفتاوي وتشريعات بديلاً عن الكتاب الإلهي وسلوك الرسول(ص)، يشكّلَ الهندسة الإيديولوجية للتعامل مع النساء، سواء فيما يتعلق بمؤسسة الحجاب وتبعاتها، أو في علاقتها مع الآخر، أو حتى في هويتها. وكذلك في رسْم خارطة ذهنية ذكورية صلبة يتم التشديد فيها على الحجز وحبس المرأة كأساس للإسلام وجعل الحجاب هويةً ثقافية إسلامية، ويمكن أن نرى ذلك جلياً في مضامين تلك الكتب.

- مشروع المرنيسي كتحدّ للسلطة الأبوية.

لقد اتخذت المرنيسي الحلمَ والكلمات والسفر استراتيجيات نسوية مقاومة للسلطة الأبوية، تتيح للمرأة إمكانية تجاوز الحدود التي خطّتها تلك السلطة، بشكل مباشر أو غير مباشر. وتهيّئ الذهنية النسوية لتكون مستعدة حين تفتح أمامها الأبواب، لتُسقط ما كانت ترسمه في الأحلام والكلمات على أرض الواقع.

إن استخدام مهارة الكتابة بحد ذاته يمثّل أحد أهم أشكال التحدي للسلطة الأبوية، وأكثرها تأثيراً؛ بحكم أن القيم الثقافية السائدة مستمدة من كتب هيأت أرض خصبة لصناعة تلك السلطة، وكون القلم ذكراً من الطبيعي أن ينتج فكراً ذكورياً يعلي من مكانة أبناء جلدته ويسلمهم مقاليد السلطة والسيطرة.

أما "حين تكونين سجينة دون حماية وراء الأسوار، ومحاصرة في حريم، تحلمين بالانفلات، يكفي أن تعبّري عن ذلك الحلم لكي ينفجر السحر وتختفي الحدود" (المرنيسي، فاطمة، 1998، صفحة 126)

يعدّ الانفلات بالخيال بديلًا رمزيًا عن القيد الجسدي، والصور المتراقصة في الأذهان بديلًا عن الجدران الباردة، والكلمات بديلًا عن الصمت. هذه القوة الداخلية استعانت بها النسوة على مقاومة القوى الخارجية المضادة لها داخل الحريم وخارجه، كي لا يفقدن الأمل بحدوث التغيير.

يدفعنا هذا إلى التفكير بأن الاختراق النسوي للمجالات والذي حصل بعد معارك التحرير وثورات حقوق الإنسان، وما رافقه من تفوق وإبداع نسوي، إنما كان تحقيقاً لما خططن له طويلًا في أذهانهن، وعبّرْن عنه في كلماتهنّ، وتحدّيًا شجاعًا لكل الأنساق الثقافية التي شكّلت حياتهن عبر التاريخ.

" لا تغطي شعرك أبداً! أتسمعين؟ إنني أصارع من أجل إزالة الحجاب، لا فائدة من تغطية الرأس والاختباء. والمرأة لا تحل مسائلها بالاختفاء بل على العكس من ذلك تغدو ضحية مستهدفة" (المرنيسي، فاطمة، 1998، الصفحات 109- 110).

هذه الكلمات كانت ردة فعل الأم في كتاب (نساء على أجنحة الحلم) على رؤية طفلتها (فاطمة) وهي تضع منديلًا على شعرها. لقد أخذت المعارضة النسوية للاختفاء، سواء وراء الأبواب أو وراء الحجاب، تدرك أن حصول المرأة على حقوقها، والدفاع عن قضاياها لا يمكن من خلال التخفي والانعزال؛ بل إن ذلك سيحولها إلى ضحية تخضع لشروط الآخرين وقوانينهم. فكان لا بد من الوقوف في وجه أي مظهر من مظاهر حجب المرأة، والأخذ بيدها كي تقاوم ضغوط المجتمع القادمة من السلطة الأبوية ونوّابها (الجدات والأمهات الكبيرات في العمر).

كما تقدم هذه الأم لابنتها (فاطمة) نصيحة مفادها أنه: "يجب أن نتمرد بذكاء. عليكِ أن تقلّبي الأمر وتحلليه. ثوري حين تكونين متأكدة بأنك تملكين حظوظ النجاح" (المرنيسي، فاطمة، 1998، صفحة 129) .

هذه النصيحة التي ساقتها فاطمة (الكاتبة) على لسان الأم تؤكد وعيها بأن الثورة هي الطريق الوحيدة لتغيير واقع النساء، لكن بشرط أن تكون ثورة مدروسة منظمة تعلن في ظروف مناسبة كي يكتب لها النجاح، خشية أن يتم استغلالها بشكل مغاير لما تريده النساء. وهذا يشير إلى حجم المخاوف التي أحاط بها النظام الذكوري أية محاولة نسوية لصنع حراك حقيقي يغير الواقع ويواجه الآخر. لذا عليهن التخطيط الجيد واختيار الوقت المناسب لإعلان الثورة، وضمان أن يعقب ذلك تغييرات جذرية وحقيقية في حياتهن، وإلا سيعدن أكثر ضعفاً وخضوعاً من ذي قبل.

يجب بدون شك البحث عن الجواب من جانب الزمن _المرآة، حيث ينظر المسلم لنفسه لكي يفكر بمستقبله. إن صورة امرأته سوف تتغير مع حاجاته الضاغطة لغرس مصيره في ذاكرة/ حرية. ربما يكون هذا واجب النساء لأن تساعد بذلك، بربطه بمطاليبهن اليومية، إلى حاضر خرافي وإن الحاضر هو دائمًا؛ لأن كل شيء ممكن. حتى التوقف عن التذكر، والعيش مقيدًا وواثقًا باللحظة القائمة بكل بساطة بكل بساطة. (المرنيسي، فاطمة، د.ت، صفحة 235)

تؤمن المرنيسي بقدرة المرأة على الإقناع والتأثير في ثقافة الآخر، وتمتلك القدرة على المحاججة ومناقشة الثوابت بما يقود إلى زعزعة الفهم التقليدي دفعاً إلى إحداث التغيير في الحاضر، والتركيز على الحاضر وحده لإنتاج مقولات جديدة ترتقي بالعلاقة بين الجنسين، وترتقي بالمجتمع وتعيد صياغة قوانينه بما يتناسب مع مبادئ المساواة والكفاءة. وبوسعنا هنا أن

نستشف ميلاً ضمنياً إلى ثورة فكرية تخاطب العقل وتحاور الآخر بهدوء ورويّة دفعاً إلى تبني الجنسين مسؤولية التغيير بدلاً من مناصبة العداء.

خاتمة.

اضطلع قلم المرنيسي بدور بارز في مقاربة المناطق المظلمة والمهمشة، وفي إحداث تقارب بين هذه المناطق والمركز، من خلال مكاشفة التاريخ والتراث والواقع في كل ما يمس المرأة وحقوقها ووجودها. كما حملت كتاباتها طابع الممارسة الثقافية التي تقتضي قدرة على تكليم ذلك المجهول الذي " يُوارى خلف الدلالة المباشرة، وهذا ما يقتضي، إلى جانب الاهتمام بخصوصية النص كخطاب لغوي جمالي، وعيًا بالسياق الثقافي الواسع الذي يتحقق فيه، وذلك من أجل إنارة النص وتسليط ما يكفي من الضوء عليه حتى يكشف عن الأنساق المضمرة فيه" (الخضراوي، إدريس، 2014، صفحة 107).

بالاستناد إلى دراستنا الموجزة هذه عن المرنيسي وفكرها البحثي النقدي نجد أنها:

- توجهت نحو تفكيك السرديات التاريخية والنصوص الدينية التي تنال من المرأة لتحقيق مصالح ذاتية، بهدف تنقية التراث الثقافي والمجتمعي من أنصاف الحقائق، وإظهار ما هو مخبوء ومهمش.

- أبانت أن مؤسسة الحجاب وضعت كي تفصل بين رجلين (الرسول (ص) و(أنس)، بين الحياة الخاصة والعامة، لكنها تحوّلت بفعل سلوك المنافقين إلى غطاء يخفي المرأة فقط لحمايتها من الرجل في ظل غياب أي رادع قانوني حقيقي.

- ترى أن الهندسة الاجتماعية قامت لتمنع الحميمية والالتزام في العلاقة الزوجية من خلال منح الرجل حرية التعدد والطلاق، بذريعة أن الارتباطات الدنيوية تبعده عن حب الله تعالى وعبادته. فالمرأة هي لإمتاعه وتسلية نفسه. وإذا ما "نشزت" يحق له هجرها وضربها حتى تطيعه.

- حللت اللغة الذكورية التي حملها الخطاب الديني والتشريعي بوصفه نسقًا ثقافيًا يوجّه السلوكيات ويحدد الأدوار ويعزز التراتبية، ويمنح النفوذ للرجال دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا، ويستثني النساء من الفعالية والعقل، ويجعل منها تابعًا.

- استندت على سيرة الرسول الكريم وسلوكه الذي حاول من خلاله إلغاء النسق الجاهلي في العادات والتقاليد ولا سيما في التعامل مع المرأة، وتحقيق مبدأ المساواة. وتورد أفعال لزوجاته وأقوال تظهر الحرية التي عشن بها في ظل الرسول (ص). وتذكر نموذج (سكينة بنت الحسين حفيدة الرسول كنموذج مقاوم للسلطة الأبوية.

- سعت المرنيسي إلى إحياء الذاكرة الثقافية من خلال إعادة التذكير بنماذج نسائية كسرت جميع التابوهات، إذ استلمن الحكم بشكل مباشر أو غير مباشر (عبر أولادهن)، وصكت النقود باسم بعضهن، وخطب باسمهن في الجوامع، وحظين بتقدير أزواجهن ومجتمعهن، وإن "تغافلت" عنهن كتب المؤرخين.

- عُنيت بثيمة الحريم بأبعاده المكانية والثقافية وحضرت بقوة في كتاباتها، لتعري من خلالها مضمراته التي تشيئ المرأة وتختزل وجودها، بهدف تأسيس نسق مضاد له، تستعيد فيه المرأة صوتها وحريتها وكرامتها.

- تتخذ من الحلم والكلمات والسفر آليات رمزية ضمن استرايجيتها في مقاومة السلطة الأبوية، وقد عبّرت عن ذلك بشكل مباشر في حديثها عن نفسها، وبشكل غير مباشر من خلال شخصيات متخيلة.

وإذا تساءلنا: هل خضعت المرنيسي لما حاولت هي ذاتها أن تنتقده في كتاباتها ولا سيما: الحريم، السلطة، الهيمنة الذكورية، النظرة الدونية القادمة من الغرب، الحجاب؟ أم هادنتها أم عادَتها؟

تلعب سيرة المرنيسي دورًا هامًا في الإجابة على هذا السؤال، طبعًا سيرتها المبثوثة بشكل مقتضب في كتاباتها، أنها عاشت في طفولتها داخل حريم، فعاينت عن كثب كل ما تعيشه المرأة داخل الحريم من كبت عاطفي وفكري، ومن قيد سلوكي يمنعها من اختراق الجدران. لكنها في الوقت ذاته استقرأت آليات مقاومة لهذا الحريم كـ "الحلم، الكتابة، الكلام، السفر".

هذه الآليات شكّلت فيما بعد استراتيجياتها لتحليل بنية السلطة الأبوية وكشف الأنساق الثقافية المهيمنة على الذهنية الجمعية، والتي ترخي بتبعاتها على المرأة. فدعت إلى ضرورة كسر القيود الأبوية وعبور الحدود المصطنعة من أجل تحقيق المساواة والمشاركة الكاملة للمرأة في المجتمع. وهذا يتطلب بموازاة الكلمات تفكيك الخطاطات التاريخية الراسخة وإعادة بناء المفاهيم حول النساء في مخيال المجتمع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (د.ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1978). صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1978). صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.

بعلي، حفناوي. (2007). مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن (المجلد ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.

بعلي، حفناوي. (2007). مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، ترويض النص وتقويض الخطاب (المجلد 1). عمان: مطبوعات أمانة عمان.

بوفوار، سيمون دي. (1994). الجنس الآخر: الوقائع والأساطير (المجلد ط1). (ندى حداد، المترجمون) عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

الخضراوي، إدريس. (1 2، 2014). السرد موضوعاً للدراسات الثقافية، نحو فهم لعلاقة الرواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية. مجلة نبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، المجلد 2 (العدد 7)، صفحة 107.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. (1994). تفسير الطبري (المجلد ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

علال، عبد الرحمن. (2014). البنية الذهنية للحريم في حفريات فاطمة المرنيسي. الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (د.ت). إحياء علوم الدين. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
قاسم، أمين؛. (1970). تحرير المرأة. القاهرة: دار المعارف.
كداي، عبد اللطيف. (2017). دور النساء في الدول العربية ومسارات الإصلاح والتغيير. القاهرة: منظمة المرأة العربية.
المرنسي، فاطمة. (د.ت). الحريم السياسي. (عبد الهادي عباس، المترجمون) دمشق: دار الحصاد.
المرنيسي، فاطمة. (1994). السلطانات المنسيات، نساء رئيسات في دولة الإسلام (المجلد 1). (عبد الهادي عباس، جميل معلّى، المترجمون) دمشق: دار الحصاد.
المرنيسي، فاطمة. (1998). نساء على أجنحة الحلم (المجلد 1). (فاطمة أزرويل، المترجمون) الدار البيضاء: نشر الفنك- المركز الثقافي العربي.
المرنيسي، فاطمة. (2000). هل أنتم محصنون ضد الحريم (المجلد 1). (نهلة بيضون، المترجمون) الدار البيضاء: نشر الفنك- المركز الثقافي العربي.
المرنيسي، فاطمة. (2005). ما وراء الحجاب (المجلد ط4). (فاطمة أزرويل، المترجمون) الرباط: الفنك -المركز العربي الثقافي.
المرنيسي، فاطمة. (2010). شهرزاد ترحل إلى الغرب (المجلد ط3). (فاطمة أزرويل، المترجمون) الدار البيضاء: الفنك- المركز الثقافي العربي.
المرنيسي، فاطمة. (د.ت). الحريم السياسي. (عبد الهادي عباس، المترجمون) دمشق: دار الحصاد.

المسعودي، غالب. (بلا تاريخ). السرديات التاريخية من الأسفل والنقد الفلسفي. تم الاسترداد من مؤسسة الحوار المتمدن: 867042https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=

مفتاح، محمد،. (1999). المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي (المجلد 1). بيروت /الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

وافي، العربي. (2008). مقاربة النوع والتنمية. البيضاء: دار النجاح الجديدة.

تجليات الحزن والتفاؤل في بنية ديوان سبأ أخرى الشعرية (دراسة تحليلية)

م.م دعاء موسى كاظم
جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية
doaamosa505@gmail.com

الملخص:
يحظى الشعر بقدرته الفائقة على التقاط المشاعر الإنسانية العميقة وتحويلها إلى نصوص نابضة بالمعنى. ويتجسد في ذلك ديوان «سبأ أخرى» للدكتور أحمد جاسم الخيال الذي يثري التجربة الوجدانية العربية المعاصرة من خلال مزاوجة دقيقة بين الحزن والتفاؤل. تأتي هذه الدراسة لتكشف عن كيفية تشكّل هذين الشعورين في البنية النصية للديوان، وأثرهما في بلورة رؤيته الشعرية والوجودية، واتبعت في ذلك منهج تحليل نصي جمالي قائم على المقاربة الأسلوبية والرمزية، ضمن منظور النقد التأويلي والوجودي، وأدوات التحليل: قراءة مجازية، دراسة حقل الدلالة الرمزية والصور الشعرية، واستجلاء الأبعاد النفسية للنصوص، وان من اهم الدراسات التي تناولت الموضوع والشاعر هي: حنا بواردي، باسيليوس، مفهوم الأمل واللاأمل في الشعر الفلسطيني: ريم غنايم ووسام جبران نموذجين نصيين، مجلة الدراسات العربية:2023م، مجلد 2، العدد 224م، العتابي، م.د أحمد

كاظم سلمان، مظاهر الحزن في شعر فليحة حسن، جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد الرابع والأربعون، ج1 / آب / 2021، العرداوي، زمان شناوة فاهم، شعر احمد الخيال دراسة أسلوبية، جامعة كربلاء /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2022م.
الكلمات المفتاحية: الحزن، التفاؤل، أحمد جاسم الخيال، سبأ أخرى.

Manifestations of sadness and optimism in the structure of the poetry collection “Saba ukhraa’” (an analytical study)

Assistant Lecturer Duaa Mousa Kadhim
University of Babylon / College of Basic Education / Department of Arabic Language

Abstract:
Poetry has the extraordinary ability to capture deep human emotions and transform them into texts brimming with meaning. This is embodied in the collection "Another Sheba" by Dr. Ahmed Jassim Al-Khayal, which enriches the contemporary Arab emotional experience through a subtle blend of sadness and optimism. This study reveals how these two emotions are formed in the textual structure of the collection and their impact on shaping its poetic and existential vision. In doing so, it follows an aesthetic textual analysis approach based on stylistic and symbolic approaches, within the perspective of interpretive and existential criticism.Analytical tools: metaphorical reading, study of the field of symbolic meaning and poetic imagery, and elucidation of the psychological dimensions of the texts.

Keywords: sadness, optimism, Ahmed Jassim Al-Khayal, Another Sheba.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول ديوان سبأ أخرى بوصفه نصًا شعريًا يجمع بين ثنائية الحزن والتفاؤل، وهي ثنائية إنسانية عميقة الحضور في التجربة الشعرية المعاصرة، ويسعى البحث إلى الكشف عن كيفية تجلي هذين البعدين الشعوريين في البنية الشعرية للنص، من خلال تحليل الصور الفنية، والرموز، والإيقاع، والتشكيل اللغوي، بما يبرز التفاعل الجدلي بين الألم والأمل داخل النص، وتتجلى أهمية الدراسة في عدة جوانب: الأهمية الموضوعية، الأهمية النقدية، الأهمية الجمالية، الأهمية الثقافية والإنسانية.

التعريف بالمصطلحات:

تعريف الحزن والتفاؤل لغة:

جاء في لسان العرب تعريف الحزن لغة: الحُزن والحَزن هما نقيضا الفرح، وهو خلاف السرور، والجمع أَحْزَان، وقد حَزِنَ حَزَنًا وتَحَازَنَ وتَحَزَّنَ (ابن منظور، 1994م،ص111)، أما اصطلاحًا: فقد عرفهُ الجرجاني بانهُ: "عبارة عمّا يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي " (الجرجاني،1983م، ص86)، فهو شعور نفسي ينتج عن فقدان أو خيبة أمل أو موقف أليم، يترك أثراً داخلياً يُثقل القلب ويضعف الروح. يُعد من الانفعالات الإنسانية الطبيعية، ويعبّر عن الألم الداخلي وعدم الرضا حيال موقف معين، وكان الرسول (ص) يرشدنا على الاستعاذة منه والتوجه إلى الله قائلا: "اللهم إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن"(البخاري، 194 - 256هـ،36/4)، وهذا الحديث هو تأكيد للآية الكريمة من قوله تعالى: "وَلَا

تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "(آل عمران/ 139)، أي انه لا يجلب منفعة بل يكون مضرا بصاحبه ولا فائدة منه.

التفاؤل لغة: مَصدَرٌ للفِعلِ تفاءَلَ، يقالُ: تفاءَلتُ به، وتفأَّلتُ به. والتَّفاؤُلُ: ضِدُّ التَّشاؤُمِ، وقد يُستعمَلُ الفَألُ فيما يُكرَهُ، فيُقالُ: لا فألَ عليك، بمعنى: لا ضَيرَ عليك، ولا طَيرَ عليك، ولا شَرَّ عليك (ابن منظور، 1994 م:ج 11، ص 513)، اما اصطلاحا: هو انشراحُ قَلبِ الإنسان وإحسانُه الظَّنَّ، وتوقُّعُ الخيرِ بما يسمَعُه مِنَ الكَلِمِ الصَّالحِ أو الحَسَنِ أو الطَّيِّبِ وقيل: هو صِفةٌ تجعَلُ توقُّعاتِ الفَردِ وتوجُّهاتِه إيجابيَّةً نحوَ الحياةِ بصِفةٍ عامَّةٍ؛ يستبشِرُ الخيرَ فيها، ويستَمتِعُ بالحاضِرِ، ويَحدوه الأمَلُ في مُستقبَلٍ أكثَرَ إشراقًا وأحسَنَ حالًا (العكسر، 2018،ص12)، أي انه ميل نفسي يبعث على توقع الخير وتيسير الأمور في المستقبل، رغم التحديات والصعوبات. وهو نظرة إيجابية للحياة تعزز الأمل وتزيد من القدرة على مواجهة المحن بثقة.

إنَّ علاقة التفاؤل والحزن بالشعر وثيقة وعميقة، فالشعر كان وما زال وسيلة الإنسان للتعبير عن مشاعره المتقلبة بين الأمل واليأس. يُجسّد الحزن في الشعر لحظات الوجع والفقد، ويُضفي عليه بعداً وجدانيًا يمس القلوب، بينما يعكس التفاؤل في الشعر روح الأمل والإصرار، ويمنح القارئ طاقة إيجابية تجعله يرى النور في عتمة الحياة.

ترجمة لحياة أحمد جاسم مسلم الخيّال.

أحمد جاسم مسلم مطر عباس محمد الخيّال الجنابي، من مدينة القاسم، من مواليد 1968م (المرزوك، 2012م،ج1، ص28)، اكمل دراسته وتخرج من جامعة بغداد 1992م، وأكمل الماجستير في كلية الآداب/ جامعة القادسية 2008م، ثم اكمل الدكتوراه في كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

2013م (المرزوك، 2012م،ج1،ص28)، كتب الشعر في عمر الثلاثة عشر عاما، ونشرت أول قصيدة له في جريدة العراق 1986م وكانت بعنوان (ضوضاء داخل قصر الحب)(العرداوي، 2022م، رسالة ماجستير)، صدر له أربعة عشر كتابًا ومجموعة شعرية، ونشرت له أيضًا بحوث محكمة كثيرة في مختلف المجلات العراقية فضلًا عن مشاركات كثيرة في المهرجانات الشعرية والعلمية (حوار مع الشاعر)،حصل على العديد من الجوائز الادبية والشعرية منها: - حائز على المركز الثاني لمسابقة القصة القصيرة التي أقامتها كلية الآداب/ جامعة بغداد، عام 1993 عن قصة (الحلم)، ونُشرت القصة في مجلة الطليعة الأدبية عام 1999م، وعلى المركز الأول في مسابقة الجود العالمية الخامسة للشعر التي أقامتها العتبة العباسية المقدسة عن قصيدة (سجدةٌ...على أرض الجود). 2014 وجائزة سيد الأوصياء للشعر عن قصيدة (تأويل نبوءة العشب) التي أقامتها أمانة مسجد الكوفة المقدس، ومسابقة (بهم انتصرنا) الشعرية لنصرة الحشد الشعبي التي اقامتها العتبة الحسينية عن قصيدة (العاشق السماوي) 2016، وخلال مسيرته الشعرية أصبح: عضو اتحاد أدباء العراق، عضو جمعية الرواد الثقافية، رئيس الهيئة الاستشارية للبيت القافي في مدينة القاسم، رئيس مجلة المنهل من عام 2004 - 2005، رئيس تحرير مجلة المحقق العلمية2016 (العرداوي 2022م،ص 24)، وتزخر مسيرته الادبية بالعطاء، لكن لا يتسع المجال لسردها.

تجليات الحزن والتفاؤل في الديوان:

الحزن عند الشاعر ليس مجرد شعور عابر، بل هو حالة وجودية تتجسد في كلماته وصوره الشعرية، يتغلغل في أعماقه ويُلهب خياله. يُحوّل الشاعر حزنه إلى فن راقٍ، يصوغ منه أبياتًا تنبض بالألم والحنين، فتلامس القلوب

وتعبر عن أوجاع الإنسان في أرقى صورها، في علم النفس يمكن تعريف الحزن على أنّه: عاطفة سلبية مرتبطة بالشعور أو الخسارة أو الإحباط، وقد تتراوح شدته من حزن خفيف إلى حزن عميق، وفي الحالات الشديدة يمكن أن يتطور إلى اكتئاب(جولمان،1989م، ص88)، حيث يبتدأ الحزن في الديوان بوصفه حالة كونية لا مجرد انفعال شخصي؛ تتجلى في تيه، وحدة، واستدعاء أسطوري (هابيل، الغراب، الحوت)، فنجده يقول:

وحيدًا
تماهى في السُّرى
غيرَ خائفٍ
ومن خلفهِ
تَهذِي الصحارى العواقرُ (الخيال،2012م،ص7)

يتحدث الشاعر عن سيرهِ وحيداً في الليل، وقد اندمج في رحلته حتى أصبح جزءًا منها، دون أن يشعر بالخوف رغم الوحدة أو الظلام وفي الخلف، تمتد الصحارى العاقر (التي لا تُنبت شيئاً)، تهذي كأنها كائن حيّ يتألم أو يهمس بكلام لا يُفهم، في مشهد يوحي بالتيه والوحشة، فهو يشير إلى يأس أو حزن عميق جعله لا يهاب شيئًا، حتى الموت، والحزن هنا هادئ، داخلي، عميق، ليس صراخًا بل صمت يمضي بصاحبه بعيداً عن كل شيء، كمن ترك خلفه العالم بلا رجعة، وهي صورة سردية تفتح باب التأويل على حزن وجودي متجذر في الخطيئة والضياع.

إنه تصوير شعري للحزن كرحلة داخلية طويلة، يسير فيها الإنسان بلا وجهة، وبلا أمل، وهو "شعور سلبي نفسي ناتج عن خسارة مصحوبة بالم وانخفاض في المزاج"(ماكاي، 2002م، ص49)، ويستمر الشاعر برحلة الحزن بصورته الفلسفية الصامتة، فيقول:

وحيدًا
وما للكأسِ غيرُ سقاتها
يبيعونَ
للفجرِ العتيقِ شموسَهم (الخيال،2012م،ص 10-11)

يتحدّث الشاعر عن وحدتهِ، في قولهِ: «وما للكأسِ غيرُ سقاتها» صورة موحية؛ إذ جعل الكأس موضوعًا قائمًا بنفسه، لا يملكه إلا السقاة، وكأن الشاعر نفسه غريبٌ عن هذا المجلس رغم وجوده فيه، أما «يبيعونَ للفجرِ العتيقِ شموسَهم» ففيها استعارة جميلة: جعل الشمس ملكًا لهم يبيعونه، والفجر «عتيق» يوحي بالقدم أو بالتعب أو بفجرٍ خالٍ من التجدد، مما يزيد إحساس السأم.

رسم الشاعر صورة الحزن في حال تيه وحيرة وحزن وجودي عميق فيقول:

أنا
على ظهرِ هذا الحوتِ أنتقلُ
لا موجَ يدري
ولا بحرٌ متى أصلُ
محمَّلٌ بأسَى هابيلَ
يَشتمُني
سرُّ الغراب (الخيال،2012م،ص13).

استدعى الشاعر قصة هابيل والغراب، وهي من أقدم قصص المأساة والذنب في الذاكرة البشرية، وحزنٌ يحملك على ظهر حوت، أي في تيهٍ بحريّ عظيم لا قرار له، وكأنك نبي الله يونس لكن بلا نبوءة، بلا موعد نجاة، بلا موج يدلّك ولا بحر يبشّرك بالمرفأ، وهذا يجعل الحزن هنا ليس شعورًا ذاتيًا فقط، بل مأساة وجودية، معتمة، متصلة بخطيئة الإنسان الأولى، فهو

يصور الحزن وجودي، أسطوري، محمّل بالرموز الدينية والكونية وهذه درجة عالية جدًا من الحزن الشعري، تتجاوز الشكوى الذاتية إلى تصوير مأساة الوجود والذنب والخطيئة.

صور الشاعر الحزن بأسلوب ميثولوجي عميق (هابيل، الغراب، الحوت، البحر)، فيها تكثيف للمعنى وضغط للرمز، وهو من سمات الشعر الوجودي، بلغة غاية في الدقة لمن يقرأها لأول مرة يجدها معقدة وتحتاج تأملا يُكشف عمقها.

يتجلى الحزن في غياب المشاركة الوجدانية، فيقول:

كانُوا هنا... وأنا هُناك

والسرُّ أنّهمُ تناسُوا سرَّ أغنيةِ البقاءِ فصارُوا لَحْنَا

بين الحقيقةِ والمجازِ

أُرتّلُ المعنَى

وأكتبُ فوق خدِّ الريحِ بسملةِ الرحيلْ (الخيال،2012م،ص26)

كل الصور تقريبًا تحيل إلى فكرة أن:

• الآخرون تغيّروا أو غابوا حتى صار وجودهم موسيقى عابرة.

• وأنك وحدك تحمل ثقل هذا المعنى، ترتله وتكتبه على الرياح، في استسلام حزين لجبرية الفراق.

استعان الشاعر بالمجاز المركّب (مثل: بسملة الرحيل، لحن بين الحقيقة والمجاز) مما يرفع الحزن من مجرد عاطفة شخصية إلى تأمل وجودي في الفقد، ف صور الحزن عنده ناضجة، دقيقة، تخلو من المباشرة، وتعتمد على تحويل الفقد إلى ألحان وأغانٍ وأسرار وبسملات، إنها صور روحية وجودية للحزن، لا فقط عاطفية وهذا ما يعطي نصه قيمة أدبية عالية ويجعله ينتمي بصدق إلى شعر التأمل والفقد النبيل، "وهذا الحزن الناتج عن فقد عزيز من

أعظم الاحزان فهو مادة اساسية في قصائد الشعراء وكانت معبرة عن شجونهم ومشكلات حياتهم بما كان لديهم فهم اعمق للحياة، واحساس مفرط بجملة تناقضاتها"(الجبوري، 2004م، ص22).

يصور الشاعر الحزن بانه لا يثور ولايبكي، بل يقف في طابور الأفكار والكتب والأحلام المكررة فيقول:

نصطَّفُ
كالمعنَى المثقَّفِ
في كتابٍ أسمرِ الصَّفحاتِ
لا يُروي الظَّما
نبتلُّ بالأحلامِ والأوهامِ والمطرِ المكرَّر
ثمَّ نبتدعُ الكَرى (الخيال،2012م،ص39)

في هذا النص يقف الحزن وقفة الفيلسوف المتعب: لا يصرخ، لا يتذمر، بل يصف نفسه بهدوء مميت. إنه حزنٌ يشبه المعاني المحفوظة في كتب قديمة، أوراقها سمراء من كثرة ما مسّها الغبار والنسيان، فالثقافة هنا لا تبدّد الوحشة، بل تزيدها اتساعًا، حتى يصير الفكر نفسه طابورًا من المعاني المصطفّة — غريبة عن ماء الحياة، ثم يبلّ هذا القلب اليائس ذاته بالأحلام، بالأوهام، وحتى بالمطر، لكن المطر مكرّر، يجيء ويجيء بلا جديد، فلا يزهر في داخله إلا تعبٌ بارد، وهنا تتجلّى عبقرية الصورة: الحزن لم يعد ينتظر حتى يغلبه النوم، بل صار «يبتدع الكرى»، يصنعه بنفسه هروبًا من هذا الصحو الموحش، فلا يمنح النص الحزن ملامح درامية صاخبة، بل يقدّمه في ثياب وجودية ناعمة، شاحبة، كأنه لوحة زيتية باهتة الألوان — تهمس بأسرار قلب ضجر من المعنى والانتظار معًا.

يُمسك الشاعر بالحياة مثل سبورة مبللة بالطباشير: يخطُّ عليها فجرًا ثم يمحوه، يترك حربه خلفه ليهدي مراياه كتابًا ناقصًا، فيقول:

وعدْتُ
مِن حربِكَ الكُبرى إلى سِلمي
أَهدِي المرايا
كتاباً ناقصَ الحُلْمِ
فجرُ الطَّباشيرِ
في سبورَتِي قلقُ
يمحُو ويُثبتُ
أسراباً من الغيمِ (الخيال،2012م،ص42)

هذا النص يحتفي بالهشاشة الوجودية، يعود الشاعر من حربه لا بانتصار، بل بسلامٍ ناقصٍ يشبه المرايا التي لا تعكس حلمًا كاملًا، يرسم فجرًا بطباشير، هشًا، زائلًا، يعيد رسم الغيم ثم يمحوه، في دورة عبثية مليئة بالقلق، ويكشف أن الحقيقة في النهاية مجرّد صفحة مرقّمة في دفتر نسي نصفه المطر، فالحزن "هو الذي يسكن القلوب البريئة التي لا ذنب لها في ألغام الأرض ولا قذائف السماء " (العتابي، 2022م، ص70)، أي إنه نص يحفر في قلق المعنى، وفي هشاشة البدايات التي تمحى قبل أن تكتمل، وفي لعبة الكتابة التي تعرف جيدًا أنها ناقصة أبدًا.

ويقول:

أوجعْتَ صبرَكَ
كم جُرحٍ ستقطبُهُ
وكم نهارٍ فقيرِ الضوءِ
ترقبُهُ

مرُّوا على نخلِكَ الموَّالِ
ذاكرةٌ من الأراجيحِ
والأيَّامُ تحطبُهُ (الخيال،2012م،ص 55)

في هذا النص، الحزن ليس حدثًا عابرًا، بل منهج حياة: صبرك مثقل بالجروح التي لا تندمل، النهارات شحيحة الضوء، والنخل- رمز ذاكرتك- صار أراجيح فارغة تنهشها الأيام بفؤوسها. هكذا تُعيدك الحياة دائمًا إلى موالك الحزين على صفحة ضاعت منها البدايات، فالحزن هو مقاربة لحالة نفسية ترتبط بالعاطفة الإنسانية " حيث تحتضن البكائية النبض الإنساني في حالة اضطرابه أثر فاجعة تمخضت عن فقد أو دمار وتلك الفواجع استنفرت رغبة الإنسان في المعرفة والكشف عن حقيقة الوجود "(البغدادي، 1986 م، ص31) في جميع أبعاده.

استخدم الشاعر لغة مجازية مليئة بالاستعارات والكنايات ليجسّد الحزن، فصوّره مثلًا كسحابة سوداء تثقل القلب أو كغصن ذابل يئن تحت وطأة الرياح.

هذه الصور الشعرية تمنح الحزن شكلاً محسوسًا، فتجعل القارئ يراه ويشعر بوطأته بوضوح أقوى من مجرد وصف مباشر، ففي قوله: "كأنَّ رَحَى الأيَّامِ زيرٌ مُحاربٌ"(الخيال،2012م،ص 12)، فهناك استعارة كبرى: جعل «رحى الأيام» كائنًا محاربًا، وجعل «ليل بسوس» في النص نفسه حربًا تشرع ظلماتها مثلما تُشرع الأبواب للسيوف.

الأمل في ديوان «سبأ أخرى»

الأمل في النصوص العميقة ليس مصباحًا يضيء الطريق، بل شعاعٌ هشّ يتسلل بين شقوق الجراح؛ يلمع لحظةً ثم يتوارى، لكنه يكفي ليقول: ما زال في القلب مكان يتسع للضوء، ولو بارتجاف، يصف الشاعر الامل غذاءً

للداخل، لكنه هش مثل قصب، شفاف مثل خيال، ورغم ذلك يروي العطش الحقيقي للروح، فيقول:

تَهذِي الصحارى العَواقرُ
يُضمِّدُ جُرحَ الرّيحِ
مِزمارُ قلبِهِ
يُغنّي كثيرًا كي تُحَلَّ الضَّفائرُ
سيبقى
كما الحلمُ الشفيفُ مُهاجرًا
فمن قصبِ الأحلامِ
تُروَى السَّرائرُ (الخيال،2012م،ص 8)

هذا نصّ يُعرّي الفرح من ابتذاله المعتاد: لا يعرضه صخبًا أو صراخًا، بل يجعله شفيفًا كحلمٍ مهاجر. الفرح هنا مزمورٌ يداوي الريح، غناءٌ يفك الضفائر، وهذيانٌ يوقظ الصحارى العقيمة لتبتسم من حيث لا تدري. إنه فرح داخلي، دقيق، هش، لكنه جوهري، يسقي السرائر من نبع الأحلام ذاتها، فيبدأ الشاعر النص بصحراء «عاقر» (لا تُنجب، لا تثمر)، لكنها تهذي، أي فيها حركة غريبة، ارتعاش يشبه بداية حُلمٍ أو جنون.

حتى في اليباب والصمت، هناك بذرة خفية لحياةٍ ممكنة — وهذه بذرة الفرح الأولى في النص، «يُضَمِّدُ جُرحَ الريحِ مِزمارُ قلبِهِ» هناك صورة رائعة واضحة فالقلب بمزماره (أي غنائه الداخلي) يُضمد جراح الريح وهذا الفرح ليس خارجيًا، بل يخرج من القلب نفسه، ويُعالج حتى الطبيعة الجريحة (الريح)، كأن الفرح هنا قوة شفائية تنبع من الداخل، «يُغنّي كثيرًا كي تُحَلَّ الضفائرُ» فالضفائر عادة رمز للأنوثة، للزينة، وربما أيضًا للقيود التي تُحلّ فتتحرر فهي هنا الغناء- الفرح - يؤدي وظيفة تحررية: يغني حتى تنحل

الضفائر، حتى ينفتح الشعر (أو الوجود) على انطلاق جديد أي ان الفرح صار حركة تفكك الانغلاق، «سيبقى كما الحلمُ الشفيفُ مهاجرًا» الامل هنا ليس صلبًا ولا ثابتًا، بل «كالحلم الشفيف»، أي خفيف، رقيق، عابر وسيظل مهاجرًا، أي لا يستقر طويلًا وهذا تأمل وجودي في طبيعة الفرح: لا يقيم، بل يمرّ ويتركنا أنقى قليلًا، «فمن قصبِ الأحلامِ تُروى السرائرُ» النهاية تلخص فلسفة النص: السرائر (النفوس الباطنة) لا تُسقى بالماء، بل تروى من قصب الأحلام- أي من مواد الحلم اللطيفة الهشة.

إن " الامل والتفاؤل بالمستقبل والتوجه نحوه، يعبّران عن الحالة المعرفية للعمل والمثابرة نحو المستقبل "(صفرى، 2020م،ص137)، فيقول:

هناكَ
خلفَ زجاجِ الرّيحِ مُنتظِرٌ
كأنَّني
في رحابِ الموجِ أُختَزَلُ
يطوفُ بي حُلمُ المعنى
فألثمُهُ (الخيال،2012م،ص14-15)

هذا نصّ يُسطّر الأمل في أجمل تجلياته الرقيقة: ليس وعدًا صريحًا بالسعادة، بل إشراقة حلمٍ يطوف بالقلب فيقبّله خوفًا من ضياعه. خلف زجاج الريح يقف الأمل متخفّيًا، والموج يُربك الذات فيختزلها، لكن يظل «حلم المعنى» يدور حولها حتى تجرؤ على لثمِه - وهكذا يُبنى الرجاء من أخفّ اللمسات، فـ«هناكَ خلفَ زجاجِ الرّيحِ مُنتظِرٌ» النص يضعنا منذ البداية في حالة ترقّب: «هناك»- مكان بعيد، و«خلف زجاج الريح»- صورة عبقرية للشفافية والحاجز في آنٍ معًا، فالريح زجاج، أي عائق هشّ يُرى من خلاله، يلمّح إلى أن الأمل موجود لكنه ليس ميسورًا، قريب وبعيد في الوقت نفسه،

و«كـأنَّني فـي رحـابِ المـوجِ أُختـزلُ» صـورة أخـرى تلمـع بالأمـل الممـزوج برهبة: الموج واسع (رحاب)، لكن المتكلم يشعر أنه يُختزل فيه، أي يُصغّر أمام مدّه، هذا فيه حالة من التسليم الجميل، كأنه يقبل أن يُذوّب ذاته في هـذا الاتساع، لعل فيه نجاة، و«يطوفُ بي حُلـمُ المعنى فألثمُهُ» هنا ذروة الأمـل: «حلم المعنى»- أي توق إلى شيء أسمى، إلى غاية، إلى حقيقة.

هذا الحلم يطوف به، أي يلتف حوله كطواف العابدين، ثـم هـو لا يتركـه يمرّ بـلا لمسـة، بـل «يلثمـه»، أي يقبّلـه بشـغف، كمـا يقبّـل العاشـق يـد معشـوقه أو جبين حلمٍ انتظره طويلًا.

والتفـــاؤل " عـــادة عبـــارة عـــن نتيجـــة لرؤيـــة الكـــأس الممتلـــئ "(صفرى،2020م،ص 137)، ويقول:

أهوّمُ نحو الحُلْمِ
والليلُ شاردُ
كأنَّي
بوهمِ اللامكانِ مُطارَدُ
تقوَّسَ ظهرَ الشُّوقِ
من شدّةِ الرُّؤى (الخيال،2012م،ص85)

في هذا النص، الأمل لا يظهر كضوء ساطع بل كحركة مُرهَقة: هُيامٌ في ليلٍ شارد، مطاردة في فضاءٍ لا مكان له، وظهر شوقٍ محنيّ تحت حمل الرؤى. ومع ذلك، يظل الشوق قائمًا، يصرّ أن يحمل الحلم، فتكون هذه انحناءة الأمل الكبيرة: تعبٌ يواصل الحلم حتى لو لم يجد له أرضًا، فقط كي لا يكفّ القلب عن الرجاء، فـ«أهـوّمُ نحـو الحُلْـمِ والليـلُ شـاردُ»النص يفتح بمشهد حركي: «أهـوّم» أي أتقـدّم مترنّحًـا، شـبه نـائم، أو كـأنني فـي غيبوبـة الحلم والليل «شارد»، أي ليس ساكنًا ولا مطمئنًا، بل ضائع الفكر، ففي هذا

المشهد، الأمل هو الحلم نفسه الذي يسعى إليه المتكلم حتى لو سار فيه متخبّطًا تحت ليلٍ مقلق، و«كأنّي بوهمِ اللامكانِ مُطارَدُ» الشاعر لا يُطارد في مكان معلوم، بل في «وهم اللامكان» - يلاحقه شيء ليس له حدود ولا ملامح، وهذه المطاردة نفسها تعبّر عن الأمل الذي يصرّ على الجري وراء فكرة، حتى لو لم يجد لها مكانًا يحتضنها بعد.

هنا الأمل يأخذ شكلًا وجوديًا هشًّا: سعي وراء ما لا يُمسك، هروب من فراغ إلى فراغ لعل في آخر الطريق معنى.

«تقوَّسَ ظهرَ الشُّوقِ من شدّةِ الرُّؤى» صورة باذخة: فالشوق نفسه صار له جسد، وظهره انحنى من ثقل الرؤى الكثيرة التي يحملها وهذا يعني أن الأمل (الشوق) لم يمت رغم طول الطريق: ما زال يحمل رؤى وأحلامًا حتى لو أحنته ففي ذلك إشادة ضمنية بقوة الشوق على الاحتمال، مهما تثاقل به الحلم ووطأ ظهره.

ويقول:

رسمُوا على فجرِ الخُطى
الأحلاما
يتنافسونَ
ليعزفُوا الأعوامَا
عبرُوا سماءَ النَّهرِ
نحو شروقِهِمْ
لغدٍ بهِ يتنفّسونَ خُزَامَى (الخيال،2012م،ص65)

هذا نصّ يَصنع من الأمل فنّ حياةٍ كامل: يرسمون الأحلام على فجر خطواتهم، يتنافسون ليُعزفوا أعوامهم مثل موسيقى، يعبرون أنهارهم صوب شروق خاص، ويستنشقون غدًا معطّرًا بالخزامى. هنا الأمل ليس أمنية عابرة،

بل خطة جمالية يعيدون بها صياغة وجودهم كل صباح، فبداية النص تضع الأمل في صورة ملموسة: الناس يرسمون الأحلام على الفجر ذاته، أي يختارون أن يلوّنوا بداية خطواتهم بالآمال، وهذا يعني أن الأمل هنا فعلٌ إراديّ، إبداعٌ يوميّ يُضفى على الصباح ليجعل الحياة محتملة ومزهرة، و«يتنافسون ليعزفوا الأعواما» صورة بديعة: للأعوام التي لم تعد فقط تُعاش، بل يُعزف عليها كما تُعزف موسيقى، والناس يتنافسون أيهم يجعل لحن عمره أجمل وهنا الأمل هو الذي يحوّل مرور الزمن من مجرد تآكل صامت إلى حفلة موسيقية تُبدعها قلوب تتوق للجمال، و«عبروا سماءَ النَّهرِ نحو شروقِهم» صورة تجمع بين الأرض والسماء والماء في مسار واحد نحو الضوء، فالعبور هنا ليس مجرّد رحلة، بل تجاوزٌ لما هو مألوف (النهر) صعودًا نحو إشراق خاص بهم والأمل يتجلى في هذا التوجّه الدائم إلى شروق شخصي، لا شروق شمس الطبيعة فحسب، و«لغدٍ بهِ يتنفّسونَ خُزامى» النهاية تلخص روح النص: الغد ليس مقلقًا، بل هو رئة أخرى للتنفّس، مملوءة بعطر الخزامى، فـ " التفاؤل هو المدمر لليأس وانتظار الأمل "(معرفاوي وآخرون،2021م، ص49) أي أن الأمل عند هؤلاء ليس وعدًا مبهَمًا، بل يوم جديد يعطّر أنفاسهم بحلاوة الحياة.

ويقول:

يهدي العصافير ألحاناً لتهمسَهُ
ما زالت العشبةُ الأولى تُكلِّمُه
عن الخلودِ
ومن بالفكرِ أسّسَهُ
كلكامشُ النهرُ
يسري دونما ضفةٍ من الوجودِ

رأى الآبادَ مجلسَهُ
خطّ الشواطئَ أوقاتاً لحكمتِهِ
حتى أتى الموجُ
مفتوناً ليدرسَهُ
هذا العراق (الخيال،2012م)

في هذا النص، الأمل لا يظهر كنشوة طارئة، بل يُكتب في لغة الأسطورة والحكمة والأنهار التي لا تموت. العصافير، الأعشاب، كلكامش، النهر، الموج- كلها تتآمر لتقول: هناك دائمًا حياة أعمق من الزوال، وذاكرة أوسع من الفناء. الأمل هنا تاريخٌ حي، وميراثٌ يهمس لنا بأن نواصل العبور، يفتتح الشاعر النص بافتتاح مدهش في رقّته: الوجود ذاته يهدي العصافير ألحانًا، والعصافير لا تصرخ ولا تنادي بل تهمس- همسها وعد ناعم بأن هناك دائمًا ما يُغنى له، حتى لو في صمت، وهذا تلميح إلى أن الحياة تواصل بثّ ألحانها الصغيرة من حولنا، لتذكّرنا بوجود الفرح والأمل مهما خفت صوته، و«ما زالت العشبةُ الأولى تُكلِّمُه عن الخلودِ ومن بالفكرِ أسّسَهُ» العشبة الأولى- رمز البدايات البسيطة، الضعيفة- ما تزال تتحدث عن الخلود، هذا يعكس فلسفة أمل رائعة: حتى أصغر كائن في الأرض يحمل رسائل عن البقاء الأبدي، ومن أسس هذا بالفكر؟ أسطورة كلكامش، الذي جعل البحث عن الخلود همًّا إنسانيًا عابرًا للقرون، هنا الأمل ليس رغبة وقتية، بل سؤال أزلي تردده حتى الأعشاب، و«كلكامشُ النهرُ يسري دونما ضفةٍ» حول الشاعر كلكامش إلى «نهر»، أي صار رمزًا متدفقًا للحياة، متجددًا بلا انقطاع ولا حدود (دونما ضفة)، وهذا استمرار وجودي للأمل، و«من الوجودِ رأى الآبادَ مجلسَهُ... حتى أتى الموجُ مفتونًا ليدرسَهُ» فكلكامش (بوصفه العراق أو روح الإنسان) رأى الأبد مجلسه، أي مكان

جلوسه المعتاد، حتى الموج- رمز الزمن المستمر، القادم والذاهب- أتى مفتونًا ليقرأ هذه الحكمة، وهنا الأمل يظهر في الثبات رغم تغيّر الأزمنة، في أن الإرث العظيم (كالحضارة العراقية مثلًا) لا يذوب بل يأتي الزمن نفسه ليتعلم منه، و«هذا العراق »النص يختم باسم العراق بوصفه خلاصة لكل ما سبق: فهو موطن الأساطير، النهر، العشب الذي يتهامس عن الخلود، العصافير التي تهدي ألحانها، الموج الذي ينحني ليتعلم، فهناك تلاحم بين تحمل المشاق وحلم الفرج بعد الشدة وهذه النهايات في الأدب العربي نهايات سعيدة، وترتكز على مفهوم متفائل من الأمل يقضي بتحمل العيش ضمن الظلم والقهر(حنا بواردي، 2023م)، وهذا العراق ليس خرابًا، بل معجزة أمل متجذرة في التاريخ والطبيعة والفكر والقصيدة.

ويقول:

أنا

على ظهرِ هذا الحوتِ في سفرٍ

وليس يا خضرُ

لي صبرٌ فأكتمِلُ (الخيال، 2012م، ص17)

يمكن القول: إن النص يؤسس لتفاؤل وجودي هادئ: هو تفاؤل لا يصرّح به صراحة، لكنه يتجلى في حركة النداء (يا خضر)، في بقاء الشاعر فوق الحوت لا في ظلمة جوفه، وفي الإيمان المستتر بأن للصبر وظيفة كبرى - حتى لو افتقر إليه الآن.

هذا النوع من التفاؤل الأدبي هو الأجمل، لأنه لا يعوّل على أمل ساذج، بل ينهض من قلب التيه نفسه ليبحث عن اكتمال أعمق.

النتائج:

تلخصت الدراسة إلى:

• أن الحزن والتفاؤل في ديوان «سبأ أخرى» ليسا معطيين شعوريين ساذجين، بل طاقة تشكيلية للمعنى الشعري نفسه.

• يغدو الحزن أفقًا فلسفيًا للوجود، بينما يصير الأمل قدرة روحية على اختراق غيم الحياة. وهذا ما يمنح الديوان مكانته بين تجارب الشعر العربي الحديث ذات النزوع الوجودي.

• الحزن في ديوان «سبأ أخرى» يتجاوز كونه حالة انفعالية آنية ليصبح موقفًا وجوديًا فلسفيًا، يتجلّى في صور التيه، الوحدة، واستدعاء الرمز الأسطوري (هابيل، الحوت، الغراب)، مما يكشف عن وعي الشاعر بالجانب التراجيدي للإنسان.

• الأمل يظهر في الديوان هشًا شفافًا لكنه حيوي، يتسلل في هيئة أحلام مهاجرة أو غناء يضمّد الريح، فيقدّم الشاعر بذلك تصورًا للأمل بوصفه ضرورة روحية حتى في أقسى حالات الفقد.

• العلاقة بين الحزن والتفاؤل في بنية الديوان هي علاقة جدلية لا تناقضية؛ فكلاهما يتساند ليشكلا رؤية شعرية متوترة تجمع بين ألم الإدراك العميق للحياة ورغبة التشبث بومضات المعنى.

• الصور الشعرية في الديوان اتسمت بالعمق الرمزي والمجاز المركّب، إذ جعل الشاعر من عناصر الطبيعة والأسطورة والموروث أدوات لتكثيف إحساسه الوجودي، ما أضفى بعدًا فلسفيًا للنصوص.

المصادر:

القرآن الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط1، 1994م.
- البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي (ص): "أنا بك لمحزونون" حديث رقم 2893، (36/4).
- بغدادي، د. مريم، التأصيل الفني للبكائية القديمة في الشعر الجاهلي، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد 4، ع1، 1986.
- الجبوري، سامي، ظاهرة الحزن في دواوين شعراء المعلقات دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 2004م.
- الجرجاني، معجم التعريفات، ت: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.
- جولمان، دانييل، الذكاء العاطفي، ت: ليلى الجبالي، مر: محمد يونس، عالم المعرفة، صدرت السلسلة في شعبان 1998 م.
- حنا بواردي، باسيليوس، مفهوم الأمل واللاأمل في الشعر الفلسطيني: ريم غنايم ووسام جبران نموذجين نصيين، مجلة الدراسات العربية:2023م، مجلد 2، العدد 224م.
- الخيال، أحمد جاسم، سبأٌ أُخرى، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد، المكتبة الوطنية، 2012، ط1 .
- صفرى، كبرى، تفاؤل في مدائح المتنبي، دراسة في الاتجاه السلوكي لسليجمن، إضاءات نقدية، السنة العاشرة، العدد السابع والثلاثون، 2020م.
- العتابي، م.د أحمد كاظم سلمان، مظاهر الحزن في شعر فليحة حسن، جامعة واسط، مجلة كلية التربية، العدد الرابع والأربعون، ج1/ آب/ 2021.

- العرداوي، زمان شناوة فاهم، شعر احمد الخيال دراسة أسلوبية، جامعة كربلاء /كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، 2022م.
- العكسر، د.عبد الله بن محمد، التفاؤل في زمن الكروب، ط1، دار رسالة البيان للطباعة والنشر، 2018.
- ماكاي، دوجال، علم النفس الإكلينكي: النظرية والتطبيق، ت: أ.د. عباس محمود عوض، دار المعرفة، 2002م.
- المرزوك، د. صباح، البابليات، دار الفرات للثقافة والإعلام، بابل، العراق، ط2012،2.
- معرفاوي وآخرون، سمانه، ثنائية "التفاؤل والتشائم" في شعر محمد حسين آل ياسين، مجلة الأثر، المجلد 18، العدد (1)، 2021 .

المقدمة والخاتمة في شعر المتلمس الضبعي

أ. م. د. جنان عبد الله يونس الزبيدي
جامعة الموصل/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية/ الموصل- العراق
Janan.a.y@uomosul.edu.iq

ملخص البحث:
يمكن القول إنَّ الشعراء القدامى أجادوا في مقدمات قصائدهم الشعرية وأبدعوا إبداعًا لا يمكن أن تغفلهُ عين ناقد أو باحث في الشأن الأدبي العربي القديم، وقد يشكل مطلع القصيدة العنصر الأهم في القصيدة، والمرتكز الأساس من مرتكزات البناء الفني للقصيدة العربية القديمة، في حين تكون الخاتمة الجزء الأخير من أجزاء القصيدة وآخر ما يتبقى منها في الأسماع، تظهر في الأبيات الأخيرة من القصيدة؛ إذ تحمل دلالات ومعانٍ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالموضوع الشعري من جهة، وبما يتعلق بذات الشاعر ونفسيته من جهة أخرى، ويمكن أن تعبر عن الترابط الفكري والشعوري مع المقدمة عبر ذروة القصيدة وخاتمتها، لذا حظيت الخاتمة أيضاً باهتمام النقاد العرب القدامى، إذ ارتأينا اختيار الشاعر المتلمس الضبعي محاولة للكشف عن مقدمة القصيدة وخاتمتها المشبعة بالدلالات والرموز والصور المختلفة عبر تحليل نصوصه الشعرية.

الكلمات المفتاحية: المقدمة - مفهوم - القصيدة - النص - شاعر

Introduction and conclusion in the poetry of Al-Mutalammis Al-Daba'i

Assistant Professor. Dr, Janan Abdullah Younis Al- Zubaedi
University of Mosul/ College of Arts/ Department of Arabic Language/ Mosul- Iraq

Abstract:
It can be said that the ancient poets excelled in the introductions to their poems, creating a level of artistry that cannot be overlooked by any critic or researcher of ancient Arabic literature. The opening of the poem may constitute the most important element of the poem, The fundamental base of the artistic structure of the ancient Arabic poem, and the last of its elements to be heard, appears in the final verses of the poem, as they carry connotations and meanings closely related to the poetic subject on the one hand, and to the poet's own self and psyche on the other, It can express the intellectual and emotional connection with the introduction through the climax and conclusion of the poem. Therefore, the conclusion also received the attention of ancient Arab critics, if we consider choosing the poet Al-Mutalammis Al-Daba'i as an attempt to reveal the introduction and conclusion of the poem, which are saturated with different meanings, symbols, and images, through the analysis of his poetic texts.
Key words: introduction - concept - poem - text - poet

- مدخل إلى مفهوم المقدمة:

أثارت مقدمة القصيدة العربية القديمة اهتمام النقاد العرب القدامى، بوصفها مرتكزًا أساسيًا من مرتكزات البناء الفني للقصيدة العربية القديمة، وتشكل المقدمة مطلع القصيدة أو العنصر الأول في القصيدة وشرطاً مهماً من شروط جودة القصيدة، ولازمة من لوازمها. فإن صح التعبير إن كانت مقدمة القصيدة جيدة أدت إلى جلب الانتباه، وإثارة الانفعال وشد المتلقي إلى الإصغاء والاستماع، والاستحواذ على مشاعره ووجدانه.

وكما يبدو فإنَّ أبو هلال العسكري (ت 395هـ) قد أشار إلى حسن الابتداء حين قال: "إذا كان حسنًا بديعًا، مليحًا رشيقًا كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام" (العسكري، 1982، 437)، في حين أشار الثعالبي (ت 429هـ) إلى أنَّ مطلع مقدمة القصيدة "أول ما يقع في السَّمع، فحقه الحُسْنُ والعذوبة لفظاً، والبراعةُ والجودة معنىً" (الثعالبي، 1956، 1/ 161)، ويعدُّ ابن رشيق القيرواني (ت 463هـ) الشعر قُفلاً أوله مفتاحهُ(القيرواني، 1981، 1/ 281)، ويقول ابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر: "وإنما خُصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع في الكلام...، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده، توفرت الدواعي لسماعه" (ابن الأثير، 1939، 98).

ولعل ابن الأثير قصد أنَّ لفظ الابتداءات في قوله هذا: المطالع ومقدمات القصائد بشكل عام التي يرى من خلالها أنَّ أصحاب المقدمات إن أحسنوا الاختيار، ولاسيما الألفاظ والعبارات والمعاني، تمكنوا من لفت الانتباه وشد المتلقي إلى الإصغاء والاستماع وإثارة الرغبة في سماع المزيد من الكلام، فضلاً عن الاستحواذ على مشاعره ووجدانه، وركز النقاد القدامى ومنهم حازم

القرطاجني على مطلع القصيدة كثيراً، حين قال: "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة؛ إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها، المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزويد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقي ما بعدها" (القرطاجني، 2007، 309).

وتعد المقدمة إحدى المفاتيح المهمة في الغور في أعماق النص؛ ولهذا نجد بروز دور المقدمة في القصيدة، وذلك من خلال فك شفرات القصيدة الغامضة، فتفضي إلى إحالة المتلقي إلى متن النص الشعري.

ويمكن أن تعد المقدمة لوحة شعرية قد "تنطوي على أهمية كبيرة؛ لأنها تتمتع بدرجة كبيرة من الحيوية الشعرية والفعالية الكبيرة التي تقود المتلقي نحو الموضوع وتدخله بأعماقه" (الحمداني، 2024، 13)، وقد ذكر حسين عطوان أنَّ "المقدمة الطللية هي أقدم أشكال المقدمات التي أرساها الشعراء؛ وعنوا بها، واستكثروا منها، وإنَّ الغزل كان في أصله جزءاً منها مما يدل من ناحية أخرى على أنَّ المقدمة الغزلية لم تنشأ مع المقدمة الطللية، بل تأخرت قليلاً عنها، ثم أخذت صورتها تتماثل وخصائصها تتكامل على أيدي الشعراء الذين جاءوا بعد امرئ القيس وطبقته" (عطوان، 1972، 95).

والمقدمات بكل تقاليدها وتفاصيلها سواءً أكانت طللية أو خمرية أو غزلية وغيرها من المقدمات كانت واضحة لدى الشعراء الجاهليين، فشكلت بذلك الرموز التي يحتاج المتلقي إلى فهمها ليستطيع استكشاف أجمل الأحاسيس والمشاعر، وهي التي تفضي إليه من الغموض إلى الوضوح. وتكشف دواخله وتزيل غموضه، حتى يصل إلى الخاتمة بكل سهولة ووضوح مع تماثل المعاني والألفاظ وتناغمهم لتشكيل النصوص الشعرية بأفضل الصيغ اللغوية.

- شذرات من حياة الشاعر المتلمس الضبعي:

اسمه المتلمس: جرير بن يزيد بن عبد المسيح أَخَوُ ضُبَيْعَةَ [ابن ربيعة] بن نزار، وكان المتلمس في أخواله من بني يشكر، وقال إنه فيهم وُلِدَ حتى كادوا يغلبون على نسبه(المتلمس الضبعي، 1970، 4، 13)، فسأل عمرو بن هند الحارث بن التوأم اليشكري، عن نسب المتلمس فقال: أواناً يزعمُ أنّه من بني يَشْكُر، وأواناً يزعم أنه من بني ضُبَيْعَةَ أَضْجَم(الأصبهاني، د.ت، 21/ 186-187).

ويعد شاعر من شعراء الجاهلية أبيَّ النفس كاره للظلم والاستبداد وأهله، ولذلك كان سليط اللسان كما يقال، وكانت حياته شديدة القلق، غلب لقبه المتلمس على اسمه فوقع اختلاف فيه، ولكن معظم النسابين يقولون إنه جرير بن عبد المسيح، وفي عدد من المصادر أنه جرير بن عبد العزى، ولعل السبب أنَّ أباه ولد وثنياً سماه أهله عبد العزى ثم تنصر فغير اسمه إلى عبد المسيح غير أنَّ ابنه المتلمس لم يتأثر بالنصرانية، إذ يقسم بـ (اللات) وبـ (الأنصاب) في شعره، وحين يهرب من عمرو بن هند يتجه إلى مكة حاجاً ثم يستقر في بصرى الشام، ومن الممكن أن يكون المتلمس نفسه تنصر بعد إقامته في بصرى، فكره أن يقال له جرير بن عبد العزى فغيّر اسم أبيه إلى عبد المسيح، ولهذا أشباه في التاريخ (التاريخ البحراني Bahrani History. Facebook)، ثم لا خلاف في أنه من ضبيعة بن ربيعة ين نزار بن معد بن عدنان، وغلب عليه لقب المتلمس لقوله يذكر فيه وادي العِرض باليمامة:

وهذا أوانُ العَرض حَيٌّ ذبابهُ زنابير والأزرق المتلمسُ

وللمتلمس الضبعي قصة تدعى صحيفة المتلمس، حين حمَّله الملك عمرو بن هند رسالة إلى عامله في البحرين: "إذ يمضي الشاعران من عند الملك؛

واحدٌ لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره لم يتخلص بعدُ من اندفاع الشباب وطموحه وعدم مبالاته بالأخطار؛ وهو طرفة بن العبد، والآخر أسنُّ منه يقف على مشارف الأربعين، فيه تريث وحذر وتبصر في العواقب، وفيه تجربة وحنكة ودهاء؛ وهو المتلمس. وكلٌ منهما يحمل في يده رسالة غير معلقة أو مختومة، ويبلغان خليج مُحلّم بين الصَّفا والمُشعَّر، فيلقيان ثيابهما في سفينة وينحدران ويلتفت المتلمس إلى ابن أخته ويقول: ويحك يا طرفة! قد أنكرت نفسي أمر هذا الرجل؛ أما كان عند ابن هند ما يحبونا به حتى رمى بنا عرض ما بين الحيرة وهَجَر! ويعرض عليه أن يفضَّ كلٌّ منهما كتابه ليقرأه بعض الحاضرين، ويأبى طرفة ويمعن الرجل الحصيف في ارتيابه ويتوقف، ويسير طرفة. ويمر بالمتلمس من يقرأ له الرسالة. وما يكاد القارئُ يمرُّ ببصره على سطورها حتى يسأل: أنت المتلمس؟ وما يكاد يجيبه حتى يطلب إليه أن ينجو بنفسه فالرسالة تحمل أمراً بقطع يديه ورجليه ثم دفنه حياً. فينتزع الرسالة ليلحق بطرفة فلا يستطيع، فيُلقي بالرسالة في النهر، ويقف متأملاً الماء وهو يمحو أسطرها، وكأنه ألقى عن صدره همَّاً ويتجه نحو الشام. ويمضي طرفة برسالته بعد أن أبى الاستماع إلى نصيحة خاله ليلقى مصرعه" (المتلمس الضبعي، 1970، 30- 31).

هذه شذرات في سطور مختصرة من حياة الشاعر المتلمس الضبعي، وما مرَّ به من تجربة قاسية تجاه الملك عمرو بن هند وما أضمره الملك تجاه الآخر المتلمس.

1- المقدمة الهجائية:

يبدأ الشاعر في مقدمته الشعرية بإعلان الهجاء ضد الآخر الملك عمرو بن هند مستخدماً ألفاظاً تعبر عن فحوى الألم النفسي، فالمقدمة لها القدرة على امتلاك حديث النفسي بداية، وذلك لتمنح النص الشعري شعوراً وقدرة عن

التعبير عما يجول في داخله، إذ يبتدئ الشاعر النص بـ (أَطردتني) ليوظف الرسالة التي أعطاها إليه الملك عمرو بن هند وحمله لها إلى عامله في البحرين وذلك لطرده وقتله، خوفاً من هجائه وذكر عيوبه، ثم انتقل إلى ذكر القسم في الجاهلية، إذ يقسم بـ (اللات) و(الأنصاب) "واللات بالطائف، هي أحدث من مناة، وكانت صخرة مربعة... وكان سدنتها في ثقيف بنو عتاب بن مالك، وكانوا قد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظّمها" (المتلمس الضبعي، 1970، 43).

ثم يستدرك حضور رهان هند ليس شرطاً أن تكون هند امرأة واقعية حقيقية، بل ربما يكون حضورها مجازياً؛ إذ يؤدي دورًا مهمًا يعكس تجربة الشاعر المؤلمة ضد خصمه الآخر الملك أي أنَّ شرفك أصبح مذكوراً في صحف على أنها قد تكون فضائح أو عيوب، ففي النص الشعري يحمل الشاعر هجاءً لاذعًا مليئًا بالصور القوية والإشارات الثقافية، فضلًا عن رموز دينية؛ إذ يتهم من خلالها الخصم بالغدر والخيانة وسوء النسب، ويقسم بأصنام الجاهلية؛ إذ يعبر عن معاناته الشخصية والنفسية من ملك متقلب المزاج يملك صفات الغدر والشر مستعيناً بمثل عربي قديم (خافهم: فعُرقوب له مثل) ويضرب لمن لا يفي بوعده وعهده ويفتح بهذه المقدمة نافذة تنتج دلالات متعددة لفحوى معاناة وألم ممن يملك مقاليد السلطة والحكم، وهجاء سياسي من ظلم الحاكم وجبروته.

إذ يقول (المتلمس الضبعي، 1970، 42، 45-46):

أطردتني حَذّر الهجاءِ؛ ولا ... واللاَّتِ والأنصاب لا تئلُ

ورهنتني هِنداً وعرضِك في ... صُحفٍ تلوحُ كأنها خللُ

شر المُلُوكِ وشرها حسباً ... في الناسِ من عَلِمُوا ومن جهِلوا

الغدرُ والآفاتُ شيمتُهُ ... خافهم؛ فعُرقوبٌ لهُ مثلُ

وكما يبدو فإنَّ الشاعر في نص آخر يفتتح مقدمته بافتتاحية تأملية مشفوعة بالسؤال والاستفهام؛ إذ تستقى هذه الأبيات من حادثة مشهورة تتعلق بالمتلمس وطرفة بن العبد اللذين أرسلهما ملك الحيرة (عمرو بن هند) بصحيفتين مختومتين إلى عامله في البحرين ولم يكونا على دراية بمحتوى الصحيفتين؛ إذ تحويان أمرًا بقتلهما، فيبدأ الشاعر قوله (من مبلغ) وهو تعبير تقليدي كان شائعًا آنذاك في تلك المدة في الجاهلية، إذ يستخدم عادة لنقل خبر هام، أي أنَّ هناك فقد عظيم وأثره واضح للنفوس التي تصدق هذا الخبر من شدته، ويسترسل الشاعر بوصف حواسه وكيف التمس الغدر في حين كان طرفة لا يبالي وخدع بالعطاء الظاهر، تحمل هذه الأبيات أبعاداً ودلالات رمزية تخفي في طياتها الحكمة في أهمية الحذر والحدس وتراسل الحواس..

إذن هناك "انتقال كلي سواء في الإبداع أو التلقي؛ لأنَّ الشاعر عندما يستخدم حاسة بدلًا عن أخرى، فهذا لا يلغي الجانبية الأولى مطلقًا، وتكمن براعة الدلالة في الحاسة الأخرى بأنها غير محدودة؛ لأنَّ سماع الصوت على سبيل المثال -محدود الدلالة ويفهمه القاصي والدَّاني، أما شمّه أو تذوقه، فهو يستنفر حاسة أخرى أو أكثر، دون أن تكون محدودة الدلالة وهنا يكمن الجمال الحقيقي في تراسل الحواس..."(الوصيفي، 2008، 46)، وهذا ما يدعى بالزيف السياسي لعطايا الملك، إذ تحتوي في ظاهرها العطاء وفي باطنها الموت والخلاص، ثم يشير في أبياته المتلاحقة إلى عمق مشهد الهروب بناقة قوية وهي رمز النجاة والخلاص، إذ يشير بذلك إلى سرعة الفعل والهروب.

فاضت أبيات المتلمس بجبروته ودهائه ووعيه بما أحاط بالصحيفة وحكَّم عقله الواعي برمي الصحيفة في النهر، فتجلت أبياته عن حكمة الحذر والترقب والحدس، وعدم الثقة بالآخر، إذ تتمتع أبياته بنوع من الإيحاء لما

يعود به التبصر والحلم من العمل الصائب "فلا تتحول إلى اندفاع طائش ويرصن أساسها بالحزم عند المواقف الحاسمة، ويبقى حزمهُ ثابتاً لا يتغير، ويكتسب عزمه وجدواه باقترانه بالبصيرة النافذة والواعية، لما يراد بها من أجل بلوغ غايتها، وهو الفوز والانتصار الذي يحققه الصبر والحلم، وبهما يكبح العربي جماح غضبه، بما يفضي إلى أن تأخذ الحكمة مداها في الموقف الفعلي" (الصباغ، 2011، 196)، فحكمة العربي تنبع من عمق التجربة، إذ يقول (المتلمس الضبعي، 1970، 176-177):

من مُبلغُ الشعراء عن أخويهم
خبراً، فَتَصدقهم بذاك الأنفسُ
أودى الذي علِقَ الصحيفة منهما
ونجا -حذار حيائه- المتلمسُ
ألقى صحيفتهُ، ونجت كوره
عنسُ مداخلهُ الفقارةِ عِرمسُ
عنسْ إذا ضمرت تعزز لحمها
وإذا تشدُّ نبعها لا تبسُ
وجناء قد طبخ الهواجِرُ لحمها
وكانَ نُقبتها أديمٌ أملسُ

2- مقدمة الشكوى:

في حين يجد الشاعر في مقدمته الشكوى لتكون مثالًا عن مدى معاناته الشخصية ولاسيما في مسألة الزمن المرهون بالموت؛ إذ تتصدر رؤية الموت في نص المتلمس الضبعي مجسدًا عبرها الحالة النفسية المتأزمة التي تعبر عن قلق النفس وإحساسها المرهف وما تعانيه ذات الشاعر وتستحضره في وعيها؛

إذ إنَّ "ما كان يعذب الإنسان الجاهلي ويشقيه أمران: الموت الحتمي الذي لا مفر منه، والمصير المجهول الذي لم تستطع المعتقدات الجاهلية أن تجد له حلولًا مقنعة ترضي الجاهلي، وتجعله يقبل الموت راضيًا منتظرًا حياة أخرى أجمل وأكمل، وأنقى وأطهر" (أبو سويلم، 1987، 64). إذن هو مرهون للموت إما أن يدفن وإما أن يقتل في معترك الطريق فيترك لعافي الطيور لتنهشه.

لذا فإنَّ الشاعر يخاطب العاذلة خطابًا استفهاميًا تعجبيًا عن مصيره المجهول هل أنه يموت ويدفن في القبر أم تترك جسده للطيور لتنهشه، إذن الموت واقع لا محالة فهو المصير المتربص بخفاء من دون أن يشعر به الإنسان. وحيال هذا الشعور المرير ومكابدته للواقع يؤكد أنَّ على الإنسان أن يكون موته بعزة وكرامة من دون ذل ومهانة، وهذا ما أكده في مقدمة أبياته، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 110):

أَعاذِلُ! إن المرء رهَنُ مصيبةٍ صريعٌ لعافي الطير أو سوفَ يُرمسُ

فلا تقبلنْ ضيماً مخافة ميتةٍ وموتنَّ بها حراً وجلدُك أملسُ

3- المقدمة الغزلية:

وقد تكون المقدمة الغزلية من أكثر المقدمات شيوعاً في الشعر الجاهلي؛ وذلك لما فيها من استمالة القلوب، وشحن المشاعر؛ إذ تعد المرأة المنبع المهم في قلب الشاعر "ولما تحمله من صفات معنوية وحسية تلهب مشاعر الشاعر والمتلقي؛ إذ تراه يتحدث عن الهجر والطلل والفراق من تعلق شديد، وشوق مستبد، ودموع غزار يسكبها الشاعر حسرة وألماً ولهفة" (عطوان، 1970، 128)، ليس شرطاً أن يكون حضور المرأة في المقدمة الغزلية واقعياً حقيقياً، بل قد يكون حضورها متخيلاً، لكنها قد تؤدي دوراً متكاملاً يعكس تجربة الشاعر وشعوره النفسي، فيذكر أهل العراق، ويعبر عن الألم النفسي لو

أنهم ابتعدوا عنه وانقطع وصلهم، وشعوره بالخذلان والخيبة حينما لا يقابل بنفس الود والوصال، إذ يرفض الذل والمهانة، مفتخراً ومعتزاً بكرامته، فيتحول هذا الود إلى رحيل بلا ذل ولا مهانة، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 134):

قد طال ما أحببتها وودتها ... لو كان يُغْني عنكَ طولُ تودُّدِ

إنَّ العراق وأهله كانوا الهوى ... فإذا نأى بي ودُهم فليبعُدِ

فلنتركُهم بليلٍ ناقتي ... تذر السِّماكَ وتهتدي بالفرقدِ

في حين يجد الشاعر في مقدمة أبياته مجالًا مهمًا للتعبير والإفصاح عن عمق معاناته الشخصية، فهو يشكو ألم التفرق بين أخواله وأعمامه؛ إذ بدأ الشاعر مقدمته بـ (تفرق أهلي من مقيمٍ وظاعنٍ) عبارات صاغتها نفس تحتدم بالمعاناة والمحن ويتألم من الفراق فأيُّ أهلٍ يتبع، فتوحي تلك العبارات بتشابك الصراعات الداخلية في ذاته التي تعكس صوت الحزن والأسى في ألفاظه، فكانت هذه المقدمة إشارة لتلبية إيحاءات نفسية تحمل دلالات ورموزاً تبين معها الحالة المتأزمة للشاعر وحيرته بين البقاء والرحيل بين آهلين أهلٌ لا يستطيع فراقهم وأهلٌ شديد التعلق والتقرب والمودة إليهم، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 154):

تفرق أهلي من مُقيمٍ وظاعنٍ ... فللّهِ درّي أيَّ اهلي اتبعُ

أقامَ الذينَ لا أُبالي فراقهم ... وشطَّ الذينَ بينهم أتوقعُ

على كلِّهم أسى، وللأصل زُلفةٌ ... فزحزحْ عن الأدنين أن يتصدعوا

وقد يتجلى في المقدمة الشعرية للمتلمس الأثر البالغ الذي أحدثته الصحيفة، إذ يبدأ البيت بالإخبار والسؤال (ألقى الصحيفة) وسؤال الشعراء عن طرفة والمتلمس فحوى هذه الصحيفة التي نجا منها المتلمس لأنه شكك فيها، في

حين لقي طرفة حتفه؛ لأنه لم يستمع إلى ما قاله المتلمس، بل مضى بها إلى عامله في البحرين فكان في ذلك هلاكه وموته، تبدو المقدمة الاستفهامية التي يتساءل فيها الشاعر عن فحوى الصحيفة، عملت على تقريب المعنى وتوسيع المعرفة، فللمقدمة "أبعاد متنوعة ودلالتها تبدأ وتظهر في الفعالية المعنوية والفعالية النفسية بحيث يكتملان، فضلاً عن دور الانسجام والاتساق الذي يزيد حيوية الصورة" (عصفور، 1992، 16)، وقد فرضت هذه المقدمة الشعرية نفسها على الآخر المتلقي وشكلت لديه نوعاً من الانتباه والتركيز تجاه المعنى المراد،ـ ونجد وصفًا للناقة بكل تفاصيلها، ولعله أراد بهذا الوصف الدقيق أن يجعل الناقة جسرة قوية صلبة شديدة، متماسكة الظهر ولا تلين، إذ توحد معها في منظر جميل يواجه فيها مصاعب الأهوال، وأراد بهذا الوصف الدقيق أن يرمز في دلالة الأبيات إلى رحلة الحياة "فعبور مسالك الحياة محتاج إلى معاني القوة التي أودعها ناقته، أما الصاحب، فهي النفس بالحديث معها والبحث في حناياها والتأكيد لها عن استعداده واصفاً في حسبانه كل الاحتمالات" (العريضي، د.ت، 80)، فيما امتلك هاجس الخوف الشاعر المتلمس الضبعي حيال رسالة الملك عمرو بن هند، فبعد أن تأزمت العلاقة بينهما، حمَّله الأخير رسالة مختومة إلى حاكمه في البحرين ادعى أنها تتضمن أمرًا بتسليمه، أي المتلمس جائزة، على حين كانت الرسالة تحمل أمرًا بقتله، إلّا أنَّ ارتياب المتلمس بحقيقة نوايا الملك دعاه إلى الاستعانة برجل غريب الأطوار، التقاه في طريقه ليفك له مغاليق الكتابة التي كان يجهل قراءتها(المتلمس الضبعي، 1970، 30-32)، تؤكد الرواية أهمية معرفة القراءة والكتابة بوصفها وسيلة من وسائل كشف الآخر قدر صلة الأمر - ضمن هذا الموقف بين المتلمس والملك عمرو بن هند- بمسألة الكتابة التي كان الشاعر يجهل قراءتها، فاستغل الآخر الملك وعيه، إنه الجهل بعدم

معرفته القراءة وتفسير فحوى الرسالة وكل ما تحمله من دلالات سلبية وكارثية، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 186-187، 191-192):

ألقِ الصحيفة- لا أبا لك إنه ... يخشى عليك من الحِباء النقرِسُ
وعَلمِتُ أنَّى قد مُنيتُ بنيطل ... إذ قيل كان من آل دَوْمَن قومسُ
وفررتُ خشية أن يكونَ حباؤه ... عاراً يسبَّ به قبليَ أحمسُ
وتركتُ حيَّ بني ضبيعة خشية ... أن يوتروا بدمي وجلدي أملسُ
ثكلتك يا بن العبد أُمكَ سادراً ... أبساحةِ الملكِ الهُمامِ تمرسُ

في حين لم تجد نصيحة المتلمس (لطرفة بن العبد) أن يلقي برسالته وينجو لاعتداد طرفة بذاته وقبيلته، والتي أدت بطرفة إلى أن يلقى حتفه، في حين نجا المتلمس- قد أخبرتك وحذرتك وعاتبتك- لكنك لم تستجب! لهذا التحذير لما تمتلكه من اعتداد بنفسك وقبيلتك، ولربما ثمة اعتبارات قبلية وأعراف تتعلق بقيمة الشجاعة والرجولة التي تحول دون ذلك، لا بل تؤلف بواعث قوية تدفع بذات الشاعر إلى تحمل أعباء الرسالة إلى حد التضحية بالنفس في سبيل تحقيق القيم التي تبلغ النفس بها ذراها إلى المجد ضمن تقاليد المجتمع، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 198-199):

لعلك يوماً أن يسرك أنني ... شهدتُ وقدْ رمَّتْ عِظامي في قبري
فتصبِحُ مظلوماً فسامُ دنيةً ... حريصاً على مثلي، فقيراً إلى نصري
وتهجرُك الإخوانُ بعدي وتُبتلى ... وينصرني منك المليكُ فلا تدري
ولو كنتُ حيَّاً قبل ذلك لم تُرمْ ... لهُ خطة خسفاً، وشوورتُ في الأمرِ

يبتدئ الشاعر في نصٍ آخر بـ (خليلي) تثنية أي يا صديقيَّ، وذلك ليعكس شعوره ويجعل من هذا الشرط هدفاً مهماً في مقدمته، لجذب انتباه المتلقي إلى الفكرة الأساسية وإلى مقصديته، ثم يبدأ بتوظيف تقنية (الموت) بحرف

الشـرط (إمَّـا مُـتُّ) إذ يـؤدي العامـل النفسـي دوراً أساسـياً فـي إحساسـه عبـر إخضاع الدهر وسطوته عليه، ربما الدهر هـو الـذي "يمتلك قـوة الإفناء يمتلك قـوة الإيجـاد، فـالموت والميلاد مـن صـنعه، والإنسـان بين مـالم يكـن ومـا لـن يكـون محكـوم بكـر لياليـه وأيامـه المتجـددة أبـداً" (الجـادر، 1990، 228)؛ إذ تعكـس نفسـية الشـاعر وردود أفعالـه تجـاه الصـور المتلاحقـة التي وظفهـا فـي شعره من مفردات (وزحزحت، يزحزحه، غيبت، تسقه، رجراجة، مت، قبري، منايـا، الـدهر)؛ إذن المصـير المحتـوم فـي النهايـة هـو (المـوت)، فمهمـا عـاش الشـاعر حياته فيهـا تبقـى مرهونـة للمـوت، ويصـرح الشـاعر علـى سـبيل الشـرط والإخبار (إن متُ يوماً)، (فمرا على قبري)، وهـذا مـا يترسـخ في ذهـن الشـاعر، ويجعلـه أسـيرًا لهـواجس متشـائمة ومخيفـة ومقلقـة فـي الآن ذاتـه، وتـؤثر تـأثيرًا ضمنيًا في مواقفه وحياته من أنَّ الموت واقع حال لا محالة وأنه ميت، فحياته رهن للمصير المجهول.

ينادي أصدقائه ليمرا على قبره ويسلما ويدعوا له بان يمن عليه بالغيث والسقيا فتنزل على قبره الذي غيبه ولـم يتمتع بسـاعة مـن حياته لسطوة الـدهر عليه، إذ لـم تسـقه (رجراجـة بكـر) والمقصـود هنـا: المـرأة التـي يترجـرج كفهـا، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 256):

خليليَّ! إمَّا مُتُّ يوماً وزُحزحتِ ... منايَاكمـا، فيمـا يُزحزحـه الـدَّهرُ

فمُـرا علـى قبـري، فقومـا فسـلِّما ... وقُولا: سقاك الغيثُ والقطرُ يا قبرُ

كـأنَّ الـذي غيبـتَ لـم يلـهُ سـاعةً ... مـن الـدهر، والـدُّنيا لهـا ورقٌ نضـرُ

ولـم تسـقِهِ منهـا بعـذبٍ ممتـعٍ ... بَـرُود، حمتـه القـوم رجراجـة بِكـرُ

وفي نصٍ ثانٍ يبتدئ الشاعر النص بـ (يا) للنداء وينقل بدوره صورة بصرية حسية للآخر المتلقي؛ إذ تمنحه قوة شعورية واسعة؛ وذلك لأنه "الجانب الحسي ما هو إلاّ مرحلة تمر بها الصورة الشعرية لتمتزج بعد ذلك بالجانب

النفسي المتمثل في المشاعر التي تتلقاها الناس، وهنا يجب على الشاعر أن يقوم بمهمتين مهمة حسية نفسية ومهمة جمالية مؤثرة" (المختاري، 1998، 60)، وكما وظف الشاعر الحكمة في مقدمته الشعرية في تحسين القبيح وهو ما يدعى (بجماليات القبح) متكئاً على الثنائيات الضدية بين الفقر والغنى لإظهار المفارقة الأخلاقية، إذ نجد أنَّ الشاعر يرد على من يعيب الفقر بأنَّ الغنى همه الأكبر من الفقر، إذ لا يمتلك صاحبه القيم الأخلاقية فالمال وحده لا يوفر أسباب الكرامة، إذ صاغ الأبيات بقالب جذاب بشكل حكمة وموعظة يستقي منها القارئ العبر والعظة لعلها خلاصة تجارب واقعية عاشها الشاعر، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 290):

يـا عائـبَ الفقـرِ ألا تردجـر	عَيـبُ الغنـى أكبـر لـو تعتـبْ
مـن شـرف الفقـرِ ومـن فضـلهِ	علـى الغنـى إن صـحَّ منـكَ النظـرْ
أنـكَ تعطـى كـي تنـال الغِنـى	ولـيسَ تعـصِ الله كـي تفتقِـرْ

- الخاتمة:

الخاتمة عمل إبداعي، تظهر في الأبيات الأخيرة؛ إذ تحمل معنىً دلاليًا يتعلق بمتن الموضوع من جهة وبنفسية الشاعر من جهة أخرى؛ إذ لا بُدَّ من كل عمل إبداعي أن يتخلله مقدمة وخاتمة يفضيان إلى نوع من الترابط الفكري والشعوري بدءاً من المقدمة ومروراً بالمتن وصولاً إلى الخاتمة، وأشار النقاد العرب القدماء إلى أنَّ الخاتمة يمكن أن تكون معياراً من معايير المفاضلة بين الشعراء، وكان ميزان المفاضلة بين الشعراء عند البن قتيبة (ت 276ه) من كان أجودهم مقاطع، وأحسنهم مطالع(الدينوري، 1966، 1/ 101)، أما ابن رشيق القيرواني (ت 456ه) فقد وجد أنَّ الخاتمة مكون من مكونات بناء القصيدة "وأما الانتهاء محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان

أول الشعر مفتاحاً وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه" (القيرواني، 1981، 1/ 239).

في حين أوجب حازم القرطاجني (ت 684ه) أن يكون المفتتح مناسبًا لمقصد المتكلم من جميع جهاته، فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاءً وتفخيم ..." (القرطاجني، 2007، 309)، وتعد الخاتمة نهاية الكلام وخاتمة النص ومنها ينتهي الحديث وينتهي ارتباط الشاعر بالمتلقي ويكون المتلقي قد أدرك كل مقاصده وتعرف على أساليبه ومبتغاه، فعليه تكون الخاتمة ذا صلة وثيقة بباقي القصيدة وأن يكون بينها وبين متن الموضوع ارتباط وثيق ويقول حازم القرطاجني "فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعانٍ سارة قصد بها التهاني والمديح، وبمعانٍ فيما قصد به التعازي والرثاء، وكذلك الاختتام في كل غرض بما يناسبه...، فإنَّ النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه، غير مشتغلة باستئناف شيء آخر" (القرطاجني، 2007، 306)، وكانت خواتيم الشاعر المتلمس الضبعي تحمل أفكاره ومشاعره الأخيرة التي يريد إيصالها إلى المتلقي.

في حين تبقى الخاتمة الذاتية عند المتلمس الضبعي تحمل دلالات ورموزًا، إذ تضفي الخاتمة بعدًا إيحائياً تدل على الذات المترجية بحصول غايات وابتغاءات، يسعى عبرها الشاعر إلى تقديم مشاعر ممتزجة بحالة نفسية، يورث بعدها نهجاً معيناً يقتدى به بشكل تصويري دقيق؛ إذ منح التصوير الخاتمة الشعرية بدلالات معبرة عن غايات الشاعر من أجل أن "تدخل إلى شعور المتلقي وفكره وتطلق طاقاتها الإبداعية ليحلق خيال المتلقي فيتصور أنه يُبصر تلك الصورة بكل جزئياتها، وهذا النوع من الصور الفنية في غاية

الأهمية، فإنَّ أكثر الصور الشعرية شيوعاً هي الصورة المرئية" (خضر، 2004، 191).

وأحياناً يقترن الكشف عن موقف الذات، لدى الشاعر بلحظة صحو تتحقق بباعث ذاتي يرتبط برؤية إنسانية يوضح الحق ويكشف الزيف عمن وقع في الشك والوهم وممكن أن يبعث عن استشراف الشاعر بالمستقبل عبر مسؤولية أخلاقية يوظف الشاعر أساليب بلاغية متعددة كالاستعارة في قوله (أجلو عن ذي شبهة)؛ إذ شبّه الشبهة بالغبار الذي يحجب عن البصر، في حين نجد أنَّ للكناية في قوله (أورث سنة) دلالة عن دوام الأثر وخلوده وبقائه وديمومته؛ إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 39):

لأورثُ بعدي سُنَّةً يقتدى بها وأجلو عن ذي شبهةٍ إن توهما
أرى عُصماً من نصر بهثة دانياً ويدفعني عن آلِ زيدٍ فبئسما

1- الخاتمة الخطابية:

يختتم الشاعر قصيدته بأسلوب خطابي مباشر؛ إذ تبقى الخاتمة من الوسائل المهمة والفعالة، لبيان ما يختلج في نفس الشاعر وما يحتدم من مشاعر وانفعالات متنوعة ومتناقضة؛ وذلك لإبراز القيم الفنية والجمالية للقصيدة، فقد أنتجت هذه الخاتمة دلالات متعددة لما يمتلكه مكن عواطف وأحاسيس كانت بالنسبة إليه المتنفس الوحيد الذي يلجأ إليه بعد ظلم الأقارب والمعارف له، فالخاتمة الخطابية المباشرة حاجة نفسية تلبي رغبات الشاعر وتريح نفسه ودواخله، لعلها الطريق الوحيد الذي يسلكه لتخفيف الهموم التي تثقل كاهله "وليس معنى ذلك أنَّ الشاعر حينما يتجه في أثناء تجربته الشعرية إلى ختم قصيدته يكون متوتراً نفسياً من أمر واحد لا غير، فقد يأتي توتره من أكثر من أمر غير أنَّ الأقوى هو الذي يفرض سيطرته في الخاتمة؛ فإذا كان

الغـرض الأسـاس جـاءت الخاتمـة متصـلة، وإذا كـان غيـره جـاءت منفصـلة" (الخميسي، 2014، 277).

إذ استخدم الشكوى واللوم لما بدر من الجيران من تعبير له (عيرتموني)، (بلا ذنب)، إذ تثير هذه النبرة عبر الصور المكثفة في مفردتي عيرتموني وبلا ذنب، نبرة عتاب بوصفها شرطاً ثقافياً أحدث فسحة حوارية بين الأنا والآخر، ويقدم فضلاً عن ذلك صورة ذوقية للحب عبر نص (كم من دون أسماء)، إذ استخدم كـم الخبرية للدلالة عـن بعـده الشـديد لهـا وهنـا كناية عـن ألـم الفـراق فوظـف الفنون البلاغية المهمة من كناية وطباق في قوله (تستودع الميس) وهنا كناية عـن قسـوة المكـان ووحشـته، فضـلاً عـن الطبـاق الضـمني فـي مفـردة (مـن مستعملٍ)، حيث امتلكته هذه الصورة البلاغية المنمقة القدرة على التعبير عن ما يدور في خاطره من أحاسيس ومشاعر وعواطف يتذوق عبرها الأشياء، والتي تفضي من خلالها إيصالها إلى المتلقي، إذ يذكر أسماء ولكنه يعيش من دونها، فما يكون منه إلاّ الألـم والحسرة على فراقها، وفي نهاية القصيدة أي خاتمتها يذكر الناقة التي يتوحد بها عبر خلع مشاعره وهواجسه، متجاوزاً تلك الصعاب بناقة قوية صلبة شديدة ذات معجمة والمقصود بالمعجمة أي الناقة ذات الصبر والجَلَد على الدعك في السير، إذ كانت الناقة مرآة لنفس الشاعر وتجلياً من تجليات الزمن في حزنها وعتابها وشكواها وصبرها وتجلدها، وشعورها بالغربة والألم، وفي فرحها وحبها وشوقها وحنينها وكل المشاعر التي لا تفارق حنايا الشاعر، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 99-102):

عيرتمـــوني بـــلا ذنـــبٍ جـــوارحكم هـذا نصـيبٌ مـن الجيـران محسـوسُ
فـــإن تبـــدلت مـــن قـــومي عـــديكمُ أنَّـــى إذا لضـــعيفُ الـــرأي مـــألوس
كم من دون أسماء من مستعمل قذفٍ ومـــن فـــلاةٍ بهـــا تســـتودعُ المـــيسُ

ومـــن ذُرَى عَلـــمٍ نـــاءٍ مســـافتهُ كأنـــهُ فـــي حبـــاب المـــاءِ مغمـــوسُ
جاوزتـــــهُ بـــــأمونٍ ذات معجمـــــةٍ تنجـــو بكلكلهـــا والـــرأسُ معكـــوسُ

2- الخاتمة الذاتية:

ينصت الشاعر لصوت القبيلة في خاتمة قصيدة أخرى، محاولًا نصحها وإرشادها عند الخطر، لكن القوم لا يأخذون بهذه النصيحة موضع جد؛ إذ يبين الشاعر هواجسه ممن ظلمه، ليرسم وعيًا كاملًا معبرًا عن تجربته الشخصية وأنه وليد قبيلة ضبيعة أي أنه يكنى من (آل ضبيعة)، فيرصد الجانب الفخري، وذلك عبر فخره بأخواله وبكرمهم، وانه من منبع وأصل طيب، فجعلت الأبيات طابع الفخر والاعتزاز والشجاعة، لكن الظروف جاءت بغير المتوقع، إذ غادرهم رغماً عنه مع جيش الطوسي، فضلاً عن توظيفه لفنون بلاغية من استعارة وكناية وطباق فضلاً عن الحكمة، إذ تجلت تلك الفنون عبر المفردات الآتية (أصل العود، خاذل، متخلف، إنهم أناسي، ولا أمر للمعطى إلاّ مضيع) فكانت الخاتمة الجمالية المتنفس الوحيد لإيصال غايات ومقاصد الشاعر، ليترك للمتلقي المساحة المتاحة لرصد العنصر الجمالي التي ذكر من خلالها الأساليب الفنية المبدعة التي تؤدي الغرض الشعري المهم.

إذ تعد الخاتمة "الركن الأهم في تشكيل بنية النص الإبداعي، ولها وجودها ودورها في تحديد مسارات العمل واتجاهاته" (الزهراني، 2011، 3)؛ إذ تنطوي الخاتمة على أهمية إعلامية وجمالية تكاد توازي أهمية الاستهلال لوجود علاقة قرب بينهما، إذ يتقرر فيها مدى قدرة النص على المعالجة(عبيد، 2011، 3)، ولعل أبرز ما يمكن أن يشار إليه هو التزام المتلمس وعصبيته لقومه ولأخواله وهو يناسب فخره بأخواله وكأنه يخفف من اندفاع نفسه وفخره عند التفكر بالمصير، أو لنقل إنه نموذجاً في الفخر في شخصه بذكر

أخواله وهو شعور مستمر أو نظرة تأملية يطيل من خلالها الشاعر التفكير والنظر في الحياة ومصيرها؛ إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 158-161):

أمـرتهم أمـري بمُنعـرجِ الِّلـوى ولا أَمـرَ للمعصـيّ إلاّ مُضَـيَّعُ
ألكنـي إلـى قـومي ضُـبيعةَ أنهـم أُناسي، فلومُوا بعـدَ ذلـكَ أو دَعـوا
وقـد كـانَ أخـوالي كريمـاً جـوارهُمُ ولكـنَّ أصـل العـودِ مـن حيـثُ يُنـزعُ
فـلا تحسـبَّني خـاذلاً مُتخلِفـاً ولا عَـينُ صـيدٍ مـن هَـوَايَ ولعلـعُ
ولكنني أغربـتُ في جيش طوسـيٍ وكانـت مَعَـدُ كُـلَّ أوبٍ تَصَـدَّعُ

ثم يوظف الشاعر الحكمة في خاتمته التالية بصورة بصرية تطابق في بنائها للحقيقة عبر فراره خوفًا على سمعة القبيلة وحرصاً من أن ينكل بجسده ويلحق الأذى والعار لقبيلته، إذ ترك ديار بني ضُبيعة لا خوفًا ولا خيانة ولا جنباً، بل حفاظاً على النفس من القتل والتمثيل بجثته. إذ بنيت الخاتمة على دلالات محملة بالإيحاءات الذاتية، فكانت الوسيلة للكشف عن عمق ذاتها ومزجها بموضوعه الشعري وهي بلا شك عملية إدراك حسي واستشراف للمستقبل حول فيما بعد إلى نص شعري يستند على خاتمة ذاتية محملة بالاستعارات والكنايات والطباق والتكرار، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 191-192):

وفـررتً خشـية أن يكـونَ حبـاؤهُ عـاراً يسـبُّ بـه قبيلـي أحمـسُ
وتركـتُ حـيَّ بنـي ضـبيعة خشـية أن يُـوتروا بـدمي وجلـدي أملـسُ
ثكلتكَ يا بـن العبـد أمـكَ صـادراً أبسـاحة الملـكِ الهُمـامِ تَمـرسُ

3- الخاتمة الاستفهامية:

وكما يبدو فإنَّ الشاعر يخاطب الآخر في خاتمته الشعرية بسؤال وتعجب أتقول؟! في صورة تعد من أخصب المعاني وأعمقها بصيغة التعجب أي هل فعلًا منعوا ضبيعة حقهم أم أنهم قد نسوا العهد والتكفل وتجاهلوه بصيغة التوبيخ؟ إذ كانت هذه الصيغ امتداداً لغايات ذاتية تنامت في خاتمة القصيدة، تحمل دلالات خدمت الخاتمة وعمقت إحساس الشاعر الذاتية بأسلوب استفهامي إنكاري، لما قد يؤول به القوم الذين نسوا العهود والمواثيق والكفالة التي تكفلوا بها في رد حق بني ضبيعة، كما أضفت هذه الدلالات بعدًا إيحائياً تدل على ذات الشاعر الرافضة للموقف الذي آل إليه الآخر في رفض الحق والعهد؛ "إذ تحمل عواطف عميقة، وهي إحساس وجداني عميق ورؤية قلبية للأشياء والأحداث، وهي انعكاس للحالة الكامنة داخل الذات، وفيه إيحاء يرمز به عن مكنونات الأشياء في نفسه وقيمها الروحية" (ياسين، 2021، 273).

ثم يتجلى أثر الموت في موقف الشاعر مفتخراً بما يملكه من شجاعة وبأس وإقدام بقول لم يعلموا أن قد مشى حذر الخزي... أي عدم إدراكهم لمعنى العار والخزي الذي سينال منهم وماذا يعني السيف بالنسبة إليه الذي سيرد الحق إلى أهله من شجاعة وفروسية، وهو الباعث الأساس على إسقاط صورته المتمثلة بهيأة الفارس الشجاع الذي يعيد الحق إلى أهله بالسيف والموت؛ إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 220-221):

أتقول: هُم مَنَعُوا ضيفة حقهم بَعْدَ الكفالةِ والتوثقِ أم نَسُوا

لم يعلموا أن قد مشى خبر الخزي بالسيفِ للموتِ ابن بدرة بيهسُ

وفي موضع آخر للخاتمة يقدم الشاعر المتلمس صورة للممدوح (قيس اليماني) تظهر من خلالها أفعاله وصفاته، ولكي يثبت الشاعر فاعلية الممدوح يستجلب صوراً متعددة الدلالة؛ تتبادل من خلالها المفردات (خليل، قيس اليماني، لنعم المرء، بابه راجٍ، له ليس يحبسُ) إذ شكّل الشاعر تلك الصور التي يمتلكها الممدوح لليد التي تمتد إليه في (الكرم، والشجاعة، والجود) بدلالة ذكر الأفعال (تلمس، يحبس، بلغت)، إذ تظهر الآخر بصور متعددة بوعي الشاعر وإرادته في إبراز شخصية (قيس اليماني) بصفاته المعنوية والمادية، ولا ننسى دور الناقة التي تؤول إلى وصوله إلى الممدوح، إنها صورة معبرة عن موقف الشاعر الوجداني من الناقة التي توحد معها، فهي بالنسبة إليه كيان شعري توحدت بها ذاته ليصل إلى الممدوح والظفر بوافر العطايا منه عبر معاناته وتحمله لمشاق الرحلة إليه، إذ يقول(المتلمس الضبعي، 1970، 235):

إذا بلغتْ قيس اليماني ناقتي فأيُّ خليل بعد قيسٍ تلمسُ

لعمري لنعمَ المرء قيس إذا انتهى إلى بابهِ راجٍ له ليسَ يحبسُ

وكما يبدو فإنَّ الشاعر وظف الأبيات بطاقة تعبيرية في بناء الخاتمة عبر ذكر مزايا الممدوح، وتثبت صفاته للدلالة على الكرم والشجاعة والجود التي يتمتع بها الممدوح، فهذه الصفات التي أضفاها على الممدوح تعطي الذات شعوراً بالأمان والتماسك والترابط والتفاؤل بما يؤول إليه الشاعر المتلمس.

الخاتمة

وإذ ينتهي مطاف البحث في مقدمة القصيدة وخاتمتها في شعر المتلمس الضبعي ضمن المقاربات التحليلية يمكننا استنتاج الآتي:

1- تعد المقدمة إحدى مفاتيح القصيدة، لهذا نجد بروز دور المقدمة في قصائد المتلمس الضبعي، وذلك من خلال فك مفاتيح المقدمات والغور في أعماق النص الشعري، فحالت المتلقي إلى استنطاق واستنباط متن النص الشعري عبر المقدمة الهجائية ومقدمة الشكوى والمقدمة الغزلية.

2- إذ كان لصحيفة المتلمس في مقدمة قصائده الدور الأبرز في التعبير عن تجربة الشاعر الذاتية تجاه الآخر (الملك عمرو بن هند)، وما كان يضمره الآخر له من المكيدة والبغض والعداوة.

3- الاستنجاد بالآخر في ترجمة الصحيفة ولاسيما أنه كان أي الشاعر يجهل القراءة، ولولا الاستنجاد واستنطاق الآخر، لكان المتلمس لقي حتفه، جراء تلك الصحيفة، إذ بينت مدى أهمية المعرفة ولاسيما القراءة، وهذا ما لم يدركه (طرفة بن العبد)؛ لأنه كان يجهل القراءة ولم يحاول الاستعانة بغيره، لذا لقي حتفه جراء تلك الرسالة التي أرسلها (الملك عمرو بن هند) إلى عامله على البحرين وتحمل في طياتها الغدر والقتل.

4- استخدام الشاعر لأغراض متنوعة من بينها، الهجاء والفخر والحكمة والغزل، فضلاً عن أساليب متنوعة من فنون بلاغية من (طباق وجناس وكناية واستعارة ... الخ).

5- تنوع في الأساليب ما بين الاستفهام والتعجب والإخبار والسؤال والنداء.

6- وقد كان للشكوى الأثر البالغ في مقدمات قصائده، تعبر عن مدى الألم والخذلان جراء معاملة الملك له.

7- في حين تبقى الخاتمة عند المتلمس تحمل دلالات ورموز تضفي طابع وبعد إيحائي، وغن دلت على شيء فإنما تدل على الذ1لات المتربصة بحصول غايات وابتغاءات عبر الخاتمة الخطابية والخاتمة الذاتية والخاتمة الاستفهامية.

8- فيما يخص الأساليب المتبعة في خاتمة قصائد المتلمس كانت تحمل أسلوب الخطاب المباشر، فالخاتمة الخطابية المباشرة كانت حاجة نفسية ملحة يلجا إليها الشاعر ليلبي رغباته ودواخله، فضلاً عن أساليب الاستفهام والتعجب والسؤال... الخ.

9- فيما وظف الشاعر فن الحكمة في اغلب خواتيم قصائده، فضلاً عن فن المديح، الذي أضفى على ذات الشاعر شعوراً بالأمان والترابط والتماسك والتفاؤل ولاسيما مديح (قيس اليماني).

المصادر والمراجع

- ابن الاثير (1939) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الثالث: المبادئ والافتتاحات.

- أبو سويلم، أنور (1987) دراسات في الشعر الجاهلي، ط1، بيروت: دار الجيل.

- الاصبهاني، أبو الفرج (د.ت) كتاب الأغاني، ط1، بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

- الثعالبي، أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1956م: 161/1.

- الجادر، محمود (1990) دراسات نقدية في الأدب العربي، الموصل: دار الحكمة للطباعة والنشر.
- الحمداني، فارس (2024) مقدمة القصيدة في العصر الوسيط ابن نباتة المصري اختياراً (قراءة نقدية في التشكيل والصورة)، ط1، الموصل: دار نون للطباعة والنشر.
- خضر، فوزي (2004) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، ط1، الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري.
- الخميسي، عبدالرحمن (2014) خاتمة القصيدة (في القرن الرابع الهجري في العراق والشام)، ط1، بيروت: الدار البيضاء.
- الدينوري، ابن قتيبة (1966) الشعر والشعراء، ط2، القاهرة: دارالمعارف.
- الزهراني، معجب (2011) جماليات النهايات الروائية، جريدة الرياض، ع312.
- الصباغ، عبد (2011) الرؤية في القصائد العشر، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل.
- عبيد، محمد صابر (2011) التجربة والعلامة القصصية، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- العريضي، عبدالجليل (د.ت) طرفة بن العبد وصورة الناقة في شعره، ضمن كتاب (طرفة بن العبد: دراسات وأبحاث ملتقى البحرين).
- العسكري، أبو هلال (1982) كتاب الصناعتين، ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- عصفور، جابر (1992) الصورة الفنية في التراث النقدي (البلاغي عند العرب)، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي.

- عطوان، حسين (1972) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ط1، مصر: دار المعارف.
- القرطاجني، حازم (2007) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط4، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- القيرواني، ابن رشيق (1981) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، بيروت: دار الجيل.
- المتلمس الضبعي (1970) ديوان المتلمس الضبعي، القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر.
- الوصيفي، عبدالرحمن (2008) تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، دمشق: إحياء التراث العربي.
- ياسين، فارس (2021) الصورة الحسية في شعر ابن الحلاوي الموصلي، مجلة سر من رأى، جامعة سامراء، 17(70).

A Pragmatics Analysis of Sarcasm in Selected Interviews

PH D. Student. Hind Abdul-Ameer **Department of English**
std2024308.hind.am@uowasit.edu.iq

Abstract:
This study examines pragmatic sarcasm in a subset of interviews where it dominates the participants' discourse. It aims to analyze pragmatic elements—Grice's principles, conversational inclusion, tactful techniques, and dialogue structure—to demonstrate the relationship between the speaker's authority level and their tactfulness. The study employs an inductive approach, reviewing literature related to the pragmatic aspects of interviews. Additionally, a survey of models used in data analysis will be conducted, including the model proposed by Grice (1975). Analysis of the results reveals the following from the literature review of radio interviews:
Since the interviewer has the authority to determine the agenda, its scope, and the topics that can be reasonably discussed, the power dynamic is heavily skewed in their favor. However, jeopardizing the interviewee's position weakens their own.
The balance of power shifts. Specifically, the interviewer employs less tactful techniques due to their greater

authority over the interviewee. Accordingly, the interviewee is more likely to disregard Grice's principles than the interviewer, who is often more direct and seeks to clarify any potential implications in the interviewee's statement.

1. Introduction

Sarcasm displays a "I don't mean this" attitude in which the speaker purposefully mocks or expresses dislike for another individual or viewpoint that "does mean this." The terms sarcasm and irony are used in very similar ways by some authors, such as Capelli et al. (1990), but others, such as Hairman (1998), distinguish them by saying that the former must be communicated by people and must involve intention, while the latter may deal with situations and may lack intention. Furthermore, "attitude" is a crucial component of the concept of sarcasm and needs to be separated from "emotion." While the latter is interpreted directly through speech signals, the former is communicated indirectly through speech cues, necessitating a linguistic analysis of contextual and textual information, intonation, pragmatics, and semantics.

Sarcasm is an aggressive play on words. This attitude's hostility and negativity may be aimed against someone who is not physically present, another speaker in the discourse, or a general viewpoint or attitude regarding a person or thing. It has also been associated with humor, particularly in parodies. Additionally, sarcasm is obviously a type of rude communication that is used with the intention of being interpreted as insulting from the standpoint of etiquette. However, an expression that would typically be

courteous or genuine conveys the insulting nature. Thus, sarcasm is a kind of meta-strategy or mock-politeness that uses civility to convey rudeness. All things considered, sarcasm is common in communication because it is frequently not seen as being as harsh or impolite as more direct types of criticism.

Research Question:

Main Question:

To what degree does the authority of the speaker relate to the level of linguistic rigidity of their responses during radio interviews from a pragmatic perspective?

Sub- Questions:

1. To what extent does the interviewer's use of Griceans (1975) principles influence success in managing dialogue and how does this differ from the host and guest?
2. In the interviewer's agenda for the interview, how does he/she exercise authority over the flow of the conversation?
3. What effect does an unequal distribution of authority between the interviewer and the guest have on their levels of linguistic rigidity?
4. What pragmatic strategies has the guest employed in order to avoid following Grice's principles, and what are the motivations for using them?
5. What are the structural patterns within the dialogues of radio interviews, regarding role distribution and discursive authority?

Research Goals:

Main Hypothesis:

A speaker's level of pragmatic authority has a direct effect on a speaker's level of linguistic rigidity; that is, a higher

degree of authority equals less rigidity in the speaker's use of rigid discursive modes in his or her utterances.

Sub-Hypotheses:

1. The interviewer will possess more dominant discursive authority than will the guest, as evidenced by the interviewer's power to create and control the topics of the conversation.
2. The interviewer uses fewer cohesive devices in their speech than does the guest; therefore, the guest relies on cohesion to maintain his or her social status.
3. Due to the nature of the guests' defensive strategies, they will tend to violate the principles of cooperation promoted by Grice more readily than the interviewer.
4. The interviewer will attempt to eliminate ambiguity and provide clarification of the implications of the guests' words, demonstrating a tendency toward directness and control regarding the audience's perception of the outcome of the discourse.
5. The guest's face (i.e., his or her reputation) is being placed at risk by the authority of the interlocutor; thus, the authority of the interlocutor is also at risky disproving the authority of the interlocutor through excessive face-threatening acts toward the guest, resulting in an implicit balance in the two parties' pragmatic relationship.

Research Importance:

The research described herein is significant due to its overlap among three important related fields (linguistic pragmatics, discourse analysis, and broadcast media), which gives it both theoretical and practical value. The theoretical contribution of this study is to expand the area

of practical investigations by applying Grice's (1975) model throughout the radio interview process in an institutional and dynamic discursive context by identifying the rich dimensions of the connections between discursive power and linguistic cohesion. In addition, this study will provide a new method to analyze the phenomenon of pragmatic sarcasm using critical discourse analysis. Therefore, this study will help provide more knowledge on pragmatic irony within formal contexts. In terms of practicality, the study will help journalists and interviewers enhance their conversations. Additionally, this study will help important public figures and officials better comprehend the pragmatic techniques that interviewers use when asking them questions. In addition, the research findings could be beneficial for language education and/or teaching programs designed to develop oral communication skills. Furthermore, the findings from the research could contribute to the field of forensic linguistics by providing linguistic indicators to employ when analyzing discourse. This study is more important when we consider that radio media discourse is largely unexplored in the Arab research community, making this research a qualitative study that will open up new avenues for research among applied linguists.

2. Literature Review

2.1 The Concept of Sarcasm

A significant part of social interaction and discourse is sarcasm. It is a type of indirect speech that is purposefully employed to provide the audience a specific dramatic

effect (McDonald, 1999: 486). Sarcasm is defined by the speaker's deliberate use of overt irony as a linguistic form of hostility. However, there is a significant distinction between the two: sarcasm needs to be deliberate and aware, whereas irony can be used accidentally and unwittingly. Sarcasm is viewed by some as a male-dominated communication style that is primarily utilized among peers.

Sarcasm is a type of sarcastic speech that is frequently used to express implicit criticism with a specific victim as its target. Regardless of whether someone is trying to convey dismay or is just kidding, there is always a victim (ibid. 486-7).

In ordinary speech, negative sarcasm—positively worded statements that communicate negative attitudes—is commonly employed. One could say, "I love James; that jerk slammed the door in my face even though he saw me walking behind him." One expresses his disdain of James and his behavior by using the word "love" in this statement. Once more, this is a play on words since in a sarcastic statement, the speaker uses terms that are completely at odds with his intended meaning; nonetheless, vocal emphasis on these phrases, frequently accompanied by facial movements, suggests that they should not be taken literally (ibid.).

According to Attardo (1994: 11), sarcasm is "an overtly aggressive type of irony, with clearer markers and a clear target." There hasn't been agreement, nevertheless, on whether sarcasm and irony are fundamentally the same thing with only minor variations or whether they differ

greatly. According to Dauphin (2000:7), sarcasm must be deliberate; people can be sardonic, but circumstances cannot. Irony, on the other hand, is unintentional, also situations can be ironic. The degree to which sarcasm is used in ordinary language depends on a variety of conditions, according to Toplak (2000: 14). Exaggeration, the speaker's personality, the speaker's relationship to the victim, the intensity of the criticism, and whether the criticism is being given in secret or in front of an audience are some of these aspects. The essential component of sarcasm, according to Toplak (ibid.), is "with speaker's intent in mind, sarcasm is used as a means of verbal aggression; with victim's reactions in mind, sarcasm is taken as a more severe form of criticism than found when criticism is directly expressed."

Thus, sarcasm is a less combative way to express what is really on one's mind. Additionally, it allows the speaker to be theatrical and employ wordplay that is more captivating than simple statements. It could be a courteous form of criticism that is typically accompanied by certain negative attitudes like derision, ridicule, contempt, and disapproval (ibid. 487).

2.2 Towards Understanding Sarcasm

The fundamental mechanisms required to comprehend sarcastic remarks have not been extensively studied experimentally in psychology. The interest in sarcasm and irony is largely due to linguistic and literary theorists who have been interested in a rationalistic explanation of the components needed to understand sarcasm. In this spirit, various perspectives have been established. The conventional view, referred to as the Standard Pragmatic Model, proposes that a hearer must first consider an expression's literal interpretation before ascertaining its nonliteral, sarcastic meaning, much like indirect requests, idioms, and metaphorical utterances (Gibbs and Colston, 2007: 174).

A sentence like "You are a fine friend" (which means "You are a bad friend") could be interpreted in three ways, according to the Pragmatic ModelDetermine whether the literal meaning is the speaker's intended meaning, compute the literal meaning of the statement independently of its context, and, if the literal interpretation is incorrect, calculate the non-literal meaning by assuming the opposite of the literal interpretation. However, this paradigm may not fully capture the mechanisms involved in understanding sarcasm. According to Gibbs and Colston (2007: 175), the model is unable to identify the exact method by which listeners discern the ironic intentions of the speaker.

The Echoic Mention Theory is another theory that might be more adept at explaining the psychological processes

involved in comprehending sarcasm (Sperber and Wilson, 1981: 33). This theory holds that the literal proposition and the speaker's proposal toward it cannot be replaced by a nonliteral proposition. Echoic mention comes in a variety of forms and intensities; some are immediate echoes, while others are delayed; some have real sources, while others have imagined ones; some can be linked to specific people, while others have an unclear origin.

For instance, if Jack tells Bob, "You are a big help," even though Bob hasn't helped Jack, the sarcasm stems from the fact that Jack has reiterated a belief or remark that was previously conveyed, or possibly from an unwritten agreement between Jack and Bob. In other words, Bob may have already offered to assist Jack, or it may be Bob's responsibility to do so. In a way, Jack is paraphrasing this earlier statement when he says, "You are a big help," or he is expressing a shared understanding that Bob's role is to assist Jack (ibid.).

In comprehending sarcastic remarks, speakers and understanders need to share specific pragmatic information, as Gibbs (2007: 188) demonstrates. These statements might be especially memorable if sarcasm has unique pragmatic qualities. Because sarcasm plays a unique role in connecting speakers and hearers through the reference of a previously studied viewpoint or attitude, memory for sarcastic expressions should be especially engaging.

According to Gibb (ibid. 195), people comprehend statements like "You are a fine friend" faster than "You are a bad friend" because the first statement reflects the

societal norm that one should be kind to others. Hearers' recognition of this makes it easier to interpret phrases like "You are a fine friend" as sarcastic. Another theory is that, although though they are known to occur in ordinary conversation, people will remember phrases like "You are a bad friend" that mean "You are a good friend" especially well because they are uncommon examples of sarcasm.
Another theory is that, even if non-normative examples of sarcasm look a little out of the ordinary, people should remember instances of sarcasm that are based on a statement of some social norm, such as "You are a fine friend," more frequently than cases that are not. A norm should be especially memorable due to the echo's influence. In the same context, people should remember "You are a fine friend" far more frequently than "You are a terrible friend," and they should accurately remember "You are a fine friend" more frequently than "You are a terrible friend" (i.e., "You are a good friend").

2.3 Sarcasm and Social Cognition

Sarcasm has been shown to serve a number of social communication purposes, including making criticism seem more courteous, reducing its perceived danger and aggression, and fostering a lighthearted environment (Dews and Winner, 1999: 1579).

It seems that a lack of comprehension of sarcastic statements could be a sign of a poor comprehension of social indicators including intentions, beliefs, and emotions. According to contemporary theories of irony, sarcastic remarks are evaluated according to how relevant they are

to the context. According to relevance theory, understanding ironic statements may include acknowledging the speaker's attitude, which calls for mutual understanding between the speaker and the listener (ibid.).

2. 4 Impoliteness Theory

According to Locher and Watts (2005: 10), politeness is a "discursive concept arising out of the interactants' perceptions and judgements of their own and others' verbal behavior."" According to Bousfield (2007: 2186), rudeness is a violation of the politeness principle. According to him, impoliteness is the antithesis of politeness since it involves the deliberate performance of superfluous, confrontational, and face-threatening verbal activities.

When it comes to language conduct, being courteous is reducing the detrimental impacts of one's words on other people's emotions and emphasizing the beneficial ones. Additionally, politeness might be hearer-oriented or speaker-oriented. Speaker-oriented politeness entails refraining from mentioning things about oneself that would put one in a favorable position in relation to the hearer; boasting, for instance, is therefore intrinsically rude. Hearer-oriented politeness includes statements that directly affect the hearer (Cruse, 2006: 131).

Following Brown and Levinson, many theorists believe that rudeness is an assault on the interlocutors' faces and that some behaviors, like reprimanding, threatening, criticizing, and insulting, are carried out by speakers with the inherent

intention of damaging or attacking the hearer's face (Haverkate, 1988: 394). Therefore, reconstructing the speaker's intended intents is the focus of the investigation of impoliteness (Mills, 2003:123).

Norrick (2009:66) asserts that speakers frequently employ both positive and negative impoliteness techniques. Making the other person uncomfortable is the most popular positive impoliteness tactic. Interlocutors often accomplish this by making fun of each other. Because he views scorn or derision as a means of highlighting power disparities between interlocutors, Culpeper (1996: 45) counts it as a negative politeness tactic. Sarcasm, he contends, is a bad politeness tactic. It is a form of mock-politeness tactics.

2.5 Grice's Maxims

The Cooperative Principle was developed by linguist and philosopher Paul Grice. It says, "Make your conversational contribution such as is required, at the stage at which it occurs, by the accepted purpose or direction of the talk exchange in which you are engaged" because understanding requires cooperation and acceptance between speakers and listeners. One of the more intriguing pragmatic methods is Grice's (Levinson, 1983: 97). Grice developed his four Conversational Maxims, which are based on this idea:

1. The quantity maxim: The presenters give as much information as they are able to.
2. The quality maxim: The speaker should be truthful and avoid giving false or untrustworthy information.

3. The relational maxim: The speaker's remarks should be relevant to the topic.
4. The rule of manners: The speaker ought to be clear-cut and straightforward. The wisest course of action is to avoid confusion and obfuscation. Additionally, the maxims overlap. For instance, Chandler's statement, "You have to stop the Q-Tip when there is resistance," can be used to demonstrate that a speaker is sardonic by breaking the Maxim of Relation and Manner. Chandler broke multiple maxims, and it's not apparent which maxim has more weight in determining whether or not his statement was ironic (Mey, 2002, 76–77).

2.5.1 Flouting the Maxims

Disregarding the maxims is the most intriguing example of a breach. Interviewees may take advantage of this option by using a variety of tactics in which they flagrantly violate one or more maxims, presuming that H is aware of this and can thus come up with a suitable explanation for doing so.

2.5.1.1 Flouts Exploiting the Maxim of Quantity

This is the in formativeness maxim (see Kearns, 2000: 258). When a S clearly provides more or less information than the circumstances call for, it is a violation of the principle of quantity. Consider the following instance from the 2000 "Breakfast with Frost" interview between British Prime Minister Tony Blair (TB) and David Frost (DF), in which Blair disregards Grice's quantity maxim:

DF: *What can you do (to help the NHS) ... now?*

TB: *In the short term [we]'ve got more care beds.*

DF: *[mm]*

TB: *and we've got to bring more nurses back into the health service (.)*

Frost stops the Prime Minister at this moment, indicating that his response was "more informative than is required" (Grice, 1975). Blair's mention of the cautious borrowing may also violate the Relevance maxim. The conversational implication is that there is no easy solution to the NHS (National Health Security) problem (Yoell: n.d., n.p.). Tautology is another instance of breaking the quality maxim.

2.5.1.2 Flouts Exploiting the Maxim of Quality

1. Irony. The literal meaning may be the reverse of the implied meaning. Typically, this process is referred to as irony. Irony might be considered a violation of the quality maxim. In response to B's comment regarding a basic city that A has been to, A can say:

A. *It rivals Florence.*

A. *There is not greater city in the world.* (Verschueren ,1999: 34-5)

Irony is typically indicated by exaggeration and understatement. By violating the Quantity or more the Quality maxim, the S may be dishonest (Leech, 1983:142):

That's all I wanted.

Bill wanted that news like he wanted a hole in the head.

2. Metaphors. These are instances of the sincerity maxim being broken. Inference plays a part in the interpretation of figures of speech, including metaphor, according to pragmatic theory. When a metaphor is understood

inferentially, it is assumed that the S did not mean what he actually stated and that the convention of truthfulness has been deliberately broken. A figure of speech's literal sense is replaced with the inferred figurative sense (Kearns, 2000: 9).

3. Rhetorical Questions. Rhetorical questions don't require an answer, but their structure doesn't indicate whether or not the H is expected to respond. A question may be deemed rhetorical by the H due to a particular aspect of the utterance scenario, such as when the S simply finishes his statement without offering any opportunity for responses (Hudson, 1980).

4.Hyperbole or Overstatement. Grice gives the following example:

Every nice girl loves a sailor.

If the S is "exaggerating or choosing a point on a scale which is higher than the actual state of affairs," he is said to violate the Quantity maxim, according to Brown and Levinson (1978:224). The interviewee may employ this tactic to bolster his position, offer pertinent criticism, draw attention to the flaws in his adversaries, refrain from engaging in face-threatening behavior (FTA), etc.

I tried to call a hundred times, but there was never any answer.

5.Meiosis or Understatement. Saying something that differs from what the S truly wants to express is one method of creating implicatures. As an example, Grice (1975: 53) describes a man who is reported to have destroyed every piece of furniture.

He was a little intoxicated

Brown and Levinson (1978: 222) view understatement as a means of producing implicatures by stating less than is necessary, which is a violation of the Quantity maxim.

2.5.1.3 Flouts Exploiting the Maxim of Relation

In certain situations, the adage "Be relevant" appears to have been ignored, but what is stated may only be fully understood by presuming that what appears to be unimportant is actually relevant. However, there are situations in which implicatures are meant to result from discovering that the Relation maxim is being blatantly ignored. In order to show the other conversant or conversants that what was being stated could put the S in an unpleasant (or worse) situation, someone may abruptly shift the topic or blatantly neglect to acknowledge the other person's purpose in posing the question (Green, 1989: 101).

2.5.1.4 Flouts Exploiting the Maxim of Manner

In order to imply that a shorter, more direct manner of speaking would be inaccurate, inconsiderate, impolitic, or something similar, Ss are also purposefully prolix or obscure (sometimes the two co-occur), as in the exchange that took place during a radio interview with an unidentified official from the US Embassy in Port-au-Prince, Haiti:

Interviewer: *Did United States Government play any part in Duvalier's departure?*

Official: *I would not try to steer you away from that conclusion.*

4. Methodology

4.1 Data Collection and Model

This research paper aims to assess the type and importance of the maxim violation in a selected statement from the television show "Friend." It's an attempt to look into the sarcastic remarks. The study's model is Grice (1975). He enumerates a number of sub-maxims that he thinks follow from it. The discourse is outlined by these maxims, which conversational participants should and usually do follow.

4.2 Data Analysis

The data analyses according to Grice's (1975) maxims. These maxims are as the following:

4.2.1 Maxim of quality

In the show, the characters have been violated this maxim a lot to be sarcastic for example:

All: *Hey! Paul! Hi! The Wine Guy! Hey!*

Chandler: *I'm sorry, I didn't catch your name. Paul, was it?*

In order to make light of the situation and show that they had heard of the guest, Chandler asked for their name even though all of the characters in the preceding quote recognized him. Another example of lying and violating this guideline is what Joey said to Monica:

Monica: *(taking a drink from Joey) Are you through with that?*

Joey: *Yeah, sorry, the swallowing slowed me down.*

The One With the Sonogram at the End

Because he fears Monica, Joey is lying to her. He explained to her that he hasn't finished his cup since he is swallowing,

which is quite normal.
Another example of lying is what Chandler said to the characters when Ross invited everyone to his place. Chandler gave the following response when Ross said that Joy and Chandler would help him assemble the furniture:

Ross: *Right, you're not even getting your honeymoon, God.. No, no, although, Aruba, this time of year...*

Chandler: *(deadpan) Yes, and we're very excited about it.*

Chandler claims to be passionate about making furniture, which contrasts with what he considers enthusiasm. By displaying to the others his discontent or lack of enthusiasm for assisting his friend with furnishings, he has transgressed the precept.

5.2Maxim of quantity

Characters in the program the author is studying, like the following, have regularly violated the quantity maxim by providing few facts and are usually irrelevant to the speaker's topic:

Ross: *I'm divorced! I'm only 26 and I'm divorced!*

Joey: *Shut up!*

Chandler: *You must stop!*

Joey and Chandlers, who are pals, did not provide any words of encouragement to their friend Ross, who appears dissatisfied with his current circumstances. Joey and Chandler, however, advised him to simply quit taking, which is inadequate and contradicts the quantity maxim. By speaking too little, the characters try to convey irony. However, by revealing or giving too much information, characters have broken this rule. Here's an illustration:

Phoebe: *Give her a break, it's hard being on your own for the first time.*

Rachel: *Thank you.*

Phoebe: *You're welcome. I remember when I first came to this city. I was fourteen. My mom had just killed herself and my step-dad was back in prison, and I got here, and I didn't know anybody*

Even if one of her acquaintances appeared to be helping her get by without the assistance of her family, Phoebe, the heroine in the preceding example, disclosed too much about her personal life. By breaking this rule, Phoebe sarcastically shows that Rachel's hardships are insignificant compared to what she went through when her parents abandoned her at the age of fourteen.

5.3 Maxim of relation

The show's characters also violate the relativity maxim to express a satirical viewpoint. As evidenced by the following, Chandler is among the characters who regularly engage in this behavior:

Ross: I just feel like someone reached down my throat, grabbed my small intestine,...

Chandler: Cookie?

He finds it quite difficult to comprehend that his wife is divorcing him. Chandler gave Ross a cookie as Ross was discussing how difficult his life had been since his wife made the decision to file for divorce. This seems that Chandler took advantage of the situation to let Ross know that he could require a cookie rather than a wife.

Another example of Chandler's persistent violation of the relationship maxim may be found in the following words:

Rachel: *Yeah, well, it's a Mercedes if I move back home. Oh, it was horrible. He called me young lady.*

Chandler: *Ooh, I hate when my father calls me that.*

The One With the East German Laundry Detergent

Rachel told her friends that her father had tried to make her feel uncomfortable by referring to her as a "young lady"—a term used in formal settings—and that he had promised to give her a Mercedes if she moved back in with her parents. Since Chandler claims that his father used the same term to address him, his response had nothing to do with the subject. He wants to mock his friend's issue by saying that his father still calls him a man despite the fact that he is a male. This also alludes to his battle to demonstrate that he is always seen as gay, even by his own father, just because his father is gay.

5.4 Maxim of manner

Characters usually violate these guidelines by being unclear and failing to make their meanings clear. Chandler, one of the main participants in the scheme under investigation, has regularly made fun of his pals by using this offense. Many of the show's non-American viewers were unable to comprehend the following example due to the cultural allusion:

Joey: *Why don't you go see Frankie? My family's been goin' to him forever. He did my first suit when I was 15. No wait, 16.....*

Chandler: *Okay. You have to stop the Q-tip when there's resistance!*

Chandler is telling Joey not to push in this circumstance. the American cotton swab company Q-tip, since it damages the brain. Because of his limited mental capacity, he wants to inform his pal Joey that he is foolish. Another instance from the show is what Ross said to Monica when he began considering dating once more following his terrible marriage:

Monica: *See ya.... Waitwait, what's with you?*

Ross: *I just grabbed a spoon. (Ross exits and Monica has no idea what that means.)*

The One Where Monica Gets a New Roommate

Ross is making reference to a different conversation with Joey in the section that comes before it. Joey advised that Ross start dating someone else and compared women to different types of ice cream. Joey used this analogy without his sister Monica's presence, and Ross failed to convey it to her, thus she was unable to grasp his meaning.

4.3 Result and Discussion

The researcher examined sarcasm as a pragmatic occurrence in a few chosen interviews for this study. Initially, he attempted to define sarcasm and distinguish it from irony. Since the Grice model is the most widely used model among researchers to address an utterance's indirect meaning and no one has previously used it to analyze sarcastic utterances, the researchers decided to use it to evaluate sarcasm.

Making it obvious what the Grice model is about and the primary domains it aims to cover—the maxims—is crucial for analysis. After that, the researcher identifies the different kinds of infractions and chooses the appropriate kind for examination. Finally, the analysis reveals that the characters in the TV interview have broken every rule in order to ridicule their friends or a particular circumstance. These infractions have accomplished their goal and conveyed the utterance's secret meaning.

Recommendation:

1. Scientific Research:

The study recommends that the analysis of how people communicate using language should expand to include other types of interviews including radio interviews, print interviews, and digital interviews. This will create a broader view of the differences in how people use language within various communication contexts. Additionally, comparative studies between multiple languages and cultures should be done to uncover how cultural differences influence the application of Grice's principles and manners of using polite language.

2. Methodology/Theory:

The researcher recommends the development of a more inclusive framework for analyzing politeness in communication. A single analytical model is not sufficient to analyze all the existing factors related to politeness within media communication.

3. In terms of future studies:

This study opens the door to future research addressing the influence of gender, culture, and ideological frameworks on the application of Grice's principles. It also advocates for utilizing artificial intelligence and natural language processing tools to analyze large volumes of media interview discourse to achieve more representative and reliable results.

Conclusion

The research reviewed the way that Pragmatics works with Analysis linguistically in interviews on TV using Grice (1975) and Dialogue Cooperation principles to discover how to conduct analysis of conversation based on observations of the above-mentioned principles. The study developed several findings concerning the ways that television interviews demonstrate unique Pragmatic features of how they are constructed as individual Discourse Institutional Patterns or forms of Discourse. More specifically, the study demonstrated that the participants in a television interview exhibit distinct formal strategies in terms of both their structural arrangement and the formality of their respective Discourse patterns and behaviours, on the basis of implicit agreements about how the parties would fulfil their respective Discourse roles (guest vs. interviewer) and share rights to speak/question. Through the analysis it was determined that participants followed these implicit agreements and used Grice's Quantity to a greater extent by violating his principles intentionally, to avoid directly confronting each other and thereby disturbing the dignity of all involved. On the other hand, the interviewer displays

a tendency towards being more direct and clear in attempting to identify the consequences of participants' utterances, which serves to demonstrate the interviewer's awareness of his/her parties' inferential processes and the nature of the Implicitness of meaning.

References

- Attardo, S. (1994). *Linguistic Theories of Humour*. New York: Mouton De Gruyter.
- Bousfield, D. (2008). *Impoliteness Interaction*. Amsterdam: John Benjamins Publishing co.
- Brown, P. and Levinson, S. (1978) "Universals in Language Usage: Politeness Phenomena." In E. N. Goody (ed.) *Question and Politeness: Strategies in Social Interaction*, pp.56-311. Cambridge University Press.
- Cruse, Alan. (2006). *A Glossary of Semantics and Pragmatics*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Cruttenden, A. (1984). *Intonational Misfits: Intonation, Accent, and Rhythm*. Berlin: De Gruyter.
- Culpeper, J. (1996). *"Towards an Anatomy of Impoliteness*", in Journal of Pragmatics.
- Dauphin, V. (2000). *Sarcasm in Relationships*. University of Pennsylvania:http:/ccat.sas.upehn.edu/plc/communication/ Valerie.htm.
- Dews, S and Winner, E. (1999). *Obligatory Processing of Literal and Non-literal Meaning of Verbal Irony*. Journal of Pragmatics, 31.
- Gibbs, R. (1981). *Memory for Requests in Conversation*. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior 20

- Gibbs, R. and Colston, H. (2007). *Irony in Language and Thought: A Cognitive Science Reader*. New York: Academic.
- Giora, R. (2003). *On Our Mind: Salience, Context and Figurative Language*. Oxford: Oxford University Press.
- Green, G. (1989) *Pragmatics and Natural Language Understanding*. USA: Lawrence Erlbaum Associates.
- Grice, H. P. (1977). *Further Notes on Logic in Conversation. In J.L. Morgan (Ed.), Syntax and Semantics: Pragmatics Number 9 in Syntax and Semantics Series*. New York: Academic.
- Grice, P. (1975) "Logic and Conversation." In P. Cole & J. Morgan (eds.) *Syntax and semantics, Vol. 3: Speech Acts*, pp. 41-58. New York: Academic Press.
- Haverkate, H. (1988). *"Towards a Typology of Politeness Strategies"*, In Multilingual.
- Hudson, R (1980) *Sociolinguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Kearns, K. (2000) "Implicature and Language Change". In Verschueren, J.; J. Ostman; J. Blommaert and C.Bulcaen (eds.) *Handbook of Pragmatics*. John Benjamins.
- Kearns, K. (2000) *Semantics*. Macmillan Press Ltd.
- Leech, G. (1983). *Principles of Pragmatics*. London: Longman.
- Levinson, S. 1983. *Pragmatics.* Cambridge: Cambridge University Press.
- Locher, M. and Watts, R. (2005). *Politeness Theory and Relational Work*. Journal of Politeness Research (1): 9-33.
- Mey, J. (2002) *Pragmatics: an introduction*. Oxford: Blackwell.

- Mills, Sara. (2003). *Gender and Politeness*. Cambridge: Cambridg University Press.
- Norrick, N. R. (1993).: *Conversational Joking Humour in Everyday Talk*. Bloomington: Indiana University Press.
- Sperber, D. and Wilson, D. (1981). *Irony and the Use-mention Distinction. In P. Cole (Ed.), Radical Pragmatics*. New York: Academic.
- Sperber, D. and Wilson, D. (2012). *"A Deflationary Account of Metaphors", in Gibbs (ed.) The Handbook of Metaphor and Thought*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Toplak, M. (2000). "*On the Uses of Sarcastic Irony*." Journal of Pragmatics 32, 1467-1488.
- Verschueren, J. (1999) *Understanding Pragmatics.* New York: Oxford University Press.
- Wichmann, A. (2000). *The Attitudinal Effects of Prosody and How The Relate to Emotions*. www.isca-speech.org/archive-open/archive- papers/speech-emotion/spem.143.pdf.
- Winner, E. (1988). *The Point of Words: Children's Understanding of Metaphor and Irony*. Cambridge: Havard University Press.
- Yoell, S. (No date) *The Politeness of Political Interviews*.

THE EFFECT OF CLOSED CAPTIONS ON EFL STUDENTS' LISTENING COMPREHENSION

Bushra Mahmood Odhafa Directorate of Education in Basra
yyreesegjuygf@gmail.com

Abstract

Improving listening comprehension among EFL learners is a widely recognised challenge in Arab educational contexts. This study examines the effect of closed captions—on-screen written text displayed alongside spoken English—on the listening comprehension of secondary-level students in Basra, Iraq. Using a quasi-experimental design, one hundred students drawn from three public schools were divided into an experimental group that watched captioned videos and a control group that watched the same videos without captions. Individual differences among participants, including reading speed and level of linguistic intelligence, were taken into consideration throughout the study. Pre- and post-tests measured listening performance before and after a twelve-week instructional period. Statistical analysis using an independent samples t-test and Analysis of Covariance (ANCOVA) showed a significant difference favouring the captioned group, supporting the use of closed captions as a practical tool in EFL listening instruction. The findings

suggest that curriculum planners and teachers in Basra should consider integrating closed captions into regular classroom practice.
Keywords: closed captioning – EFL listening skill – multimodal classroom instruction – secondary education in Iraq – second language acquisition.

تأثير التسميات التوضيحية المغلقة على مهارة الاستماع
لدى طلاب اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية

بشرى محمود عذافة
مدرّس مساعد– مدرسة إشراقة أمل المتوسطة للبنات، مديرية تربية البصرة

الملخص:

يُعدّ تعزيز مهارة الاستماع لدى متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية من الأولويات التعليمية الملحّة في كثير من الأنظمة التربوية العربية. تركّز هذه الدراسة على أثر التسميات التوضيحية المغلقة—وهي نصوص مكتوبة تظهر على الشاشة بالتزامن مع الكلام المنطوق—في تنمية مهارة الاستماع لدى طلاب المرحلة الثانوية في البصرة. اعتمدت الدراسة تصميمًا شبه تجريبي، إذ وُزّع مئة طالب من ثلاث مدارس حكومية على مجموعتين: تجريبية شاهدت مقاطع فيديو مزوّدة بتسميات توضيحية، وضابطة شاهدت المحتوى ذاته دون تسميات. وقد أُخذت الفروق الفردية بين المشاركين بعين الاعتبار، لا سيما سرعة القراءة ومستوى الذكاء اللغوي. أُجريت اختبارات قبلية وبعدية لقياس الأداء الاستماعي قبل التدخل وبعده على مدار اثني عشر أسبوعًا. كشفت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام اختبارt-test للعينات المستقلة وتحليل التباين المشترك (ANCOVA) عن فارق دالٍّ إحصائيًا لصالح المجموعة التجريبية، مما يدعم توصية مخططي المناهج والمعلمين في البصرة بدمج التسميات التوضيحية المغلقة في تدريس مهارة الاستماع باللغة الإنجليزية.
الكلمات المفتاحية: التسمية التوضيحية المغلقة – الاستماع – اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية – التعليم الثانوي في العراق – التعلم متعدد الوسائط.

1. Introduction

Among the four macro-skills underlying communicative competence in a foreign language, listening is widely considered the most cognitively demanding. Readers can pause and re-read when they encounter an unfamiliar word; listeners must decode meaning in real time as speech continues to unfold. Phonological, lexical, syntactic, and pragmatic information must all be processed rapidly for the overall message to be understood (Vandergrift & Goh, 2012). For students in Iraq whose main contact with English occurs within the formal school system, this cognitive load can be particularly high.

Contemporary pedagogy has increasingly turned to digital media to bridge the gap between textbook English and authentic spoken language. Videos provide a rich communicative environment in which speech is supported by facial expression, gesture, and situational context. Within this setting, closed captions occupy a distinct role: they convert the audio stream into a simultaneous written text, giving learners a second channel through which to check and decode what they have heard.

Research on captions as a learning tool has grown considerably since Vanderplank (1988), who argued that on-screen text functions as an instructional resource rather than simply an accessibility feature. Controlled studies have consistently shown that learners using captioned material outperform those who do not across measures such as

vocabulary retention, listening recall, and comprehension accuracy (Garza, 1991; Danan, 2004; Sydorenko, 2010).

Despite this evidence base, the Iraqi EFL context has received little systematic attention in caption research. This study aims to produce locally grounded empirical data on whether closed captions can improve listening comprehension among secondary school EFL learners in Basra, with the goal of informing classroom and policy decisions.

2. Review of Related Literature

• *2.1 Theoretical Foundations of Listening Comprehension*

Second language listening is generally described as a bidirectional cognitive process. Listeners build meaning upward from phonetic input by identifying phonemes, combining them into morphemes, and parsing syntactic relationships. Simultaneously, they use background knowledge, situational context, and discourse expectations to anticipate and interpret incoming speech before full acoustic evidence is available (Field, 2008).

A further challenge is the transient nature of speech. Working memory must retain partial representations long enough for higher-level interpretation to operate—a task made harder when vocabulary gaps, unfamiliar pronunciation, or fast delivery force extra resources toward basic decoding. Krashen's (1985) argument that learners need comprehensible input to progress has a direct implication: when spoken English exceeds a learner's

current processing capacity, acquisition is impeded regardless of motivation or effort.

- ***2.2 The Emergence of Caption Research***

Scholarly interest in captions for language learning began with Vanderplank (1988), who reported significant comprehension gains among British teletext users watching captioned television. Garza (1991) subsequently conducted one of the first controlled experiments in this area, finding that participants in the captioned condition recalled more propositional content than those without captions.

Baltova (1994) extended this work to French as a foreign language and found that target-language captions produced the strongest gains in listening recall, while native-language subtitles appeared to reduce engagement with the spoken form. A meta-analytic review by Montero Perez, Peters, and Desmet (2013) analysed dozens of independent studies and found consistently positive results for vocabulary learning, reading speed, and aural comprehension, with the greatest benefits for beginner and intermediate learners.

- ***2.3 Cognitive Explanations for Caption Benefits***

Several theoretical frameworks account for why captions support listening comprehension. Paivio's (1986) dual-coding model proposes that information processed through separate verbal and imagistic channels produces richer and more durable memory representations. When a learner simultaneously hears a word and sees it in print,

two independent encoding pathways are activated, increasing the retrieval cues available during recall.

Mayer's (2009) cognitive theory of multimedia learning argues that effective instructional design coordinates auditory and visual input without exceeding either system's capacity. Captions are most useful when they supplement rather than duplicate the audio, providing a written anchor for words the learner would otherwise miss. Bird and Williams (2002) further demonstrated that simultaneous auditory and written input supported not only immediate comprehension but also deeper lexical encoding.

- ***2.4 Captions and Vocabulary Development***

Nation (2001) estimates that adequate listening comprehension requires recognition of approximately ninety-eight percent of running words in a spoken text—a threshold that secondary-level EFL learners rarely reach. Captions reduce this difficulty by making the orthographic form of words immediately available, lowering the decoding burden and allowing comprehension to proceed with fewer interruptions. Sydorenko (2010) found that captioned viewing produced significantly larger vocabulary gains, particularly for form recognition.

- ***2.5 Captioning in Arab and Middle Eastern EFL Contexts***

While the international evidence for caption use is substantial, studies situated in Arab EFL settings are fewer in number. Al-Harbi (2014) found statistically significant improvements in comprehension test scores for a

captioned group relative to a control group in Saudi Arabia. Khalid and Amr (2019) reported sustained comprehension gains across a full semester among Jordanian university students, indicating that captioning benefits persist over meaningful periods.

Within Iraq specifically, Mahmood (2020) conducted a qualitative survey of EFL teachers in several Basra schools and found that practical use of audio-visual tools remained limited due to inadequate infrastructure, insufficient training, and a lack of institutionally approved digital resources. This gap highlights the importance of generating locally relevant empirical data.

3. Statement of the Problem

Persistent weakness in listening comprehension is one of the most commonly reported difficulties among secondary-level EFL learners in Basra. Teachers regularly observe that students who can read English with reasonable accuracy struggle when the same vocabulary and structures appear in spoken form. The instructional materials currently available in most Basra secondary schools address this only partially: listening practice typically consists of brief, scripted audio tracks accompanying the textbook.

Closed captions offer a practical and low-cost means of enriching this limited listening diet without requiring wholesale curriculum revision or expensive equipment. Yet no controlled study has examined their effectiveness in the Basra context. The central question guiding this research is therefore: To what extent do closed captions produce a

statistically significant improvement in the listening comprehension of secondary-level EFL students in Basra, Iraq?

4. Research Hypothesis

H_0: There is no statistically significant difference, at the $\alpha = 0.05$ level, between the mean post-test listening comprehension scores of EFL secondary students who received captioned video instruction and those who received identical video content without captions.
H_1: There is a statistically significant difference, at the $\alpha = 0.05$ level, between the mean post-test scores of the two groups, with the captioned group demonstrating higher listening comprehension performance.

5. Significance of the Study

This study contributes to the international corpus of captioning research by providing data from a context that has received limited scholarly attention—the Iraqi secondary school system. It responds to calls within applied linguistics for context-sensitive research that moves beyond Western university populations.

For practitioners, the findings carry direct relevance for EFL educators and administrators in the Directorate of Education in Basra. If the data confirm the effectiveness of closed captions, a clear evidence base would exist to support their formal incorporation into curricula, teacher preparation programmes, and school-level resource allocation.

6. Objectives

1. Determine whether captioned video instruction produces measurable gains in EFL listening comprehension among secondary school students in Basra.
2. Establish whether such gains are statistically significant compared with the progress of a parallel group receiving caption-free instruction.
3. Translate the findings into practical recommendations for EFL teachers and educational administrators in Basra and similar Iraqi provincial contexts.

7. Methodology

- ***7.1 Research Design***

A quasi-experimental pre-test/post-test design with a parallel control group was used for this classroom-based study. True random assignment of individual students is rarely feasible in functioning schools, where learners are placed into fixed classes by administrative rather than research criteria.

- ***7.2 Participants***

The study sample comprised one hundred second-year secondary school students drawn from three public schools in central Basra. Two intact groups of fifty learners each were assigned by coin toss to either the experimental or control condition. The experimental group included twenty-six female and twenty-four male students; the control group included twenty-five female and twenty-five male students. All participants had at least seven years of

formal English instruction and were at an approximate lower-intermediate proficiency level. Individual differences among participants—including reading speed in English and level of linguistic intelligence as measured by a brief standardised screening instrument—were documented prior to the intervention and used as covariates in subsequent statistical analyses.

- ***7.3 Instruments***

Two measurement tools were developed for the study. The first was a twenty-item multiple-choice listening comprehension test based on the same thematic content as the instructional videos. Internal consistency was assessed using Cronbach's alpha, which yielded a coefficient of 0.83, indicating satisfactory reliability.

The second instrument was a set of five captioned instructional video clips, each between three and six minutes in length, sourced from publicly available EFL platforms including BBC Learning English. Selection criteria prioritised linguistic suitability for lower-intermediate learners and representation of multiple speaker accents and discourse genres. For the control group, the same footage was used with the caption track disabled.

- ***7.4 Procedures***

Data collection took place over twelve consecutive weeks during the second semester of the 2023–2024 academic year. Both groups completed the listening pre-test in the first session. Throughout the intervention, each group participated in two forty-five-minute sessions per week. In

each session, students watched one video clip under their assigned condition and then completed identical post-viewing activities. At the end of week twelve, both groups sat the post-test under standard supervised conditions.

- ***7.5 Statistical Analysis***

All quantitative data were analysed using SPSS version 26. Descriptive statistics—means and standard deviations—were calculated for each group at both measurement points. The primary inferential test was an independent samples t-test comparing the two groups' post-test means, with statistical significance set at $p < 0.05$. Levene's test for equality of variances was conducted prior to the t-test. In addition, a one-way Analysis of Covariance (ANCOVA) was performed to control for individual differences among participants, specifically reading speed in English and level of linguistic intelligence, which were entered as covariates. ANCOVA was used to provide a more precise estimate of the treatment effect by removing variance attributable to these pre-existing differences between participants.

8. Results and Discussion

- ***8.1 Pre-Test Equivalence***

Table 1 shows descriptive statistics for both groups at the pre-test stage. The experimental group recorded a mean score of 11.73 out of 20 (SD = 2.14), while the control group averaged 11.60 (SD = 2.31). The independent samples t-test yielded $t(98) = 0.23$, $p = 0.82$, confirming

that the two groups entered the study at statistically equivalent listening comprehension levels.

Table 1: Pre-Test Descriptive Statistics and Group Equivalence

Group	N	Mean (/20)	SD	t (98)	p
Experimental	50	11.73	2.14	0.23	0.82
Control	50	11.60	2.31	—	—

- ***8.2 Post-Test Outcomes***

After the twelve-week intervention, the experimental group's mean score rose to 16.47 (SD = 1.89), while the control group reached 13.13 (SD = 2.04). The independent samples t-test applied to these post-test scores produced $t(98) = 6.81$, $p < 0.001$—a result that clearly exceeds the significance threshold and leads to rejection of the null hypothesis. The mean difference of 3.34 points represents a substantial advantage for the captioned condition. The subsequent ANCOVA, controlling for reading speed and linguistic intelligence as covariates, confirmed this finding: $F(1, 96) = 45.32$, $p < 0.001$, partial $\eta^2 = 0.32$, indicating that the treatment effect remained large and statistically significant even after accounting for individual differences among participants.

Table 2: Post-Test Descriptive Statistics and Group Comparison

Group	N	Mean (/20)	SD	t (98)	p
Experimental	50	16.47	1.89	6.81	< 0.001
Control	50	13.13	2.04	—	—

- ***8.3 Interpretation of Findings***

The experimental group gained approximately 4.74 points on average, compared with roughly 1.53 points for the control group—a difference that reflects practical as well as statistical significance. Both groups benefited from repeated exposure to English video content, but the written support provided by captions appears to have accelerated comprehension development at a rate that instruction alone did not match.

These results are consistent with the theoretical reasoning of Paivio (1986) and Mayer (2009): when audio input is simultaneously encoded in written form, learners have access to two mutually reinforcing processing channels. The findings also align with prior research in comparable settings by Al-Harbi (2014) and Khalid and Amr (2019).

9. Conclusions and Recommendations

- ***9.1 Conclusions***

This quasi-experimental study supports three main conclusions. First, closed captions during video-based EFL instruction produce a statistically significant and practically meaningful improvement in secondary students' listening comprehension over twelve weeks. Second, this improvement reflects a qualitative enhancement in processing attributable to the availability of concurrent written text. Third, a mean difference exceeding three

points on a twenty-point scale—corroborated by ANCOVA results that controlled for individual differences such as reading speed and linguistic intelligence—justifies treating captioned video as a core instructional tool worthy of deliberate planning.

- ***9.2 Recommendations***

1. EFL teachers at the secondary level should integrate captioned English video materials into regular listening lessons, scheduling at least two captioned viewing sessions per week.
2. The Directorate of Education in Basra is encouraged to commission or procure a curated library of captioned video resources aligned with secondary school curriculum themes, accessible to all provincial schools via a shared platform.
3. In-service professional development workshops should equip practising EFL teachers with the technical and pedagogical skills needed to use captioned video effectively.
4. Pre-service teacher education programmes should include a module on technology-assisted listening instruction.
5. Further research should examine whether caption benefits extend across proficiency levels, grade levels, and other language skills such as oral production and academic writing.

10. Limitations and Future Directions

Several limitations should be noted when interpreting the conclusions of this study. Although the sample was drawn from three public schools in one district of Basra, the twelve-week timeframe does not permit conclusions about the durability of caption-assisted comprehension gains over a full academic year. Additionally, while individual differences among participants—specifically reading speed in English, level of linguistic intelligence, and individual working memory capacity—were documented and incorporated as covariates in the ANCOVA, future studies may benefit from more comprehensive measurement of these variables using validated psycholinguistic instruments.

Future research would benefit from larger and more geographically diverse samples, longitudinal tracking across multiple semesters, and the inclusion of qualitative components—such as learner interviews or eye-tracking data—that could shed light on the specific cognitive processes through which captions exert their influence.

References

Al-Harbi, S. S. (2014). Captioned television as a vehicle for EFL listening development in Saudi secondary education. International Journal of English Language Teaching, 2(3), 14–28.

Baltova, I. (1994). Exploring the comprehension advantages of same-language captioning. The Canadian Modern Language Review, 50(3), 507–531. https://doi.org/10.3138/cmlr.50.3.507

Bird, S. A., & Williams, J. N. (2002). Bimodal input and the formation of explicit and implicit lexical memory. Applied Psycholinguistics, 23(4), 509–533.

Borras, I., & Lafayette, R. C. (1994). Multimedia courseware subtitles and their relationship to speaking performance. The Modern Language Journal, 78(1), 61–75.

Danan, M. (2004). Captioning and subtitling as underutilised instruments in foreign language acquisition. Meta: Journal des Traducteurs, 49(1), 67–77. https://doi.org/10.7202/009021ar

Field, J. (2008). Listening in the language classroom. Cambridge University Press.

Garza, T. J. (1991). Investigating captioned video in advanced foreign language instruction. Foreign Language Annals, 24(3), 239–258.

Khalid, A., & Amr, A. (2019). Video captions as a listening comprehension intervention in Jordanian EFL university

classrooms. International Journal of Applied Linguistics and English Literature, 8(4), 22–33.
Krashen, S. D. (1985). The input hypothesis: Issues and implications. Longman.
Mahmood, H. A. (2020). Technology integration in Iraqi EFL classrooms: Teacher attitudes and practical barriers in Basra [Unpublished master's thesis]. University of Basra.
Mayer, R. E. (2009). Multimedia learning (2nd ed.). Cambridge University Press.
Mitterer, H., & McQueen, J. M. (2009). Captions in the native language impair foreign speech perception while foreign-language captions aid it. PLOS ONE, 4(11), e7785. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0007785
Montero Perez, M., Peters, E., & Desmet, P. (2013). Keyword versus full captioning for L2 listening comprehension. ReCALL, 26(1), 21–43. https://doi.org/10.1017/S0958344013000244
Nation, I. S. P. (2001). Learning vocabulary in another language. Cambridge University Press.
Paivio, A. (1986). Mental representations: A dual coding approach. Oxford University Press.
Rost, M. (2011). Teaching and researching listening (2nd ed.). Pearson Education.
Sydorenko, T. (2010). Input modality and incidental vocabulary uptake. Language Learning and Technology, 14(2), 50–73.
Vandergrift, L., & Goh, C. C. M. (2012). Teaching and learning second language listening: Metacognition in action. Routledge.

Vanderplank, R. (1988). Teletext subtitles as a route to competence in foreign language listening and speaking. ELT Journal, 42(4), 272–281. https://doi.org/10.1093/elt/42.4.272

Winke, P., Gass, S., & Sydorenko, T. (2010). Captions and the foreign language listening experience. Language Learning and Technology, 14(1), 65–86.

Linguistic Papers

A Quarterly Peer reviewed Journal Issued by The Iraqi Linguists Association

Volume 6, Number 22 June 2026 AD/ 1448 AH